المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

مباحث

الإيمان بالله

في مرويات

العهد المكّي

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

اعداد الطالب/ نبيل شهزاد الحق

تحت إشراف/

فضيلة الشيخ أ.د/ أحمد بن عطية الغامدي – حفظه الله

١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

المقدمة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلــه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [1]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [2]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [3]

أمّا بعد:

فإنّ رسالة نبينا محمد ﷺ تضمنت أمرين: العلم النافع، والعمل الصالح، كما قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [4]

(فالهدى يتضمن العلم النافع، ودين الحق يتضمن العمل الصالح)[5]

---

[1] سورة آل عمرآن: ١٠٢

[2] سورة النساء: ١

[3] سورة الأحزاب: ٧٠-٧١

[4] سورة الفتح: ٢٨

[5] الجواب الصحيح (٧٣/١)

وأوّل ما يدخل في الهدى الّذي هو العلم النافع: العلم بوحدانية الله جلّ وعلا، والعلم بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وحقه على عباده.

فخلاصة دعوة النبي ﷺ، وزبدة رسالته ﷺ: الدعوة إلى الإيمان بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وإخلاص العبادة لله وحده دون من سواه.[1]

وإذا تبيّن ذلك، فلا غرابة أن تكون حياة النبي ﷺ، وسيرته العطرة مليئة بفوائد ودروس وعبر متعلّقة بالإيمان بالله وتوحيده سبحانه وتعالى

فدراسة السيرة النبوية، والتأمّل والتدبّر في حياة الرسول ﷺ، من أعظم أسباب زيادة الإيمان، ومن أعظم طرق الوصول إلى معرفة الله.

(فإنّ من عرف [الرسول ﷺ] حق المعرفة لم يرتب في صدقه وصدق ما جاء به: من الكتاب والسنة ودين الحق ... فمعرفته ﷺ توجب للعبد المبادرة إلى الإيمان ممن يؤمن ، وزيادة الإيمان ممن آمن به)[2]

وحياة نبيّنا ﷺ كلها – من أولها إلى آخرها – تتضمن دروساً ومسائل متعلّقة بتوحيد الله تعالى

ولّما كانت قرآءة كتب السيرة النبيوة، والتفكّر في حياة المصطفى عليه السلام أمراً محبوباً لدى جميع المسلمين، كان من أيسر الطرق، وأسهل الأسباب لدراسة مسائل التوحيد والإيمان بالله، الاطّلاع عليها من خلال دراسة سيرة النبي ﷺ

والتركيز على البناء الاعتقادي – مع أنّ النبي ﷺ كان مهتمّاً بالدعوة إلى التوحيد في جميع مراحل الدعوة، وقد تجلّى هذا لاهتمام في حياته المكّية، حيث كان يجاهد في سبيل رفع راية التوحيد، وقمع الشرك.

---

[1] انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٤/١٥)

[2] التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – القسم الثالث: العقيدة الإسلامية: ص١١١)

ولذلك، لمّا عُرض علينا الكتابة في تقرير مسائل الاعتقاد من خلال السيرة وأحداثها، انشرح صدري لها، واخترتُ العهد المكّي، والمسائل الاعتقادية في باب الإيمان بالله، وجعلتُ عنوان رسالتي:

(مباحث الإيمان بالله في مرويات العهد المكّي)

أهمّية الموضوع وسبب اختياره:

ترجع أهمّية الموضوع وسبب اختياري له إلى الأمور التالية:

١- أنّ النّبي ﷺ قضى في مكّة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى توحيد الله ﷻ وهذا يدلّ على أنّ العهد المكّي مليء جدّاً بمسائل توحيد الله عزّ وجلّ فمن أيسر الطرق إلى دراسة هذه المسائل الوقوف على مرويّات العهد المكّي.

٢- قراءة السيرة النبويّة محبوبة عند المسلمين، ولكنّ كثيراً منهم قد يقرؤونها قراءة مجرّدة بدون تأمّل، وقد يغفلون عن أهمّ الدروس المستفادة منها، ألا وهي الدروس المتعلّقة بالإيمان بالله، فالكتابة في هذا الموضوع تُبرز هذه الدروس وتُلفت أنظار قُرّاء السيرة النبوية إليها، فيتحقق لديهم أهمّ الأهداف من دراسة سيرة النّبي ﷺ.

٣ – الكتابة في هذا الموضوع تؤكّد أهمّية التوحيد، وتُنبّه على ضرورة اهتمام دعاة هذا العصر بالتوحيد، فإنّ النّبي ﷺ قدوة الدّعاة إلى الله تعالى، وقد قضى حياته في الدعوة إلى توحيد الله ﷻ، وكان هذا الهدف النبيل شغله الشاغل وهمه الأبرز، حتى عند احتضاره عليه الصلاة والسلام.

٤- من خلال دراسة مرويات العهد المكّي من السيرة النبوية يتمّ إبراز المنهج الأصيل لتقرير مسائل التوحيد والدعوة إليه، حيث إنّ النّبي ﷺ في تلك الفترة، دعا كبار المشركين إلى التوحيد، وجنس الضلالات التي عليها أوْلئك الكافرون موجودة في كفار

ومشركي هذا العصر، فعن طريق الوقوف على منهج النّبي ﷺ في الدعوة إلى التوحيد نتعرّف على المنهج الصحيح للاستدلال على التوحيد الصحيح.

٥- الكتابة في هذا الموضوع تؤكّد أهمّية توحيد الأسماء والصفات، فإننّا عندما نتحدّث عن علاقة العهد المكّي بتوحيد الله تعالى، فإنّه قد لا يتبادر إلى الذهن إلاّ توحيد الألوهية، ولكن الناظر في مرويات العهد المكّي يجدها مليئة بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلى مما يدلّ على اهتمام النّبي ﷺ بتوحيد الأسماء والصفات.

٦- شمول هذا الموضوع لمسائل التوحيد مما يعود بالفائدة على الباحث، والقارئ.

٧- إنّ في دراسة مسائل التوحيد من خلال السيرة النبوية تقديم طريقة جديدة ومُيسَّرة لدراسة التوحيد، حيث إنّ السيرة النبوية لا يكاد يمل من قرائتها، فإذا قُرّرت مسائل التوحيد من خلالها فهذا أنفع ما يكون حيث يتم الوقوف على مسائل التوحيد بطريقة سهلة وشيقة في نفس الأمر.

٨- المادة العلمية لهذا الموضوع متناثرة في كتب العقيدة، والسيرة — لا سيما في الكتب الّتي اهتمّت بجانب استخراج الفوائد من أحداث السيرة، وشروح الأحاديث، والتفسير وفي كتب أخرى، وتحتاج إلى أن تُجمع في مكان واحد.

٩- أنّ هذا الموضوع مع أهمّيته ومع وجود المادة العلمية الكافية لم يُكتب فيه — حسب علمي واطلاعي وحسب تتبعي لدلائل الرسائل العلمية — في رسالة علمية يسهل الاطلاع عليها.

خطة البحث

قسمت بحثي هذا إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وفيما يلي بيان ذلك:

المقدمة، وتحتوي على:

أ- الافتتاحية

ب- أهمّية الموضوع وسبب اختياره

ج- خطة البحث

د- منهجي في البحث

هـــ - الدراسات السابقة في الموضوع

التمهيد، ويشمل شرح مفردات العنوان، وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: المراد بالعهد المكّي وأهمّيته

المبحث الثاني: المراد بالمرويات

المبحث الثالث: معنى الإيمان بالله وأقسام التوحيد

الباب الأوّل: توحيد الربوبية في مرويات العهد المكّي، وتحته تمهيد وفصلان:

تمهيد: معنى توحيد الربوبية وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: معنى كلمة (توحيد)

المطلب الثاني: معنى (الرب)

المطلب الثالث: تعريف توحيد الربوبية شرعاً

الفصل الأوّل:بيان خصائص الرّب سبحانه وتعالى في مرويات العهد المكّي وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: بيان تفرّد الله تعالى بالخلق

المبحث الثاني: بيان تفرّد الله بالملك

المبحث الثالث: بيان تفرد الله بتصريف الأمور وتدبير شؤون العباد

الفصل الثاني: دلائل توحيد الربوبية في مرويات العهد المكّي، وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: دلالة الفطرة على توحيد الربوبية

المبحث الثاني: إقرار المشركين بتوحيد الربوبية

المبحث الثالث: دلالة الآيات الكونية على توحيد الربوبية

المبحث الرابع: دلالة بعثة الأنبياء وآياتهم على توحيد الربوبية

الباب الثاني: توحيد الأسماء والصفات في مرويات العهد المكّي، ويشمل تمهيداً وفصلين:

التمهيد: معنى توحيد الأسماء والصفات، وتحته مطلبان:

المطلب الأوّل: معنى الاسم والصفة

المطلب الثاني: تعريف توحيد الأسماء والصفات شرعاً

الفصل الأوّل: بيان إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى لله سبحانه وتعالى في مرويات العهد المكّي، وتحته مبحثان:

المبحث الأوّل: أسماء الله الحسنى

المبحث الثاني: الصفات الإلهية

الفصل الثاني: مرويات العهد المكّي في موقف المشركين من توحيد الأسماء والصفات، وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: إنكار المشركين بعض أسماء الله تعالى

المبحث الثاني: اشتقاق المشركين أسماء لأصنامهم من أسماء الله الحسنى

الفصل الثالث: أنواع العبادات التي ورد ذكرها في مرويات العهد المكّي، وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: العبادات القلبية

المبحث الثاني: العبادات القولية

المبحث الثالث: العبادات العملية

الفصل الرابع: بيان حقيقة الشرك في مرويات العهد المكّي، وتحته تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد: معنى الشرك وحكمه

المبحث الأوّل: أنواع الشرك الواردة في مرويات العهد المكّي

المبحث الثاني: النهي عن الشرك

المبحث الثالث: أسباب الوقوع في الشرك

المبحث الرابع: مرويات العهد المكّي في إبطال شبهات المشركين

الفصل الخامس: بيان حقيقة الكفر والطاغوت في مرويات العهد المكّي، فيه مبحثان:

المبحث الأوّل: معنى الكفر وأنواعه

المبحث الثاني: معنى الطاغوت وأنواعه

الفصل السادس: بيان الولاء والبراء في مرويات العهد المكّي، وتحته تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: معنى الولاء والبراء

المبحث الاوّل: علاقة الولاء والبراء بتوحيد الألوهية

المبحث الثاني: مظاهر الولاء والبراء في مرويات العهد المكّي

المبحث الثالث: أنواع من التعامل مع الكفار التي لا تنافي الولاء والبراء

الخاتمة، وأذكر فيها أهم نتائج البحث

الفهارس، وهي:

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الآثار
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- فهرس الأماكن والبلدان

- فهرس المصادر والمراجع

- فهرس المحتويات

منهجي في البحث.

١- جمع مرويات الإيمان بالله في العهد المكّي ثمّ تقسيمها حسب الأبواب والفصول والمباحث.

٢-تقرير هذه المسائل على منهج أهل السنّة والجماعة، وذكر الشواهد عليها من مرويات العهد المكّي مع بيان وجه دلالتها على هذه المسائل.

٣- الاقتصار على الروايات الصحيحة في تقرير الإيمان بالله، ولكن قد يُذكر بعض المرويات صحتها محل نظر،أو مرويات غير مسندة — مع بيان حالها، وذلك من باب الاستئناس والاعتضاد لا من باب الاعتماد وهذا مسلك لكثير من أهل العلم.

٤- عزو الآيات إلى سورها، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٥- تخريج الأحاديث من مصادرها، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإذا كان في غيرهما خرجته من كتب السنة الأخرى مع ذكر كلام أهل العلم في درجته صحّةً وضعفاً.

٦- تخريج الآثار من مصادرها.

٧- ترجمة الأعلام غير المشهورين.

٨- توثيق المعلومات من مصادرها.

٩- ضبط وشرح الكلمات الغريبة، والمصطلحات العلمية، مع الحرص أن يكون الشرح والضبط من الكتب المعتمدة.

١٠- أذيل الرسالة بفهارس توضيحية وقد سبق ذكرها في خطة البحث.

١١- العناية بعلامات الترقيم

الدراسات السابقة في الموضوع

لقد اطلعت على رسالة قدمت إلى شعبة السنّة في الجامعة الإسلامية في عام ١٤٠٩هـ وهي بعنوان (مرويات العهد المكّي من سيرة النّبي ﷺ) قدمها الطالب/ عادل عبد الغفور عبد الغني لنيل درجة الماجستير، وهو بحث مفيد جيّد في بابه، وقد استفدت من هذه الرسالة فائدة عظيمة في إعداد رسالتي.

وقد اتّضح لي بعد قراءة هذه الرسالة أنّ هناك فرقاً بين الموضوع الّذي بحثتُ فيه وموضوع هذه الرسالة، ويظهر هذا الفرق في النقاط التالية:

١- يختلف البحث الذي كتبتُ فيه عن البحث المذكور من جهة التخصص فإنّ البحث المذكور بحث حديثي صرف، وبحثي بحث عقدي.

٢- البحث المذكور جمعٌ لمرويات العهد المكّي من السيرة، ثمّ دراسة أسانيدها ورجال هذه الأسانيد، و لم ينظر الباحث إلى فقه هذه الروايات فضلاً عن أن يُبرز المباحث العقدية فيها،

لخروج هذا عن تخصص الباحث وأهداف بحثه، بل صرّح الباحث في رسالته أنّه تمنّى أن يأتي من بعده، ويستخرج الفوائد مما جمع.

٣- الهدف من البحث المذكور جمع جميع مرويات العهد المكّي ودراسة أسانيدها وإن لم يكن فيها مبحث عقدي أو مبحث من مباحث الإيمان بالله، بخلاف الهدف من بحثي فإنّ هدف بحثي إبراز مباحث الإيمان بالله من هذه الروايات، وليس الغرض من بحثي جمع هذه المرويات فحسب، وليس الغرض منها التعمق في الجانب الحديثي.

٤- منهج الباحث في البحث المذكور جمع جميع مرويات العهد المكّي ثمّ سردها على ترتيب أحداث السيرة النبوية، بخلاف منهجي في بحثي فإنّي جمعتُ المرويات الّتي فيها مسائل متعلّقة بالإيمان بالله فقط، ثمّ رتبتُ هذه المرويات على ترتيب أقسام التوحيد الثلاثة، ثمّ درستُ هذه المسائل، وبيّنتُ الشواهد في هذه المرويات على هذه المسائل، ثمّ ذكرتُ وجه الاستدلال بها، وتكرر إيراد الرواية الواحدة، أو جزء منها في مواضع أخرى نظراً لتعدد الشواهد الواردة في الرواية الواحدة.

فالحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على نعمه الظاهرة والباطنة، وأشكره على تيسيره وتوفيقه، وعلى ما منّ عليّ من الهداية وسلوك طريق العلم، فله الحمد في الآخرة والأولى.

وأثنّي بالشكر إلى والديّ الكريمين، على حسن رعايتهما لي، وعلى حضهما وتشجيعهما إياي على طلب العلم والدعوة إلى الله تعالى، كما أشكرهما على صبرهما على طول الغربة، ودوام النصح والتوجيه والدعاء، فجزاهما الله خير ما جزى والداً عن ولده ومتعهما بطول العمر على طاعته والصحة والعافية.

ثمّ أقدم شكري وتقديري إلى فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد بن عطية الغامدي – وفّقه الله لما يحبّ ويرضى – الّذي أكرمني بإشرافه على هذا البحث، والّذي بذل جهداً كبيراً في متابعتي خطوة خطوة، ولم يبخل بتوجيه أو تسديد، وكان نعم مُرَبٍّ،

ومُوَجِّه ومؤدِّب، وكان لتوجيهه وملاحظاته القيمة أكبر الأثر في إظهار هذا البحث بمظهره الّذي هو عليه، أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يُبارك له في عمره وماله وولده، وعلمه وعمله، وأن يكتب له التوفيق والسداد في الدنيا والآخرة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الشيخين الفاضلين: فضيلة الشيخ الدكتور محمد باكريم محمد باعبد الله، وفضيلة الشيخ الدكتور سليمان بن سالم السحيمي، حفظهما الله، على تكرمهما بقراءة هذه الرسالة، وقبول مناقشتها، وعلى ملاحظاتهما القيمة، فجزاهما الله كلّ خير وبارك فيهما.

والشكر موصول إلى ذلك الصرح الشامخ — الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية — حرسها الله وجعلها مناراً من منائر الدعوة إلى التوحيد والسنة، على جهودها في توجيه أبناء الأمة، ونشر العقيدة الصحيحة.

ولا أنسى إسداء الشكر والاعتراف بالفضل لبلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية التي احتضنت في رحاب هذه الجامعة المباركة، واهتمت بأبنائها ليتعلموا العلم النافع من منابعه الأصلية، كي يعودوا إلى ديارهم داعين إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بارك الله في جهود هذه الدولة ووفقها لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

ولا يفوتني أن أتقدّم بالشكر إلى زوجتي أُمّ عبد الله على حثّها وتشجيعها إياي على المثابرة في مواصلة البحث والطلب، كما لا يفوتني أن أتقدّم بالشكر إلى كلّ من أعانني على إتمام هذا البحث بما تيسر له، من إعارة، أو إشارة، أو مساعدة، أو دعاء في ظهر الغيب، بارك الله في جهود الجميع، وأجزل لهم الأجر والثواب.

هذا جهد المقل فما كان فيه من حق وصواب فهو من الله وحده وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، واستغفر الله وأتوب إليه.

اللهمّ اجعل العمل خالصاً لوجهك، لا حظ فيه لسواك.

سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

ويشمل شرح مفردات العنوان،

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: المراد بالعهد المكّي وأهمّيته

المبحث الثاني: المراد بالمرويات

المبحث الثالث: معنى الإيمان بالله وأقسام التوحيد

المبحث الأوّل:

المراد بالعهد المكّي وأهمّيته

١- المراد بالعهد المكّي

لم أقف على من استعمل عبارة (العهد المكّي) من المتقدمين ممن صنّف في السيرة النبوية، والظاهر- والله أعلم - أنّ إطلاقها شاع حديثاً.

وأقرب شيء إلى تعريف العهد المكّي عند العلماء السابقين تعريف الآيات المكّية عند العلماء الّذين صنّفوا في علوم القرآن فإنّهم وضعوا لها تعريفات (أشهرها أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة عام الفتح أو عام حجة الوداع).[1]

وقد تكلّم عن العهد المكّي بعض المعاصرين وذكر أنّ مدّته ثلاث عشرة سنة تقريباً، وذكر أنّه يشتمل على (ثلاث مراحل:

١- مرحلة الدعوة السرية، ثلاث سنوات.

٢- مرحلة إعلان الدعوة في أهل مكة، من بداية السنة الرابعة من النبوة إلى هجرته ﷺ إلى المدينة.

٣- مرحلة الدعوة خارج مكة وفشوها فيهم، من أواخر السنة العاشرة من النبوة).[2]

وإذا تأمّلنا أحداث السيرة النبيوة المذكورة في البحوث المعاصرة في السيرة التي خُصِّصَت للعهد المكّي وجدنا أنّها تهتمّ بالفترة الزمنية التي تبدأ قبيل ولادة الرسول ﷺ

---

[1] الإتقان للسيوطي (٣٥/١)

[2] الرحيق المختوم للمباركفوري (ص٤٩)

وتنتهي بنهاية هجرته ﷺ إلى المدينة، كما أنّ أصحاب تلك البحوث قد يذكرون ما كان عليه أهل الجاهلية قبل بعثة النّبي ﷺ، ويذكرون شيئاً عن نسب النبي ﷺ وصفاته. [1]

وعلى هذا يمكننا الوصول إلى تعريف العهد المكّي بأنّه: فترة زمنية في سيرة رسول الله ﷺ تبدأ قبيل ولادته وتنتهي بوصوله ﷺ إلى المدينة.

٢- أهمّية العهد المكّي

إنّ الأمّة الإسلامية في هذا العصر تعيش في حالة ضعف لا سيما في مناطق العالَم التي يقلّ فيها المسلمون، والأماكن التي يواجه المسلمون فيها الظلم والاضطهاد.

وهذه الحالة — أعني حالة الأقليات المسلمة – تشبه حالة المسلمين في مكّة قبل هجرتهم إلى المدينة النبوية، فإنّهم كانوا مستضعفين في الأرض، وكانوا في قلّة، ولقوا من المشركين أذىً كثيراً، ولكن بعد هذه المرحلة تغيرت حالتهم إلى حالة عزّة، فالمسلم في هذا العصر ينظر في العهد المكّي من السيرة النبوية، ليس لمجرّد التسلية، ولكن ليعلم كيف تعامل الصحابة مع مجتمعهم وهم في حالة ضعف وقلّة، وكيفية ترقيتهم إلى حالة عزّة.

فالعهد المكّي والنظر إلى ما حدث فيه يقدّم للمسلمين الطريقة النبوية والمنهج السليم للنهوض.

كما أنّ العهد المكّي من السيرة النبوية مرحلة دعوية تقدّم للداعية المنهج النبوي في الدعوة إلى الله فيستفيد من هذه المرحلة الأمور الّتي ينبغي له التركيز عليها، كما يستفيد منها مراتب الدعوة وأسلوبها.

---

[1] من أمثال البحوث المعاصرة في موضوع العهد المكّي: (السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق — دراسة مقارنة في العهد المكّي) رسالة مقدمة لنيل درجة (الدكتوراه) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض للدكتور سليمان بن حمد العودة، و(دراسة مرويّات العهد المكّي من سيرة النبي ﷺ) رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير) في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية للدكتور عادل عبد الغفور عبد الغني

ومما يدلّ على أهمّية العهد المكّي أنّ النبيّ ﷺ وأصحابه اعتنوا فيه بالتوحيد، الّذي هو أساس الدين، عنايةً بالغةً، واهتمّوا بتصحيح العقيدة، والعقيدة الصحيحة هي التي يبنى عليها العمل الصالح، فمن خلال تدبّر العهد المكّي من سيرة رسول الله ﷺ تثبت وترسخ العقيدة الصحيحة في قلب المؤمن ويزيد المؤمن معرفة بالله.

المبحث الثاني:

المراد بالمرويات

كلمة (المرويات) جمع (مروي)، وهو اسم مفعول روى يروي رواية، والرواية في اللغة بمعنى: الحمل، والنقل[1]

والمتأمّل في كلام علماء الحديث يجد أنّهم يطلقون كلمة (المرويات) على ما نقله الرواة من الأحاديث والآثار.

و(الحديث) في عرف الشرع هو ما يُضاف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة

و(الأثر) هو المروي عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي أو عن تابعي ومن بعده من السلف[2]

مراد الباحث في هذه الرسالة بكلمة (المرويات): الأحاديث والآثار، وبناءً على هذا، فالمراد بـــ(مروايات العهد المكّي): الأحاديث والآثار التي ورد فيها ذكر ما حدث ووقع في السيرة النبوية في العهد المكّي مما يدلّ على توحيد الله ﷻ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. وهو الموضوع الّذي عنى به الرسول ﷺ في هذه الفترة عناية كبرى، لأنّه الأساس الّذي يُبنى عليه الدّين كلّه.

---

[1] انظر: المعجم الوسيط (ص٣٨٤)

[2] انظر: مقدمة ابن صلاح (ص٨٦، ١٠٣، ١٢٠)، تدريب الراوي (٢٩/١)، معجم مصطلحات الحديث (ص٨، ١٣١) للشيخ محمد ضياء الرحمن الأعظمي

المبحث الثالث:

معنى الإيمان بالله وأقسام التوحيد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1] – رحمه الله تعالى – إنّ الإيمان بالله يتضمن الإيمان (بربوبيته وصفات كماله ونعوت جلاله وأسمائه الحسنى و عموم قدرته و مشيئته وكمال علمه و حكمته)[2]، و(إثبات ما أثبته لنفسه و تنزيهه عما نزه نفسه عنه)[3]، وإنّ قلب الإيمان (توحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته واستعانته)[4]

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ[5] – رحمه الله: (ومعنى الإيمان بالله هو إفراده بالعبادة التي تتضمن غاية الحب بغاية الذل والانقياد لأمره)[6]

وقال: (الله أخبر عن المشركين أنهم يجمعون بين الإيمان بالله أي بوجوده وأنه الخالق الرازق المحيي المميت ثم مع ذلك يشركون في عبادته)[7]

---

[1] هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، أبو العباس، شيخ الإسلام، تقي الدين الحراني ثم الدمشقي، تفقه على مذهب الإمام أحمد وبرع في التفسير والحديث، وفاق النّاس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب، وأتقن العربية، ونظر في العقليات وأقوال المتكلّمين، وردّ عليهم ونصر السنة، وأوذي في ذات الله واعتقل وسجن. تتلمذ عليه ابن القيم، وابن مفلح، وله كتاب (منهاج السنة النبوية في تقض كلام الشيعة القدرية) و(درء تعارض العقل والنقل) وغيرهما. انظر: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، وذيل طبقات الحنابلة (٣٨٧/٢)

[2] مجموع الفتاوى (١٣٥/١٤)

[3] الفرقان بين الحق والباطل (ضمن مجموع الفتاوى:١٣٥/١٣-١٣٦)

[4] مجموع الفتاوى (٧٠/١)

[5] هو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الحافظ المحدث الفقيه المجتهد الثقة، ولد سنة (١٢٠٠هـــ)، أخذ العلم عن والده وعن عدد من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأجازه الشيخ محمد بن علي الشوكاني، له كتاب (تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد) و(الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك)، استُشهِد عام (١٢٣٣هـــ). انظر: ترجمته بقلم إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ في مقدمة كتاب تيسير العزيز الحميد، والدرر السنية (٣٨٤/١٦-٣٨٥)

[6] تيسير العزيز الحميد (ص١٠٠)

[7] المصدر السابق (ص ١٣٢)

وقال: (التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بالله والإيمان باسمائه وصفاته ... فالتوحيد ثلاثة أنواع توحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات وتوحيد العبادة والأولان وسيلة إلى الثالث)[(١)]

وقال الشيخ حافظ الحكمي[(٢)] – رحمه الله تعالى: (وللإيمان ستة أركان ... الأول منها إيماننا بالله بإلهيته وربوبيته لا شريك له في الملك ولا منازع له فيه ولا إله غيره ولا رب سواه، واحد أحد فرد صمد لم يتخد صاحبة ولا ولداً ولا يُشرِك في حكمه أحداً، ولا ضِدَّ له ولا نِدَّ و لم يكن له كفواً أحدٌ)[(٣)]

وقال الشيخ عبد العزيز الرشيد[(٤)] – رحمه الله تعالى: (ومعنى الإيمان بالله: إثبات وجوده سبحانه وأنه متصف بصفات الجلال والعظمة والكمال، منزه من كل عيب ونقص وأنّه مستحق للعبادة لا إله غيره ولا رب سواه)[(٥)]

[(١)] المصدر السابق (ص٥١١)

[(٢)] هو حافظ بن أحمد بن على الحكمي، من علماء منطقة الجنوب بالمملكة العربية السعودية، ولد في قرية السلام التابعة لمدينة المضايا في منطقة جازان عام (١٣٤٢هـــ) ودرس على الشيخ الداعية المُصلِح عبد الله بن محمد بن حمد القرعاوي بعد قدومه من نجد، له منظومة في التوحيد وهي (سلم الوصول إلى علم الأصول) ثم شرحها في كتابه (معارج القبول)، توفي سنة (١٤٧٧هـــ). انظر: ترجمته بقلم ابنه في مقدمة كتاب معارج القبول (ص١٣-٢٨)

[(٣)] معارج القبول (٨٠٨/٢)

[(٤)] هو عبد العزيز بن ناصر بن عبد الله الرشيد، ولد في بلدة الرس بالقصيم في عام (١٣٣٣هـــ)، ودرس على عمه محمد العبد العزيز الرشيد قاضي الرس، ثمّ انتقل إلى الرياض ودرس على عدد من العلماء الكبار منهم سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، له كتاب (عدة الباحث في أحكام التوارث)، و(التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية)، وتوفي بالرياض سنة (١٤٠٨هـــ) انظر: ترجمته في مقدمة التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (ص٥-٨)

[(٥)] التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (ص٢٠)

وقال الشيخ ابن باز[1] – رحمة الله عليه: (من الإيمان بالله سبحانه الإيمان بأنّه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه)[2]

وقال: (ومن الإيمان بالله أيضاً الإيمان بجميع ما أوجبه على عباده وفرضه عليهم)[3]

وقال: (ومن الإيمان بالله سبحانه، الإيمان بأنّه خالق العالم ومدبّر شؤونهم والمتصرف فيهم بعلمه وقدرته كما يشاء سبحانه وأنّه مالك الدنيا والآخرة وربُّ العالمين جميعاً لا خالق غيره، ولا ربّ سواه)[4]

وقال: (ومن الإيمان بالله أيضاً الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الواردة في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين)[5]

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين[6] – رحمه الله: (الإيمان بالله يتضمّن أربعة أمور: ١- الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى، ٢-والإيمان بربوبيته؛ أي: الانفراد بالربوبية،

---

[1] هو عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز، العلاّمة، المفتي، المحدث، إمام عصره، ولد بمدينة الرياض عام (١٣٣٠هـ)، ومن مشائخه: الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد العتيق، وسماحة الشيخ المفتي محمد بن إبراهيم بن آل الشيخ، وتتلمذ عليه الشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، وغيرهما من العلماء الكبار، له كتاب (وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه)، و(نقد القومية العربية)، توفي في مدينة الطائف عام (١٤٢٠هـ)، وأقيمت جنازته في المسجد الحرام. انظر: الترجمة الّتي أملاها الشيخ نفسه وطبعت في مقدمة مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١/٩-١٢)

[2] العقيدة الصحيحة وما يضادها (ص٦)

[3] المصدر السابق (ص٧)

[4] المصدر السابق (ص٩)

[5] المصدر السابق (ص٩)

[6] هو محمد بن صالح بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان آل ريِّس الوهيبي التميمي، أبو عبد الله، جدّه الرابع عثمان أطلق عليه عثيمين فاشتهر به، العلاّمة الفقيه المجتهد، ولد في مدينة عنيزة عام (١٣٤٧هـ)، أخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي (صاحب أضواء البيان). له عدد من التصانيف النافعة منها: (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى)، و(تقريب التدمرية)، توفّي في جدّة وأقيمت جنازته في المسجد الحرام ودفن بجوار شيخه عبد العزيز بن باز عام (١٤٢١هـ). انظر: الجامع لحياة العلاّمة محمد بن

٣-والإيمان بانفراده بالألوهية، ٤-والإيمان بأسمائه وصفاته، ولا يمكن أن يتحقق الإيمان إلاّ بذلك)[١]

فيتبيّن من هذه النقول أنّ الإيمان بالله يتضمّن:

١- الإيمان بوجود الله تعالى

٢- الإيمان بانفراد ربوبيته سبحانه وتعالى

٣- الإيمان بـــ(انفراد الرب جل جلاله بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال الّتي لا يشاركه فيها مشاركة بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات)[٢]

٤- والإيمان بانفراده بالألوهية.

وهذه الأمور داخلة في أقسام التوحيد الثلاثة، وهي:

١- توحيد الربوبية

٢-وتوحيد الأسماء والصفات

صالح العثيمين رحمه الله العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي لتلميذه وليد بن أحمد الحسين، ابن عثيمين: الإمام الزاهد للدكتور ناصر الزهراني

[١] شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين (٥٥/١)

[٢] القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ (القسم الثالث — العقيدة الإسلامية ص١٠)

٣-توحيد الألوهية

وسيأتي التعريف بكل قسم من هذه الأقسام في صلب البحث إن شاء الله.

وقد اتضح في نهاية هذا التمهيد المقصود بعنوان هذه الرسالة وهو البيان بأنّ موضوعها: تقرير مسائل التوحيد بأقسامه الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية من خلال الأحاديث والآثار التي ورد فيها ذكر أحداث السيرة النبوية في الفترة الزمنية التي تبدأ قبيل ولادة النبي ﷺ وتنتهي بنهاية هجرته إلى المدينة، والأحاديث والآثار الّتي فيها ذكر صفاء وطهارة نسب النبي ﷺ وصفاته، وذكر الشواهد على هذه المسائل من هذه الأحاديث والآثار.

الباب الأوّل:

توحيد الربوبية في مرويات العهد المكّي

وتحته تمهيد وفصلان:

تمهيد: معنى توحيد الربوبية

الفصل الأوّل: بيان خصائص الرّب سبحانه وتعالى في مرويات العهد المكّي

الفصل الثاني: دلائل توحيد الربوبية في مرويات العهد المكّي

تمهيد:

معنى توحيد الربوبية

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: معنى كلمة (توحيد)

المطلب الثاني: معنى (الرب)

المطلب الثالث: تعريف توحيد الربوبية شرعاً

المطلب الأوّل:

معنى كلمة (توحيد)

التوحيد مصدر وحّد يُوحِّد توحيداً. قال ابن فارس[١]: (الواو والحاء والدال أصل واحد يدلّ على الانفراد، يُقال هو واحد في قبيلته إذا لم يكن مثله. قال الشاعر:

يا واحد العرب الّذي   ما في الأنام له نظير)[٢]

وقال الجوهري[٣]: (وحّده وآحده كما يُقال ثنّاه وثلّثه)[٤]

وقال الجرجاني[٥]: (التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد)[٦]

فالتوحيد في اللغة نسبة الانفراد إلى شيء.

---

[١] هو: أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين القزويني، الرازي، المالكي، اللغوي. كان من رؤوس أهل السنة المجرّدين على مذهب أهل الحديث. من شيوخه علي القطّان، وأبو القاسم الطبراني، ومن تلاميذه محمد بن عيسى وعلي المقرئ. له كتاب (المجمل) و(معجم مقاييس اللغة). مات سنة (٣٩٥هـ). انظر: معجم الأدباء (٨٠/٤)، سير أعلام النبلاء (١٠٣/١٧)

[٢] معجم مقاييس اللغة، مادة: (وحد)

[٣] هو: إسماعيل بن حمّاد، أبو نصر التركي الأتراري، الجوهري، اللغوي. أخذ العربية عن أبي سعيد السيرافي، وخاله أبي إبراهيم الفارابي، وله كتاب (الصحاح) ومقدّمة في النحو. مات سنة (٣٩٣هـ) وقيل في سنة (٤٠٠هـ). انظر: معجم الأدباء (١٥١/٦)، وسير أعلام النبلاء (٨٠/١٧)

[٤] الصحاح، مادة: (وحد)

[٥] هو: علي بن محمد بن علي الجرجاني توفي سنة (٨١٦هـ). انظر: كشف الظنون (٤٢٢/١)

[٦] التعريفات (ص٩٥)

أمّا التوحيد في الشرع، فقد قال السفاريني[1] في تعريفه إنّه: (إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً)[2]

فقوله: (إفراد المعبود بالعبادة) يشمل توحيد الألوهية، وقوله: (اعتقاد وحدته ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً) يشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي[3]: (حدُّ التوحيدِ الجامعُ لكلّ أنواعه هو علم العبدِ واعتقادُه واعترافُه وإيمانُه بتفرد الربِّ بكلّ صفةِ كمالٍ وتوحُّدهُ في ذلك واعتقادُ أنه لا شريكَ لهُ ولا مثيل لهُ في كمالِهِ وأنّه ذو الألوهيةِ والعبوديةِ على خلقه أجمعين، ثمّ إفراده بأنواع العبادة فدخل في هذا التعريف أقسامُ التوحيدِ الثلاثة)[4]

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين إنّ التوحيد (في الشرع إفراد الله – تعالى- بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات)[5]

---

[1] هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، العلاّمة، العالِم العامل، أبو العون شمس الدين، الحنبلي. ولد بقرية سفارين من قرى نابلس سنة (١١١٤هـ). له كتاب (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية)، و(لواقح الأفكار السنية في شرح منظومة الإمام الحافظ أبي بكر بن داود الحائية) توفّي عام (١١٨٨هـ) أو (١١٨٩هـ). انظر: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة للبردي (١٦١٩/٣)، وترجمته في مقدمة كتاب لوامع الأنوار البهية

[2] لوامع الأنوار البهية (٥٧/١)

[3] هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدي، العلامة، المُفَسِّر، الفقيه، الورع، الزاهد، صاحب التآليف الماتعة النافعة، ولد في عنيزة عام (١٣٠٧هـ)، من مشائخه: إبراهيم بن حمد الجاسر، وصالح بن عثمان القاضي، ومن تلاميذه: محمد بن صالح العثيمين، وعبد الله بن عبد الرحمن البسّام، له كتاب (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، و(طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول). توفي عام (١٣٧٦هـ). انظر: الترجمة التي وضعها أحد تلاميذه في بداية الرياض الناضرة (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي- القسم الخامس: الثقافة الإسلامية)، والدرر السنية (٤٧٣/١٦)

[4] سؤال وجواب في أهم المهمات – ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ (القسم الثالث – العقيدة الإسلامية ص٦١)

[5] القول المفيد على كتاب التوحيد (٨/١)

المطلب الثاني:

معنى (الرب)

تأتي كلمة (رب) في اللغة لعدة معاني، منها:

١- مالك الشيء وصاحبه:

قال الأزهري[١]: (كل من ملك شيئاً فهو ربه. يُقال: هو رب الدار ورب الدابة)[٢]

وقال الجوهري: (رب كل شيء مالكه)[٣]

٢ – السيد المُطاع:

قال الطبري[٤]: (وأمّا تأويل قوله: (رب) فإنّ الرب في كلام العرب متصرف على معان: فالسيد المطاع فيها يدعى رباً)[٥]

---

[١] هو: محمد بن أحمد بن الأزهر، أبو منصور، الأزهري الهروي، الشافعي اللغوي. كان رأساً في الفقه واللغة، ومن تلاميذه أبو عبيد الهروي وأبو يعقوب القرّاب. له كتاب (تهذيب اللغة) وكتاب (التفسير). ولد سنة (٢٨٢هـ) ومات سنة (٣٧٠هـ). انظر: معجم الأدباء (١٦٤/١٧)، وسير أعلام النبلاء (٣١٥/١٦)

[٢] تهذيب اللغة، مادة: (رب)

[٣] الصحاح، مادة (رب)

[٤] هو: محمد بن جرير بن يزيد، الإمام، العَلَم، المجتهد، المؤرخ، المفسر، أبو جعفر الطبري. ولد عام (٢٢٤هـ). له كتاب (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، و(تأريخ الأمم والملوك). توفى عام (٣١٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤) ومعجم الأدباء (٤٠/١٨)

[٥] تفسير الطبري (٦٢/١)

وفي حديث أشراط الساعة: (إذا ولدت الأمة ربّها)[1] أي: سيدها[2]

٣- المصلح للشيء

قال ابن فارس: (الرب المصلح للشيء. يُقال رب فلان ضيعته إذا قام على إصلاحها)[3]

وقال الطبري بعد ذكره لهذه المعاني الثلاثة لكلمة (رب): (وقد يتصرف معنى الرب في وجوه غير ذلك، غير أنّها تعود إلى بعض هذه الوجوه الثلاثة)[4]

أمّا كلمة (الرّب) باعتبارها اسماً من أسماء الله الحسنى، فقد قال الطبري في معناها: (فربنا جل ثناؤه: السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر)[5]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الرب هو الذى يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه الى جميع أحواله من العبادة وغيرها)[6]

---

[1] رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة (صحيح البخاري مع فتح الباري:١٤٠/١ رقم ٥٠) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، (صحيح مسلم مع شرح النووي:١٠١/١ رقم ٩٣)

[2] انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١٧٩/٢)

[3] معجم مقاييس اللغة، مادة (رب)

[4] تفسير الطبري (٦٢/١)

[5] تفسير الطبري (٦٢/١)

[6] مجموع الفتاوى (٢٢/١)

وقال ابن كثير[1]: (الرب هو المالك المتصرّف، ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى، ولا يستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة تقول: رب الدار رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم)[2]

فلا يُطلق هذا الاسم على غير الله إلاّ مقيّداً بالإضافة.[3]

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله : (الرب.. الّذي ربّى جميع المخلوقات بنعمه، وأوجدها وأعدّها لكلّ كمال يليق بها، وأمدها بما يحتاج إليه. أعطى كلّ شيء خلقه اللائق به، ثمّ هدى كلّ مخلوق لما خلق له، وأغدق على عباده النعم، ونمّاهم وغذّاهم وربّاهم بأكمل تربية)[4].

وقال الشيخ ابن عثيمين– رحمه الله : (الرب: هو من اجتمع فيه ثلاثة أوصاف: الخلق،والملك، والتدبير؛ فهو الخالق المالك لكل شيء المدبر لجميع الأمور)[5]

---

[1] هو: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء، الحافظ، المفسر، المؤرخ، الفقيه الشافعي، صحب ابن تيمية. له كتاب (البداية والنهاية)، و(تفسير القرآن العظيم). توفي عام (٧٧٤هـ). انظر: الأعلام (٣٢٠/١)

[2] تفسير القرآن العظيم (١٣١/١)

[3] انظر كذلك: النهاية (١٧٩/٢)

[4] فتح الرحيم الملك العلاّم (ص٤٨)

[5] تفسير سورة الفاتحة والبقرة (١٠/١)، وتفسير جزء عمّ (ص١٢)

المطلب الثالث:

تعريف توحيد الربوبية شرعاً

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (توحيد الربوبية [الإقرار بـــ]أنه لا خالق إلا الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فكل ما سواه إذا قدر سببا فلا بد له من شريك معاون وضد معوق فإذا طلب مما سواه إحداث أمر من الأمور طلب فيه ما لا يستقل به ولا يقدر وحده عليه حتى ما يطلب من العبد)[1]

وقال: (هو الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه)[2]وزاد في موضع (ومليكه)[3]

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاّب[4] - يرحمه الله: (هو توحيد الله بفعله، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [5])[6]

وقال: (هو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولايدبر الأمور إلا هو)[7]

---

[1] الفتاوى الكبرى (١٩٠/٥) مع تصرف يسير

[2] منهاج السنة النبوية (٢٨٩/٣)

[3] الاستقامة (١٧٩/١)

[4] هو: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، الإمام، العلاّمة، المصلح، المجدد، ولد عام (١١١٥هـــ). من مشائخه: محمد حياة السندي، ومن تلاميذه: ابنه عبد الله، وحفيده عبد الرحمن بن حسن. له (كتاب التوحيد الّذي هو حق الله على العبيد)، وكتاب (كشف الشبهات). توفي عام (١٢٠٦هـــ). انظر:الدرر السنية (٣١٤/١٦-٣٤٧)، وترجمته في عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي للدكتور صالح بن عبد الله العبود (١٠٧/١-٢٣٤)

[5] سورة يونس: ٣١

[6] الدرر السنية (٦٧/٢)

[7] مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٨١/٣ – الرسائل الشخصية)

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ – رحمه الله: (هو الاقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الامر كله وبيده الخير كله القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك)[1]

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله :(هو الاعتراف بانفراد الرب بالخلق والرزق والتدبير والتربية)[2]

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله : (هو إفراد الله بالخلق والملك التدبير)[3]

وقد اتضح من جملة ما سبق أنّ خصائص الربوبية ترجع إلى ثلاث أمور هي:

١- الخلق

٢- المُلك

٣- التدبير، كالرزق، والإحياء، والإماتة، والنفع، والضر، وإجابة الدعاء

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص١٧)

(٢) سؤال وجواب في أهم المهمات - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ (القسم الثالث – العقيدة الإسلامية ص٦١)

(٣) القول المفيد (٩/١)

الفصل الأوّل:

بيان خصائص الرّب سبحانه وتعالى في مرويات العهد المكّي

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: بيان تفرّد الله تعالى بالخلق

المبحث الثاني: بيان تفرّد الله بالملك

المبحث الثالث: بيان تفرد الله بتصريف الأمور وتدبير شؤون العباد

المبحث الأوّل:

بيان تفرّد الله تعالى بالخلق

ومما يدلّ على اختصاص الله بالخلق في مرويات العهد المكّي:

١- ما جاء في خبر زيد بن عمرو[١] أنّه كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: (الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثمّ تذبحونها على غير اسم الله) إنكاراً لذلك وإعظاماً له[٢].

٢- قصة أول نزول جبريل ﷺ بالوحي في غار حراء وفيه: (حتى فَجَئَهُ الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: (اقرأ)، فقال رسول الله ﷺ: (ما أنا بقارئ). قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: (اقرأ) قلت: (ما أنا بقارئ) فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: (اقرأ) قلت: (ما أنا بقارئ) فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[٣]

---

[١] زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، والد سعيد بن زيد، وابن عم عمر بن الخطاب. قال الحافظ: (ذكره البغوي وابن منده وغيرهما في الصحابة؛ وفيه نظر لأنّه مات قبل البعثة بخمس سنين)، وهو ممن كان على دين الحنيفية في الجاهلية. انظر: الإصابة (٢/٦١٣)

[٢] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٧/١٧٦ رقم ٣٨٢٦)

[٣] سورة العلق:١-٥، والحديث رواه البخاري في كتاب بدء الوحي (صحيح البخاري مع فتح الباري: ١/٣٠ رقم ٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢/٣٧٤-٣٧٦ رقم ٤٠١)

٣- ما جاء في الوليد بن المغيرة[١]، أنّه اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: (يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً) قالوا: (فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأياً نقول به) قال: (بل أنتم فقولوا، أسمع) قالوا: (نقول: كاهن) قال: (لا والله، ما هو بكاهن. لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن، ولا سجعه) قالوا: (فنقول: مجنون) قال: (ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته) قالوا: (فنقول: شاعر) قال: (ما هو بشاعر. لقد عرفنا الشعر كله: رجزه، وهزجه[٢]، وقريضه[٣]، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر) قالوا: (فنقول: ساحر) قال: (ما هو بساحر. لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم، ولا عقدهم) قالوا: (فما نقول يا أبا عبد شمس؟) قال: (والله، إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة[٤] وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته)

فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذّروه إياه وذكروا لهم أمره.

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله : ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾

---

[١] هو: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبد شمس، أحد رؤساء قريش، وأحد السبعة الذين دعا عليهم رسول الله ﷺ، وهو والد خالد بن الوليد، مات في الأولى من الهجرة. انظر: البداية والنهاية (٣/٤٧، ٧٦، ١٠٦، ٢٣٥)

[٢] الهَزَجُ: الرَّنَّة. النهاية (٥/٢٦١)

[٣] القَرِيض: الشِعر، وسُمّي القريض من القَرْضُ، وهو: قولُ الشعْر. يقال: قَرَضْتُ الشعْرَ أَقْرضُه إِذا قلته. انظر: النهاية (٧/٢١٨)

[٤] قال ابن هشام (١/٢٥٧): ويقال لغدق

﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴾ [1][2]

٤- قصة مجادلة عتبة بن ربيعة[3] رسول الله ﷺ وهذه القصة أنّ قريشاً اجتمعت يوماً، فقالوا: (انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه) فقالوا: (ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة) فقالوا: (أنت يا أبا الوليد) فأتاه عتبة، فقال: (يا محمد! أنت خير أم عبد الله؟) فسكت رسول الله ﷺ ثم قال: (أنت خير أم عبد المطلب؟) فسكت رسول الله ﷺ. فقال: (إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبتها، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك. إنا والله، ما رأينا سخلة[4] قط أشأم على قومه منك، فرّقتَ جماعتنا وشتتَ أمرنا وعبتَ ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقول بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتنفانى. أيها الرجل! إن كان إنما بك الباءة، فاختر أي نساء قريش ونزوجك عشراً، وإن كان إنما بك الحاجة، جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً) فقال رسول الله ﷺ: (أفرغت؟) قال: (نعم). فقرأ رسول الله ﷺ: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [5] حتى بلغ ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ

---

[1] سورة المدثر:١١-٢٥

[2] رواه ابن هشام عن ابن إسحاق من طريق البكائي (سيرة ابن هشام١/٢٥٦-٢٥٨)، والحاكم في المستدرك (٢/٥٥٠)، وصححه، ووافقه الذهبي، وأورده الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص١٥٨-١٥٩)

[3] هو: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، من زعماء قريش في الجاهلية، ومن سادتهم، وكان من أشد المشركين حرباً وإيذاء على المسلمين، فكان ممن دعاء عليهم رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم بأعيانهم، شهد بدراً مع المشركين فقُتل. انظر: البداية والنهاية (٣/٢٧٣)، الأعلام (٤/٢٠٠)

[4] السخلة هنا بمعنى المولود المحبّب إلى أبويه. انظر: لسان العرب، مادة (سخل)

[5] سورة فصلت١-٢

صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [1] فقال عتبة: (حسبك! حسبك! ما عندك غير هذا؟) قال: (لا). فرجع إلى قريش، فقالوا: (ما وراءك؟) قال: (ما تركتُ شيئاً أرى أنّكم تُكَلِّمُونَه به إلا وقد كَلَّمتُه به) فقالوا: (فهل أجابك؟) قال: (نعم). قال: (لا، والذي نصبها بنية! ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) قالوا: (ويلك! يكلمك رجل بالعربية لا تدري ما قال؟) قال: (لا، والله! ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة)[2]

٥- وفي رواية: أن عتبة بن ربيعة كان سيداً حليماً قال ذات يوم، وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد : (يا معشر قريش! ألا أقوم إلى هذا فأكلمه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنّا؟) وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: (بلى، يا أبا الوليد! فقم فكَلِّمهُ!) فقام عتبة، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : (يابن أخي! إنك منا، حيث قد علمت، من السطة[3] في العشيرة والمكان والنسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت من مضى من آبائهم، فاستمع مني، أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها). فقال رسول الله ﷺ: (قل يا أبا الوليد! أسمع!) فقال: (يابن أخي إن جئت إنّما تريد بما جئت من هذا القول مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد شرفاً، شرّفناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد مُلكاً، مَلَّكنَاك، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه، ولا تستطيع أن تَرُدَّه عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه، فإنَّه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، ولعل هذا الذي يأتي به شعر جاش به صدرك فإنكم لعمري، يا بني عبد المطلب،

---

[1] سورة فصلت:١٣

[2] رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٠/٧)، وأبو يعلى في مسنده (٣٤٩/٣-٣٥١)، والحاكم في المستدرك (٢٧٨/٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص١٦١)

[3] السطة من الوسط كما في النهاية (٣٦٦/٢)، فيكون المعنى: أوسطنا نسباً

تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد) حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه. قال رسول الله ﷺ: (أفرغت يا أبا الوليد؟) قال: (نعم) قال: (فاسْتَمِعْ منِّي) قال: (أفعل) فقال رسول الله ﷺ: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [1] فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت له وألقى بيده خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: (قد سمعت، يا أبا الوليد، ما سمعت، فأنت وذاك) فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض يحلف بالله: (لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به!) فلما جلس إليهم قالوا: (ما وراءك يا أبا الوليد؟) فقال: (ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت لمثله قط والله، ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا الكهانة! يا معشر قريش! أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله! ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلْكُه مُلْكُكُم وعِزُّه عِزُّكم وكنتم أسعد الناس به) قالوا: (سحرك – والله، يا أبا الوليد – بلسانه!) فقال : هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم[2]

وضمن الآيات التي قرأها رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3]

وقوله تعالى في قوم عاد: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [4]

وقوله تعالى في جلود أهل النار: ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [5]

---

[1] سورة فصلت: ١-٣

[2] رواه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق من طريق البكائي (١/٢٧٧-٢٧٨)، وحسن إسناده الألباني في تخريجه أحاديث فقه السيرة (ص١٠٦)

[3] سورة فصلت: ٩

[4] سورة فصلت: ١٥

[5] سورة فصلت: ٢١

وقوله تعالى: ﴿ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾ [١]

٦- عن ابن عباس، قال: جاء العاص بن وائل[٢] إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففته بيده، فقال: (يا محمد، أيحيي الله هذا بعد ما أرم؟)[٣] قال: (نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم)، فنزلت الآيات من أخر ﴿ يسٓ ﴾ :﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [٤] إلى آخر السورة[٥]

٧- عن أبي هريرة، قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٦]

٨- قصة سجود المسلمين والمشركين والجن والإنس بمكة عندما قرأ عليهم الرسول ﷺ سورة النجم، فقال عبد الله بن مسعود: (قرأ النبي ﷺ النجم بمكة، فسجد فيها، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال يكفيني هذا فرأيته بعد ذلك قتل كافرا)[٧]

---

[١] سورة فصلت: ٣٧

[٢] هو: العاص بن وائل بن هاشم – أو هشام – بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، والد الصحابي عمرو بن العاص. كان العاص ذو سن في قريش، وكان يُكثر الجدال مع رسول الله ﷺ وأصحابه، فأنزل الله آيات في الرد عليه، وقيل إنّ سورة الكوثر نزلت فيه. انظر: سيرة ابن هشام (٢٥٢/١، ٣٣٥، ٣٣١، ٣٦١، ٣٦٣)

[٣] وفي بعض الروايات: (أرى)

[٤] سورة يس: ٧٧

[٥] رواه ابن جرير في تفسيره (٣١/٢٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٠٢/١٠)، والحاكم (٤٦٦/٢) وصححه، ووافقه الذهبي

[٦] سورة القمر: ٤٨-٤٩، والحديث رواه مسلم في كتاب القدر، باب كل شيء بقدر (صحيح مسلم مع شرح النووي:٤٢١/١٦ رقم ٦٦٩٥)

[٧] رواه البخاري في كتاب سجود القرآن، باب ما جاء في سجود القرآن وسنّتها (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٦٤١/٢ رقم ١٠٦٧) بهذا اللفظ، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين في مكّه (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢٠٢/٧ رقم ٣٨٥٢) وفيه:

٩-وفي رواية: (أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿ وَٱلنَّجۡمِ ﴾ قال فسجد ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف)[1]

١٠- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والأنس)[2]

١١- وعن المطلب بن أبي وداعة[3] قال: (رأيت رسول الله ﷺ سجد في النجم وسجد الناس معه). قال: (و لم أسجد معهم) وهو يومئذ مشرك، فقال المطلب: (فلا أدع السجود فيها أبداً)[4]

١٢- وفي رواية: (قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعتُ رأسي وأبيت أن أسجد) و لم يكن يومئذ أسلم المطلب[5]

(فرفعه فسجد عليه)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب سجود التلاوة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٧٦/٥ رقم ١٢٩٧)

[1] رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٤٨٠/٨ رقم ٤٨٦٣)

[2] رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ﴾ (٤٨٠/٨ رقم ٤٨٦٢)

[3] المطلب بن أبي وداعة الحارث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم القرشي السهمي، أسلم يوم فتح مكة، ثم نزل الكوفة، ثم نزل بعد ذلك المدينة، وله بها دار، أسر أبو وداعة يوم بدر فقال رسول الله ﷺ: (تمسكوا به فإن له ابنا كيسا بمكة) فخرج سراً حتى فدى أباه بأربعة آلاف درهم وهو أول أسير فدي من بدر. انظر: الاستيعاب (١٤٠٢/٣)، الإصابة (٥٧٢/١)

[4] رواه الإمام أحمد في المسند (٤٢٠/٣)، (٢١٥/٤)، والحاكم في المستدرك (٧٣٤/٣) وصححه شعيب الأرانؤوط وزملاؤه في تحقيق المسند: (٢٠٦/٢٤)

[5] رواه النسائي في كتاب الإفتتاح، باب سجود القرآن، السجود في النجم (١٢٣/٢)، مسند أحمد (٤٢٠/٣)، وقد صحح إسناده الحافظ في الفتح (٤٨١/٨)، وحسن أسناده الشيخ الألباني في صحيح النسائي (٢٠٩/١ رقم ٩١٨)

١٣- عن أبي هريرة أن النبي ﷺ: (قرأ النجم فسجد وسجد الناس معه الا رجلين أرادا الشهرة)[(١)]

وفي هذه السورة التي قرآها رسول الله ﷺ على أهل مكّة قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ [(٢)]

١٤- في حديث أنس بن مالك[(٣)] ﷺ في الإسراء والمعراج: (ثُمَّ ذَهَبَ بي إلى السدرة المنتهى، وإذا وَرَقُها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال) قال: (فلما غشيها من أمر الله ما غشي، تغيرت **فما أحد من خَلْقِ الله** يستطيع أن ينعتها من حسنها)[(٤)]

التعليق:

من خصائص الرب سبحانه وتعالى أنّه متفرّد بالخلق، فلا (خالق إلاّ الله.

قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ ﴾ [(٥)]؛ فهذه الجملة تفيد الحصر لتقديم الخبر؛ إذ إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.

[(١)] المسند (٣٠٤/٢)، قال شعيب الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيق المسند (٤٠٤/١٣): (إسناده قوي)

[(٢)] سورة النجم: ٤٥

[(٣)] هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ شهد بدراً وهو لم يبلغ سن الرشد، خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، فكان من المكثرين لرواية الحديث، دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد ودخول الجنة، واستعمله أبو بكر وعمر على عمالة البحرين، ثم استقر منزله بالبصرة حتى توفي بها عام (٩٣هـ)، عن أكثر من مائة سنة. انظر: البداية والنهاية (٨٨/٩)، الإصابة (١٢٦/١)

[(٤)] رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات، وفرض الصلوات (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣٨٤/٢-٣٨٨ رقم ٤٠٩)، وسيأتي إيراده بطوله ص (١٧٣) إن شاء الله.

[(٥)] سورة الأعراف: ٥٤

قال تعالى: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَـٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [١]؛ فهذه الآية تفيد اختصاص الخلق بالله لأنّ الاستفهام فيها مشربٌ معنى التحدي.)[٢]

والأخبار التي تقدّم إيرادها من مرويات العهد المكّي تدلّ على أنّ الخلق من خصائص الله.

أمّا حديث زيد بن عمرو بن نفيل فوجه دلالته على أنّ الخلق من خصائص الله أنّه احتجّ على بطلان تسمية المشركين غير الله على ذبائحهم بما أقرّوا به من أنّ الله وحده هو الخالق، وقد أقرّوا بذلك لأنهم مفطورون عليه، ودليل الفطرة أحد أنواع الأدلّة على إثبات ربوبية الله وخصائص الرب.[٣]

وأمّا حديث أوّل نزول جبريل بالوحي فالشاهد منه على اختصاص الله بالخلق في ورود قول الله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ ، حيث (قال ﴿ خَلَقَ﴾ وحذف المفعول إشارة للعموم؛ لأنّ حذف المفعول يفيد العموم، إذ لو ذكر المفعول لتقيد الفعل به، لو قال خلق كذا تقيد الخلق بما ذكر فقط، لكن إذا قال ﴿ خَلَقَ﴾ وأطلق صار عاماً فهو خالق كل شيء جلّ وعلا. ثمّ قال ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ خص الله تعالى خلق الإنسان تكريماً للإنسان وتشريفاً له)[٤]

والشاهد في قصة نزول الوحي في الوليد بن المغيرة في نزول ﴿ ذَرۡنِى وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدًا﴾ وفي تفسير الآية قولان:

(أحدهما: خلقته وحيداً في بطن أمه لا مال له ولا ولد ..

والثاني: خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد)[٥]

---

[١] سورة فاطر: ٣

[٢] القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين (٩/١)

[٣] سيأتي الكلام على دلالة الفطرة على توحيد الربوبية مفصّلاً، إن شاء الله

[٤] تفسير جزء عمّ للشيخ ابن عثيمين (ص٢٥٧). انظر كذلك: الدر المصون للسمين الحلبي (٥٦/١١)

[٥] زاد المسير لابن الجوزي (٤٠٣/٨)

فعلى كلا التفسيرَين يُضاف الخلق إلى الله، وعلى التفسير الثاني يُضاف عليه على وجه الاختصاص

والشاهد في نزول آخر سورة ﴿ يسٓ ﴾ في قول الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ ، وقوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [1]

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (والخلاّق صفة لازمة له، وكونه خلاّقاً يشمل أنّه يخلق كل شيء) [2]

وكونه ﷻ خلق كلّ شيء يقتضي اختصاصه بالخلق

والشاهد في مجادلة المشركين رسول الله ﷺ في القدر في نزول قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – في تفسير هذه الآية الكريمة: (لما ذكر عذاب أهل النار ثم سيذكر نعيم أهل الجنة، ذكر بينهما أن هذا الخلق وتفاوته بقدر الله ﷻ، فكل شيء مخلوق فهو بقدر، كل ذرة في رملة فهي مخلوقة بقدر، وكل نقطة تقع على الأرض من السحاب فهي مخلوقة بقدر، وكل شيء تعم ما سوى الخالق، لأنّه ما ثم إلا مخلوق وخالق، فإذا كان كل شيء مخلوقاً كان الخالق وحده الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الّذي ليس فوقه شيء، والباطن الّذي ليس دونه شيء) [3]

فبيّن وجه دلالة الآية على اختصاص الله بالخلق

ووجه دلالة بقية المرويات على أن الخلق من خصائص الرب ظاهر في إضافة الخلق إلى الله ﷻ

---

[1] سورة يس: ٨٠-٨١

[2] تفسير سورة يس (ص٣١٦)

[3] تفسير سورة الحجرات إلى سورة الحديد للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٩١-٢٩٢)

المبحث الثاني:

بيان تفرّد الله بالملك

يدلّ على اختصاص الله بالملك في مرويات العهد المكّي:

١- قول المشركين في تلبيتهم: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك)[١]

٢- ما راوه ابن عباس، قال: جاء العاص بن وائل[٢] إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففته بيده، فقال: (يا محمد، أيحيي الله هذا بعد ما أرى؟) قال: (نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم)، فنزلت الآيات من آخر يس ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ [٣] إلى آخر السورة[٤]

والآيات التي نزلت تشمل قول الله تعالى: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [٥]

٣- قصة سجود المسلمين والمشركين والجن والإنس بمكة عندما قرأ عليهم الرسول ﷺ سورة النجم[٦]

وفي هذه السورة ورد قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾ [٧]

---

[١] عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٠٧/٣) إلى البزار وقال: (رجاله رجال الصحيح)

[٢] تقدمت ترجمته (ص٤٣)

[٣] سورة يس: ٧٧

[٤] تقدم تخريجه ص (٤٣)

[٥] سورة يس: ٨٣

[٦] تقدم إيراد القصة برواياتها مع التخريج ص٤٣-٤٥

[٧] سورة النجم: ٣١

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال لما خرج النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: (أخرجوا نَبِيَّهم، إنّا لله وأنا إليه راجعون، لَيَهلَكُنَّ)[١]

التعليق:

من خصائص الرب سبحانه وتعالى أنّه متفرّد بالملك، فلا يملك الخلق إلاّ خالقهم؛ و(جميع الموجودات كلها ملكه وعبيده المفتقرون إليه، المضطرون إليه في جميع شؤونهم، ليس لأحد خروج عن ملكه..، فله ملك العالم العلوي والسفلي..، وليس لله في شيء من ذلك مشارك)[٢]

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [٣]

قال ابن كثير[٤]: (أي: الجميع ملكه وتحت قهره وسلطانه)[٥]

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [٦]

والملكوت صيغة مبالغة بمعنى الملك، كالجبروت والرحموت، كأنّه قال: قل من بيده مالكية الأشياء الكلية[٧]، فقرر الله تفرّده واستقلاله بالملك.

والأخبار المتقدمة من مرويات العهد المكّي دلّت على اختصاص الله بالمُلك

---

[١] رواه النسائي في كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد (٣/٦)، والإمام أحمد في المسند (٢١٦/١)، والحاكم في المستدرك (٢٦٩/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وصحح الشيخ الإلباني إسناده في صحيح النسائي (٦٤٦/٢ رقم ٢٨٩٠)

[٢] فتح الرحيم الملك العلام ص٢٧ مع شيء من التصرف

[٣] سورة المائدة: ١٧

[٤] تقدمت ترجمته

[٥] تفسير ابن كثير (٦٩/٣)

[٦] سورة المؤمنون: ٨٨-٨٩

[٧] انظر: فتح القدير للشوكاني (٦٧٤/٣، ٥٠٧/٤)

أمّا تلبية المشركين ففيه إقرارهم بأنّ آلهتهم مملوكة لله تعالى، والمشركون كانوا يقرّون بربوبية الله تعالى، وذلك لأنّ البشر مفطور على الإقرار بذلك، والفطرة من أنواع الأدلّة على توحيد الربوبية كما سيأتي بيانه بالتفصيل إن شاء الله

وأمّا نزول آخر سورة ﴿ يسٓ ﴾ فالشاهد في ورود قول الله نعالى: ﴿ فَسُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٍ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ ضمن الآيات التي نزلت

ووجه دلالة الآية على تفرّد الله بالملك، أنّ الله أخبر أنّ المنزّه عن العجز والشرك وهو الله ﷻ هو الّذي يستقل بمالكية كل شيء.[1]

والشاهد في قرآءة النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكّة في ورود قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِىَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – في تفسير هذه الآية: (يقول علماء البلاغة: إنه إذا تقدم شيء حقه التأخير فهو دليل على الحصر والتخصيص، فلننظر في هذه الآية هل فيه تأخير وتقديم ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ﴿الله﴾ خبر مقدم و﴿ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ مبتدأ مؤخر، إذاً قدم فيها ما حقه التأخير وهو الخبر؛ لأن حق الخبر أن يكون متأخراً عن المبتدأ. تقول: الرجل قائم ولا تقول: قائم الرجل، فالأصل أن المبتدأ على اسمه يكون هو الأول والخبر هو الثاني، لكن أحياناً يقدم الخبر لفائدة، فهنا الفائدة: الحصر يعني: لله لا لغيره ﴿ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ ولا أحد يملك ما في السموات ولا ما في الأرض إلا الله تبارك وتعالى، ونحن نملك ما نملك من أموالنا ولكن ملكنا ليس عاماً، فملكي ليس ملكاً لك، وملكك ليس ملكاً لي، فأملاكنا ليست عامة، ثم نحن لا نملك التصرف بما هو ملكنا كما نشاء، فتصرفنا محدود حسب الشريعة، ولهذا لو تراضى اثنان في بيع الربا قلنا: لا تملكان ذلك، ولو أراد الإنسان أن يحرق ماله قلنا: هذا ممنوع، فملك غير الله قاصر، وغير شامل، والملك التام الواسع الشامل لله ﷻ ولهذا قال: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ فهو مالك لذواتهما، ومالك لما فيهما أيضاً، وكم من ملك في

---

[1] انظر: تفسير القرطبي (١٥/٦٠)، تفسير البيضاوي (مع حاشية محي الدين شيخ زاده: ٤/١٤٣)

السموات، وكم من مخلوق في الأرض كله ملك لله ﷻ يتصرف فيه كما يشاء حسب ما تقتضيه حكمته)[1]

فبيّن وجه دلالة الآية على تفرّد الله بالملك

وأمّا حديث ابن عباس رضي الله عنهما في مقف أبي بكر الصدّيق ﵁ عند خروجه من مكّة فالشاهد فيه في قول الصدّيق ﵁: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى – عند كلامه في شرح كلمة: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون): **(**(إنّا لله): أي: ملْكاً وعبيداً؛ فله أن يفعل بنا ما شاء**)** ثمّ ذكر - رحمه الله – أنّه يُستفاد من هذه الكلمة (أنّ العباد لله ﷻ، خلقاً ومُلكاً وتدبيراً؛ فهو يفعل فيهم ما يشاء)[2]

فبيّن - رحمه الله – أنّ كلمة: (إنّا لله وإنّا إليه راجعون) يقتضي أنّ العباد ملك لله، فالتفرد بالمُلك من خصائص الرب ﷻ.

---

[1] تفسير سوة الحجرات إلى سورة الحديد (ص٢٢٧-٢٢٨)

[2] أحكام من القرآن الكريم (١/٤١٤، ٤١٨)

المبحث الثالث:
بيان تفرد الله بتصريف الأمور وتدبير شؤون العباد

أولاً: تقرير تفرّد الله تعالى بالأمر على وجه العموم،

وفي ذلك:

١- قصة مجادلة عتبة بن ربيعة[١] مع رسول الله ﷺ[٢] وفيه قراءة النبي ﷺ لقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [٣]

وقول الله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا ﴾ [٤]

٢- قصة نزول آخر سورة يس الّذي تقدم ذكرها[٥]، ومن ضمن الآيات التي نزلت، قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٦]

٣- ما جاء عن ابن عباس، أنه قال: قالت قريش ليهود: (أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل). فقال: (سلوه عن الروح). قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [٧]

---

[١] تقدمت ترجمته

[٢] تقدم إيراد القصة مع التخريج ص (٤٠-٤٢)

[٣] سورة فصّلت: ١١

[٤] سورة فصّلت: ١٢

[٥] تقدم تخريجه، ص (٤٣)

[٦] سورة يس: ٨٢

[٧] سورة الإسراء: ٨٥

قالوا: (أوتينا علماً كثيراً، التوراة، ومن أوتي التوراة، فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزلت ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ ﴾ [١] إلى آخر الآية[٢]

٤- حديث مخاصمة قريش النبي ﷺ في القدر الذي تقدّم إيراده[٣]، وفيه نزول قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ [٤]

٥- عن ابن عباس : في قول الله تعالى ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٥] قال غلبت، وغلبت. كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم ؛ لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (أما إنهم سيغلبون). قال: فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: (اجعل بيننا وبينك أجلاً ؛ فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا ؛ فجعل أجلاً خمس سنين ، فلم يظهروا، فذكر ذلك للنبي – صلى الله عليه وسلم، فقال: (ألا جعلته إلى دون؟) قال: (أراه) قال: (العشر) قال سعيد بن جبير[٦]: والبضع ما دون العشر، قال ثم ظهرت الروم بعد، قال فذلك قوله

---

[١] سورة الكهف: ١٠٩

[٢] رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب سورة بني إسرائيل (٣٠٤/٥ رقم ٣١٤٠) وقال: (حسن صحيح)، وأحمد في المسند (٢٥٥/١)، والحاكم في المستدرك (٥٧٩/٢)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ في الفتح (٢٥٣/٨)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١-٣٢٢/٢)

[٣] انظر: ص (٤٣)

[٤] سورة القمر: ٤٩

[٥] سورة الروم:١-٥

[٦] هو: سعيد بن جبير بن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد ويقال أبو عبد الله الأسدي الوابلي مولاهم الكوفي، التابعي، روى عن ابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة، وأنس وغيرهم من الصحابة، قيل إنه ولد في خلافة علي ﷺ، وقُتل عام ٩٥هـــ. انظر: سير الأعلام النبلاء (٣٢١/٤)

تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ إلى قوله ﴿ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾[1]

٦- وفي رواية: لما نزلت ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾[2]، فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم ؛ لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قول الله تعالى ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3] فكانت قريش تحب ظهور فارس ؛ لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث ، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ . قال ناس من قريش لأبي بكر: (فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارسا في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟) قال: (بلى) وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن أبو بكر والمشركون، وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: (كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين؟ فسمِّ بيننا وبينك وسطاً تنتهي إليه)، قال: (فسموا بينهم ست سنين) قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير[4]

---

[1] سورة الروم:٤-٥، والحديث رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب سورة الروم (٣٤٣/٥ رقم ٣١٩٣) والحاكم (٤١٠/٢)، وقال الترمذي: (حسن صحيح)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٦٥/٧): (وهو كما قالا)

[2] سورة الروم: ١-٤

[3] سورة الروم:٤-٥

[4] رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب سورة اللروم (٣٤٤/٥ رقم ٣١٩٤) وقال: (صحيح حسن)، وقال الحافظ في الإصابة (٤٨٤/٦) :(رجال السند ثقات)، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٦٦/٧)

٧- في حديث أنس بن مالك ﷺ في الإسراء والمعراج: (ثُمَّ ذَهَبَ بي إلى السدرة المنتهى، وإذا وَرَقُها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال) قال: (فلما غشيها **من أَمْرِ الله** ما غشي، تغيرت فما أحد من خَلْقِ الله يستطيع أن ينعتها من حسنها)[1]

التعليق:

من خصائص الله ﷻ أنّه متفرد بتصريف الأمور وتدبير شؤون العباد، فهو متفرد بالرزق، والنفع، والضر، والإعطاء، والمنع، والإحياء، والإماتة، وإجابة الدعاء، إلى غير ذلك من خصائص الربوبية.

قال الله تعالى في بيان تدبيره لأمر هذا الكون: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾ [2]،وقال: ﴿ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ [3]، وقال: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [4]

والأخبار المتقدمة فيها بيان على أن تدبير الأمر من خصائص الرب ﷻ

أمّا قصة مجادلة عتبة بن ربيعة رسول الله ﷺ فالشاهد فيها في قرآءة النبي ﷺ لسورة فصلت من أول السورة إلى السجدة فيها، فإنّ قرآءته ﷺ تضمّنت قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ أي: انقادا لأمري طائعتين أو مكرهتين؛ فلا بدّ من نفوذه[5]، وقوله ﷻ: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ أي: أوحى فيها ما أراده وأمر به[6]، ففي الآيتين نسبة الأمر إلى الله عزّ وجلّ وأنّ جميع المخلوقين – سواء كانوا في السموات

---

[1] تقدم تخريجه، ص (٤٥)

[2] سورة يونس: ٣

[3] سورة يونس: ٣١

[4] سورة الرعد: ٢

[5] تيسير الكريم الرحمن (١٥٦٦/٤)

[6] انظر: فتح القدير (٦٦٦/٤)

والأرض لا يمكنهم أن يخالفوا أمر الله الكوني وتدبيره القدري مما يدل على أنّ الأمر بيد الله وحده لا شريك له.

وأمّا نزول آخر سورة يس فالشاهد فيه في نزول قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ فـــ(ـــالأمر مهما كانت عظمته؛ فإنّ الله تعالى قادر عليه بكلمة واحدة وهي (كن))[1] وهذا من خصائص المتفرّد بتدبير الأمر، وهو الله ﷻ.

والشاهد في سؤال قريش رسول الله ﷺ عن الروح في نزول قول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسير الآية: (أي: من جملة مخلوقاته التي أمرها أن تكون فكانت)[2]، ففي الآية نسبة الأمر الكوني لله، والأمر الكوني من خصائص الربوبية

ونزلت في هذه القصة قول الله تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: (قوله تعالى: ﴿ قُل ﴾ أي: يل محمد: ﴿ لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا ﴾ يعني حبراً يُكتب به ﴿ لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾ .

﴿ لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ ﴾ قبل أن تنفد كلمات الله ﷻ لأنّه المدبر لكل الأمور، بكلمة ﴿ كن ﴾ لا نفاد لكلامه ﷻ [3]

فبيّن رحمه الله أنّ الآية فيها دلالة على أنّ الله مدبّر الأمر.

أمّا مخاصمة قريش رسول الله ﷺ في القدر فالشاهد فيه في نزول قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾ ففي هذه الآية الكريمة تقرير القضاء والقدر، وقضاء الله وقدره من مقتضيات توحيد الربوبية، فكون كل شيء في السماء والأرض يحدث بتقدير الله وحده يدلّ على تفرّده سبحانه بالأمر بدلالة اللزوم.

---

[1] أحكام من القرآن الكريم للشيخ ابن عثيمين (١/٣١٠)

[2] تيسير الكريم الرحمن (٢/٩٣٦)

[3] تفسير سورة الكهف (ص١٥٠)

وأمّا قصة الروم فالشاهد منها على تفرّد الله تعالى بالأمر في الآيات الّتي في صدر سورة الروم، حيث ورد فيها قول الله تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾ [١]، ففي هذه الآية الكريمة، لقد نسب الله الأمر إلى نفسه سبحانه وتعالى على وجه الحصر والاختصاص ؛ لأنّه قدّم الخبر الّذي حقه التأخير على المبتدأ الّذي حقه التقديم، وتقديم ما حقه التأخير يفيد الاختصاص والحصر، فتبين من ذلك وجه دلالة الآية على تفرّد الله بالأمر.

والشاهد في في حديث أنس بن مالك ﷺ في الإسراء والمعراج في نسبة رسول الله ﷺ الأمر إلى الله

ثانياً: ما ورد في بيان في اختصاص الله بالتصرف في مخلوقاته، كتصرفه في الحيوان، وتصرفه في الكون كتصريف الرياح والسحاب وغير ذلك وهو كالآتي:

١- قال النبي ﷺ : (إنّ الله حبس عن مكّة الفيل)[٢]

٢- وقال النّبي ﷺ: (ما خلأت القصواء[٣]، وما ذاك لها بخُلُقٍ، ولكن حبسها حابس الفيل)[٤]

٣- قال ابن عبّاس: أقبل أصحاب الفيل حتى إذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب فقال لَمِلكِهم: (ما جاء بك إلينا يا ربنا ألا بعثت فنأتيك بكل شيء أردت؟) فقال: (أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد إلا آمن فجئت أخيف أهله) فقال : (إنا نأتيك

---

[١] سورة الروم: ٤

[٢] رواه البخاري في كتاب اللقطة، باب: كيف تُعَرَّفُ لقطة أهل مكّة؟ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ١٠٥/٥ رقم ٢٤٣٤) وفي كتاب العلم، باب: كتابة العلم (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٤٥/١ رقم ١١٢) وفي كتاب الديات، باب: من قُتِل له قتيل فهو بخير النّظرين (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢١٣/١٢ رقم ٦٨٨٠)، ومسلم في كتاب الحج، باب: تحريم مكّة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلاّ لمنشد على الدوام (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٣٤/٩ رقم ٣٢٩٣)

[٣] الخلاء للإبل كالحران للخيل، ولا يكون الخلاء إلا للنوق خاصة، والقصواء اسم ناقة النبي ﷺ. انظر: فتح الباري (٣٩٥/٥)

[٤] رواه البخاري في كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد (صحيح البخاري فتح الباري: ٣٨٨/٥ رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢)

بكل شيء تريد فأرجع) فأبى إلاّ أن يدخله وانطلق يسير نحوه وتخلف عبد المطلب فقام على جبل فقال : لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ثم قال:

اللهم إن لكل إله حلالا فامنع حلالك

لا يغلبن محالهم أبدا محالك

اللهم فإن فعلت فأمر ما بدا لك

فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى أظلّتهم طير أبابيل التي قال الله ﷻ: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [1]

قال: فجعل الفيل يعج عجاً ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [2]

٤- وقال ابن عباس– رضي الله عنهما: جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصِفَاح[3]، فجاءهم عبد المطلب جد النبي ﷺ فقال: (إنّ هذا بيت الله تعالى، لم يسلط عليه أحداً). قالوا: (لا نرجع حتى نهدمه). قال: وكانوا لا يقدمون فيلهم إلاّ تأخر فدعا الله الطير الأبابيل، فأعطاها حجارة سودا عليها الطين، فلمّا حاذتهم رمتهم، فما بقي منهم أحد إلاّ أخذته الحكة، فكان لا يحك إنسان منهم جلده إلا تساقط لحمه).[4]

٥- عن عبيد بن عمير[5]، قال: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيراً أنشئت من البحر أمثال الخطَاطِيف[6] كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة حجرين

---

[1] سورة الفيل: ٤

[2] سورة الفيل، الآية: ٥، والحديث رواه الحاكم (٥٨٣/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأومأ الدكتور عادل عبد الغفور عبد الغني إلى حسنه بعد أن انتقد الحاكم والذهبي لتصحيحهم للخبر

[3] الصِفاح: موضع خارج مكّة من جهة طريق اليمن كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢١٥/١٢)

[4] رواه البيهقي في الدلائل (١٢٤/١)، وحسّنه الحافظ في الفتح (٢١٥/١٢)

[5] هو: عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي، الواعظ المفسر، من ثقات التابعين، ولد في حياة النبي ﷺ ، وحدّث عن عمر بن الخطاب، وعلي، وعن ابن عبّاس رضي الله عنهم وعن غيرهم، تتوفي عام ٧٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥٦/٤)

[6] الخَطَاطِيف جمع الخُطَّاف وهو طائر معروف، ويُطلق أيضاً على الحديدة المعوجة. انظر: النهاية (٤٩/٢)

في رجليه وحجراً في منقاره قال : فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الاخر وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادها شدة فأهلكوا جميعاً[١]

٦- قصة حوار عتبة بن ربيعة[٢] مع رسول الله ﷺ[٣] وفيها قرآءته سورة فصّلت إلى السجدة فيها، ووردت في هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾[٤]

التعليق:

دلّت هذه الأخبار على اختصاص الله بالتصرف في مخلوقاته، كتصرفه في الحيوان، وتصرفه في الكون كتصريف الرياح والسحاب

أمّا قصة الفيل، فإنّها تدلّ على عظم قدرة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾[٥]، والله حبس عن مكة الفيل عام مولد النبي ﷺ، لما سار معه جيش أهل الحبشة النصارى ليهدموا الكعبة، لما أهان بعض العرب كنيستهم التي باليمن، وقد حبس الله الفيل بإرسال طير أهلكها مما يدل على أنّ الله يصرف الكون وأنّ ما يحدث فيه بيده تعالى، وفي ذلك قول النبي ﷺ: (إنّ الله حبس عن مكّة الفيل)، قوله ﷺ: (ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخُلُقٍ، ولكن حبسها حابس الفيل)، فنسب النبي ﷺ منع الفيل من دخول مكة إلى الله سبحانه وتعالى، مما يدلّ على أنّ

---

[١] رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٥/٧)، وقوّى الحافظ ابن حجر سنده في الفتح (٢١٦/١٢) وهو مرسل

[٢] تقدمت ترجمته

[٣] تقدم إيراد القصة مع التخريج ص (٤٠-٤٢)

[٤] سورة الفصلت: ١٦

[٥] سورة الفيل: ١-٥

التصرف في الحيوان وجميع المخلوقات من خصائص الله، وأن أمرها بيده سبحانه، فكل مخلوق من حيوان أو غيره إنما يسير وفق إرادة الله تعالى، وأن ما لا يريده الله لا يمكن أن يكون، مهما فُعل من أجله من أسباب.

كما أفادتنا هذه الأخبار أنّ الطير، الّتي هي من أصغر وأضعف مخلوقات الله ﷻ، هزمت الفيل، الذي هو من أكبر وأقوى الحيوان، وهذا أمر خارق للعادة، والله ﷻ هو الّذي أقدر الطير على هزم الفيل، وقد جاءت في هذه الأخبار نسبة إرسال الطير إلى الله، كما علمنا من الرواية الأخيرة أنّ الله بعث ريحاً شديدة الّتي زادت الحجارة التي رمتها الطير شدّةً، وهذا كلّه يدلّنا على أنّ الله يتصرف في مخلوقاته بجميع أنواعها كيف يشاء، فالله ﷻ هو المتفرّد بالأمر وتدبير شؤون العباد.

ثالثاً: ما ورد في بيان تفرّد الله بالرزق وفي ذلك:

١- قصة تجديد عبد المطّلب حفر زمزم. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال: (احفر طيبة). قال: قلت: (وما طيبة؟) قال: ثم ذهب عني . فلما كان الغد، رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: (احفر بَرَّة)[1] . قال: فقلت: (وما برة؟) قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد، رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: (احفر المضنونة)[2]. فقال: فقلت: (وما المضنونة؟) قال: ثم ذهب عني. فلما كان الغد، رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني فقال: (احفر زمزم). قال: قلت: (وما زمزم؟) قال: (لا تَنْزِفُ أبداً ولا تُذَمَّ[3] تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعْصَمِ[4] عند قرية النمل. قال ابن إسحاق[5]: فلما بين له شأنها ودُلَّ على موضعها، وعرف أنه قد صُدِق غدا بِمِعْوَله ومعه

---

[1] قال بن الأثير في النهاية (١/١١٧): (سماها برّة لكثرة منافعها وسعة مائها)

[2] أي: التي يُضَن بها لنفاستها وعزتها. النهاية (٣/١٠٤)

[3] أي: لا تعاب، أو لا تُلفى مذموماً. النهاية (٢/١٦٩)

[4] هو: الأبْيضُ الجناحين وقيل الأبيض الرِّجْلين. النهاية (٣/٢٤٩)

[5] هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل: ابن كوثان، العلامة الحافظ الأخباري أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله القرشي المطلبي مولاهم المدني، صاحب السيرة النبوية، ولد سنة (٨٠هـ)، ورأى

ابنه الحارث بن عبدالمطلب، ليس له يومئذٍ ولد غيره، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطي[1] كبّر، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: (يا عبدالمطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها. قال: (ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، فقالوا له: (فأنصِفْنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها) قال: (فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه) قالوا: (كاهنة بني سعد بن هذيم)[2] قال:(نعم) قال: وكانت بأشراف الشام، فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر. قال: والأرض إذ ذاك مَفَاوِز. قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المَفَاوِزِ بين الحجاز والشام فَنِي ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهَلَكَة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم، وقالوا: (إنا بِمَفَازَةٍ ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم)، فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه، قال: (ماذا ترون؟) قالوا: (ما رَأْيُنَا إلا تَبَعٌ لرأيك فمُرْنَا بما شئت) قال: (فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته، ثم وارَوْه، حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فضَيْعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً). قالوا: (نعم ما أمرت به). فقام كل واحد منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً، ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه: (والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا لِلْمَوْتِ، لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعَجْزٌ، فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، ارتحلوا)؛ فارتحلوا، حتى إذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون، تَقَدَّم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خُفّها عينٌ من ماء عذب، فكبّر عبدالمطلب وكبّر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه، واستقوا حتى ملئوا أسقيتهم ثم

أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، وهو صدوق يدلس، وإذا صرّح بالتحديث، قُبل حديثه. توفي عام (١٥٠هـ)، وقيل: (١٥١هـ)، وقيل (١٥٢هـ). انظر سير أعلام النبلاء (٣٣/٧)

[1] يطلق على الحجارة التي يُبنى بها البئر. انظر: سبل الهدى والرشاد (٢٢٣/١)

[2] قال الحافظ في فتح الباري (٦٠١/٧): (سعد بن هذيم المعروف فيها: سعد هذيم بالإضافة، ويصح الآخر على المجاز، وهو: سعد بن زيد بن ليث بن سود بضم المهملة بن أسلم بضم اللام بن الحاف بمهملة وفاء بن قضاعة وفي سعد هذيم طوائف من العرب)

دعا القبائل من قريش، فقال: هلم إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا). ثم قالوا: (قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب! والله، لا نخاصمك في زمزم أبداً! إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً). فرجع ورجعوا معه و لم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها[1].

٢- ما جاء في ذكر زيد بن عمرو[2] أنّه كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثمّ تذبحونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظاماً له[3].

٣- قصة نزول الوحي في الوليد ابن المغيرة[4]، وفيها نزول قول الله تعالى: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ۝ وَبَنِينَ شُهُودٗا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴾ [5]

٤- قصة حوار عتبة بن ربيعة[6] مع رسول الله ﷺ[7] وفيها قرآءته سورة فصّلت إلى السجدة فيها، والآيات الّتي قرأها ﷺ تضمنت قوله تعالى: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [8]

---

[1] رواه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق من طريق البكائي (١/١٤٩-١٥٠)، وحسن إسناده الدكتور عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكي (ص٨٤)

[2] تقدمت ترجمته، (٣٨)

[3] تقدّم تخريجه، (ص٣٨)

[4] تقدمت ترجمته وقصة نزول الوحي فيه مع التخريج. انظر: ص (٣٩-٣٩)

[5] سورة المدثر: ١١

[6] تقدمت ترجمته

[7] تقدم إيراد القصة مع التخريج ص (٤٠-٤٢)

[8] سورة فصلت: ١٠

٥- قصة سجود المسلمين والمشركين والجن والإنس بمكة عندما قرأ عليهم الرسول ﷺ سورة النجم[١]، ومن ضمن الآيات التي قرأها ﷺ قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴾[٢]

التعليق:

من خصائص الرب تبارك وتعالى أنّ الرزق بيده وحده لا شريك له

قال تعالى في بيان تفرّده بالرزق: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[٣]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾[٤]

والأخبار المتقدمة كلها دالّة على تفرّد الله بالرزق

أمّا قصة تجديد عبد المطّلب حفر زمزم فوجه دلالتها أنّ قريشاً — وهم مشركون- قالوا: (فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد)، وقال عبد المطلب: (هلم إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا)، وقال قريش: (إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً)، فأقرّوا بأنّ الرزق — هو أحد أفراد الربوبية – من الله وحده وليس للإنسان إلاّ بذل الجهد وتقديم الأسباب، وإلاّ فإنّ المتصرف في الأمر من رزق، وإحياء وإماتة، إنما هو الله تبارك وتعالى، وهذه القضية من أوضح الأدلة على تفرّده سبحانه بجميع خصائص الربوبية ومنها الرزق، وقد أقرّوا بذلك لأنهم مفطورون عليه، ودليل الفطرة أحد أنواع الأدلّة على إثبات ربوبية الله وخصائص الرب.

وأمّا حديث زيد بن عمرو بن نفيل فالشاهد منه على تفرّد الله بالرزق في قول زيد: (وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض)، ووجه الدلالة من الحديث أنّ زيداً احتجّ على بطلان تسمية المشركين غير الله على ذبائحهم بما أقرّوا به من أنّ الله وحده هو الذي رزقها طعامها وشرابها حال حياتها، وقد أقرّوا بذلك لأنهم مفطورون

---

[١] انظر: ص (٤٣-٤٥) من هذه الرسالة

[٢] سورة النجم: ٤٨

[٣] سورة فاطر: ٣

[٤] سورة الذاريات: ٥٨

عليه، فالناس مفطورون على الإقرار بتفرّد الله بالرزق، ودلالة الفطرة أحد أنواع الأدلّة على إثبات ربوبية الله وخصائص الرب.[1]

والشاهد في قصة نزول الوحي في الوليد بن المغيرة في نزول قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالاً مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴾ ، فقد أضاف الله تعالى إلى نفسه الرزق مما يدل على أنّه من خصائصه ﷻ.

أما قصة حوار عتبة بن ربيعة فالشاهد منها في قرآءة النبي ﷺ سورة فصلت من أول السورة إلى السجدة فيها، والآيات التي تلاها ﷺ تضمنت قول الله تعالى: ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ أي: (على وفق مراد من له حاجة إلى رزق أو حاجة، فإنّ الله قدر له ما هو محتاج عليه)[2]، ففي هذه الآية الكريمة الإخبار بأنّ الله هو الّذي يرزق عباده.

وأما قرآءة النبي ﷺ لسورة النجم على أهل مكّة فالشاهد في ورود قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ (أي: أغنى من شاء وأفقر من شاء، ومثله قوله: ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [3]، وقوله: ﴿ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ﴾ [4])[5]. وفي هذه الآية إضافة الرزق إلى الله ﷻ على سبيل الحصر والاخاصتص ؛ لاتيان ضمير الفصل (هو) قبل (أغنى) ؛ لأنّ المجيئ بضمير الفصل بين المبتدأ والخبر يحصر حكم الخبر على المبتدأ[6]، مما يدلّ على تفرّد الله بالرزق، فهو من الله وحده لا شريك له.

---

[1] سيأتي الكلام على دلالة الفطرة على توحيد الربوبية مفصّلاً، إن شاء الله

[2] تفسير ابن كثير (١٦٦/٧)

[3] سورة الرعد: ٢٦

[4] سورة البقرة: ٢٤٥

[5] فتح القدير (١٥٤/٥)

[6] انظر: فتح القدير (١١٧/١)

رابعاً: ما جاء في بيان اختصاص الله بالإحياء والإماتة، وفي ذلك:

١- قصة نزول آخر يس[١]، ومن ضمن الآيات التي نزلت: قول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [٢]

٢- قصة سجود المسلمين والمشركين والجن والإنس بمكة عندما قرأ عليهم الرسول ﷺ سورة النجم[٣]، ومن ضمن الآيات التي قرأها ﷺ قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [٥]

التعليق:

من خصائص الرب أنّه المتفرد بالإحياء والإماتة

قال الله تعالى في ذلك: ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [٦]

وقال تعالى: ﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [٧]

والأخبار المتقدمة كذلك تدلّ على تفرّد الله بالإحياء والإماتة

أمّا نزول آخر سورة يس فالشاهد فيه في ورود قول الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ضمن الآيات التي نزلت، وفي هذه الآية الكريمة رَدَّ الله سبحانه وتعالى على المشركين المنكرين للبعث المقرّين بإحياء الله الإنسان أوّل حياته، وذلك بتقرير أنّ الّذي

---

[١] تقدّم إيراد القصة مع التخريخ، ص (٤٣)

[٢] سورة يس: ٧٨-٧٩

[٣] تقدّم إيراد القصة مع التخريج، انظر: ص (٤٣-٤٥)

[٤] سورة النجم: ٤٤

[٥] سورة النجم: ٤٧

[٦] سورة الملك: ١-٢

[٧] سورة الدخان: ٨

يقدر على إحياء الإنسان بعد أن كان نطفة، قادر على إحيائه يوم القيامة بعد أن كان جثّة، وفي هذا نسبة الإحياء بعد الموت يوم القيامة إلى الله سبحانه وتعالى مما يدل على أنّه من خصائصه.

وأمّا قرآءة النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكّة فالشاهد في ورود قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴾ ضمن الآيات التي قرأها ﷺ، والمجيء بضمير الفصل ﴿ هُوَ ﴾ قبل ﴿ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴾ يفيد الاختصاص والحصر كما تقدم.

وتضمنت الآيات التي قرأها ﷺ على أهل مكّة قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴾ أي: هو الّذي يُحيي العباد بعد موتهم يوم القيامة، وتقديم الخبر الذي حقه التأخير يفيد الحصر، فالآيتان دالّتان على تفرّد الله بالإحياء والإماتة.[١]

خامساً: ما جاء في بيان اختصاص الله بالإسعاد والإشقاء، وفي ذلك قصة سجود المسلمين والمشركين والجن والإنس بمكة عندما قرأ عليهم الرسول ﷺ سورة النجم[٢]، فإنّ من الآيات التّي قرأها النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾[٣]

التعليق:

من خصائص الرب ﷻ أنّ السعادة والشقاوة بيده وحده لا شريك له

وقرآءة رسول الله ﷺ سورة النجم على أهل مكّة فيها دلالة على ذلك لتضمنها قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾

(أي: هو الّذي أوجد أسباب الضحك والبكاء، وهو الخير والشر والفرح والسرور والهم والحزن، وهو سبحانه له الحكمة الباغة في ذلك)[٤].

---

[١] انظر: تفسير سورة الحجرات إلى سورة الحديد للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٤٨-٢٥٠)

[٢] تقدّم إيراد القصة مع التخريج، انظر: ص (٤٣-٤٥)

[٣] سورة النجم: ٤٣

[٤] تيسير الكريم الرحمن (١٧٣٨/٤)

سادساً: ما جاء في بيان اختصاص الله بنصر من يشاء من عباده عامة ونصر أوليائه خاصة، وإنجاءهم والفرج عنهم، وفي ذلك:

١- قصة حوار عتبة بن ربيعة[١] مع رسول الله ﷺ الّتي ورد فيها رسول الله ﷺ آيات من سورة فصّلت، منها قول الله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [٢]

٢- قصة نزول أوّل سورة الروم المتقدمة[٣]، والتي ورد فيها قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾ [٤]

٣- قول النبي ﷺ في حديث أم سلمة في الهجرة إلى الحبشة: (إن بأرض الحبشة مَلِكاً لا يُظلَم أحدٌ عنده، فالحقوا ببلاده **حتى يجعل الله لكم فَرَجاً و مَخْرَجاً مما أنتم فيه**)[٥]

٤- عن ابن عباس – رضي الله عنهما، قال: لما أُخرجَ النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: (أخرجوا نبيهم، ليُهلَكَنّ)، فأنزل الله ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [٦] الآية، فقال أبو بكر: (لقد عَلِمتُ أنه سيكون قتال)[٧]

التعليق:

من خصائص الرب ﷻ أنّه متفرد بنصر من يشاء من عباده عامة، ونصر أوليائه خاصة، وإنجاءهم والتفريج عنهم، ونصر الأولياء: أحد أفراد الربوبية الخاصة.

---

[١] تقدّمت ترجمته وإيراد قصته مع التخريج. انظر: ص (٤٠-٤٢) من الرسالة

[٢] سورة فصلت: ١٨

[٣] تقدّم إيراد القصة مع التخريج، ص (٥٣-٥٤)

[٤] سورة الروم: ٤-٥

[٥] رواه ابن إسحاق ص (١٩٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/٩)، وجوّد إسناده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٨/٧ رقم ٣١٩٠)

[٦] سورة الحج: ٣٩

[٧] رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الحج (٣٢٥/٥ رقم ٣١٧١)، وحسنه، وقال الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٧٩/٣ رقم ٢٥٣٥) : (صحيح الإسناد)

والأخبار المتقدمة من مرويات العهد المكّي تدلّ على ذلك.

أمّا قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ فالشاهد فيها في ورود قول الله تبارك تعالى ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ ضمن الآيات التي قرأها ﷺ، وقد أخبر الله تعالى في هذه الآية أنه أنجى أوليائه المؤمنين المتقين بعد أن أهلك أعداءه فنسب الإنجاء إلى نفسه، فهو من خصائصه سبحانه وتعالى.

وأما قصة الروم فالشاهد فيها في نزول قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾، فقد أخبرنا الله تعالى أنّ من خصائصه نصر المؤمنين خاصة ونصر من يشاء عامة.

والشاهد في حديث الهجرة الحبشية في نسبة رسول الله ﷺ جعل الفَرَج إلى الله سبحانه وتعالى.

أمّا حديث ابن عباس – رضي الله عنهما في موقف أبي بكر رضي الله عنه عند خروجه من مكّة، فالشاهد فيه في نزول قول الله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾

حيث بيّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنّه قادر على نصر المظلومين.

سابعاً: ما جاء في بيان اختصاص الله بكفايته وحفظه أولياءه من أعدائه، وفي ذلك:

١- عن أسماء بنت أبي بكر[١] رضي الله عنها، قالت: لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ [٢] أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب[٣]، ولها ولولة[٤] وفي يدها فهر[٥]، وهي تقول: (مذمم أَبينا! ودينه قلَينا![٦] وأمره عصينا!) ورسول الله ﷺ جالس في المسجد، ثم قرأ قرآنا، ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال: (يا رسول الله! قد أقبلت، وأنا أخاف أن تراك!) فقال رسول الله ﷺ: (إنها لن تراني) وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال وقرأ: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [٧] فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله ﷺ فقالت: (يا أبا بكر! إني أخبرت أن صاحبك هجاني!) فقال: (لا! ورب هذا البيت! ما هجاك!) قال: فولّت، وهي تقول: (قد علمت قريش أني بنت سيدها)[٨]

---

[١] هي: أسماء بنت عبد الله بن عثمان التيمية والدة عبد الله بن الزبير بن العوام التيمية وهي بنت أبي بكر الصديق وأمها قتلة أو قتيلة بنت عبد العزي قرشية من بني عامر بن لؤي أسلمت قديما بمكة، ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة وعاشت الى أوائل سنة (٢٤هـ). قيل: عاشت بعد ابنها عشرين يوماً وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة (٤٨٦/٧)

[٢] سورة المسد: ١

[٣] هي: أم جميل أروى بنت حرب بن أمية امرأة أبي لهب وأخت أبي سفيان، كانت من أشد الناس أذى على رسول الله ﷺ وعلى من اتبعه، وقد أنزل الله سورة في ذمّها وذمّ زوجها ودخولهما النار. انظر: البداية والنهاية (٤١/٣، ٢٧١/٦)

[٤] الوَلْوَلَة: صَوْت مُتَتَابع بالوَيْل والاستغاثة، وقيل: هي حكاية صَوتِ النائحة. النهاية (٢٢٥/٥)

[٥] الفهر: الحجر ملء الكف. وقيل: هو الحجر مطلقاً. النهاية (٤٨١/٣)

[٦] القِلَى: البُغْض. يقال: قَلاه، يَقْلِيه، قِلًى، وقَلًى، إذا أبْغَضَه. النهاية: (١٠٥/٤)

[٧] سورة الإسراء: ٤٥

[٨] رواه الحميدي في مسنده (١٥٣/١-١٥٤)، وأبو يعلى في مسنده (٥٣/١-٥٤)، والحاكم في المستدرك (٣٩٣/٢) وصححه، ووافقه الذهبي، وقوّاه الدكتور عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي (ص٦٣٩)

٢- عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: لما نزلت ﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾، جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي ﷺ ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر قال: (يا رسول الله إنها امرأة بذيئة وأخاف أن تؤذيك فلو قمت؟)، قال: (إنها لن تراني) فجاءت، فقالت: (يا أبا بكر، صاحبك هجاني)، قال: (ما يقول الشعر)، قالت: (أنت عندي مُصَدَّق)، وانصرفت. قلت: (يا رسول الله، لم ترك)، قال: (لم يزل ملك يسترني منها بجناحيه)[1]

٣- عن عكرمة[2] قال : قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن فأنزلت ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا ﴾ إلى قوله ﴿ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [3] قال : فكانوا يقولون : (هذا محمد)، فيقول : (أين هو؟ أين هو؟) لا يبصره[4]

٣- قال ابن إسحاق: كان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان[5] عن عروة بن الزبير[6] خمسة نفر من قومه، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم، من بني أسد

---

[1] رواه أبو يعلى في مسنده (٣٣/١)، وابن حبان في صحيحه (٤٤٠/١٤)، وحسن الحافظ إسناده في الفتح (٦١٠/٨)، وصححه شعيب الأرنؤوط في تحقيق صحيح ابن حبان

[2] هو: التابعي الجليل: عكرمة، العلاّمة، الحافظ، المفسر، أبو عبد الله القرشي، مولاهم، المدني البربري الأصل. حدّث عن ابن عبّاس، وابن عمر، وعائشة، وأبي هريرة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان يُعد من كبار تلاميذ ابن عبّاس رضي الله عنهما في علم التفسير، وتزوّج عكرمة أمّ سعيد بن جبير. توفي رحمه الله عالم (١٠٥هـ)، وقيل: (١٠٦هـ)، وقيل (١٠٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/٥)

[3] سورة ﴿ يسٓ ﴾ : ٨-٩

[4] رواه الطبري في تفسيره (١٥٢/٢٢) قال الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكي (ص٦٦٩): (رجاله ثقات عن عكرمة ... وهذا مرسل)

[5] هو: التابعي: يزيد بن رومان المدني، أبو روح، مولى آل زبير، توفي رحمه الله (١٣٠هـ). قال فيه الحافظ: (ثقة من الخمسة ...وروايته عن أبي هريرة مرسلة). انظر: التقريب (ص١٠٧٤)

[6] هو: التابعي الجليل: عروة بن زبير بن العوّام، ابن الصحابي الجليل ﷺ ، الإمام عالم المدينة، أبو عبد الله القرشي الأسدي، المدني، أحد الفقهاء السبعة. حدّث عن أبيه الشيء اليسير لصغره، وعن أمّه أسماء بنت أبي بكر، وعن خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعن غيرهم من الصحابة رضي الله

بن عبد العزى بن قصي: الأسود بن المطلب أبو زمعة[1]، وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واسنهزائه فقال: (اللهم أعم بصره وأثكله ولده) ومن بني زهرة: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة[2]، ومن بني مخزوم: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم[3]، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي: العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم[4]، ومن خزاعة: الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن ملكان[5]، فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالى ذكره ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[6] قال محمد بن إسحاق: فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء، أنّ جبرئيل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمرّ به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه بِوَرَقَة خضراء فعمي، ومرّ به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه

عنهم أجمعين. ولد عام ٢٣هـ، وتوفي عام ٩٣هـ، وقيل: ٩٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٢١/٤)

[1] هو: الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي أبو زمعة، رجل من أشراف قريش، ومن أكابر المشركين وأعداء الإسلام، وأحد المستهزئين، وقد دعا عليه النبي ﷺ، وأجاب الله دعوته. انظر: سيرة ابن هشام (٢٥٢/١، ٣٧٤)

[2] هو: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، رجل من كبار المشركين، وكان ممن يتعنت بسؤال آيات الله على وجه العناد، وهو أحد المستهزئين.وقيل إنّه ابن خال رسول الله ﷺ. انظر: سيرة ابن هشام (٢٦٧/١، ٣٦٣، ٣٧٤)، تفسير الطبري (٧١/١٤)

[3] تقدمت ترجمته، (ص٣٩)

[4] تقدمت ترجمته، (ص٤٣)

[5] هو: الحارث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن ملكان، وقيل: الحارث ين قيس بن الطلاطلة، أحد رؤساء قريش، وأحد المستهزئين. انظر: سيرة ابن هشام (٢٦٧/١)، تفسير البغوي (٣٩٦/٤)

[6] سورة الحجر: ٩٤-٩٦

فاستسقى بطنه فمات منه حَبَناً[1]، ومر به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنتين وهو يجر سبله – يعني: إزاره، وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يَرِيش نَبَلاً[2] له، فتعلق سهم من نَبَلِه بإزاره، فخَدَشَ في رجله ذلك الخَدْش[3]، وليس بشيء، فانتقض[4] به فقتله، ومر به العاص بن وائل السهمي فأشار إلى أخمص[5] رجله فخرج على حمار له يريد الطائف، فوقص على شِبْرِقَة[6]، فدخل في أخمص رجله منها شوكة فقتلته، ومر به الحارث ابن الطلاطلة، فأشار إلى رأسه فامتخض قيحاً[7] فقتله[8]

٤- عن بن عباس رضي الله عنهما، في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[9] قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب، وأبو زمعة من بني أسد بن عبد العزى، والحارث بن عيطل السهمي[10]، والعاص

---

[1] الحَبَن: عِظَم البطن وانفتاحه من داء. النهاية (٣٣٥/١)

[2] النبل: السهام العربية، ولا واحد لها من لفظها، فلا يُقال: نبلة وإنّما يقال: سهم، ونُشّابة. النهاية (١٠/٥)

[3] خَدش الجلد: قشره بعود أو نحوه. النهاية (١٤/٢)

[4] فانتفض الجرح إذا تجدد بعد ما بري. هكذا قال المحقق في حاشية سيرة ابن هشام (٣٧٥/١)

[5] الأخمَص من القدم: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء. النهاية (٨٠/٢)

[6] قال ابن الأثير في النهاية (٤٤٠/٢): (الشِّبْرِق: نبت حجازي يؤكل وله شوك..ومنه في ذكر المستهزئين: (..فدخل في أخمص رجله شَبرِقة فهلك)

[7] قال المحقق في حاشية سيرة ابن هشام(٣٧٥/١) : (أي: أن القيح تحرك في رأسه وانتشر)

[8] رواه الطبري في تفسيره (٧٠/١٤)، ابن اسحاق (سيرة ابن هشام٣٧٤/١-٣٧٥). قال الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي (ص٦٨٠): (وهذا مرسل حسن، إلاّ أنّ ابن إسحاق شكّ في كون قصّة إتيان جبريل وما بعدها لعروة أو لغيره من العلماء)

[9] سورة الحجر: ٩٥

[10] هو: الحارث بن قيس بن عدي بن سعد السهمي، يقال له: الحارث بن عيطل، وقيل: عيطلة نسبة إلى أمّه عيطلة كما ذكره الطبري بإسناده عن زهري، أحد المشركين الذين استهزأ بالنبي ﷺ. انظر: تفسير الطبري (٧١/١٧)

بن وائل، فأتاه جبريل الطَّيْلاً فشكاهم إليه رسول الله ﷺ، فأراه الوليد أبا عمرو بن المغيرة، فأومأ جبريل إلى أبجَله[1]، فقال: (ما صنعت؟)، قال: (كفيته)، ثم أراه الأسود بن المطلب، فأومئ جبريل إلى عينيه، فقال: (ما صنعت؟)، قال: (كفيته)، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فأومأ إلى رأسه، فقال: (ما صنعت؟)، قال: (كفيته)، ثمّ أراه الحارث، فأومأ إلى رأسه أو بطنه وقال: (كفيته) ،ومَرَّ به العاص بن وائل، فأومأ إلى أخمَصه وقال: (كفيته)، فَأَمّا الوليد بن المغيرة، فَمَرّ برَجُلٍ من خزاعة وهو يريش نَبلاً له، فأصاب أبجله فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فعمي، فمنهم من يقول عمي هكذا، ومنهم من يقول نزل تحت سمرة، فجعل يقول: (يا بني، ألا تدفعون عني؟ قد قُتِلتُ)، فجعلوا يقولون: (ما نرى شيئاً)، وجعل يقول: (يا بني ألا تمنعون عني؟ قد هَلَكتُ! ها هو ذا، أطعن بالشوك في عيني!)، فجعلوا يقولون: (ما نرى شيئاً)، فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث الزهري، فخرج في رأسه قروح، فمات منها، وأما الحارث بن عيطل، فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فِيه، فمات منها، وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شِبرِقَة حتى امتلأت منها، فمات منها، وقال غيره: فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شِبرِقَة فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته[2]

٥- وعن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: (لو أنّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا) فقال: (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟)[3]

---

[1] الأبجَل: عرق في باطن الذراع، وهو عرق غليظ في الرجل فيما بين العصب والعظم. النهاية (٩٨/١)

[2] رواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/٩). قال الذهبي في السيرة النبوية (١٨٣/١): (حديث صحيح)

[3] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (صحيح البخاري مع فتح الباري:٣٠٢/٧ رقم ٣٩٢٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (صحيح مسلم مع شرح النووي:١٤٤/١٥ رقم ٦١١٩)

التعليق:

من خصائص الرب تبارك وتعالى كفايته وحفظه أولياءه من أعدائه، وهذا أيضاً من أفراد الربوبية الخاصة

والأخبار المتقدمة من مرويات العهد المكّي كلها تدلّ على ذلك

أمّا قصة أم جميل بنت حرب فالشاهد في ستر الله لرسول الله ﷺ عن بصرها وحفظه ﷻ له ﷺ من أذاها وهكذا ستر الله له ﷺ عن أعين أبي جهل وكفايته ﷻ إيّاه ﷺ المستهزئين بطريقة خارقة للعادة

وأمّا قصة لحوق النبي ﷺ وصاحبه ﵁ في الغار، فالشاهد في قول النبي ﷺ: (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟)

وقوله ﷺ: (اثنان) خبر مبتدأ محذوف تقديره: (نحن اثنان)، وقوله ﷺ: (الله ثالثهما) معناه: ثالثهما بالحفظ والمعونة والتأييد وإلاّ فالله ثالث كل اثنين بعلمه.[1]

فالحديث شاهد على حفظ الله لأوليائه وتأييده لهم

ثامناً: ما جاء في بيان اختصاص الله بإنزال العذاب على الظالمين في الدنيا وإهلاكهم، وفي ذلك:

١- قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ التي قرأ فيها رسول الله ﷺ سورة فصلت من أول السورة إلى السجدة فيها، وقرآءة النبي ﷺ تضمنت قول الله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾

[1] انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١٥/١٤٥)، فتح الباري (٨/٣٠٥)

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[1]

٢- عن بن عباس ﵄ قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز يعني الوبر والدم فأنزل الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾[2]

٣- قصة سجود المسلمين والمشركين والجن والإنس بمكة عندما قرأ عليهم الرسول ﷺ سورة النجم[3] و من الآيات التّي قرأها النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾[4]

التعليق:

من خصائص الرب ﷻ أنّ متفرّد بإنزال العذاب على الظالمين في الدنيا وإهلاكهم وما تقدّم من مرويات العهد المكّي تدلّ على ذلك

أمّا قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ وقرآءته ﷺ سورة النجم على أهل مكّة، فالشاهد في الخبرين في ذكر هلاك الأقوام الظالمة الكافرة: عاد، وثمود، وقوم نوح، وقوم لوط، ونسبة إهلاكهم إلى الله ﷻ، مما يدل على أنّ إهلاك الظالمين من خصائص الربوبية، وأنما يهيء أسباب هلاكهكم بالطريق التي يريدها الله سبحانه وفق مشيئته وقدرته واختياره.

---

[1] سورة فصلت: ١٣-١٨

[2] سورة المؤمنون: ٧٦، والحديث رواه النسائي في السنن الكبرى (٤١٣/٦)، والحاكم في المستدرك (٤٢٨/٢)، وابن حبان في صحيحه (٢٤٧/٣)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان

[3] تقدم إيراد القصة مه التخريج، ص (٤٣-٤٥)

[4] سورة النجم: ٥٠-٥٤

وأمّا حديث ابن عبّاس فالشاهد في نزول قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَـٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾

والمراد بالعذاب المذكور في الآية الجوع الذي أصاب مشركي مكّة سبع سنين كما دلّ عليه الحديث، وكما قال المفسرون[1]، وفي الآية نسبة الإصابة بهذا الجوع وهذا الابتلاء إلى الله مما يدلّ على أنّ إنزال العذاب بيده الله وحده دون من سواه.

تاسعاً: ما جاء في بيان اختصاص الله بمجازاة المحسنين بالمثوبة والمسيئين بالعقوبة في الدارين، وفي ذلك:

١- قراءة النبي ﷺ آيات من سورة فصلت على عتبة بن ربيعة[2]، وفي هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٧ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ ۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [3] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِى ٱلۡأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِىٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلاً مِّنۡ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [4]

٢- قراءة رسول الله ﷺ سورة النجم على أهل مكّة[5]، الّتي ورد فيها قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِىَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾ [6]

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير (٥/٤٨٧)، تيسير الكريم الرحمن (٣/١١٤٠)

[2] تقدمت ترجمته، وإيراد هذه الواقعة مع التخريج. انظر: ص (٤٠-٤٢) من الرسالة

[3] سورة فصلت: ٢٧-٢٨

[4] سورة فصلت: ٣٠-٣٢

[5] تقدم إيراد القصة مع التخريخ، ص (٤٣-٤٥)

[6] سورة النجم: ٣١

٣- عن خباب[1] ﷺ، قال: كنت رجلا قَيْناً[2] وكان لي على العاصي بن وائل دَينٌ، فأَتَيتُه أتقاضاه، فقال لي: (لا أقضيك حتى تكفر بمحمد). قال: قُلتُ: (لن أكفر به حتى تموت ثم تُبعَث) قال: (وإني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد). قال: فنزلت ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ [3]

٤- حديث بيعة العقبة الأولى، وفيه قول النبي ﷺ: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله، فهو إلى الله: إن شاء، عفا عنه، وإن شاء عاقبه)[4]

٥- حديث بيعة العقبة الثانية، وفيه قول النبي ﷺ: (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة)[5]

---

[1] هو: خباب بن الأرت بن سعد أبو عبد الله التميمي ويقال: الخزاعي، من السابقين الأولين، أسلم قديماً، وكان من المستضعفين، وروي أنه أسلم سادس ستة وأنه أوّل من أظهر إسلامه، فعُذِّت عذاباً شديداً من أجل ذلك، وشهد بدراً، ونزل بكوفة ومات بها عام ٣٧هـ. الإصابة (٢٥٨/٢)

[2] هو: الحداد والصانع. النهاية (٣٥/٤)

[3] سورة مريم: ٧٧-٨٠، والحديث رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله ﷻ: ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٨٤/٨ رقم ٤٧٣٥)

[4] رواه البخاري في كتاب الإيمان بلا ترجمة (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٨١/١ رقم ١٨)

[5] رواه الإمام أحمد في المسند (٣٢٢/٣)، وصححه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٦٠/٣)، وحسنه الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح من دلائل النبوة (٧٦)

التعليق:

من خصائص الرب جلّ وعلى اختصاصه بمجازاة المحسنين بالمثوبة والمسيئين بالعقوبة في الدارين

وما تقدم من مرويات العهد المكي يدل على ذلك

أما قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ فالشاهد فيها في ورود قول الله تعالى: ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾

فأخبر تعالى أنّه يجازي أعداءه بالعذاب، وأنّه يجازي أولياءه بالجنة وما فيها من نعيم، فمن خصائص الرب تبارك وتعالى مجازاة المحسن بالثواب، ومجازاة الظالم بالعذاب.

وأمّا قرآءة النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكّة فالشاهد في تضمن السورة لقول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴾

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله: (يخبر تعالى أنه مالك الملك، المتفرد بملك الدنيا والآخرة، وأنّ جميع ما فيها ملك لله، يتصرف فيهم تصرف الملك العظيم في عبيده ومماليكه، وينفذ فيهم قدره، ويجري عليهم شرعه، ويأمرهم وينهاهم، ويجزيهم على ما أمرهم به ونهاهم عنه، فيثيب المطيع ويعاقب العاصي، ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ﴾ العمل من سيئات الكفر وما دونه من المعاصي، وبما عملوه من أعمال الشر بالعقوبة الفظيعة، ﴿ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ في عبادة الله، وأحسنوا إلى خلق الله بأنواع المنافع ﴿ بِٱلْحُسْنَى ﴾ ؛

[1] سورة فصلت: ٢٧-٢٨

أي: بالحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، وأكبر ذلك وأجلّه رضا ربهم والفوز بالجنة وما فيها من النعيم).[1]

مقتضى كلامه أنّ الرب المالك المتصرف في ملكه، يتصرف في ملكه بنوعين من التصرف:

النوع الأوّل: التصرف الكوني القدري، الّذي لا يجاوزه بَرّ ولا فاجر.

النوع الثاني: التصرف الشرعي، بمعنى أنّ الله يأمر وينهى المخلوقين، فقد يطيعونه وقد يعصونه.

فالمخلوق لا يُمدح بانقياده للأمر الكوني القدري إذ لا اختيار له فيه، بخلاف الأمر الشرعي فإنّ له اختيار في الامتثال له، وإذا امتثل مُدح على ذلك، وإذا لم يمتثل ذُمّ.

والله سبحانه وتعالى يجازي من امتثل أمره الشرعي في الدنيا والآخرة بالمثوبة، ويجازي من عصاه بالعقوبة.

فعُلم أنّ الرب من خصائصه مجازاة المحسنين على إحسانهم بالمثوبة، ومجازاة المسيئين على إساءتهم بالعقوبة، فهذا هو وجه دلالة الآية على ذلك.

والشاهد في حديث خباب في نزول قول الله تعالى: ﴿ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴾ حيث نسب الله تعالى في الآية الأخذ بالعذاب إلى نفسه مما يدلّ على أنّ إنزال العذاب على الظالمين من خصائصه تعالى.

والشاهد في حديث بيعة العقبة الأولى في قول النبي ﷺ: (فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه) حيث ذكر ﷺ أنّ من التزم بشروط البيعة يأجره الله ومن خالف الشروط عاقبه الله إن شاء

أما حديث بيعة العقبة الثانية فالشاهد فيه في قول النبي ﷺ (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (١٧٣٥/٤-١٧٣٦)

قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة) حيث ذكر ﷺ أنّ من التزم بشروط هذه البيعة، فإنّه سوف يدخل الجنة إن شاء الله.

عاشراً: ما جاء في بيان اختصاص الله بإجابة الدعاء، وفي ذلك:

١- إجابة الله دعاء عبد المطلب في قصة الفيل، قال ابن عبّاس: (وتخلف عبد المطلب فقام على جبل فقال : لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ثم قال:

اللهم إن لكل إله حلالا فامنع حلالك

لا يغلبن محالهم أبدا محالك

اللهم فإن فعلت فأمر ما بدا لك

فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى أظلّتهم طير أبابيل التي قال الله ﷻ: ﴿ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ﴾ [١] قال: (فجعل الفيل يعج عجاً ﴿ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ﴾ [٢]

٢- إجابة الله دعاء عبد الطلب عندما فَقَدَ رسول الله ﷺ في الحج، فعن سعيد بن حيوة[٣]، قال: حججت في الجاهلية فإذا أنا برجل يطوف بالبيت وهو يرتجز يقول:

رب رد راكبي محمدا رده لي واصطنع عندي يدا

فقلت: (من هذا؟) قالوا: (عبدالمطلب بن هاشم، بعث بابن ابنه محمد في طلب إبل له، و لم يبعثه في حاجة إلا نجح فيها، وقد أبطأ عليه). فلم يلبث أن جاء محمد والإبل، فاعتنقه وقال: (يا بني! لقد جزعت عليك جزعاً لم أجزعه على شيء قط، والله لا أبعثك في حاجة أبداً، لا تفارقني بعد هذا أبداً.[٤]

---

[١] سورة الفيل: ٤

[٢] سورة الفيل، الآية: ٥، والحديث تقدم تخريجه ص (٥٨)

[٣] هو: سعيد بن حيوة بن قيس الباهلي، أدرك الجاهلية، لا يُعرف إلاّ بهذا الحديث. انظر: الاستيعاب (٦١٤/٢)، الإصابة (٢٨٦/٣)

[٤] رواه ابن سعد في الطبقات (١١٢/١-١١٣)، وأبو يعلى في المسند (٥٤/٣-٥٥)، والحاكم (٦٥٩/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٢٤/٨) : (إسناده حسن)

٣- ما جاء في أجابة الله دعوات النبي ﷺ في العهد المكّي، وفي ذلك ما رواه ابن عباس، قال: قالت قريش للنبي - ﷺ: (ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك) قال: (وتفعلون؟) قالوا: (نعم) قال: فدعا فاتاه جبريل فقال: (إنّ ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة) قال: (بل باب التوبة والرحمة)[١]

٤- ما تقدم في دعاء النبي ﷺ على عظماء المستهزئين [٢]

٥- قصة دعاء النّبي ﷺ على قريش لإبطائهم على الإسلام، قال ابن مسعود ﷺ: إن رسول الله ﷺ دعا قريشاً إلى الإسلام، فأبطؤوا عليه فقال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف). فأخذهم سنة فحصت كل شيء حتى أكلوا الميتة والجلود حتى جعل الرجل يرى بينه، وبين السماء دخاناً من الجوع. قال الله ﷻ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [٣] . قال: فدعوا: ﴿ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ﴾ [٤]. أفيكشف العذاب يوم القيامة؟) قال: (فكشف ثم عادوا في كفرهم فأخذهم الله يوم بدر. [٥]

---

[١] رواه أحمد (٢٤٢/١)، والحاكم (١١٩/١، و ٢٦٨/٤). وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١٥٧/٧)

[٢] تقدم تخريجه، ص (٧٢)

[٣] سورة الدخان، الآية: ١٠-١١

[٤] سورة الدخان، الآية: ١٢-١٥

[٥] رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة ص، باب: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٤٠٩/٨ رقم ٤٨٠٩)

٦- دعاء النبي ﷺ لهداية عمر بن الخطّاب ﷺ، وإعزاز الإسلام به، فعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب) قال: وكان أحبهما إليه عمر.[١]

٧- وفي رواية ابن مسعود: (اللهمّ أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام) فجعل الله دعوة رسوله لعمر بن الخطاب فبنى عليه الإسلام وهدم به الأوثان).[٢]

٨- وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : (اللهم أيد الإسلام بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب) فأصبح عمر فغدا على رسول الله ﷺ وأسلم ثم خرج فصلّى في المسجد ظاهراً[٣]

٩- وقال سعيد بن المسيب[٤]: كان رسول الله ﷺ إذا رأى عمر بن الخطاب أو أو أبا جهل بن هشام قال: (اللهم اشدد دينك بأحبهما إليك) فشدد دينه بعمر بن الخطاب[٥]

١٠- عن ابن عمر — رضي الله عنهما، قال : لما طعن عمر قال له ابن عباس: (يا أمير المؤمنين، جزاك الله خيرا ابشر قد دعا لك رسول الله ﷺ أن يعز الله بك الدين والناس

---

[١] رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب (٦١٧/٥ رقم ٣٦٨١)، والإمام أحمد في المسند (٩٥/٢)، وابن حبان (٣٠٥/١٥)، قال الترمذي: (حست صحيح غريب)، وأورده الشيخ الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص ١٩٣)، وحسّنه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان

[٢] رواه الطبراني في الكبير (١٥٩/١٠) والحاكم (٨٩/٣)، وقوّاه الدكتور عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكي (ص٨٢٥)

[٣] رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب عمر بن الخطاب (٦١٨/٥ رقم ٣٦٨٣) والطرباني في الكبير (٢٥٥/١١)، وابن إسحاق في سيرته (ص١٦٠) اللفظ له وقد انفرد بزيادة: (ثم خرج فصلى في المسجد ظاهراً)، وقال الألباني في تخريج المشكاة (٣١٦/٣): (حسن صحيح)

[٤] هو: إمام التابعين أبو محمد سعيد بن المسيب بن حَزَن بن أبي وهب المخزومي القرشي، سيد التابعين وأعلمهم، كان من عباد الزهاد، لا يخلط السلاطين ولا يداخلهم، وقصته مع آل مروان مشهورة، كان من أحفظ الناس لأحكام عمر وأقضيته، حتى سُمى راوية عمر، توفى في المدينة سنة (٩٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢١٧/٤)، الأعلام للزركلي (١٠٢/٣)

[٥] رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٦٧/٣)، وصحح إسناده إلى سعيد بن المسيب الحافظ في الفتح (٥٩/٧)

مختلفون، فلما أسلمت كان إسلامك عزا وأظهر الله بك الاسلام ورسول الله وأصحابه وهاجرت إلى المدينة فكانت هجرته فتحاً ثم قبض رسول الله ﷺ وهو عنك راض)[١]

١١- حادثة سراقة بن مالك[٢] ولحوقه بالنبي ﷺ في مسيره إلى المدينة، وفيه: (واتّبعنا سراقة بن مالك – قال: ونحن في جلد من الأرض، فَقُلتُ[٣]: (يا رسول الله، أُتينا)، فقال: (لا تحزن إن الله معنا)، فدعا عليه رسول الله ﷺ، فَارْتَطَمَتْ فرسه إلى بطنها[٤] أُرَى، فقال: (إني قد عَلِمْتُ أنكما قد دعوتما عليّ، فادعوا لي، فالله لكما أن أَرُدَّ عنكما الطلب) فدعا الله فنجا[٥]

[١] رواه الطبراني في الكبير (٢٦٦/١٠) والأوسط (١٨٣/١)، والحاكم (٨٩/٣) وصحح إسناده ووافقه الذهبي، وحسن إسناده الهيثمي في المجمع (٧٤/٩-٧٦)، وقال الدكتور عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكي (ص٨٤١) في قول الهيثمي: (هذا أولى بالصواب)

[٢] هو: سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك من بني كنانة، أبو سفيان روى البخاري قصته في إدراكه النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة ودعا النبي ﷺ عليه حتى ساخت رجلا فرسه ثم أنه طلب منه الخلاص، وألا يدل عليه، ففعل وكتب له أماناً وأسلم يوم الفتح، وتوفى في خلافة عثمان ﷺ عام ٢٤هـ. انظر: الأصابة (٤١/٣)

[٣] أي: أبو بكر ﷺ

[٤] قوله ﷺ: (فَارْتَطَمَتْ فرسه إلى بطنها)، أي: غاصت قوائمها في تلك الأرض الجلد. شرح صحيح مسلم (٣٤٤/١٨)

[٥] رواه البخاري في كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٧١٩/٦ رقم ٣٦١٥)، ومسلم – والفظ له – في كتاب الزهد، باب في حديث الهجرة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣٤٤/١٨ رقم ٧٤٣٨)

التعليق:

من خصائص الرب ﷻ أنّه متفرّد بإجابة الدعاء، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1]

وقال الله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[2]

والأخبار المتقدّمة تدلّ على أنّ إجابة الدعاء من خصائص الله.

أّما قصة الفيل، فالشاهد فيها في إجابة الله دعاء عبد المطلب عندما دعاه مما يدلّ على أنّ إجابة الدعاء من خصائص الله.

وفي حديث فقدان عبد المطلب رسول الله ﷺ في الحج يظهر ظهوراً بيناً، أنّ المشركين كانوا يدعون الله وحده لا شريك له في حالة الكرب والشدّة، فإنّ عبد المطلب ضاقت به الأرض بما رحبت، عندما فقد حفيده رسول الله ﷺ، لشدّة محبته له[3]، فالتجأ إلى الله وحده لا شريك له وسأله سوال مُلِحٍّ يرجو فيه الإجابة أن يرد إليه ابن ابنه محمد ﷺ، فاستجاب الله له، وهذا يؤكّد لنا أنّ إجابة دعاء المضطر — ولو كان هذا المضطر كافراً – من خصائص الرب سبحانه وتعالى.

وفي حديث ابن عباس في طلب قريش تعنتاً من النبي ﷺ أن يدعو الله أن يجعل لهم الصفا ذهباً دعا اللهَ النبيُّ ﷺ، أن يجعل للمشركين الصفا ذهباً، فأجاب الله دعوته بأن خير

---

[1] سورة البقرة: ١٨٦

[2] سورة النمل: ٦٢

[3] زعم بعض الناس أنّ عبد المطلب كان من الحنفاء — الّذين كانوا يوحدون الله قبل بعثة النبي وينتظرون النبوة، ولكن الصحيح أنّه كان مشركاً ومات على الشرك، بدليل قول عتبة بن ربيعة لرسول الله ﷺ: (إن كنت تزعم أن هؤلاء — يعني عبد المطلب وابنه عبد الله – خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبتها)، وبدليل قول أبي طالب عند وفاته بعدما أبى أن يدخل في الإسلام: (على ملّة عبد المطلب) انظر: أدلة معتقد أبي حنيفة الإمام في أبوي الرسول عليه السلام لُملاّ علي القارئ (ص٤٨٥ — ضمن عقيدة الموحدين للعبدلي)

الرسول ﷺ بين أن يُعطى عين ما سئل وبين فتح باب التوبة والرحمة لقريش، فاختار ﷺ لهم فتح باب التوبة والرحمة، وقد كان ﷺ يحرص على هداية قومه، فلم يكن ليختار غير التوبة والرحمة لما فيها من خير عظيم لقومه وأمته، وفي الحديث نسبة إجابة الدعاء إلى الله تعالى.

وفي خبر المستهزين، دعاء النبي ﷺ عليهم، فأجاب الله دعوته.

وفي حديث دعاء النّبي ﷺ على قريش لإبطائهم على الإسلام استشهاد على إجابة الله الدعاء في موضعين:

الموضع الأول: في إجابته تعالى دعاء الرسول ﷺ على قريش.

الموضع الثاني: في إجابته عزّ وجلّ دعاء قريش أن يكشف عنهم العذاب.

وفي أحاديث دعاء النبي ﷺ لهداية عمر رضي الله عنه: أجاب الله دعوة النبي ﷺ حيث استطاع المسلمون إظهار دينهم في مكّة بعد أن أسلم عمر رضي الله عنه، واستمرّ أثر إجابة دعاء النبي ﷺ له إلى أن مات، حيث ظهر عز الإسلام في إمارته شرقاً وغرباً، وفتح الشام والعراق ومصر، وكسر عساكر كسرى وقيصر.

والشاهد في حادثة سراقة بن مالك في موضعين:

الموضع الأول: هو غواص قوائم فرس سراقة في الأرض بعدما دعا عليه النبي ﷺ

الموضع الثاني: هو نجاته عندما دعا النبي ﷺ له، بعدما طلب سراقة ذلك منه ﷺ

الحادي عشر: ما ورد في بيان أنّ الله متفرّد بهداية القلوب، وفي ذلك:

١- قصة إسلام ضماد[١]، فعن ابن عباس ﷺ أنّ ضماداً قدم مكة، وكان من أزد شَنُوءَة[٢] وكان يرقي من هذه الريح، فسَمِعَ سُفهاء من أهل مكة يقولون: (إن محمداً مجنون) فقال: (لو أني رأيت هذا الرجل، لعل الله يشفيه على يدي) قال: فلقيه، فقال: (يا محمد، إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من يشاء، فهل لك؟)، فقال رسول الله ﷺ: (إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد). قال: فقال: (أعِد عليّ كلماتك هؤلاء) فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات. قال: فقال: (لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلمات هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر)[٣]. قال: فقال: (هات يدك أبايعك على الإسلام). قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: (وعلى قومك)، قال: (وعلى قومي). قال: فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه فقال صاحب السرية للجيش: (هل أصبتم من هؤلاء شيئا؟) فقال رجل من القوم: (أصبت منهم مطهرة)، فقال: (ردوها فإن هؤلاء قوم ضماد)[٤]

---

[١] هو: ضماد بن ثعلبة الأزدي، له ذكر في حديث أخرجه مسلم، والنسائي أنّه قدم مكة وكان يرقى فسمع أهل مكة يقولون لمحمد ساحر أو كاهن أو مجنون فلقيه وسمع منه كلمات ﷺ فأسلم وبايع عن قومه. انظر: الإصابة (٤٨٦/٣)

[٢] قال أبو العباس القرطبي في المُفهِم (٣٩٧/١): (أزد شَنُوءة: حيّ من اليمن، شُبِّه بهم موسى في كيفية خلقتهم)

[٣] أشهر وجه في ضبط هذه الكلمة (ناعوس البحر)، وفي بعض النسخ، وصوّبه بعض العلماء: (قاموس البحر) أي: وسطه ولُجَّته. انظر: النهاية (٨١/٥)، شرح صحيح مسلم (٣٩٥/٦)

[٤] رواه مسلم في كتاب الجمعة باب رفع الصوت في الخطبة وما يقول فيها (صحيح مسلم مع شرح النووي:٣٩٤/٦-٣٩٥ رقم ٢٠٠٥)

٢- قصة وفاة أبي طالب، فلمّا حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل – فقال: (أي عمِّ، قل لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: (على ملّة عبد المطلب). فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك، ما لم أنه عنه) فنزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [1] ونزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ [2]

التعليق:

من خصائص الرب ﷻ، أنّ هداية القلوب بيده وحده دون من سواه، والمراد بالهداية هنا هداية التوفيق، لا هداية الدلالة ولإرشاد، فإنّ الهداية على نوعين:

النوع الأول: هداية التوفيق والإلهام، ومعناها: أنّ الله يجعل في قلب العبد من الإعانة الخاصة على قبول الهدى، ما لا يجعله لغيره.

النوع الثاني: هداية الدلالة ولإرشاد، وهي ثابتة للنبي ﷺ، ولكلّ نبي ورسول، ولكلّ داع إلى الله.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾ [3]

---

[1] سورة التوبة: ١١٣

[2] سورة القصص: ٥٦، والحديث رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: (لا إله إلاّ الله) (٢٦٣/٣ رقم ١٣٦٠)، وكتاب فضائل الصحابة، باب قصة أبي طالب (٢٣٣/٧ رقم ٣٨٨٤)، وكتاب التفسير، باب: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ ﴾ (١٩٢/٨، ٣٦٥/٨ رقم ٤٦٧٥)، وكتاب التفسير، باب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ (رقم ٤٧٧٢)، وكتاب الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلّم اليوم (٥٧٥/١١ رقم ٦٦٨١)

[3] سورة الرعد: ٧

وقال في نبينا محمد ﷺ: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [1] ومعنى (لتهدي) أي: لتدلّ وترشد إلى صراط المستقيم بأبلغ أنواع الدلالة، وأبلغ أنواع الإرشاد، المؤيدين بالمعجزات والبراهين الدالة على صدق ذلك الهادي، وصدق ذلك المرشد.

فالهداية المنتفية عن غير الله تعالى، هي هداية التوفيق، أمّا هداية الدلالة والإرشاد فتصح نسبتها لغير الله تعالى بوجه ما[2]، فالمقصود هنا بيان أنّ الله وحده يوَفِّق من شاء من عباده على قبول الهداية.

والأخبار المتقدمة من مرويات العهد المكّي فيها بيان على تفرّد الله بهداية التوفيق.

أمّا قصة إسلام ضماد فالشاهد منها في قول النبي ﷺ: (من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له)، حيث أثبت رسول الله ﷺ الهداية لله، أي: هداية التوفيق، ونفاها عمّن سواه ﷻ، مما يدل على اختصاصه بها ﷻ

وأمّا قصة وفاة أبي طالب فالشاهد منها على تفرد الله بهداية القلوب في نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ حيث نفى الله هداية القلوب — هداية التوفيق – عن النبي ﷺ مع كونه سيد ولد آدم، فنفيه عن غيره من باب أولى، وأثبتها الله لفسه مما يدلّ على أنّه لا يملك هداية التوفيق إلا الله وحده لا شريك له، فهي من خصائصه ﷻ.

ثانياً وعشر: ما جاء في بيان أن الله هو الذي يشفي

وفي ذلك قصة إسلام ضماد المتقمة، وفيها: ..فقال: (لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يديّ). قال: فلقيه فقال: (يا محمد، إني أرقي من هذه الريح وإن الله يشفي على يدي من يشاء)

[1] سورة الشورى: ٥٢

[2] انظر: تيسير العزيز الحميد ص (٢٥٩-٢٦٠)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (ص ٢٢٨-٢٢٩)

التعليق:

من خصائص الرب أنّ الشفاء بيده دون من سواه

قال الله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴾ [1]

والشاهد على ذلك من قصة إسلام ضماد في قول ضماد قبل أن يُسلِم: (لعل الله يشفيه على يديّ) وقوله (وإن الله يشفي على يدي من يشاء)

وفي ذلك إقرار منه – وهو حينئذ مُشرِك لم يسلم بعد – على أنّ الشفاء بيد الله تعالى، وذلك أنّ الناس مفطورون على الإقرار بربوبية الله، والفطرة أحد الأدلة على توحيد الربوبية كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

ومن جملة ما سبق، اتضح تفرّد الله بتدبير الأمر بأفراده المتنوعة، وما جاء في مرويات العهد المكّي في بيان ذلك، فكان نبينا محمد ﷺ شديد الاهتمام بالدعوة إلى توحيد الله تعالى بجميع أقسامه، ومن أهمها توحيد الألوهية الذي بعث هو والنبيون من قبله بالدعوة إليه.

---

[1] سورة الشعراء: ٧٨-٨٠

الفصل الثاني:

دلائل توحيد الربوبية في مرويات العهد المكّي

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: دلالة الفطرة على توحيد الربوبية

المبحث الثاني: دلالة الآيات الكونية على توحيد الربوبية

المبحث الثالث: دلالة بعثة الأنبياء وآياتهم على توحيد الربوبية

المبحث الرابع: إقرار المشركين بتوحيد الربوبية

المبحث الأوّل:

دلالة الفطرة على توحيد الربوبية

وفي ذلك:

أوّلاً:- خبر زيد بن عمرو بن نفيل[1]، وفي ذلك:

١- ما ورد أنّه كان قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: (يا معاشر قريش! والله، ما منكم على دين إبراهيم غيري!)[2]

٢- وفي رواية: ثمّ يقول: (اللهمّ إنّي لو أعلم أحبّ الوجوه إليك عبدتك به، ولكنّي لا أعلمه). ثمّ يسجد على راحلته[3]

٣- أنّ زيدَ بن عمرٍو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم، فقال: (إني لَعَلِّي أن أَدِينَ دِينَكم فأخبرني). فقال: (لا تكون على دِيننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله). قال زيد: (ما أَفِرُّ إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنَّى أستطيعه؟ فهل تدُلُّني على غيره؟) قال: (ما أعلمه إلاّ أن يكون حنيفاً). قال زيد: (وما الحنيف؟) قال: (دين إبراهيم؛ لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله). فخرج زيد، فلقي عالماً من النصارى، فذكر مثله، فقال: (لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله). قال: (ما أَفِرُّ إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله، ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنَّى أستطيع؟ فهل تدُلُّني على غيره؟) قال: (ما أعلمه إلاّ أن يكون حنيفاً). قال: (وما الحنيف؟) قال: (دين إبراهيم؛ لم يكن يهودياً ولا

---

[1] تقدمت ترجمته، (ص٣٨)

[2] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل (صحيح البخاري مع فتح الباري:١٧٦/٧ رقم ٣٨٢٨)

[3] رواه ابن إسحاق (ص٩٦)، وحسّن إسناده الدكتور مهدي رزق الله في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص٧٣)

نصرانياً ولا يعبد إلاّ الله). فلمّا رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه فقال: (اللهم إنّي أشهد أنّي على دِين إبراهيم!)[١]

٤- أنّ النّبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدَح[٢] قبل أن ينْزل على النبي ﷺ الوحيُ، فقُدِّمَت إلى النبي ﷺ سفرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: (إني لستُ آكل مما تذبحون على أنصابكم ولاآكل إلاّ ما ذُكِر اسمُ الله عليه). وأنّ زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: (الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثمّ تذبحونها على غير اسم الله!) إنكاراً لذلك وإعظاماً له[٣]

٥- عن زيد بن حارثة[٤] - رضي الله عنهما، قال: خرج رسول الله ﷺ وهو مُرْدِفي إلى نُصُبٍ من الأنصاب، فذبحنا له شاة[٥]، ووضعناها في التنور حتى إذا نضجت استخرجناها فجعلناها في سفرتنا، ثم أقبل رسول الله ﷺ يسير وهو مردفي في أيام الحر من أيام مكة، حتى إذا كنا بأعلى الوادي لقيه زيد بن عمرو بن نفيل، فحيا أحدهما الآخر

---

[١] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل (صحيح البخاري مع فتح الباري:١٧٦/٧ رقم ٣٨٢٧)

[٢] بَلْدَح: واد قبل مكة من جهة المغرب. معجم البلدان (٤٨٠/١)

[٣] تقدم تخريجه، ص (٣٨)

[٤] هو: زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، أبو أسامة، مولى رسول الله ﷺ كان يدعى (زيد بن محمد) قبل تحريم التبني، وكان من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، وما بعثه في سرية إلاّ أمّره عليها. انظر: الإصابة (٥٩٨/١)

[٥] لم يشارك النبي ﷺ في هذا الذبح، لأنّ الذبح لغير الله شرك، والصحيح أنّ الأنبياء معصومون من الكفر والشرك قبل نبوتهم وبعثتهم لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٧) وبعيد أن يأخذ الله من الأنبياء الميثاق والعهد على القيام بدينه ثم يُجَوِّز عليهم الشرك، وللأحاديث الدالة على حفظ الله النبي ﷺ من أدران الجاهلية، وسيأتي سياق هذه الأحاديث في المبحث الأخير من الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء الله. (انظر: الشفا للقاضي عياض ٧١٩/٢-٧٢١)، وامتنع النبي ﷺ في آخر هذا الحديث عن الأكل من هذه الذبيحة، فيكون ذلك أنكاراً منه ﷺ على الذبح لغير الله.

بتحية الجاهلية، فقال له رسول الله ﷺ: (مالي أرى قومك قد شَنِفُوا لك؟[١]) قال: (أما والله إن ذلك لبغير نَائِرَة[٢] كانت مني إليهم، ولكنّي أراهم على ضلالة، فخرجت أبتغي هذا الدين حتى قدمت على أحبار يثرب فوجدهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: (ما هذا بالدين الذي أبتغي)، فخرجت حتى أقدم على أحبار خيبر، فوجدهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: (ما هذا بالدين الذي أبتغي)، فخرجت حتى أقدم على أحبار فَدَك[٣] فوجدهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: (ما هذا بالدين الذي أبتغي)، فخرجت حتى أقدم على أحبار أَيلَه[٤]، فوجدهم يعبدون الله ويشركون به، فقلت: (ما هذا بالدين الذي أبتغي)، فقال لي حبر من أحبار الشام: (أتسأل عن دين ما تعلم أحداً يعبد الله به إلا شيخاً بالجزيرة؟) فخرجت فقدمت عليه، فأخبرته بالذي خرجت له، فقال: (إن كل من رأيت في ضلال، إنك تسأل عن دين هو دين الله، ودين ملائكته، وقد خرج في أرضك نبي أو هو خارج يدعو إليه، ارجع إليه فصدقه واتبعه، وآمن بما جاء به، فلم أُحِسَّ نبياً بعد)، فأناخ رسول الله ﷺ البعير الذي تحته، ثم قدمنا إليه السفرة التي كان فيها الشواء، فقال: (ما هذا؟) فقلنا: (هذه شاة ذبحناها لنصب كذا وكذا)، فقال: (إني لا أكل شيئاً ذُبِح لغير الله)[٥]، ثمّ تفرّقا، وكان صنمان من نحاس يقال له إساف ونائلة، – يتمسح به المشركون إذا طافوا – فطاف رسول الله ﷺ [٦] وطفت معه، فلمّا مررت مسحتُ به فقال: رسول الله ﷺ: (لا تمسه)، وطفنا فقلت في نفسي: (لأمسنه أنظر ما يقول)، فمسحتُه فقال رسول الله ﷺ: (لا تمسه ألم تنه؟) قال: (فوالذي أكرمه، وأنزل

---

[١] شنفوا له، أي: أبغضوه. انظر: النهاية (٢/٥٠٥)

[٢] نَائِرَة، أي: فتنة. انظر: النهاية (٥/١٢٧)

[٣] فَدَك: قرية كانت عامرة، صالح أهلها رسول الله ﷺ بعد فتح خيبر، وهي من شرقي خيبر على واد يذهب سيله مشرقاً إلى وادي رمة، تعرف اليوم بالحائط. معجم المعالم الجغرافية (ص٢٣٥)

[٤] أيله: تعرف اليوم بـــ(ـــالعقبة) ميناء المملكة العربية الهاشمية، على رأس خليج العقبة. معجم المعالم الجغرافية (ص٣٥)

[٥] القائل هو النبي ﷺ، لأنّ الضمير يعود إليه، وقد جاء التصريح بأنّه أبى أن يأكل من تلك السفرة في الحديث المتقدم من صحيح البخاري

[٦] أي: طاف حول الكعبة

عليه الكتاب، ما استلمتُ صنما حتى أكرمه الله بالذي أكرمه، وأنزل عليه الكتاب). قال: (ومات زيد بن عمرو بن نفيل قبل أن يبعث النّبيّ ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (يأتي يوم القيامة أمة وحده)[1]

٦- أن زيد بن عمرو، وورقة بن نوفل[2] خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصَل[3] فقال لزيد بن عمرو: (من أين أقبلت يا صاحب البعير؟) قال: (من بيت إبراهيم) قال: (وما تلتمس؟) قال: (ألتمس الدِّين). قال: (ارجع فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك) فأمّا ورقة فتنصر. قال زيد: (وأما أنا فعرضت علي النصرانية فلم توافقني) فرجع وهو يقول: (لبيك لبيك حقاً حقاً ... تعبداً ورقا البر أبغي لا حلال وهل مهجر كمن قال آمنت بمن آمن به إبراهيم)

وهو يقول:

(أنفي لك اللهم عان راغم   مهما تجشمني فإني جاشم)

ثم يخر فيسجد. وجاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال: (يا رسول الله! إن أبي كان كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له)! قال: (نعم، فإنه يكون يوم القيامة أمة وحده) وأتى زيد بن عمرو بن نفيل على رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة وكلاهما يأكلان من سفرة لهما

---

[1] أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٥/٥٤) والحاكم (٣/٢٣٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وحسّنه الشيخ مقبل الوادعي في الصحيح المسند (ص٣٧٧)

[2] هو: ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى: من قريش، اعتزل الأوثان قبل الإسلام، وامتنع من أكل ذبائحها، وتنصر، وقرأ كتب الأديان، وهو ابن عمّ خديجة أمّ المؤمنين – رضي الله عنها، أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة. انظر: الإصابة (٦/٦٠٧)

[3] الموصِل: بالفتح وكسر الصاد، المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبراً وعظماً، وهي باب العراق ومفتاح خراسان، وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق وقيل وصلت بين دجلة والفرات، وهي مدينة قديمة على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى. معجم البلدان (١/٢٢٣)

فدعياه لطعامهما فقال زيد بن عمرو للنبي ﷺ: (يا بن أخي إنا لا نأكل مما ذبح على النصب)[1]

ثانياً:- خبر بحث ورقة بن نوفل عن الدين الصحيح مع زيد بن عمرو بن نفيل، وقد تقدم ذكره عند الكلام عليه

ثالثاً:- خبر قس بن ساعدة الإيادي[2]، وروي في ذلك أنّ وفد إياد قدم على النبي ﷺ فقال: (ما فعل قس بن ساعدة؟) قالوا: (هلك) قال: (أما إني سمعت منه كلاما أرى أني أحفظه) فقال: (بعض القوم نحن نحفظه يا رسول الله) قال: (هاتوا) فقال قائلهم: (إني واقف بسوق عكاظ[3] فقال: (يا أيها الناس! استمعوا! واسمعوا! وعوا! كل من عاش مات! وكل من مات فات!) إلى أن قال: (أقسم قس قسما بالله لا آثم فيه إن لله دينا هو أرضى مما أنتم عليه)[4]

---

[1] رواه الطيالسي في مسنده (ص٣٢)، وحسّنه الدكتور مهدي رزق الله في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص٧٤)

[2] هو: قس بن ساعدة بن حذافة الإيادي الخطيب المشهور مات قبل البعثة وقيل إنّه عاش ثلاثمائة وثمانين سنة وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم حكمته وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية وقد تحنف. انظر: البداية والنهاية (٩٣/٥)، الإصابة (٥٥١/٥)

[3] عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون. معجم البلدان (١٤٢/٤)

[4] رواه البيهقي في الدلائل (١٠٢/٢) وقال: (وإن كان بعضها – يعني طرق الحديث – ضعيفاً، دلّ على أنّ للحديث أصلاً)، وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٣٦/٢): (وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على اثبات أصل القصة)

رابعاً:- خبر أمية بن أبي الصلت[1] الّذي قال فيه النبي ﷺأنّه: (كاد أن يسلم في شِعره)[2]، ومما ذُكِر من شعره قوله:

إن آيـــات ربنـــا ثاقبـــات	لا يماري فـــيهن إلا الكفور
خلق اللـــيل والنهار فكـــل	مستبين حسابـــه مـــقدور
ثم يجلو النـــهار رب رحـــيم	بـــمهاة شـــعاعها مـــنشور
حبس الفيل بالمغمس حتـــى	ظـــل يحبو كـــأنـــه معقور
لازما حلقة الجران كما قطـــ	ـــرمن صخر كبكب محدور
حوله من مـــلوك كندة أبطا	ل ملاويث في الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جـــميعـــا	كلهم عظم ساقه مـــكسور
كل دين يوم القيامة عنداللـــ	ـــه إلا ديـــن الحـــنيفة بور[3]

خامساً:- خبر لبيد بن ربيعة العامري ثم الكلابي ثم الجعفري[4]، وقال النبي ﷺ: (أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل)[5]

---

[1] هو: أمية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر المشهور قال الحافظ: (ذكره بن السكن في الصحابة وقال لم يدركه الإسلام). كان ممن طلب الدين ونظر في الكتب ويقال إنه ممن دخل في النصرانية، وأكثر في شعره من ذكر التوحيد والبعث يوم القيامة. انظر: الإصابة (٢٣٩/١)، وفتح الباري (١٨٩/٧)

[2] رواه مسلم في كتاب الشعر، باب في إنشاد الأشعار وبيان أشعر كلمة وذم الشعر (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٥/١٥ رقم ٥٨٤٧)

[3] رواه ابن هشام بدون إسناد. سيرة ابن هشام (٧٦/١-٧٧)

[4] هو: لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة الكلابي الجعفري أبو عقيل الشاعر المشهور قال المرزباني في معجمه كان فارسا شجاعا شاعرا سخيا قال الشعر في الجاهلية دهرا ثم أسلم، ومات في خلافة عثمان. انظر: الإصابة (٦٧٥/٥)، فتح الباري (١٨٨/٧)

[5] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية (صحيح البخاري مع فتح الباري:١٨٣/٧ رقم ٣٨٤١)، و مسلم في كتاب الشعر، باب في إنشاد الأشعار وبيان أشعر كلمة وذم الشعر (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٥/١٥-١٦ رقم ٥٨٤٩)

سادساً:- خبر عمرو بن عبسة السلمي[1] قال: كُنتُ، وأنا في الجاهلية، أَظُنُّ أنّ الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فَقَعَدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جُرَءَاءُ عليه قومُه، فَتَلَطَّفتُ حتى دَخَلتُ عليه بمكة، فقُلتُ له: (ما أنت؟)، قال: (أنا نبي)، فقُلتُ: (وما نبي؟)، قال: (أرسلني الله)، فقُلتُ: (وَبِأَي شيء أرسلك؟)، قال: (أَرسَلَني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوَحَّدَ الله، لا يشرك به شيء)، قلت له: (فمن معك على هذا؟)، قال: (حر وعبد) - قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به — فقُلتُ: (إنّي مُتَّبِعُك)، قال: (إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظَهَرتُ، فَأتِني)[2]

سابعاً: الأخبار التي جاء فيها ورود التكليف بالعبادة أولاً، وهي كما يلي:

١-قصة نزول أول الوحي[3]، وفيها نزول قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[4]

٢- جميع الروايات الواردة في بيان أنّ أول واجب على المكلّف الإتيان بكلمة التوحيد وسيأتي ذكرها في مبحث خاص إن شاء الله

ثامناً: الأخبار الواردة في بيان إقرار المشركين بتوحيد الربوبية وستُذكر هذه الأخبار في المبحث القادم وهو مخصص لهذا الموضوع لأهميته.

---

[1] هو: عمرو بن عبسة بن خالد أسلم قديما بمكة ثم رجع إلى بلاده فأقام بها إلى أن هاجر بعد خيبر وقبل الفتح فشهدها وقيل: إنّه من المهاجرين الأولين شهد بدرا وقيل إنه كان أخا أبي ذر لأمه، وقيل: إنّه سكن الشام، ويقال إنه مات بحمص، وإنه مات في أواخر خلافة عثمان. انظر: الإصابة (٦٦٠-٦٥٧/٤)

[2] رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة (صحيح مسلم مع شرح النووي:٣٥٥/٦ رقم ١٩٢٧)

[3] تقدم تخريجه، ص (٣٨)

[4] سورة العلق: ١

التعليق:

الفطرة في اللغة: الخلقة، والابتداء والاختراع[١]

وقال الشيخ ابن سعدي في تعريفها: (الخلقة التي خلق الله عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها: على محبة الخير وإيثاره وكراهية الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله والتقرب إليه)[٢]

ودليل الفطرة من أوضح الأدلّة على توحيد الربوبية، ومن الأدلة على ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٣]

فأمر الله عبده أن يُقبل عليه وأن يتوجه إليه بالعبادة (مائلاً إليه مستقيماً عليه غير ملتفت إلى غيره)[٤] وأخبر أنّه وضع في قلوب الخلق ذلك الميل[٥] المتضمّن للإقرار بتوحيد الربوبية.

٢- قوله تعالى: ﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [٦]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فدلّ ذلك على أنّه ليس في الله شك عند الخلق المخاطبين، وهذا يبين أنّهم مفطورين على الإقرار)[٧]

---

[١] انظر:معجم مقاييس اللغة، مادة: (فطر)، النهاية لابن الأثير (٤٥٧/٣)

[٢] بهجة قلوب الأبرار للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ (القسم الثاني — الحديث ص٤٩)

[٣] سورة الروم: ٣٠

[٤] فتح القدير (٢٩٤/٤)

[٥] انظر: تيسير الكريم الرحمن (١٣٣٥/٣)

[٦] سورة إبراهيم: ١٠

[٧] درء تعارض العقل والنقل (٣٨٣/٨)

٣- قول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربّه ﷻ: (إنّي خلقتُ عبادي حنفاء كلّهم، وإنّهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)[١] ومعنى الحنيفية: دين إبراهيم وهو إخلاص الدين لله[٢] المتضمن للإقرار بتوحيد الربوبية

٤- قول النبي ﷺ: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أوينصرانه)[٣]

والمراد بالفطرة: فطرة الإسلام الّتي تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته وإخلاص الدين له، ولا يُقال: إنّ معنى الحديث أنّ المولود يولد ساذجاً ليس له ميل إلى التوحيد ولا الشرك، كما قال بعضهم - بدليل الآيات المتقدمة، وللحديث الّذي قد سبق ذكره ولأنّ النبي ﷺ قال: (فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) ولم يقل: (يسلمانه)، وقد جاء في رواية للحديث: (يولد وهو على الملّة) وفي أخرى: (على هذه الملّة)[٤]

٥- أن يُقال: إنّ كلّ نفس قابلة لمعرفة الحق وإرادته، والتعليم وحده لا يوجب هذه المعرفة والإرادة، فلا بدّ للنفس من قوة تقبل هذا التعليم، ولو لم يكن للإنسان هذه القوة النفسية، لكان مثل البهائم والجمادات الّتي ليست قابلة للمعرفة، فيمكن إقرار النفس بالصانع من غير سبب منفصل من خارج، والذات كافية في ذلك، فإذا قام المقتضي في النفس، ولم يقُم معارض، فالمقتضي السالم عن المعارض يوجب مقتضاه، فالفطرة السليمة إذا لم يحصل لها ما يفسدها، كانت مقرة بالصانع عابدة له.[٥]

---

[١] رواه مسلم في كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنّة وأهل النّار (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٩٤/١٧ رقم ٧١٣٦)

[٢] انظر: النهاية (٤٥١/١)، تفسير ابن كثير (٦١١/٤)

[٣] رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبيُّ فمات هل يصَلّى عليه؟ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٦٠/٣ رقم ١٣٥٩)، ومسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٤٢٣/١٦ رقم ٦٦٩٧)

[٤] رواه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٤٢٥/١٦ رقم ٦٧٠١). انظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٧١/٨-٣٧٢، ٣٨٣)، شرح الطحاوية (ص٣٤)

[٥] انظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٦٠/٨)،شرح الطحاوية (ص٣٥)

وقد اتضح مما سبق من الأدلّة أنّ الإنسان مجلوب على الإقرار بتوحيد الربوبية وإخلاص الدين لله وأنّه قد يعرض له ما يفسد ذلك، وإلاّ فهو مستغنٍ عن تعلّم مسبق للإقرار بوحدانية الله.

وقد جاء في مرويات العهد المكّي من السيرة ما يشهد لدلالة الفطرة على توحيد الربوبية، وهذه المرويات على ثلاثة أنواع:

النوع الأوّل: أخبار الباحثين عن الحق

كان في أيّام الجاهلية من أدرك ما عليه العرب من ضلال وانحراف، ورفضوا عبادة غير الله ﷻ، قبل بعثة رسول الله ﷺ، فراحوا يبحثون عن دين الحق، وأخبار هؤلاء تشهد لدلالة الفطرة على توحيد الربوبية، فإنّهم عرفوا قبح الشرك قبل المبعث وقبل تعلّم مسبق مما يدلّ على أنّ هذه المعرفة كمُنت في نفوسهم، وهي المعرفة التي فطر الله الناس عليها، واشتملت الأخبار المتقدمة من مرويات العهد المكّي على أخبارهم

النوع الثاني: الأخبار التي جاء فيها ورود التكليف بالعبادة أولاً

دخل في هذا النوع قصة أول نزول جبريل بالوحي، والشاهد منها على دلالة الفطرة على توحيد الربوبية في نزول قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ وبيّن شيخ الإسلام وجه دلالة الآية على أن الناس مفطورون على معرفة ربهم فقال رحمه الله وهو يُفسر سورة العلق: (كل إنسان في قلبه معرفة بربه فإذا قيل له ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ عرف ربه الذي هو مأمور أن يقرأ باسمه كما يعرف أنه مخلوق و المخلوق يستلزم لخالق و يدل عليه وقد بسط هذا في غير هذا الموضع وبين أن الإقرار والإعتراف بالخالق فطري ضروري فى نفوس الناس)[1]

ووجه دلالة النصوص التي فيها ذكر بدأ النبي ﷺ دعوته بالأمر بعبادة الله وحده وخلع ما عبد من دونه التي سيأتي ذكرها في المبحث المخصص لبيان أنّ أول واجب على المكلف الإتيان بكلمة التوحيد أنّ (الإقرار بالله تعالى وربوبيته لو لم يكن فطرياً لدعاهم

[1] مجموع الفتاوى (٣٢٨/١٦)

إليه أولاً إذ الأمر بتوحيده في عبادته فرع الإقرار به وربوبيته فيكون بعده، ولساغ لمعارضي الرسل عندما أمروا بعبادة الله وحده أن يقولوا: نحن لم نعرفه أصلاً فكيف يأمرنا، فلما لم يحدث ذلك دل على أم المعرفة كانت مستقرة في فطرهم)[١]

النوع الثالث: ما جاء في بيان إقرار المشركين بتوحيد الربوبية

سيأتي ذكر ما جاء في مرويات العهد المكّي في بيان إقرار المشركين بتوحيد الربوبية في المبحث التالي لأهميته ولكثرة الشواهد عليه، ووجه دلالة إقرار المشركين بتوحيد الربوبية على دلالة الفطرة عليه: أنّ إقرارهم هذا إنّما جاء من جهة أنّهم مفطورون عليه، وأنّ الإقرار بمعرفة وجود الله وربوبيته أمر ثابت في نفوسهم.

[١] منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى للدكتور خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور (٢٨٤/١) مع تصرف يسير

المبحث الثاني:

إقرار المشركين بتوحيد الربوبية

توطئة:

كان المشركون مقرين بربوبية الله تعالى انسجاماً مع فطرهم التي فطرهم الله عليها، فكانوا يقرّون بأنّ الله تعالى وحده خلق السموات والأرض، وكانوا يقرّون بأنّ الله بيده ملكوت كلّ شيء، وأنّه يدبّر الأمر.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [1]

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [2]

ففي هذه الآيات احتجّ الله على المشركين باعترافهم بوحدانيته في الربوبية على ما أنكروه من وحدانيته الإلهية[3]، وهذا فيه دليل واضح على أنّهم كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية.

وقال ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [4]

---

[1] سورة يونس: ٣١

[2] سورة المؤمنون: ٨٤-٨٩

[3] انظر: تفسير ابن كثير (٢٦٧/٤)، تيسير الكريم الرحمن (١١٤٢/٣)

[4] سورة الزمر: ٣٨

وقال: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [1]

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [2]

أخبر الله ﷻ في هذه الآيات أنّ المشركين إذا سئلوا عن خالق الأشياء جميعها اعترفوا بأنّه الله، وهذا تصريح بأنّ المشركين كانوا يقرّون بوحدانية الله في الربوبية.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [3]

قال مجاهد[4]، في تفسير هذه الآية: (إيمانهم قولهم: الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا، فهذا إيمان، مع شرك عبادتهم غيره)[5]

وبيان إقرار المشركين بتوحيد الربوبية أحد طرق الاستدلال عليه، ووجه دلالته أنّ إقرارهم بأنّ الله هو الخالق والرازق ومدبّر شؤونهم إنّما جاء من جهة أنّهم مفطورون عليه، وأنّ معرفة وجود الله وربوبيته أمر ثابت في نفوسهم، وقد تقدّم الكلام على دلالة الفطرة على توحيد الله عزّ وجلّ.

وقد ورد في مرويات العهد المكّي شواهد كثيرة على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية بوجوه مختلفة من الدلالة ببيان إطلاقهم لفظ (الرب) على الله تارة، وببيان إقرارهم ببعض أفراد ربوبية الله أخرى، وببيان توجيههم بعض أنواع العبادة إلى الله تارة

---

[1] سورة الزخرف: ٩

[2] سورة الزخرف: ٨٧

[3] سورة يوسف: ١٠٦

[4] هو: التابعي: مجاهد بن جبر الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج الكي، وهو من كبار تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما فقد أكثر الرواية عنه، وأخذ عنه القرآن، والتفسير، والفقه، كما روى عن غيره من الصحابة، وتوفي عام (١٠٤هـ)، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٤)

[5] تفسير الطبري (٧٧/١٣-٧٨)

سياق هذه المرويات:

أولاً: مرويات فيها إطلاق المشركين لفظ (الرب) على الله، ومن ذلك:

١- قصة فقدان عبد المطلب رسولَ الله ﷺ في الحجّ، فعن سعيد بن حيوة[١]، قال: حججت في الجاهلية فإذا أنا برجل يطوف بالبيت وهو يرتجز يقول:

رب رد راكبي محمدا   رده لي واصطنع عندي يدا

فقلت: من هذا؟ قالوا: عبدالمطلب بن هاشم بعث بابن ابنه محمد في طلب إبل له و لم يبعثه في حاجة إلا نجح فيها، وقد أبطأ عليه. فلم يلبث أن جاء محمد والإبل فاعتنقه وقال: يا بني! لقد جزعت عليك جزعاً لم أجزعه على شيء قط، والله لا أبعثك في حاجة أبداً، لا يفارقني أبداً.[٢]

٢- حديث أبي الطفيل[٣] في تجديد قريش بناء الكعبة، قال: كانت الكعبة في الجاهلية مبنية بالرَّضْم[٤] ليس فيها مَدَر[٥]، وكانت قدر ما يقتحمها العناق[٦] وكانت غير مسقوفة، وإنما توضع ثيابها عليها، ثم يسدل سدلاً عليها، وكان الركن الأسود موضوعاً على سورها، باديا، وكانت ذات ركنين كهيئة هذه الحلقة، فأقبلت سفينة من أرض الروم، حتى إذا كانوا قريبا من جدة انكسرت السفينة، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها، فوجدوا روميا عندها، فأخذوا الخشب، أعطاهم إياها، وكانت السفينة تريد الحبشة،

---

[١] تقدمت ترجمته، ص (٨٠)

[٢] تقدم تخريجه ص (٨٠)

[٣] هو: عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثي الكِناني، أبو الطفيل خاتم من رأى رسول الله ﷺ في الدنيا، مولده بعد الهجرة، وروي أنّه أدرك من حياة النبي ﷺ ثمان سنين، وتوفي بمكة عام (١١٠هــ)، وقيل (١٠٧هــ). انظر: سير أعلام النبلاء (٤٦٧/٣)، الإصابة (٢٣٠/٧)

[٤] الرَّضْم: واحدها الرَّضْمة وهي دون الهِضاب وقيل صُخور بعضُها على بعض. النهاية (٢٣١/٢)

[٥] المَدَر: هو الطِّين المتماسك. النهاية (٣٠٩/٤)

[٦] العناق: الأنثى من أولاد المعز. الغريب للخطّابي (١٦٨/٣)

وكان الرومي الذي في السفينة نجاراً، فقدموا بالخشب، وقدموا بالرومي فقالت قريش: (**نبني بهذا الخشب بيت ربنا**)، فلما أن أرادوا هدمه، إذا هم بحية على سور البيت، مثل قطعة الجَائز[١] سوداء الظهر، بيضاء البطن، فجعلت كلما دنا أحد من البيت ليهدمه، أو يأخذ من حجارته، سعت إليه فاتحة فاها. فاجتمعت قريش عند الحرم، فعَجُّوا[٢] إلى الله وقالوا: (**ربنا لم تُرع**، أردنا تشريف بيتك وترتيبه، فإن كنت ترضى بذلك، وإلاّ فما بدا لك فافعل، فسمعوا خُوَارًا[٣] في السماء، فإذا هم بطائر أعظم من النسر، أسود الظهر، وأبيض البطن والرجلين، فغرز مخالبه في قفا الحية، ثم انطلق بها يجرها، وذنبها أعظم من كذا وكذا ساقط حتى انطلق بها نحو أجياد، فهدمتها قريش، وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها، فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً، فبينا النبي ﷺ يحمل حجارة من أجياد وعليه نمرة إذ ضاقت عليه النمرة، فذهب يضع النمرة على عاتقه، فبدت عورته من صغر النمرة، فنودي: (يا محمد! خمر عورتك!) فلم ير عريانا بعد ذلك. وكان بين الكعبة وبين ما أنزل الله عليه خمس سنين، وبين مخرجه وبنائها خمس عشرة سنة[٤]

التعليق:

جاء في مرويات العهد المكّي أخبار فيها إطلاق مشركي العرب لفظ (الرب) على الله تعالى، وهذا الإطلاق يتضمن إقرارهم لله بالربوبية، فإنّ إطلاقهم لفظ (الرب) على الله يشمل اعترافهم بمدلول هذه الكلمة – أي: جميع خصائص الربوبية – لله ﷻ

ومن هذه الأخبار قصة فقدان عبد المطلب رسول الله ﷺ في الحج، والشاهد من القصة في دعاء عبد المطلب اللهَ ﷻ باسمه (الرب)، والمشركون كانوا يدعون الله في حالة

---

[١] الجَائزُ: هو الخشبة التي توضع عليها اطراف العوارض في سَقْف البيت ، والجمع أجْوزة. النهاية (٣١٤/١)

[٢] أي: رفعوا أصواتهم. انظر: النهاية (١٨٤/٣)

[٣] الخُوَارُ: صوت البَقر. انظر: النهاية (٨٧/٢)

[٤] مصنف عبد الرزّاق (١٠٣/٥). صحّحه الذهبي في السيرة النبوية (٧٠/١)، وحسّنه الشيخ مقبل في الجامع الصحيح (٣٩٨/٢)

الشدة دون الرخاء، كما قال الله تعالى فيهم: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [1]، ففي هذه القصة إقرار عبد المطلب — وهو مشرك — بأنّ الله هو الربّ، وهذا يتضمن إقراره بجميع خصائص الربوبية لله ﷻ.

وكذلك حديث أبي الطفيل في تجديد قريش لبناء الكعبة والشاهد فيه قولهم: (**نبني بهذا الخشب بيت ربنا**)، وقولهم (**ربنا لم تُرع** أردنا تشريف بيتك وترتيبه، فإن كنت ترضى بذلك، وإلاّ فما بدا لك فافعل) فاطلقوا لفظ الرب على الله في دعائهم وفي كلامهم عن بيت الله واطلاقهم لفظ (الرب) على الله يتضمن إقررهم له تعالى بجميع خصائص الربوبية.

ثانياً:- مرويات فيها إقرار المشركين ببعض خصائص الربوبية لله مفردةً، وفي ذلك:

أ – ما ورد فيه إقرارهم لله بالخلق وفي ذلك ما جاء في ذكر زيد بن عمرو[2] أنّه كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثمّ تذبحونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظاماً له[3]

ب- ما ورد فيه إقرارهم لله بالملك مثل قولهم في تلبيتهم: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك)[4]

---

[1] سورة العنكبوت: ٦٥

[2] تقدمت ترجمته، ص (٣٨)

[3] تقدم تخريجه، ص (٣٨)

[4] تقدم تخريجه، ص (٤٨)

جـــ- ما ورد فيه إقرارهم بأنّ الله هو الرازق، وفي ذلك:

١- قصة تجديد عبد المطّلب حفر زمزم الطويلة[١] وفيه قوله: (فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد)، وقوله: (هلم إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا)، وقول قريش: (إنّ الذي سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الّذي سقاك زمزم)

٢- أثر زيد بن عمرو بن نفيل المتقدم

د- ما ورد فيه إقرارهم بأن الله هو الذي يشفي، وفي ذلك قصة إسلام ضماد، وفيه: فقال: (لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي) قال: فلقيه فقال: (يا محمد، إني أرقي من هذه الريح وإن الله يشفي على يدي من يشاء) [٢]

هـــ- ما ورد فيه إقرارهم بأنّ الله هو الّذي يجعل البركة فيما يشاء، وفي ذلك قصة حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله ﷺ التي أرضعته. كانت تحدث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء. قالت: وذلك في سنة شَهَبَاء[٣] لم تُبق لنا شيئاً. قالت: فخرجت على أتان لي قمراء[٤] معنا شارف[٥] لنا، والله ما تَبِضُّ[٦] بقطرة، وما نَنَام لَيلَنَا أَجْمَعَ من صَبِيِّنَا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يُغْنِيه، وما في شارفنا ما يُغَدِّيه[٧] ولكنا

---

[١] تقدم إيراد القصة بطولها مع التخريج. انظر: ص (٦٠-٦٢)

[٢] تقدم تخريجه، ص (٨٦)

[٣] أي: ذاتِ قَحْط وجَدْب. والشَّهباءُ : الأرض البيضاء التي لا خَضْرَة فيها لِقِلَّة المَطَر من الشُّهْبة وهي البياض فسُمِّيت سَنَةُ الجَدْب بها. النهاية (٥١٢/٢)

[٤] أي: شديدة البياض. النهاية (١٠٧/٤)

[٥] الشارف: الناقة المسنة. النهاية (٤٦٢/٢)

[٦] أي: ما يقطر اللبن من ضرعها. النهاية (١٣٢/١)

[٧] قال ابن هشام: (ويقال: يُغَذِّيه)

كُنّا نرجو الغيث والفَرَج، فخَرَجتُ على أَتاني تِلكَ، فلقد أَدَمْتُ[1] بالركب حتى شقّ ذلك عليهم ضَعفاً وعَجَفاً[2] حتى قدِمنا مكة نَلتَمِسُ الرُّضَعَاء، فما مِنّا امرأة إلا وقد عُرِضَ عليها رسول الله ﷺ، فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك أنّا إنما كُنّا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكُنّا نقول: (يتيم وما عسى أن تصنع أُمُّه وجَدُّه)، فكُنّا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلمّا أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: (والله، إني لأكره أن أرجعِ من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً. والله، لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخُذَنَّه). قال: (لا عليكِ أن تفعلِي، **عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة**). قالت: فذهبت إليه، فأخَذْتُه، وما حملني علي أخذه إلا أني لم أجد غيره.

قالت: فلمّا أَخَذْتُه، رَجَعْتُ به إلى رَحلي، فلمّا وَضَعْتُه في حِجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى رَوِيَ، وشرب معه أخوه حتى روي، ثُمَّ ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارِفنا تلك، فإذا أنها لحافل[3]، فحلب منها ما شرب، وشربتُ معه حتى انتهينا رِياً وشِبعاً، فبِتنا بخير ليلة. قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: (تَعَلَّمِي والله يا حليمة، لقد أخذتِ نسمة مباركة). قالت: فقلت: (والله، إنّي لأرجو ذلك). قالت: ثُمّ خرجنا ورَكِبتُ أنا أتاني وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بالرَّكبِ، ما يقدر عليها شيء من حُمُرِهِم، حتى إنَّ صواحبي ليقلن لي: (يا ابنة أبي ذُؤيب، ويحكِ! ارْبَعِي[4] علينا، أليست هذه أتانَكِ التي كُنتِ خَرَجْتِ عليها؟) فأقول لهنّ: (بلى والله، إنها لهي هي)، فيقلن: (والله، إنّ لها لشأناً). قالت: ثمّ قَدِمنا منازِلَنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تَرُوحُ عليَّ حين قدمنا به معنا شباعاً لُبّناً، فنحلبُ ونشربُ، وما يحلب إنسانٌ قطرةَ لبنٍ ولا يجدها في ضَرْع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرُعيانهم: (وَيلَكُم! اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي

---

[1] أي: أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها. انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (٣٩٤/١)، وتعليق المحقق لسيرة ابن هشام (١٦٤/١)

[2] العَجَف: الهزال. النهاية (١٨٦/٣)

[3] فإذا إنّها لحافل، أي: كثيرة اللبن . النهاية (٤٠٩/١)

[4] اربعي علينا، أي: ارفقي، واقتصري. النهاية (١٨٧/٢)

ذُؤَيْبٍ)، فتروح أغنامهم جياعاً ما تَبِضُّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شِبَاعاً لُبّناً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سَنَتَاه وفَصَلتُه، وكان يَشِبُّ شباباً لا يشْبُهُ الغلمان، فلم يبلُغ سَنَتَيه حتى كان غلاماً جَفراً[1]. قالت: فقدمنا به على أُمِّهِ، ونحن أحرص شيءٍ على مُكثه فينا؛ لما كنّا نرى من بركته، فكلّمنا أُمَّه، وقُلْتُ لها: (لو تركتِ بُنَيّ عندي حتى يغلُظَ، فإنّي أخشى عليه وَبَأ مكّةَ[2]، فلم نزلْ بها حتى رَدَّته معنا)

قالت: فرجعنا به، فوالله إنّه بعد مَقْدَمنا به بأشهرٍ مع أخيه لَفي بَهمٍ لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتدُّ[3]، فقال لي ولأبيه: (ذاك أخي القرشيُّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه، فشقّا بَطْنَهُ، فهما يَسُوطانه[4]). قالت: فخرجتُ أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائماً مُنْتَقَعاً[5] وَجْهُهُ. قالت: فَالتْزَمْتُهُ والْتَزَمَهُ أبوه، فقُلنا له: (مَالَك يَا بُنَيَّ؟) قال: (جاءني رجلان عليهما ثياب بِيضٌ فأَضْجَعَاني وشَقَّا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو). قالت: فرجعنا به إلى خِبَائِنَا.

قالت: وقال لي أبوه: (يا حليمة، لقد خَشِيتُ أن يكون هذا الغلام قد أُصيبَ، فأَلحِقيه بِأَهْلِه قبل أن يظهر ذلك به) قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فقالت: (ما أَقْدَمَكِ به يا ظِئْر[6]، وقد كُنتِ حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟) قالت: فقُلتُ: (قد بَلَغَ الله بابني وَقَضَيتُ الذي عليّ، وتخوَّفْتُ الأحداثَ عليه، فَأَدَّيته إليك كما تُحِبِّين). قالت: (ما هذا شأنكِ، فأصدُقِيني خَبَرَكِ). قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها. قالت: (أَفَتَخَوَّفْتِ عليه الشيطان؟). قالت: قُلتُ: (نعم)، قالت: (كلا والله، ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبني لشأنا، أفلا أخبرك خبره؟) قالت: قُلتُ: (بلى)، قالت: (رأيت حين حملتُ به، أنّه خرج منّي نورٌ أضاء لي قصور بُصرى من أرض الشام، ثم حملتُ به، فوالله ما

---

[1] أي: قَوي على الأكل. النهاية (١/٢٧٧)

[2] الوبأ، يقال بالقصر والمد والهمز، وهو الطاعون والمرض العام. النهاية (٥/١٤٤)

[3] أي: جاء مسرعاً. انظر: لسان العرب، مادة (شدد)

[4] السوط هو المزج والخلط. انظر: النهاية (٢/٤٢١)، لسان العرب، مادة: (سوط)

[5] أي: متغيراً. النهاية (٥/١٠٨)

[6] الظِئْر: المُرضِعَة لغير ولدها. النهاية (٣/١٥٤)

رأيت من حمل قط كان أخف عليّ ولا أيسر منه، وقع حين ولد واضعاً يديه بالأرض، رافعاً رأسه إلى السماء، دعيه عنك وانطلقي راشدة).[1]

و- ما ورد فيه إقرارهم بأنّ الله يدبر شؤون العباد، وفي ذلك قصة بناء الكعبة، وفيه: فتشاورت قريش في هدمها، وهابوا هدمها، فقال لهم الوليد بن المغيرة: (ما تريدون بهدمها الإصلاح تريدون أم الإساءة؟) قالوا: (نريد الإصلاح). قال: (**فإن الله لا يهلك المصلح**). قالوا: (فمن الذي يعلوها فيهدمها؟) قال الوليد بن المغيرة: (أنا أعلوها فأهدمها. فارتقى الوليد بن المغيرة على ظهر البيت ومعه الفأس، ثم قال: اللهم إنا لا نريد إلا الإصلاح).[2]

التعليق:

ورد في مرويات العهد المكّي أخبار فيها إقرار المشركين ببعض الخصائص الربوبية بآحادها، وهي على أنواع:

النوع الأول: ما ورد فيها إقرارهم بالخلق كأثر إنكار زيد بن عمرو بن نفيل على قريش في ذبائحهم والشاهد في قوله: (الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثمّ تذبحونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظاماً له)

وجه الدلالة من الأثر أنّ زيداً احتجّ على بطلان تسمية المشركين غير الله على ذبائحهم بما أقرّوا به من أنّ الله وحده هو الخالق، ولو لم يك المشركون مقرّين بأنّ الله هو

---

[1] رواه ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام ١/١٦٤-١٦٧)، وقال الذهبي في السيرة النبوية (٥٢/١): (هذا حديث جيد الإسناد). وقد استشكل بعض العلماء قول آمنة لأنّها لم تلد غير النّبي ﷺ ولكن قد أجاب الحافظ — رحمه الله تعالى — عن هذا الاستشكال بقوله: (فلا يمتنع أن تكون آمنة أسقطت من عبد الله سقطاً، فأشارت بذلك إليه). انظر: سبل الهدى والرشاد (١/٤٨١-٤٨٢)

[2] مصنف عبد الرزّاق (١٠٠/٥). قال الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي ص(٣٣٧): (هذا الأثر صحيح عن الزهري، ولكنّه مرسل).

الخالق لما كان لاحتجاجه فائدة، فتبين من ذلك أنّ المشركين كانوا مقرّين بأنّ الله هو الخالق.

النوع الثاني: ما ورد فيه إقرارهم لله بالملك، فقد ورد ذلك في تلبيتهم حيث قالوا فيه: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك) فأقرّوا بأنّ معبوداتهم مملوكون لله، وفي هذا اعترافهم بالملك لله ﷻ

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله تعالى: (وهذا الشرك في العبادة هو الذي كَفَّر الله به المشركين، وأباح به دماءهم وأموالهم ونساءهم وإلا فهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المدبر، ليس له شريك في ملكه، وأنّما كانوا يشركون به في هذه العبادات ونحوها وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فأتاهم النبي ﷺ بالتوحيد الذي هو معنى لا إله إلا الله الذي مضمونه أن لا يعبد إلا الله لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما)[1]

النوع الثالث: ما ورد فيه إقرارهم بأنّ الله هو الرازق

ومن هذه الأخبار قصة تجديد عبد المطّلب حفر زمزم، والشاهد فيه في قول عبد المطّلب: (فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد)، وفي قوله: (هلم إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا)، وفي قول قريش: (إنّ الذي سقاك الماء بهذه الفلاة لهو الّذي سقاك زمزم)، ووجه دلالة ذلك على إقرار المشركين بربوبية الله ظاهر في نسبتهم الرزق إلى الله ﷻ

ويدخل في هذا النوع حديث زيد بن عمرو المتقدم، والشاهد في قوله: (وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض)، ووجه الاستدلال أنّه احتجّ على بطلان تسمية المشركين غير الله على ذبائحهم بما أقرّوا به من أنّ الله وحده هو الذي رزقها طعامها وشرابها حال حياتها، ولو لم يكونوا مقرّين بذلك لما كان لاحتجاجه عليهم فائدة، فاتضح من ذلك أنّ المشركين أقرّوا بأنّ الله هو الرازق.

النوع الرابع: ما ورد فيه إقرارهم بأن الله هو الذي يشفي، وفي ذلك قصة إسلام ضماد، وقد أقرّ بأنّ الشفاء بيد الله تعالى – قبل أن يُسلِم – حيث قال : (لو أني رأيت

---

[1] تيسير العزيز الحميد (ص ٢٦)

هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي) وحيث قال: (يا محمد، إني أرقي من هذه الريح وإن الله يشفي على يدي من يشاء)

النوع الخامس: ما ورد فيه إقرارهم بأنّ الله هو الّذي يجعل البركة فيما يشاء، وفي ذلك قول زوج حليمة السعدية في قصتها: (**عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة**)

النوع السادس: ما ورد فيه إقرارهم بأنّ الله يدبر شؤون العباد، وفي ذلك قول الوليد بن المغيرة في قصة بناء الكعبة: (فإن الله لا يهلك المصلح)، فإنّه يدل على أنّه كان مقِرّاً بأنّ الله بيده هلاك ما يشاء من مخلوقاته، والّذي بيده هلاك خلقه يتصرف فيه كيف يشاء.

ثالثاً:- توجيه المشركين بعض أنواع العبادة إلى الله ﷻ، والأخبار في ذلك كما يلي:

أ- ما ورد فيه توجه المشركين إلى الله بالدعاء، وفي ذلك:

١-قول عبد المطلب في قصة الفيل:

اللهمّ إنّ لكلّ إله	حلالاً فامنع حلالك
لا يغلبن محالهـــم	أبدا محالــــــــــك
اللهم فإن فعلـــت	فأمر ما بدا لـــــك[1]

٢- قصة فقدان عبد المطلب رسول الله ﷺ في الحج و فيه قول عبد المطلب:

(رب رد راكبي محمدا   رده لي واصطنع عندي يدا)[2]

---

[1] تقدم تخريجه ص (٥٨)

[2] تقدم تخريجه، ص (٨٠)

٣- حديث أبي الطفيل المتقدم في بنيان الكعبة وفيه: فاجتمعت قريش عند المقام فعجوا إلى الله وقالوا: (ربنا لم تُرَعْ، أَرَدنا تشريفَ بيتك وتزَيّنَه، فإن كنت ترضى بذلك، وإلاّ فما بدا لك فافعل)

٤- في حديث أبي موسى[١] ﷺ في الهجرة إلى الحبشة: قال جعفر[٢]: (لا نسجد إلا لله)، فقال له النجاشي: (وما ذاك؟)، قال: (إن الله بعث فينا رسوله وهو الرسول الذي بشر به عيسى برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وأَمَرَنا بالمعروف ونهانا عن المنكر). قال: فأعجب الناس قوله، فلما رأى ذلك عمرو[٣]، قال له: (**أصلح الله الملك**، إنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم)، فقال النجاشي لجعفر: (ما يقول صاحبك في ابن مريم؟)، قال: (يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجه من البتول العذراء لم يقربها بشر). قال: فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال: (يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيد هؤلاء على ما تقولون في ابن مريم ما يزن هذه، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه

---

[١] هو: عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار الأشعري اليماني، خرج من اليمن قاصداً النبي ﷺ فألقتهم الريح بأرض الحبشة، فوافقوا جعفر بن أبي طالب والصحابة، فعادوا معاً إلى المدينة، استعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن، وعمر على الكوفه، مات سنة (٤٢هـ) وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٨٠/٢)، الإصابة (٢١١/٤)

[٢] هو: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب، أبو عبد الله، ابن عمّ رسول الله ﷺ أحد السابقين إلى الإسلام، وأخو علي شقيقه، كان خير الناس للمساكين، وهاجر إلى الحبشة فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه، وأقام جعفر عنده ثم هاجر منها إلى المدينة، واستشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر مجاهداً للروم في حياة النبي ﷺ سنة ٨هـ. انظر: الإصابة (٤٨٥/١)

[٣] هو: عمرو بن العاص بن وائل القرشي، السهمي: أسلم قبل الفتح في صفر سنه (٨هـ)، وقيل بين الحديبية وخيبر، فلم يكن مسلماً في قصة الهجرة الحبشية، وكان النبي ﷺ بعد إسلام عمرو يقربه، ويدنيه، وتولى غزوة ذات السلاسل، ثمّ استعمله على عمان، افتتح قنسرين، وصالح أهل الحلب، ومنبج، وأنطاكية، وولاه عمر فلسطين، ثم تولى إمرة مصر، وهو الّذي افتتحها، وكان من دهاة العرب المعدودين، مات سنة (٤٣هـ)، بعد عمر دام ٩٠ سنة. انظر: الاستيعاب (١١٨٤/٣)، الإصابة (٦٥٠/٤)

الذي بشر به عيسى ابن مريم، و لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه، امكثوا في أرضي ما شئتم) و أمر لهم بطعام وكسوة[١]

ب- ما ورد فيه استعاذة المشركين بالله، وفي ذلك أنّ رجلاً سئل رسول الله ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فَانْطَلَقتُ أنا وابن لها في بَهْمٍ[٢] لنا، و لم نأخذ معنا زاداً، فقلت: (يا أخي، اذهب فَأْتِنا بزاد من عند أُمِّنا)، فانطلق أخي، ومكثت عند البَهْم، فأقبل طائران أبيضان كأهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: (أهو هو؟). قال الآخر: (نعم)، فأقبلا يَبْتَدَرَاني، فأخذاني، فبطحاني[٣] للقَفا، فَشَقّا بطني، ثم استخرجا قلبي فشَقَّاه، فأخرجا منه عَلَقَتَيْن سَوداوَيْنِ، فقال أحدهما لصاحبه: (إئتني بماء ثلج)، فغسل به جوفي، ثم قال: (إئتني بماء بَرَدٍ)، فغسل به قلبي، ثم قال: (إئتني بالسكينة)، فذَرَّه في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: (حُصْه)، فحاصه[٤] وختم عليه بخاتم النبوة، ثم قال أحدهما لصاحبه: (اجعله في كفة، واجعل ألفاً من أُمَّتِه في كفة) قال رسول الله ﷺ: فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أُشْفِقُ أن يَخِرَّ علَيَّ بَعضُهم، فقال: (لو أن أُمَّتَه وزنت به لمال بهم)، ثم انطلقا فتركاني. قال رسول الله ﷺ: وفَرِقْتُ فَرَقاً شديداً،[٥] ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتُها بالذي لقيت، فأشفَقَتْ أن يكون قد الْتُبِسَ بي، فقالت: (**أعيذك بالله**)، فرَحَّلَتْ بعيراً لها، فجَعَلَتْني على الرَّحْلِ، و رَكِبَت خلفي، حتى بَلَغْنا إلى أُمِّي، فقالت: (أَدَّيتُ أمانتي وذِمَّتي، وحَدَّثَتها بالذي لَقيتُ، فلمْ يُرِعْها ذلك، وقالت: (إني رأيت خرج مِنِّي — يعني: نوراً - أضاءت منه قصور الشام)[٦]

---

[١] رواه الحاكم في المستدرك (٢/٣٣٨) وصححه ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الدكتور سليمان السعود في أحاديث الهجرة جمع وتحقيق ودراسة ص (٤٠)

[٢] البَهْم: جمع بَهمَة وهي ولد الضأن الذكر والأنثى. النهاية (١/١٦٨)

[٣] بَطَحَ، أي: ألقى. النهاية (١/١٣٤)

[٤] حاص الثوب يحُوصُه حَوصاً إذا خاطه. النهاية (١/٤٦١)

[٥] الفَرَق: الخوف والفزع. النهاية (٣/٤٣٨)

[٦] رواه أحمد في المسند (٤/١٨٤-١٨٥)، والحاكم (٢/٦٥٦)، وصححه ووافقه الذهبي. وحسّن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٧١٥-٧١٦ رقم ٣٧٣)

جـــ-ما ورد فيه حلف المشركين بالله، وفي ذلك:

١- قصة تجديد عبد المطّلب حفر زمزم الطويلة[١] وفيه قوله: (**والله** إنّ إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت) وقول قريش: (**قد والله قضى لك علينا** يا عبد المطلب، **والله لا نخاصمك** في زمزم أبداً)

٢- قول حليمة في قصتها الطويلة المتقدمة: فلمّا أَجْمَعْنا الإنطلاق قُلتُ لصاحبي: (**والله** إنّي لأكره أن أرجع من بين صواحبي و لم آخذ رضيعاً، **والله** لأذهبنّ إلى ذلك اليتيم فلآخذنّه...) وقولها: **...**يقول صاحبي حين أصبحنا: (تعلمي **والله** يا حليمة، لقد أخذتِ نسمة مباركة). قالت: فقلت: (والله إنّي لأرجو ذلك)

وقولها: ..حتى إنَّ صواحبي ليقلن لي: (يا ابنة أبي ذُؤيب، ويحكِ**!** ارْبَعِي علينا، أليست هذه أتانَكِ التي كُنتِ خَرَجْتِ عليها؟) فأقول لهنّ: (بلى والله إنها لهي هي)، فيقلن: (والله إنّ لها لشأناً)

وقول أمّ النّبي ﷺ لحليمة في نفس القصة: (ثمّ حملت به، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه).

٤- قول عبد المطلب في نهاية قصة فقدانه النبي ﷺ في الحج التي تقدم إيراده: (يا بني**!** لقد جزعت عليك جزعاً لم أجزعه على شيء قط، **والله لا أبعثك في حاجة أبداً**، لا يفارقني أبداً).[٢]

٥- لما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ في المرة الأولى، وهو ابن أثنتي عشرة سنة، فلما نزل الركب بصرى من الشام، وبها راهب يقال له: (بحيرا) في صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه، فلما نزلوا بحيرا وكان كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم حتى إذا كان ذلك العام، ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم ، وإنّما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ، من

---

[١] تقدم إيراد القصة بطولها مع التخريج. انظر: ص (٦٠-٦٢)

[٢] انظر: ص (٨٠) من هذه الرسالة

بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة واخضلت[1] أغصان الشجرة على النبي ﷺ حين أستظل تحتها، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به وأرسل إليهم فقال: (إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروه كلكم، ولا تخلفوا منكم صغيراً ولا كبيراً حراً ولا عبداً فإن هذا شيء تكرموني به)، فقال رجل: (إن لك لشأناً يا بحيرا! ما كنت تصنع بنا هذا، فما شأنك اليوم؟) قال: (فإني أحببت أن أكرمكم ولكم حق)، فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه، ليس في القوم أصغر منه في رحالهم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده، وجعل ينظر ولا يرى الغمامة على أحد من القوم، ويراها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ، قال بحيرا: (يا معشر قريش، لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي)، قالوا: (ما تخلف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سناً في رحالهم)، فقال: (ادعوه فليحضر طعامي، فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع أني أراه من أنفسكم) فقال القوم: (**هو والله أوسطنا نسباً**، وهو بن أخي هذا الرجل - يعنون أبا طالب- وهو من ولد عبد المطلب). فقال الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف: (**والله، إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا**)، ثم قام إليه فاحتضنه[2] وأقبل به حتى أجلسه على الطعام، والغمامة تسير على رأسه، وجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: (يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك)، فقال رسول الله ﷺ: (لا تسألني باللات والعزى، فوالله، ما أبغضت شيئاً بغضهما)، قال: (فبالله، إلا أخبرتني عما أسألك عنه) قال: (سلني عما بدا لك). فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر بين عينيه، ثم كشف عن ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده. قال: فقبل موضع الخاتم، وقالت قريش: (إن لمحمد عند هذا الراهب لقدراً) وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يخاف على بن أخيه، فقال الراهب

---

[1] اخضلت أي: كَثُرت. انظر: النهاية (٢/٤٣)

[2] احتضنه، أي: حمله في جنبه. انظر: النهاية (١/٤٠٠)

لأبي طالب: (ما هذا الغلام منك؟)، قال أبو طالب: (ابني)، قال: (ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً). قال: (فابن أخي). قال: (فما فعل أبوه؟) قال: (هلك، وأمّه حبلى به). قال: (فما فعلت أمه؟) قال: (توفيت قريباً). قال: (صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، وأحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف، لَيَبْغُنَّهُ عَنَتاً[1]، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة). فلما فرغوا من تجاراتهم خرج به سريعاً، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته، فأرادوا أن يغتالوه، فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره فنهاهم أشد النهي، وقال لهم: (أتجدون صفته؟) قالوا: (نعم)، قال: (فما لكم إليه سبيل). فصدقوه وتركوه ورجع به أبو طالب فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه.[2]

٦- وعن جبير بن مُطْعِم[3] أنّه أضلّ بعيراً، فذهب يطلبه – يوم عرفة – فرأى النّبي ﷺ واقفاً بعرفة، وقال: (هذا **والله من الحُمْس فما شأنه هاهنا؟**)[4]

---

[1] عند ابن إسحاق: (ليبغُنَّه شرّاً). والبُغاء بمعنى: الطلب، ويتعدّى إلى مفعولين، والعنت بمعنى: المشقة، والفساد، والضر، فيكون المعنى: ليطلُبُنّ له ضراً، وشراً. انظر: النهاية: (١٤٣/١)، (٣٠٦/٣)، وغريب الحديث لابن قتيبة (٦٧٤/٣)

[2] الطبقات الكبرى لابن سعد (١٥٣/١-١٥٥) وقال الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي (ص٢٨٩) إن هذه الرواية معضلة، وروى ابن إسحاق نحوه بدون إسناد (سيرة ابن هشام ١٨٠/١-١٨٣)

[3] هو: جبير بن مُطعِم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، قدم على النبي ﷺ في فداء أسارى بدر، فسمعه يقرأ الطور، قال: (فكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبي)، أسلم بين صلح حديبية وفتح مكّة، وتوفي ﷺ ٥٧هـ، وقيل: ٥٨هـ، وقيل: ٥٩هـ. انظر: الإصابة (٤٦٢/١)

[4] رواه البخاري في كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة (صحيح البخاري مع الفتح:٦٠٢/٣ رقم ١٦٦٤)، ومسلم في كتاب الحج، باب في الوقوف وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٤٢٤/٨ رقم ٢٩٤٧)

٧- قول الوليد بن المغيرة في قصة نزول الوحي فيه[١]: (**لا والله ما هو بكاهن** لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه) وقوله (**والله إن لقوله لحلاوة**)

٨- قول عتبة بن ربيعة في حواره مع النبي ﷺ: (**إنا والله ما رأينا سخلة[٢] قط أشأم على قومه منك** فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى..)[٣]

٩- وفي رواية: (**فقال بعضهم لبعض يحلف بالله** لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به) وفيه قوله: (**أني والله قد سمعت قولا ما سمعت لمثله قط والله ما هو بالشعر** و لا بالسحر و لا الكهانة يا معشر قريش أطيعوني و اجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه و اعتزلوه **فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ** فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم و إن يظهر على العرب فملكه ملككم و عزه عزكم كنتم أسعد الناس به) وفيه: (**سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه**)[٤]

١٠- عن خباب[٥] ﷺ، قال: كنت رجلاً قَيْناً[٦] فعملت للعاص بن وائل، فاجتمع لي عنده، فأتيته أتقاضاه فقال: (**لا والله** لا أقضيك حتى تكفر بمحمد)، فقُلتُ: (أما والله، حتى تموت ثم تبعث فلا). قال: (وإني لميت ثم مبعوث؟)، قلت: (نعم)، قال: (فإنه سيكون لي ثَمَّ مال وولد فأقضيك) . فأنزل الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾[٧]

---

[١] تقدم إيراد القصة بطولها مع التخريج، انظر: ص (٣٩-٣٩)

[٢] تقدم شرحه، ص (٤٠)

[٣] تقدم تخريجه، ص (٤١)

[٤] تقدم تخريجه، ص (٤٢)

[٥] تقدمت ترجمته، (ص٧٧)

[٦] تقدم شرحه، (ص٧٧)

[٧] سورة مريم: ٧٧، والحديث تقدم تخريجه، (ص٧٧)

١١- قول عمرو بن العاص، ولم يكن قد أسلم بعد، في حديث أم سلمة في الهجرة إلى الحبشة: (والله لآتينه غدا أعيبهم عنده ثم استأصل به خضراءهم)[١]، وقوله: (والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عليهما السلام[٢] عبد) [٣]

١٢- في قصة بيعة العقبة الثانية: (...فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله: (ما كان من هذا شيء علمناه))[٤]

د-ما ورد فيه نذر المشركين لله، وفي ذلك قصة نذر عبد المطلب أن ينحر أحد أبنائه وفيه: (نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه)[٥]

التعليق:

ورد فيما تقدّم من مرويات العهد المكّي توجيه المشركين بعض أنواع العبادة إلى الله، وهذا فيه دليل على أنّهم كانوا مقرّين بربوبيته، لأنّ توجههم إلى الله بالعبادة لشعورهم بحاجتهم وفقرهم إلى الله، وهذا الشعور تابع لشعورهم بوجوده وإقرارهم، فإنّه لا يتصور أن يشعر الإنسان بحاجته وفقره إلى خالقه إلاّ إذا شعر بوجوده، وإذا كان

---

[١] أي: دهماؤهم وسوادهم، والخضراء سواد القوم ومعظمهم. انظر: النهاية (٤٢/٢)

[٢] هكذا في النص، ولعل الدعاء لعيسى ومريم بالسلام عليهما من كلام الراوي

[٣] رواه الإمام أحمد في المسند (٢٩٠/٥)، وصحح أسناده الشيخ الألباني في تحقيق فقه السيرة ص (١١٥)

[٤] رواه الإمام أحمد في المسند (٤٦٠/٣) وصححه الشيخ الألباني في تحقيق فقه السيرة (ص١٤٩)

[٥] رواه الفاكهي في أخبار مكة (١٣/٢) وصحح إسناده د/عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسات مرويات العهد المكّي (ص٩٤)

شعوره بحاجته وفقره إلى ربه أمراً ضرورياً لا يمكنه دفعه، فشعوره بالإقرار به أولى أن يكون ضرورياً[1]

وقد اتضح مما سبق أنّ المشركين كانوا يقرّون بأنّ الله هو الخالق، وأنّ الله هو الرب، وأنّه الخالق، والمالك، والرازق، وأنّه يتصرّف في مُلكِهِ كيف يشاء، وأنّهم كانوا يتوجهون إلى الله ببعض أنواع العبادة لا سيما في الشدائد، وعبادتهم هذه تتضمّن إقرارهم بربوبية الله، فلا يبقى شك في أنّهم اعترفوا بربوبية الله، وبيان إقرارهم بتوحيد الربوبية أحد أنواع الدلالة عليه.

---

[1] انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٥٣٢-٥٣٣)

المبحث الثالث:
دلالة الآيات الكونية على توحيد الربوبية

وفي ذلك:

١- خبر أمية بن أبي الصلت[١] الّذي قال فيه النبي ﷺ أنّه: (كاد أن يسلم في شِعره)[٢]، ومما ذُكِر من شعره قوله:

إن آيـــات ربنـــا ثاقـــبـــات	لا يماري فـــيهن إلا الكفور
خلق اللـــيل والنهار فكـــل	مستبين حسابـــه مـــقدور
ثم يجلو النـــهار رب رحـــيم	بـــمهاة شـــعاعها مـــنشور
حبس الفيل بالمغمس حتـــى	ظـــل يحبو كـــأنـــه معقور
لازما حلقة الجران كما قطـــ	ـــرمن صخر كبكب محدور
حوله من مـــلوك كندة أبطا	ل ملاويث في الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جـــميعـــا	كلهم عظم ساقه مـــكسور
كل دين يوم القيامة عنداللـــ	ـــه إلا ديـــن الحـــنيفة بور[٣]

٢- في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة رسول الله ﷺ، وفيها قراءة النبي ﷺ لآيات من سورة فصلت، وهذه الآيات تضمنت قول الله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ﴾[٤]

---

[١] تقدمت ترجمته، ص (٩٦)

[٢] تقدم تخريجه، ص (٩٦)

[٣] تقدم تخريجه، ص (٩٦)

[٤] سورة فصلت: ٣٧

التعليق:

من الدلالات على توحيد الربوبية دلالة الآيات الكونية، والمراد بالآيات الكونية المخلوقات، فهذا الكون الفسيح بما فيه من شتى المخلوقات المُتقَنة في الخلق والإبداع، التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا الخالق سبحانه وتعالى، والتي يُشاهَد فيها وبينها التناسق والترابط من أصغر ذرة إلى أكبر مخلوق كل ذلك يدل دلالة واضحة على وجود الخالق وقدرته وعظيم تدبيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (كان واجبا على من أراد معرفة الله تعالى حق معرفته أن يعرف جواهر الأشياء ليقف على الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات لأن من لم يعرف حقيقة الشيء لم يعرف حقيقة الاختراع)[١]

مقتضى كلامه – رحمه الله – أنّ التأمّل والتفكّر في المخلوقات، وهي الآيات الكونية، والعلم العميق بها، يرشد إلى العلم بخلقها، وبالتالي العلم بخالقها سبحانه وتعالى.

وقال الإمام ابن القيم[٢] – رحمه الله تعالى: (والله سبحانه إنما يدعو عباده إلى النظر والفكر في مخلوقاته العظام لظهور أثر الدلالة فيها وبديع عجائب الصنعة والحكمة فيها واتساع مجال الفكر والنظر في أرجائها وألا:

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد)[٣]

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يُشير إلى هذا النوع من الدلالة على توحيد الله عزّ وجلّ: (فإذا قيل لك بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار

---

[١] بيان تلبيس الجهمية (١٧٣/١)

[٢] هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي، شمس الدين أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تفقه في المذهب الحنبلي، وقد تتلمذ بشيخ الإسلام ابن تيمية، والشهاب النابلسي، ومن تلاميذه الحافظ ابن رجب، والحافظ ابن كثير، وقد ألّف الكثير من التصانيف النافعة، منها: (زاد المعاد) و(مدارج السالكين). انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (١٧٠/٥)

[٣] مفتاح دار السعادة (١٩٧/٣)

والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع ولأرضون السبع ومن فيهنّ وما بينهما)[1]

وقال الشيخ ابن عثيمين– رحمه الله: (فالله ﷻ يُعرف بآياته الكونية وهي المخلوقات العظيمة وما فيها من عجائب الصنعة وبالغ الحكمة)[2]

وقد ذكر الله هذه الدلالة في كتابه الكريم في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [3]

أثنى ﷻ في هاتين الآيتين الكريمتين على أهل العقول، وذلك لانتفاعهم من النظر في المخلوقات العظيمة، الّذي زادهم معرفةً بالله، فهذه المخلوقات فيها دلالة على توحيد الله عزّ وجلّ.

قال الشيخ ابن سعدي – رحمه الله تعالى – في تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها والتبصر بآياتها وتدبر خلقها. وأبهم قوله: ﴿ ءَايَٰتٌ ﴾ ، و لم يقل على المطلب الفلاني إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأنّ فيها من الآيات العجيبة ما يُبهر الناظرين ويقنع المتفكرين ويجذب أفئدة الصادقين وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه فلا يمكن مخلوقاً أن يحصره ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة وانتظام السير والحركة يدل على عظمة خالقها وعظمة سلطانه وشمول قدرته)[4]

---

[1] ثلاثة الأصول (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ١٣٥/٦ – القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

[2] شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص٤٧)

[3] سورة آل عمران: ١٩٠–١٩١

[4] تيسير الكريم الرحمن (٢٦٩/١)

وقال الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [(1)]

أمر الله سبحانه وتعالى، في هذه الآية الكريمة، عبادَه بالنظر في الآيات الكونية، وذلك لأنّه يزيد الناظر معرفة بالله، مما يدّل على أنّ النظر في المخلوقات أحد الدلالات على توحيد الله سبحانه وتعالى.

قال الشيخ ابن سعدي – رحمه الله تعالى: (يدعو تعالى عباده إلى النظر لما في السموات والأرض، والمراد بذلك نظر الفكر والاعتبار والتأمّل لما فيها وما تحتوي عليه والاستبصار؛ فإنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون وعبراً لقوم يوقنون، تدلّ على أنّ الله وحده المعبود المحمود ذو الجلال والإكرام والأسماء والصفات العظام)[(2)]، وهذا يتضمن وحدانيته في الربوبية

وقال الله ﷻ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [(3)]

ذمّ الله ﷻ الّذين يغفلون عن التفكر في آياته الكونية، وذلك لأنّ غفلتهم تُفَوِّتهم الزيادة في معرفة الله، مما يدلّ على أنّ هذه الآيات فيها دلالة على توحيد الربوبية.

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى: (يخبر تعالى عن غفلة أكثر النّاس عن التفكّر في آيات الله ودلائل توحيده، بما خلقه الله في السموات والأرض من كواكب زاهرات ثوابت، وسيارات وأفلاك دائرات، والجميع مسخرات، وكم في الأرض من قطع متجاورات وحدائق وجنات وجبال راسيات، وبحار زاخرات، وأمواج متلاطمات، وقفار شاسعات، وكم من أحياء وأموات، وحيوانات ونبات، وثمرات متشابهة المتفرد بالدوام والبقاء والصمدية ذي الأسماء والصفات)[(4)]

ووجه دلالة الآيات الكونية على توحيد الربوبية يظهر في أمرين:

---

(1) سورة يونس: ١٠١

(2) تيسير الكريم الرحمن (٧٣٤/٢)

(3) سورة يوسف: ١٠٥

(4) تفسير ابن كثير (٤١٨/٤)

الأمر الأوّل: أنّ هذه المخلوقات العظيمة لم تخلق أنفسها، و لم تُخلَق من غير خالق، فلا بدّ لها من خالق خلقها، وكون كل حادث لا بدّ له من محدث أمر معلوم لدى الناس علماً فطرياً ضرورياً لايحتاج إلى الاستدلال عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى: (كان علم الإنسان أنه هو لم يحدث نفسه لا يتوقف على علمه بان كل إنسان لم يحدث نفسه ولا على أن كل حادث لم يحدث نفسه بل هذه القضايا العامة الكلية صادقة وتلك القضية المعينة صادقة والعلم بها فطري ضروري لا يحتاج أن يستدل عليه)[1]

وقال: (هي – يعني: قضية كل حادث لا بدّ له من محدث - في نفسها معلومة للعقلاء بالضرورة مع قطع نظرهم عن قضية كلية كما يعلم الإنسان أحوال نفسه المعينة فإنه يعلم أنه لم يحدث نفسه وإن لم يستحضر أن كل حادث لا يحدث بنفسه

ولهذا كانت فطرة الخلق مجبولة على أنهم متى شاهدوا شيئا من الحوادث المتجددة كالرعد والبرق والزلازل ذكروا الله وسبحوه لأنهم يعلمون أن ذلك المتجدد لم يتجدد بنفسه بل له محدث أحدثه)[2]

وقال الشيخ ابن سعدي – رحمه الله تعالى: (إنّ كلّ أحد يعلم علم اليقين أنّهم قد خُلِقُوا وأنهم لم يَخلُقوا أنفسهم، فإنّ هذا أعظم المحالات، ولا وجدوا من غير موجد، فتعين أنّ الله هو الّذي خلقهم، فاضطر العقول إلى الاعتراف بهذا الأمر البين الواضح)[3]

وقد نبه الله سبحانه وتعالى على هذا الوجه من الاستدلال بقوله: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾[4]

الأمر الثاني: أن حسن ترتيب المخلوقات، وانتظامها تدلّ على قدرة الله عليها وحسن تصرفه فيها، وكمال تدبيره لها، وهذه من أفراد ربوبية الله سبحانه وتعالى.

---

(1) درء تعارض العقل والنقل (٣/١٢٠)

(2) المصدر نفسه (٣/١٢٢)

(3) الرياض الناضرة (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – القسم الخامس: ثقافة إسلامية ١/٤٩٢)

(4) سورة الطور: ٣٥

والأخبار التي تقدم ذكرها من مرويات العهد المكي فيها الاستشهاد عاى دلالة الآيات الكونية على توحيد الربوبية.

أمّا خبر أمية بن أبي الصلت فالشاهد فيه في قوله:

إن آيـــات ربنـــا ثاقـــبـــات لا يماري فـــيهن إلا الكفور

إلى قوله:

كل دين يوم القيامة عندالـــ ـــه إلا ديـــن الحـــنيفة بور

وجه دلالته أنّه استدل على الله بآيات الله الكونية

وأما قصة مجادلة عتبة فالشاهد فيها في قرآءة النبي ﷺ لقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – هذه الآية في تقرير دلالة الآيات والمخلوقات على معرفة الله.[1]

وقال الشيخ ابن سعدي – رحمه الله تعالى – في تفسير الآية: (ذكر تعالى أنّ ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ﴾ الدالة على كمال قدرته ونفوذ مشيئته وسعة سلطانه ورحمته بعباده وأنّه الله وحده لا شريك له، ﴿ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ ﴾ هذا بمنفعة ضيائِهِ وتصرّف العباد فيه، وهذا بمنفعة ظُلَمِهِ وسكون الخلق فيه، والشمس اللذان لا تستقيم معايش العباد ولا أبدانُهم ولا أبدانُ حيوانتهم إلاّ بهما، وبهما من المصالح ما لا يُحصى عدده)[2]

ففي هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى دلالة مخلوقاته عليه وخص بالذكر الليل والنهار، والشمس، والقمر وذلك لعظم ظهور آثار ربوبيته فيها، فالليل والنهار سخرهما الله ﷻ، لتقوم مصالح العباد في دينهم ودنياهم مما يدلّ على عناية الرب سبحانه بعباده وقيامه بشؤونهم، والشمس والقمر جريانهما في فلكيهما في انتظام باهر وسير محكم تدلّ على كمال تصرّف الله في خلقه، كما أنّ ضوء الشمس فيه آية على كمال قدرة الله على خلقه، وقيامه بحوائج عباده، فإنّ الشمس إذا طلعت توفر على العالم من طاقة كهربائية ما لا يمكن ضبطها، لأنّ العباد يستغنون بها عن هذه الطاقة، كما يحصل للأرض من حرارة

---

[1] ثلاثة الأصول (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ١٣٥/٦ – القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

[2] تيسير الكريم الرحمن (١٥٧٥/٤)

الشمس، ونضج الثمار، وطيب الأشجار، ما لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، إلى غير ذلك من الفوائد التي يصعب عدها.[1]

وقد اتضح مما سبق أنّ دلالة الآيات الكونية على توحيد الربوبية أحد أنواع الدلالة عليه، كما تبيّن وجه دلالتها، وما ورد في ذلك في مرويات العهد المكّي.

---

[1] انظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين (٦/١٩١-١٩٢، ١٩٤-١٩٥)، تفسير جزء عمّ للشيخ ابن عثيمين (ص٢٢٠)

المبحث الرابع:

دلالة بعثة الأنبياء وآياتهم على توحيد الربوبية

توطئة:

هذا النوع من الدلالة على توحيد الربوبية من أعظم أنواع الدلالات. والمراد بآيات الأنبياء: العلامات الدالة على صدقهم، وهي كثيرة ومتنوعة، ووجه دلالة هذه الآيات على توحيد الربوبية أنّ النبي إذا ثبت صدقه ثبت صدق جميع ما دعا إليه من التوحيد والإيمان بالله تعالى.

قال الخطابي[1] – رحمه الله: (لما ثبتت النبوة صارت أصلا في وجوب قبول ما دعى إليه النبي)[2]

وقال الحافظ ابن القيم – رحمه الله تعالى: (وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ودلالتها ضرورية بنفسها ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بينات)[3]

وقال الشيخ السعدي – رحمه الله: (قد تقرر عند جميع الأمم – سوى هذه الطائفة التي كابرت وباهتت[4] - صدق الرسل بما كانوا عليه من الأخلاق العلية والأوصاف الرفيعة، وبما جاءوا به من الدين الحق الّذي أصلح الله به الدين والدنيا وهدى به العباد إلى

---

[1] هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب، أبو سليمان البُستي الخطابي، الإمام العلاّمة، الحافظ اللغوي، صاحب التصانيف، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مئة، وأخذ الفقه على مذهب الإمام الشافعي، له شرح على سنن أبي داود، كتاب في غريب الحديث. توفي سنة (٣٨٨هـ) ببُست. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/١٧)

[2] كتاب شعار الدين نقلاً عن ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (٢٥١/١) وعن ابن القيم في الصواعق المرسلة (١١٩٧/٣)

[3] الصواعق المرسلة (١١٩٧/٣)

[4] يعني: الملحدين المنكرين لوجود الله

كل خير وصلاح وفلاح خاص وعام عاجل وآجل، وأيّدهم بالآيات البينات والبراهين القاطعات التي تواترت تواتراً لم يقاربه شيء من المتواترات، حتى تناقلها الأمم والقرون، وصارت في مقدمة الحقائق وفي أعلى مراتب الصدق، وخصوصاً إمامهم وسيدهم محمد ﷺ فإنّ جميع الخلق شهدوا بصدق ما جاء به واعترفوا به وخضعوا: أولياؤه وأعداؤه، ولو لم يجيء إلاّ بهذا القرآن الّذي تحدّى الله به الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة واحدة لبلاغته العظيمة وأسلوبه الجميل الجليل وأحكامه التي هي أحسن الأحكام، وإخباره عن الغيوب الماضية والمستقبلة المتعلقة بالخلق والمتعلقة بالخالق، فمن عرف شيئاً من أحوال الرسل وصدقهم وأخبارهم وأحكامهم عرف أن من أنكر ما جاءت به الرسل قد كابروا المحسوسات وباهتوا المعقولات وعاندوا العلوم الصحيحة وردوا المعارف اليقينية)[١]

فعُلم أنّ الله أيّد الأنبياء والرسل بآيات وبراهين تدلّ على صدقهم، وقد كان لنبينا محمد ﷺ أوفر نصيب من هذه الآيات، كما عُلِم أنّ هذه الآيات كانت كثيرة ومتنوعة.

وقد ورد في مرويات العهد المكّي علامات كثيرة بأنواع مختلفة تدلّ على صدق نبينا محمد ﷺ

---

[١] الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي – القسم الخامس: الثقافة الإسلامية ٢/٣٢٥-٣٢٦)

سياق هذه المرويات:

أولاً:- ما جاء في إعجاز القرآن وتأثيره في سامعيه، وفي ذلك:

١- قصة إسلام عثمان بن مظعون[١] ﷺ، فعن ابن عباس ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته بمكة جالس، إذ مر به عثمان بن مظعون، فكَشَرَ[٢] إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: (ألا تجلس؟) قال: (بلى). قال: فجلس رسول الله ﷺ مستقبله، فبينما هو يُحَدِّثُه إذ شخص رسول الله ﷺ بَبَصَرِه إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض، فَتَحَرَّفَ رسول الله ﷺ عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره، وأخذ يُنْغِضُ رأسه[٣] كأنه يستفقه ما يقال له، وابن مظعون ينظر، فلمّا قضى حاجته واستفقه ما يقال له، شخص بصر رسول الله ﷺ إلى السماء كما شخص أول مرة، فاتبعه بصره حتى توارى في السماء، فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى. قال: (يا محمد، فيم كنت؟ أجالسك وآتيك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة) قال: (وما رأيتني فعلت؟) قال: (رأيتك تشخص ببصرك إلى السماء، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك، فتَحَرَّفْتَ إليه وتَرَكْتَني، فأخذتَ تُنْغِض رأسك كأَنَّكَ تستفقه شيئاً يقال لك) قال: (وفطنت لذاك؟) قال عثمان: (نعم) قال رسول الله ﷺ: (أتاني رسول الله آنفا وأنت جالس) قال: (رسول الله؟) قال: (نعم) قال: (فما قال لك؟) قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

---

[١] هو: عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى في جماعة فلما بلغهم أن قريشا أسلمت رجعوا. توفي بعد شهوده بدرا في السنة الثانية من الهجرة وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم. انظر: الإصابة (٤٦١/٤)

[٢] الكَشْر: ظهور الأسنان للضحك. انظر: النهاية (١٧٦/٤)

[٣] يقال: نَغض رأسه إذا تحرك وأنغَضه إذا حركه. النهاية (٨٦/٥)

وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1] قال عثمان: فذلك حين استقر الإيمان في قلبي وأحببت محمداً. [2]

٢- نزول سورة المسد، فعن ابن عباس –رضي الله عنه، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[3] ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف[4]: (يا صباحاه)، فقالوا: (من هذا الذي يهتف؟) قالوا: (محمد)، فاجتمعوا إليه، فقال: (يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب)، فاجتمعوا إليه، فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟) قالوا: (ما جربنا عليك كذباً)، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، قال: فقال أبو لهب: (تباً لك! أما جمعتنا إلا لهذا؟) ثم قام فنزلت هذه السورة (تبت يدا أبي لهب وقد تب) ، كذا قرأ الأعمش[5] إلى آخر السورة[6]

٣- قال ابن مسعود ﷺ: قرأ النبي ﷺ النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال: (يكفيني هذا) فرأيته بعد ذلك قتل كافراً.

---

[1] سورة النحل: ٩٠

[2] رواه أحمد (٣١٨/١)، وحسّن إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥٩٧/٤)

[3] سورة الشعراء: ٢١٤

[4] هَتَفَ، أي: نادى، ودعا، وصاح. انظر: النهاية (٢٤٣/٥)

[5] هو: سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، أبو محمد، المشهور بالأعمش، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، ولد سنة (٦٠هـ)، وتوفي (١٤٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢٦/٦)

[6] رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ذكر شرار الموتى، (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٣٠٥/٣ رقم ١٣٩٤) مختصراً، وكتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، (٦٣٧/٦ رقم ٣٥٢٦) مختصراً، وكتاب التفسير، باب: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾ ، (٤٠٠/٨ رقم ٤٨٠١)، وكتاب التفسير، تفسير سورة ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ (٦٠٩/٨ رقم ٤٩٢١)، وباب: ﴿وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ (٦٠٩/٨ رقم ٤٩٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان في قوله تعالى ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ (٧٧/٣-٧٨ رقم ٥٠٧)

٤- أول سورة أنزلت فيها سجدة ((والنجم)) قال فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه فرأيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف.

٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والأنس

٦- عن المطلب بن أبي وداعة[١] رضي الله عنه، قال : رأيت رسول الله ﷺ سجد في النجم وسجد الناس معه قال المطلب: و لم أسجد معهم وهو يومئذ مشرك فقال المطلب فلا أدع السجود فيها أبدا

٧- وعنه رضي الله عنه، قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسي وأبيت أن أسجد و لم يكن يومئذ أسلم المطلب

٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: قرأ النجم فسجد وسجد الناس معه الا رجلين أرادا الشهرة[٢]

٩- ما جاء في الوليد ابن المغيرة[٣]، أنّه اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم، وقد حضر الموسم، فقال لهم: (يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فاجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويرد قولكم بعضه بعضاً) قالوا: (فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأياً نقول به) قال: (بل أنتم فقولوا، أسمع) قالوا: (نقول: كاهن) قال: (لا والله، ما هو بكاهن. لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن، ولا سجعه) قالوا: (فنقول: مجنون) قال: (ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته) قالوا: (فنقول: شاعر) قال: (ما هو بشاعر. لقد عرفنا الشعر كله: رجزه، وهزجه، وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر) قالوا: (فنقول: ساحر) قال: (ما هو بساحر. لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم، ولا عقدهم) قالوا:

---

[١] تقدمت ترجمته، ص (٤٤)

[٢] تقدم تخريج هذه الروايات، ص (٤٣-٤٥)

[٣] تقدمت ترجمته، ص (٣٩)

(فما نقول يا أبا عبد شمس؟) قال: (والله، إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته)

فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذّروه إياه وذكروا لهم أمره.

فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله : ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالاً مَّمۡدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ۝٢٥ ﴾[1]

١٠- قصة مجادلة عتبة بن ربيعة[2] رسول الله ﷺ وهذه القصة أنّ قريشاً اجتمعت يوماً، فقالوا: (انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه) فقالوا: (ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة) فقالوا: (أنت يا أبا الوليد) فأتاه عتبة، فقال: (يا محمد! أنت خير أم عبد الله؟) فسكت رسول الله ﷺ ثم قال: (أنت خير أم عبد المطلب؟) فسكت رسول الله ﷺ. فقال: (إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك، فقد عبدوا الآلهة التي عبتها، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك. إنا والله، ما رأينا سخلة[3] قط أشأم على قومه منك، فرّقتَ جماعتنا وشتتَ أمرنا وعبتَ ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحراً، وأن في قريش كاهناً، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقول بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى. أيها الرجل! إن كان إنما بك الباءة، فاختر أي نساء قريش ونزوجك عشراً، وإن كان إنما بك الحاجة، جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش

---

[1] سورة المدثر، الآيات:١١-٢٥، والحديث تقدم تخريجه، ص (٤٠)

[2] تقدمت ترجمته، ص (٤٠)

[3] تقدم شرحه، ص (٤٠)

رجلاً واحداً) فقال رسول الله ﷺ: (أفرغت؟) قال: (نعم). فقرأ رسول الله ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾[1] حتى بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾[2] فقال عتبة: (حسبك! حسبك! ما عندك غير هذا؟) قال: (لا). فرجع إلى قريش، فقالوا: (ما وراءك؟) قال: (ما تركتُ شيئاً أرى أنّكم تُكَلِّمُونَه به إلا وقد كَلَّمتُه به) فقالوا: (فهل أجابك؟) قال: (نعم). قال: (لا، والذي نصبها بنية! ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) قالوا: (ويلك! يكلمك رجل بالعربية لا تدري ما قال؟) قال: (لا، والله! ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة)[3]

١١- وفي رواية: أن عتبة بن ربيعة كان سيداً حليماً قال ذات يوم، وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد : (يا معشر قريش! ألا أقوم إلى هذا فأكلمه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنّا؟) وذلك حين أسلم حمزة بن عبد المطلب، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا: (بلى، يا أبا الوليد! فقم فكَلِّمهُ!) فقام عتبة، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال : (يابن أخي! إنك منا، حيث قد علمت، من السطة في العشيرة والمكان والنسب[4]، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت من مضى من آبائهم، فاستمع مني، أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك أن تقبل منها بعضها). فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: (قل يا أبا الوليد! أسمع!) فقال: (يابن أخي إن جئت إنّما تريد بما جئت من هذا القول مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد شرفاً، شرّفناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد مُلكاً، مَلَّكنَاك، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه، ولا تستطيع أن تَرُدَّه عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه، فإنَّه ربما غلب التابع على الرجل حتى

[1] سورة فصلت، الآيات:١-٢

[2] سورة فصلت، الآية:١٣

[3] تقدم تخريجه، ص (٤١)

[4] أي: أوسطنا نسباً كما تقدم

يداوى منه، ولعل هذا الذي تأتي به شعر جاش به صدرك فإنكم لعمري، يا بني عبد المطلب، تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد) حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه. قال رسول الله ﷺ: (أفرغت يا أبا الوليد؟) قال: (نعم) قال: (فاسْتَمِعْ منِّي) قال: (أفعل) فقال رسول الله ﷺ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾[1] فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه، فلما سمعها عتبة أنصت له وألقى بيده خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: (قد سمعت، يا أبا الوليد، ما سمعت، فأنت وذاك) فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض يحلف بالله: (لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به!) فلما جلس إليهم قالوا: (ما وراءك يا أبا الوليد؟) فقال: (ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت لمثله قط والله، ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا الكهانة! يا معشر قريش! أطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله! ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فمُلْكُه مُلْكُكُم وعِزُّه عِزُّكم وكنتم أسعد الناس به) قالوا: (سحرك – والله، يا أبا الوليد – بلسانه!) فقال : (هذا رأي لكم فاصنعوا ما بدا لكم)[2]

١٢– عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قول الله تعالى ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾[3] قال غلبت، وغلبت. كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم ؛ لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (أما إنهم سيغلبون). قال: فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: (اجعل بيننا وبينك أجلاً ؛ فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا ؛ فجعل أجلاً خمس سنين ، فلم يظهروا، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: (ألا جعلته إلى دون؟) قال: (أراه) قال: (العشر) قال سعيد

---

[1] سورة فصلت، الآيات: ١–٣

[2] تقدم تخريجه، ص (٤٢)

[3] سورة الروم، الآيات: ١–٣

بن جبير: والبضع ما دون العشر، قال ثم ظهرت الروم بعد، قال فذلك قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ إلى قوله ﴿ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾[1]

١٣- وفي رواية: لما نزلت ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾[2]، فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم ؛ لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قول الله تعالى ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾[3] فكانت قريش تحب ظهور فارس ؛ لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث ، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ . قال ناس من قريش لأبي بكر: (فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارسا في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟) قال: (بلى) وذلك قبل تحريم الرهان، فارهن أبو بكر والمشركون، وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: (كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين؟ فسمِّ بيننا وبينك وسطاً تنتهي إليه)، قال: (فسموا بينهم ست سنين) قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير[4]

١٤- قالت أم سلمة – رضي الله عنها – في حديثها في الهجرة إلى الحبشة:
...فقال له[5] النجاشي: (هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟). قالت: فقال له جعفر: (نعم)، فقال له النجاشي: (فاقرأه عليّ)، فقرأ عليه صدراً من ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾. قالت:

---

[1] سورة الروم:٤-٥، والحديث تقدم تخريجه ص (٥٤)

[2] سورة الروم، الآيات: ١-٤

[3] سورة الروم، الآيات:٤-٥

[4] تقدم تخريجه ص (٥٤)

[5] أي: لجعفر بن عبد المطلب، وقدمت ترجمته (ص١١٣)

فبكى والله النجاشي حتى اخضل[1] لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثمّ قال النجاشي: (إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة)[2]

١٥- قصة إسلام أبي ذر[3] ﷺ، وفيه: ..فقال أنيس – أخو أبي ذر: (إنّ لي حاجة بمكة، فاكفني، فانطلق أنيس حتى أتى مكة، فراث[4] عليّ ثم جاء، فقلت: (ما صنعت؟)

قال: (لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله)، قلتُ: (فما يقول الناس؟)، قال: (يقولون شاعر، كاهن، ساحر)، وكان أنيس أحد الشعراء

قال أنيس: (لقد سمعتُ قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر، فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون)[5]

١٦- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما، قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ بمكة قال لأخيه: (اركب إلى هذا الوادي، فَاعْلَم لي عِلم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فَاسمَع من قوله، ثم ائتني)، فانطلق الآخر حتى قدم مكة، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر)[6]

---

[1] اخضل لحيته، أي: بلّها بالدموع. انظر: النهاية (٤٣/٣)

[2] تقدم تخريجه، ص (١١٩)

[3] هو: أبو ذر الغفاري، الصحابي الجليل، الزاهد المشهور، اختُلف في اسمه واسم أبيه والمشهور أنّه جندب بن جنادة، أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد ﷺ. قال فيه رسول الله ﷺ: (يرحم الله أبا ذر، يعيش وحده، ويموت وحده، ويحشر وحده)، وصدق النبي ﷺ حيث مات أبو ذر وحده بالربذة عام (٢٣هـ) بعدما نفاه عثمان ﷺ، وصلّى عليه ابن مسعود ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٦/٢)، الإصابة (١٢٥/٧)

[4] أي: أبطأ. شرح صحيح مسلم (٢٤٦/١٦)

[5] رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب من فضئل أبي ذر ﷺ (صحيح مسلم مع شرح النووي:٢٤٦/١٦ رقم ٦٣٠٩)

[6] رواه البخاري في كتاب المناقب، باب قصة زمزم (صحيح البخاري مع فتح الباري:٦٣٥/٦ رقم ٣٥٢٢)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضئل أبي ذر ﷺ (صحيح مسلم مع شرح النووي:٢٥٠/١٦-٢٥١ رقم ٦٣١٢)

التعليق:

القرآن الكريم أعظم الآيات التي أيّد الله بها نبينا محمداً ﷺ

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي – رحمه الله تعالى: (القرآن العظيم أكبر البراهين والأدلّة الدالة على وحدانية الله وكماله)[1]

وهو الّذي تحدّى الله به الإنس والجن، كما قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[2]

وجاء ذكر إعجاز القرآن في السنة النبوية المطهرة، فقال رسول الله ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الّذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة)[3]

قال الحافظ ابن حجر[4] رحمه الله: (ليس المراد حصر معجزاته فيه ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره)[5]

---

[1] الأدلة القواطع والبراهين (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي – القسم الخامس: الثقافة الإسلامية ٢/٣٥٠)

[2] سورة الإسراء: ٨٨

[3] رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي أول ما نزل (٦١٨/٧ رقم ٤٩٨١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد – صلّى الله عليه وسلّم (٣٦٣/٢ رقم ٣٨٣)

[4] هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين، من أئمة العلم ومن أشهر العلماء، أصله من عسقلان بفلسطين، ولد في القاهرة عام ٧٧٣هـ وأقبل على الحديث ورحل في طلب العلم حتى أصبح حافظ الإسلام في عصره، ولي قضاء مصر، ثم اعتزل. توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢هـ. انظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي

[5] فتح الباري (٦٢٢/٧)

ووجه كون القرآن أعظم معجزةً من غيرها من آيات الأنبياء أنّ تلك الآيات شاهدها من حضرها بخلاف معجزة القرآن فإن الناس يشهدون خرقه للعادة في أسلوبه، وبلاغته، وإخباره للمغيبات، وأحكامه الصالحة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة.[1]

والأخبار المكّية في إعجاز القرآن تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الأخبار الواردة في الإعجاز اللغوي في القرآن واعتراف المشركين به

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا النوع من الإعجاز القرآني: (نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، و لم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب؛ فإنّه ليس من جنس الشعر، ولا الرجز، ولا الخطابة، ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس؛ عربهم وعجمهم، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة، ليس له نظير في كلام جميع الخلق)[2]

والإعجاز اللغوي ظاهر في قصة سجود المشركين بعد سماعهم سورة النجم فـ(إنّ أولئك الكفّار لم يكونوا سمعوا كلام الله من قبل ذلك، لأنّ أسلوبهم المتواصل كان هو العمل بما تواصى به بعضهم بعضاً، من قولهم ﴿ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[3] فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة، وقرع آذانهم كلام إلهي رائع خلاب – لا يحيط بروعته وجلالته البيان – تفانوا عما هم فيه، وبقي كل واحد مصغياً إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب ثم قرأ ﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾[4] ثم سجد، لم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجداً،

---

[1] انظر: فتح الباري (٦٢٢/٧)

[2] الجواب الصحيح (٢٥٣/٣)

[3] سورة فصلت: ٢٦

[4] سورة النجم: ٦٢

وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين)[1]

كما يظهر هذا النوع من الإعجاز القرآني في قصة نزول القرآن في الوليد بن المغيرة، وفي قصة مخاصمة عتبة بن ربيعة ففيهما عدم قدرة المشركين على معارضة القرآن وعجزهم في وصفه، أو ترَدّدهم فيه، مع أنه بلسانهم لا يخرج عن وجوه فصاحتهم وأساليب بيانهم، فتارةً وَصَفُوه بأنّه قول كاهن، وتارة بأنّه وسوسة المجنون، وتارة بأنّه شِعْر، وتارة بأنه سحر، لا يثبتون على شيء، لأنهم علموا أنّه ليس كما يقولون، وما كان لهم ليغفلوا عن صفة الشعر، ولا غيره من وجوه كلام العرب، وهم يومئذ في القمة في ذلك نثراً ونظماً، وإنّما شأنهم شأن من قال الله فيهم: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا ﴾ [2]

فالمشركون كانوا معترفين في أنفسهم بالإعجاز اللغوي في كتاب الله ﷻ، وإنّما أظهروا المخالفة ظلماً واستكباراً.

وقصة إسلام أبي ذر ﵁ أيضاً من الشواهد على الإعجاز اللغوي في القرآن، لردّ أخي أبي ذر — الّذي كان خبيراً بالشعر وكلام العرب - على المشركين على زعمهم أنّ ما جاء به النبي ﷺ شعر وكلام الكهنة

القسم الثاني: الأخبار الواردة في الإعجاز الإخباري

الإعجاز الإخباري في القرآن (هو ما تضمنّه القرآن من الأنباء)[3]، ويُلاحظ في قصة نزول سورة المسد، وفي قصة نزول سورة الروم.

---

(١) الرحيق المختوم للمباركفوري، ص (98)

(٢) سورة النمل: ١٣-١٤. وانظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله بن يوسف الجديع (ص٢٠)

(٣) المقدمات الأساسية في علوم القرآن (ص٢٣)

أمّا سورة المسد ففيه الإخبار عن مآل أبي لهب وامراته، وأنّهما يدخلان نار جهنّم، وهذا يتضمّن الإنباء بعدم إسلامهم، وبموتهم على الكفر، وقد تحقق مضمون هذا الخبر، فإنّ أبا لهب وامرأته لم يُسلِما وماتا على الكفر، و لم يعلم النبي ﷺ مآلهما حال نزول السورة، وهذا يدل على أنّ القرآن من عند الله، ويدلّ على صدق النبوة، وعلى صدق كل ما جاء به رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير – رحمة الله عليه: (قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة، فإنه منذ نزل قوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ﴾ [1]، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان، لم يقيض لهما أن يؤمنا، ولا واحد منهما، لا باطناً ولا ظاهراً، لا مسراً ولا معلناً، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة)[2]

وأما نزول أوّل سورة الروم، ففيه – أيضاً – الإخبار عن شيء قبل وقوعه في عهد النبي ﷺ فإنّما أخبرت به هذه الآيات – وهو انتصار الروم على الفرس – تحقق، وهذا يدل على أنّ القرآن من عند الله، وأنّ نبوة محمد ﷺ، وما جاء به حق.

القسم الثالث: الأخبار في الإعجاز التشريعي في القرآن

(الإعجاز التشريعي) يكمُنُ فيما أودع الله في كتابه من [الأحكام] التي تشهد في استقامتها وعدلها وصلاحها لكل زمان أنها من عند الله، وأن لا طاقة للخلق أن يوجدوا لها نظيراً، مهما بلغت العقول.

ذلك أنّ التشريع مبني على تحقيق مصالح العباد في الدارين، لا يحيط بتلك المصالح أحد من خلق الله[3]

---

(1) سورة المسد: ٣-٥

(2) تفسير ابن كثير (٥١٧/٨)

(3) المقدمات الأساسية في علوم القرآن لعبد الله بن يوسف الجديع ص (٢٨) مع تصرّف

ويظهر هذا النوع من الإعجاز القرآني في قصة إسلام عثمان بن مظعون، فإنّه عند سماعه لقول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ عَلِمَ أنّ ما جاء به محمد ﷺ يتضمن ما فيه صلاح العباد في الدنيا والآخرة، وأنّه الحق من عند الله فوقر الإيمان في قلبه ودخل في الإسلام.

ويتضح مما سبق أنّ الإعجاز في القرآن متنوع وليس منحصراً في نوع دون آخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والقرآن مما يعلم الناس؛ عربهم وعجمهم أنّه لم يوجد له نظير، مع حرص العرب وغير العرب على معارضته؛ فلفظه آية، ونظمه آية، وإخباره بالغيوب آية، وأمره ونهيه آية، ووعده ووعيده آية، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية)[1].

وقال الشيخ السعدي: (القرآن الكريم أكبر البراهين والأدلة الدالة على وحدانية الله وكماله، وصدق رسله، بأنواع إعجازه: ببلاغته وأسلوبه وتأثيره، وإخباره بالغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة، واتفاقه وعدم اختلافه، وتشريعه، وإصلاحه جميع ما يحتاجه البشر، وأنه على اتساع علوم الطبيعة والعلوم العصرية لم يأت علم صحيح ينقض شيئاً من أصوله، وإخباره بعلوم لم تكن موجودة وقت تنزيله، وكون الذي أتى به لم يكن يقرأ كتاباً ولا يخطه بيمينه ولا تعلّم من أحد، بل زكّى به العباد، وكمّل به الفضائل، وعلّمهم ما لم يكونوا يعلمون)[2]

ووجه دلالة معجزة القرآن على توحيد الربوبية أنّ القرآن إذا ثبت أنّه حق فقد ثبت صدق جميع ما أخبر به، لا سيما ما أخبر به القرآن في باب توحيد الله، ومما أخبر به في باب توحيد الله، الآيات الواردة في تقرير توحيد الربوبية، كقول الله تعالى: ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[3]

---

[1] كتاب النبوات (٥١٦/١)

[2] الأدلة القواطع والبراهين (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي – القسم الخامس: الثقافة الإسلامية ٣٥٠/٢)

[3] سورة فاطر: ٣

وقوله تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [1]

وقوله ﷻ: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [2]

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [3]

ومن وجه آخر: معجزة القرآن الكريم إذا كانت دليلاً على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ، فإنّها دليل على صدق جميع ما دعا إليه، لأنّ الآيات التي تُثبِت النبوة توجب قبول ما دعا إليه النبي، وقد تقدّم قول الخطابي في هذا المعنى [4]، وأهمّ ما دعا إليه رسول الله ﷺ هو توحيد الله ﷻ، الذي يتضمن توحيد الربوبية، فالقرآن الكريم من أعظم الأدلّة على توحيد الربوبية.

ثانياً: ما جاء في شهادة الكتب المتقدمة لنبوة نبينا محمد ﷺ، وإنباء الأنبياء والرسل الذين جاؤوا قبله عليهم السلام ببعثته ﷺ وبشائر أهل الكتاب بها، وفي ذلك:

١-قصة رحلة رسول الله ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه [5]، قال: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت، قال: فهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ قال: (هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين)، فقال له أشياخ من قريش: (ما عَلَّمَك؟) فقال: (إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة). ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما

---

[1] سورة الملك: ١

[2] سورة الأعراف: ٥٤

[3] سورة يونس: ١٠٧

[4] انظر: ص (١٢٨)

[5] تقدمت ترجمته، (ص١١٣)

أتاهم به وكان هو في رعية الإبل قال: (أرسلوا إليه)، فأقبل وعليه غمامة تظله. فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة. فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه، فألتفت فإذا بسبعة قد أقبلوا من الروم، فاستقبلهم فقال: (ما جاء بكم؟) قالوا: (جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس، وإنا قد أخبرنا خبره بعثنا إلى طريقك هذا). فقال: (هل خلفكم أحد هو خير منكم؟) قالوا: (إنما اخترنا خيرة لك لطريقك هذا). قال: (أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟) قالوا: (لا). قال: (فبايعوه وأقاموا معه). قال: (أنشدكم الله أيكم وليه؟) قالوا: (أبو طالب)، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا وزوده الراهب من الكعك والزيت.[1]

٢- وفي رواية: لما خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه رسول الله ﷺ في المرة الأولى، وهو ابن أثنتي عشرة سنة، فلما نزل الركب بصرى من الشام، وبها راهب يقال له: (بحيرا) في صومعة له، وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن

---

[1] رواه الترمذي في أبواب المناقب عن رسول الله، باب بدء نبوة النبي ﷺ(٥/٥٩٠ رقم ٣٦٢٠)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٧/٧)، والحاكم (٦٧٢/٢). واختلف العلماء في صحة هذا الحديث فقد حسنه الترمذي فقال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه"، وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي، وصححه ابن حجر في الإصابة (١٧٩/١) سوى ذكر أبي بكر وبلال ونبّه على الاحتمال أنه مدرج ومنقطع من حديث آخر، كما صححه الشيخ الألباني في تحقيق المشكاة (رقم ٥٨٦١) وتحقيقيه لفقه السيرة لمحمد الغزالي ص (٦٨) مع تضعيفه لذكر أبي بكر وبلال، وحسنه الشيخ مقبل في الصحيح المسند (٨٢٨)، وقال: (ذكر أبي بكر وبلال في الحديث وهم)، وصححه الشيخ عبد القادر وشعيب الأرنؤوط في تخريجهما أحاديث زاد المعاد (٧٥/١)، وقد ضعّفه الذهبي في السيرة النبوية (٥٨/١-٥٩) وابن كثير في البداية والنهاية (٣٠٧/٢-٣٠٩).

والّذين ضعّفوا الحديث غالب اعتمادهم في تضعيفهم على ورود ذكر أبي بكر وبلال لأنّ أبا بكر أصغر من رسول الله بسنتين ونصف وأما بلال فإنّ أبابكر لم يشتره إلاّ بعد المبعث، ولعلّه لم يكن موجوداً في ذلك الوقت، ويحتمل أن تكون هذه اللفظة المنكرة مدرجة ومنقطعة من حديث آخر كما قال الحافظ ابن حجر.

كتاب يدرسونه، فلما نزلوا بحيرا وكان كثيراً ما يمرون به لا يكلمهم حتى إذا كان ذلك العام، ونزلوا منزلاً قريباً من صومعته قد كانوا ينزلونه قبل ذلك كلما مروا، فصنع لهم طعاماً ثم دعاهم ، وإنّما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ، من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة واخضلت[1] أغصان الشجرة على النبي ﷺ حين أستظل تحتها، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فأتي به وأرسل إليهم فقال: (إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، وأنا أحب أن تحضروه كلكم، ولا تخلفوا منكم صغيراً ولا كبيراً حراً ولا عبداً فإن هذا شيء تكرموني به)، فقال رجل: (إن لك لشأناً يا بحيرا! ما كنت تصنع بنا هذا، فما شأنك اليوم؟) قال: (فإني أحببت أن أكرمكم ولكم حق)، فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه، ليس في القوم أصغر منه في رحالهم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده، وجعل ينظر ولا يرى الغمامة على أحد من القوم، ويراها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ، قال بحيرا: (يا معشر قريش، لا يتخلفن منكم أحد عن طعامي)، قالوا: (ما تخلف أحد إلا غلام هو أحدث القوم سناً في رحالهم)، فقال: (ادعوه فليحضر طعامي، فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع أني أراه من أنفسكم) فقال القوم: (هو والله أوسطنا نسباً، وهو ابن أخي هذا الرجل – يعنون أبا طالب– وهو من ولد عبد المطلب). فقال الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف: (والله، إن كان بنا للؤم أن يتخلف ابن عبد المطلب من بيننا)، ثم قام إليه فاحتضنه[2] وأقبل به حتى أجلسه على الطعام، والغمامة تسير على رأسه، وجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها عنده من صفته، فلما تفرقوا عن طعامهم قام إليه الراهب فقال: (يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك)، فقال رسول الله ﷺ: (لا تسألني باللات والعزى، فوالله، ما أبغضت شيئاً بغضهما)، قال: (فبالله، إلا أخبرتني عما أسألك عنه) قال: (سلني عما بدا لك). فجعل يسأله عن أشياء من حاله حتى نومه، فجعل رسول الله ﷺ يخبره

---

[1] اخضلت أي: كَثُرت. انظر: النهاية (٢/٤٣)

[2] احتضنه، أي: حمله في جنبه. انظر: النهاية (١/٤٠٠)

فيوافق ذلك ما عنده، ثم جعل ينظر بين عينيه، ثم كشف عن ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده. قال: فقبل موضع الخاتم، وقالت قريش: (إن لمحمد عند هذا الراهب لقدراً) وجعل أبو طالب لما يرى من الراهب يخاف على بن أخيه، فقال الراهب لأبي طالب: (ما هذا الغلام منك؟)، قال أبو طالب: (ابني)، قال: (ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً). قال: (فابن أخي). قال: (فما فعل أبوه؟) قال: (هلك، وأمّه حبلى به). قال: (فما فعلت أمه؟) قال: (توفيت قريباً). قال: (صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلده، وأحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف، لَيَبْغُنَّهُ عَنَتاً[1]، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا وما روينا عن آبائنا، واعلم أني قد أديت إليك النصيحة). فلما فرغوا من تجاراتهم خرج به سريعاً، وكان رجال من يهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفته، فأرادوا أن يغتالوه، فذهبوا إلى بحيرا فذاكروه أمره فنهاهم أشد النهي، وقال لهم: (أتجدون صفته؟) قالوا: (نعم)، قال: (فما لكم إليه سبيل). فصدقوه وتركوه ورجع به أبو طالب فما خرج به سفراً بعد ذلك خوفاً عليه.[2]

٣- في قصة بحث زيد بن عمرو بن نفيل عن دين الحق: فقال لي حبر من أحبار الشام: (أتسأل عن دين ما تعلم أحداً يعبد الله به إلا شيخاً بالجزيرة؟) فخرجت فقدمت عليه، فأخبرته بالذي خرجت له، فقال: (إن كل من رأيت في ضلال، إنك تسأل عن دين هو دين الله، ودين ملائكته، وقد خرج في أرضك نبي أو هو خارج يدعو إليه، ارجع إليه فصدقه واتبعه، وآمن بما جاء به، فلم أُحِسَّ نبياً بعد)[3]

٤- أن زيد بن عمرو، وورقة بن نوفل خرجا يلتمسان الدين حتى انتهيا إلى راهب بالموصل فقال لزيد بن عمرو: (من أين أقبلت يا صاحب البعير؟) قال: (من بيت إبراهيم)

---

[1] عند ابن إسحاق: (ليبغُنَّه شرّاً). والبُغاء بمعنى: الطلب، ويتعدّى إلى مفعولين، والعنت بمعنى: المشقة، والفساد، والضر، فيكون المعنى: ليطلُبُنّ له ضراً، وشراً. انظر: النهاية: (١٤٣/١)، (٣٠٦/٣)، وغريب الحديث لابن قتيبة (٦٧٤/٣)

[2] تقدم تخريجه، ص (١١٧)

[3] تقدم تخريجه، ص (٩٣)

قال: (وما تلتمس؟) قال: (ألتمس الدِّين). قال: (ارجع فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك)[١]

٤- قصّة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال:كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها: (جَيّ)[٢]، وكان أبي دهقان[٣] قريته، وكنت أَحَبُّ خلق الله إليه، فلم يزل به حُبُّه إياي حتى حبسني في بيته — أي: ملازم النار - كما تُحبس الجارية، وأجهدت[٤] في المجوسية حتى كنت قَطِن[٥] النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة. قال: وكانت لأبي ضيعة عظيمة. قال: فشغل في بنيان له يوماً فقال لي: (يا بني، إنّي قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطَّلِعْها)، وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخَرَجتُ أريد ضيعَتَه، فمَرَرتُ بكنيسة من كنائس النصارى، فسَمِعتُ أصواتهم فيها وهم يُصَلُّون، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم انظر ما يصنعون. قال: فلما رأيتهم، أعجبني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي و لم آتها، فقلت لهم: (أين أَصْلُ هذا الدين؟) قالوا: (بالشام). قال: ثم رجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشَغَلْتُهُ عن عمله كله. قال: فلما جئته قال: (أي بنِ، أين كنتَ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت؟) قال: قلت: (يا أَبَتِ مررت بناس يُصَلُّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس)، قال: (أي بنِ، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه)، قال: قلت: (كلا والله انه خير من ديننا)، قال: فخافني فجعل في رجلي قيداً، ثم حبسني في بيته. قال: وبَعَثتُ إلى النصارى، فقلت لهم: (إذا قَدِمَ عليكم ركب من الشام تجار من النصارى

---

[١] تقدم تخريجه، ص (٩٥)

[٢] اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة. انظر: معجم البلدان (٢٠٢/٢)

[٣] دُهقان: شيخ القرية العارف بالفلاحة، وما يصلح الأرض من الشجر، يلجأ إليه في معرفة ذلك. انظر: سبل الهدى والرشاد (١٣١/١)

[٤] عند ابن إسحاق: (اجتَهَدْتُ). انظر: ابن هشام (٢٠٩/١)

[٥] قَطِن النار، أي: خازنها وخادمها. أراد أنه كان لازماً لها لا يُفارِقُها مِن: قَطَن في المكان إذا لَزِمه. النهاية (٨٥/٤)

فأخبروني بهم). قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى. قال: فأخبروني بهم، قال: فقلت لهم: (إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم، فآذنونى بهم). قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبَرُوني بهم، فألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: (من أفضل أهل هذا الدين؟) قالوا: (الأسقف في الكنيسة) قال: فجئته فقلت: (إنّى قد رغبت في هذا الدين، وأحببت ان أكون معك أخدمك في كنيستك، وأتعلم منك، وأُصَلِّى معك)، قال: (فادخل)، فدخلت معه. قال: فكان رجل سوء، يأمرهم بالصدقة ويُرَغِّبُهُم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء، اكْتَنَزَه لنفسه، و لم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق. قال: وأبْغَضتُهُ بُغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: (إنّ هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جِئتُموه بها، اكْتَنَزَها لنفسه و لم يعط المساكين منها شيئاً)، قالوا: (وما علمك بذلك؟) قال: قلت: (أنا أدُلُّكُم على كِنْزِه)، قالوا: (فَدُلَّنَا عليه)، قال: فأرَيتُهم موضعه. قال: فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً. قال فلما رأوها قالوا: (والله، لا ندفنه أبداً)، فصَلَبُوه، ثم رجموه بالحجارة، ثم جاؤوا برجل آخر، فجعلوه بمكانه. قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلاً، لا يصلي الخمس، أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أَدْأَبَ ليلاً ونهاراً منه، قال: فأحببته حباً لم أُحِبُّه من قَبلِه، وأقمت معه زماناً، ثم حَضَرَته الوفاة، فقلت له: (يا فلان، إنّي كنت معك، وأحببتك حباً لم أحبه من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من تُوصي بي؟ وما تأمرني؟) قال: (أي بنى، والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كُنتُ عليه، لقد هلك الناس وبَدَّلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلاّ رجلاً بالمَوْصِل، وهو فلان، فهو على ما كُنتُ عليه، فالحق به). قال: فلما مات وغُيِّب، لَحِقْتُ بصاحب الموصل، فقلت له: (يا فلان، إنّ فلاناً أوصاني عند موته أن ألْحَقَ بك، وأخبَرَني أنّك على أمره)، قال: فقال لي: (أقم عندي)، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: (يا فلان، إنّ فلاناً أوصَى بي إليك وأمَرَني باللحوق بك، وقد حضرك من الله ﷻ ما ترى، فإلى من تُوصي بي؟ وما تأمرني؟)

قال: (أي بنى، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كُنّا عليه إلاّ رجلاً بِنصِيبِينَ[1] وهو فلان، فالْحَق به). قال: فلما مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب نَصِيبِينَ، فجئتُه فأخبرتُه بخبري وما أمرني به صاحبي، قال: (فأقِم عندي)، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر، قُلتُ له: (يا فلان، إنّ فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من تُوصي بي؟ وما تأمرنى؟)، قال: (أي بنى، والله ما نعلم أحداً بقى على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية[2]، فإنّه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببت فَأْتِه)، قال: (فإنّه على أمرنا) قال: فلما مات وغُيِّبَ لحقت بصاحب عمورية، وأخبرْتُه خبري، فقال: (أقم عندي)، فأقمت مع رجل على هدى أصحابِه وأمْرِهِم. قال: واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، قال: ثم نزل به أمر الله فلما حضر، قلت له: (يا فلان، إنى كنت مع فلان، فأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وما تأمرني؟ قال: (أي بنى، والله ما أعلمه أَصْبَحَ على ما كُنَّا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي، هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، مهاجراً إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تَلحَقَ بتلك البلاد فافعل). قال: ثم مات وغُيِّبَ، فمكثتُ بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مَرَّ بي نفر من كَلْبٍ تُجّارا، فقلت لهم: (تحملونى إلى أرض العرب، وأعطيكم بقراتي هذه، وغنيمتي هذه)، قالوا: (نعم)، فأعْطَيْتُهُمُوها، وحملوني حتى إذا

---

[1] مدينة في أقصى شمال الجزيرة الفراتية على الحدود بين تركيا وسوريا، والحدود تحوزها اليوم إلى تركيا، تجاوز مدينة القامشلي السورية ليس بينهما غير حد، نصيبين شماله، والقامشلي جنوبه، ويمر فيهما أحد فروع نهر الخابور، وكانت نصيبين من المدن العامرة ذات البساتين الغناء. معجم معالم الجغرافية، ص (٣١٩)

[2] كانت مدينة عظيمة للروم في هضبة الأناضول وسط تركيا، فتحها الخليفة المعتصم سنة ٢٢٣هـ، ...ولم يبق اليوم منها سوى آثار. معجم معالم الجغرافية، ص (٢١٧)

قَدِمُوا بي وادي القرى[1] ظلموني، فباعوني من رجل من يهود عبداً، فكنت عنده، ورأيت النخل، ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يَحِقَّ لي في نفسي، فبينما أنا عنده، قدم عليه ابن عم له من المدينة من بنى قريظة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ما هو الا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر إلى المدينة.[2]

٥- وعنه ﷺ قال: خرجتُ أبتغي الدِّين، فوافقتُ في الرهبان بقايا أهل الكتاب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[3] وكانوا يقولون: هذا زمان نبي قد أظلّ، يخرج من أرض العرب له علامات، من ذلك شامة مدورة، بين كتفيه خاتم النبوة.[4]

٦- وفي رواية: خرجتُ إلى الشام في طلب العلم، فدُلِلتُ على راهبٍ، فسألتُهم عن النّبيّ ﷺ فقالوا: (قد بلغنا أنّ نبياً قد ظهر بأرض تِهامَةَ فإن كان يقبل الهدية)[5]

٧- عن سلمة بن سلامة بن وقش[1]، وكان من أصحاب بدر، وقال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ

---

[1] هذا الوادي في نواحي بلدة العلا في الغرب من تيماء وتبوك، وكانت قديماً مع الحجر وخباب، ونزلها اليهود وفتحها النبي ﷺ سنة (٧هـ) عنوة بعد أن فرغ من خيبر، ثم صولحوا على الجزية. معجم البلدان (٣٣٨/١، ٣٤٥)

[2] رواه أحمد (٤٤١/٥-٤٤٤)، وابن إسحاق (طريق يونس بن بكير ص٦٦، سيرة ابن هشام: ص ٢٠٩-٢١٤)، والحاكم (١٦/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وحسّن إسناده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٦٠/٢ رقم ٨٩٤)

[3] سورة البقرة: ١٤٦

[4] الطبراني في الكبير (٣٢٨/٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤١/٨): (رجاله ثقات)، وقال الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي (ص٣٨٨) بعد تعقبه على قول الهيثمي: (ولكن الحديث ثابت قد تقدم معناه من وجوه أخر عن سلمان).

[5] الطبراني في الكبير (٢٧٩/٦)، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٨٦٩/٢). قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٣٨/١): (إسناده صالح)، وقال محقق بغية الباحث: (رجال الإسناد كلّهم ثقات)، وهكذا نص الرواية، لم يذكر فيها جواب (فإنّ)

بيسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل. قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سِنّاً على بُردِة مضطجعاً فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال ذلك لقوم أهل شرك، أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت، فقالوا له: (ويحك يا فلان، ترى هذا كائناً أنّ الناس يبعثون بعد موهم، إلى دار فيها جنة ونار؟ يجزون فيها بأعمالهم؟) قال: (نعم، والذي يُحلَف به، لَوَدَّ إن له بِحَظِّهِ من تلك النار أعظم تَنُّور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه، وأن ينجو من تلك النار غداً) فقالوا له: (ويحك وما آية ذلك؟) قال: (نبي يبعث من نحو هذه البلاد)، وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: (ومتى تراه؟) قال: فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سِنّاً، فقال: (إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه) قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسول الله ﷺ وهو حي بين أظهرنا، فآمنّا به، وكفر به بغياً وحسداً، فقلنا: (ويلك يا فلان، ألست بالذي قلتَ لنا فيه ما قلت؟) قال: (بلى، وليس به)[٢]

٨- عن عاصم بن عمر بن قتادة[٣] عن شيخ من بني قريظة قال :قال لي: (هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد[٤]، نفر من بني هدل، إخوة من بني قريظة، كانوا معهم في جاهليتهم، ثم كانوا سادقم في الإسلام. قال: قلت: (لا، والله)، قال: فإن رجلاً من يهود من أهل الشام، يقال له : ابن الهيبان، قدم علينا قبيل الإسلام بسنين، فحل بين أظهرنا. لا والله، ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس

---

[١] هو: سلمة بن سلامة بن وقش، أبو عوف الأنصاري الأشهلي، شهد العقبة الأولى والثانية وشهد بدراً والمشاهد بعدها، ومات بالمدينة عام (٤٥هـ). انظر: الإصابة (١٤٨/٣)

[٢] رواه الإمام أحمد في المسند (٤٦٧/٣)، والحاكم في المستدرك (٤٧١/٣)، وابن إسحاق (سيرة ابن هشام ٢٠٧-٢٠٨)، وصحّحه الحاكم وأقرّه الذهبي، وحسّنه الشيخ مقبل في الصحيح المسند (٤٤٣)

[٣] هو: عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان، أبو عمر الظَّفَرِي الأنصاري، جدّته رميثة الصحابية، وكان جدّه من فضلاء الصحابة، وهو الّذي ردّ النبي ﷺ عينه فعادت بإذن الله كما كانت. توفي عاصم سنة (١٢٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٤٠/٥)

[٤] رجال أسلموا من اليهود في عهد النبي ﷺ، ويقال لأسيد بن سعية: أسد بن سعية. انظر: الإصابة (٥٢/١، ٨٠، ٤٠٣)

أفضل منه، فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له: (اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا)، فيقول: (لا والله، حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة)، فنقول له: (كم؟)، فيقول: (صاعاً من تمر، أو مُدَّين من شعير). قال: (فنُخرجها)، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا، فيستسقي الله لنا . فوالله، ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ونسقى، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث .

قال: ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت، قال: (يا معشر يهود، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع؟) قال: قلنا: (إنك أعلم)، قال: (فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبى قد أظل زمانه، وهذه البلدة مهاجره، وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود، فإنه يبعث بسفك الدماء، وسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه)، فلما بُعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قريظة، قال هؤلاء الفتية، وكانوا شباباً أحداثاً: (يا بني قريظة، والله، إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيبان)، قالوا: (ليس به)، قالوا: (بلى والله، إنه لهو بصفته، فنزلوا وأسلموا، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم .[1]

٩- وعنه، عن رجل من قومه: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال اليهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٠٨-٢٠٩)، وقد حسّن إسناده الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي (ص٤٠٤)

من البقرة : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [١]

١٠- في حديث عمرو بن عبسة[٢]: (رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها آلهة باطلة يعبدون الحجارة – والحجارة لا تضر ولا تنفع) قال : (فلقيت رجلا من أهل الكتاب فسألته عن أفضل الدين ؟ فقال : (يخرج رجل من مكة ويرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها وهو يأتي بأفضل دين فإذا سمعت به فاتبعه) فلم تكن لي همة إلا مكة آتيها أسأل : (هل حدث بها أمر؟) فيقولون : (لا وأنصرف إلى أهلي) – وأهلي من الطريق غير بعيد – فاعترض الركبان خارجين من مكة فأسالهم : (هل حدث فيها خبر أو أمر ؟) فيقولون : (لا) فإني لقاعد على الطريق إذ مر بي راكب فقلت : (من أين جئت؟) قال : (من مكة) قلت : (هل حدث فيها خبر ؟) قال : (نعم، رجل رغب عن آلهة قومه ودعا إلى غيرها) قلت: (صاحبي الذي أريد) فشددت راحلتي فجئت منزلي الذي كنت أنزل فيه فسألت عنه فوجدته مستخفيا شأنه ووجدت قريشا عليه جراء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسلمت عليه ثم قلت له : (ما أنت؟) قال : (نبي) قلت : (وما النبي؟) قال : (رسول الله) قلت : (ومن أرسلك ؟) قال: (الله) قلت: (بماذا أرسلك؟) قال: (أن تصل الأرحام وتحقن الدماء وتؤمن السبل وتكسر الأوثان وتعبد الله وحده لا تشرك به شيئا) قال: (قلت: (نعم ما أرسلك به أشهد أني قد آمنت بك وصدقت فأمكث معك؟ أو ما ترى؟) قال : (قد ترى كراهية الناس لما جئت به فامكث في أهلك فإذا سمعت بي خرجت مخرجا فاتبعني) [٣]

---

[١] البقرة، الآية ٨٩، والحديث في السيرة النبوية لابن هشام (٢٠٧/١)، وتفسير الطبري (٤١١/١)، وقد حسّنه الشيخ مقبل في الصحيح المسند من أسباب النزول (٢٦)، وفي تخريجه أحاديث تفسير ابن كثير (٢٣٢/١)

[٢] تقدمت ترجمته، ص (٩٧)

[٣] رواه الآجرّي في كتاب الشريعة (١٤٤٨/٣)، وحسّن إسناده الدكتور عبد الله الدميجي – محقق الكتاب، وحسّنه الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي (ص٤١٥)

١١- عن عبد الله بن مسعود قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النّجاشي ونحن نحوٌ من ثمانين رجلاً، منهم: عبد الله بن مسعود، وجعفر، وعبد الله بن عُرْفُطَة، وعثمان بن مظعون، وأبو موسى. فأتوا النجاشي، وبعثَت قريش عَمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بهدية، فلمّا دخلا على النجاشي سَجَدا له، ثمّ ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثمّ قالا له: إنّ نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك، ورغبوا عنا وعن ملتنا. قال: فأين هم؟ قالا: هم في أرضك، فابعث إليهم. فبعث إليهم. فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم. فاتبعوه فسلَّم و لم يسجد، فقالوا له ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنّا لا نسجد إلا لله ﷻ. قال: وما ذاك؟ قال: إنّ الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله عزّ وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة.

قال عمرو بن العاص: فإنّهم يخالفونك في عيسى بن مريم. قال: ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال عزّ وجل: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البَتُول، الّتي لم يمسها بَشَر و لم يفْرِضْها ولد. قال: فرفع عوداً من الأرض ثمّ قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه، ما يساوي هذا. مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الّذي نجد في الإنجيل، وأنّه الّذي بشر به عيسى بن مريم. انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه. وأمر بهدية الآخرَين فردت إليهما، ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدراً، وزعم أنّ النبي ﷺ استغفر له حين بلغه موته.[1]

١٢- في حديث أبي موسى ﷺ في الهجرة إلى الحبشة: قال جعفر: (لا نسجد إلا لله)، فقال له النجاشي: (وما ذاك؟)، قال: (إن الله بعث فينا رسوله وهو الرسول الذي بشر به عيسى برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة و تؤتي الزكاة وأَمَرَنا بالمعروف ونهانا عن المنكر).[2]

---

[1] رواه الإمام أحمد في المسند (٤٦١/١)، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٦٩/٣): (وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن)، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٢٨/٧)، والشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند (١٨٥/٦)

[2] تقدم تخريجه، ص (١١٤)

التعليق:

من الآيات التي أيّد الله بها رسول الله ﷺ، والّتي تدلّ على صدقه، وصدق ما جاء به من الإيمان بالله، والتوحيد، بشارة الكتب المتقدمة به ﷺ، وشهادتها لنبوته ﷺ، ووجود صفته ﷺ في هذه الكتب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: (ومما ينبغي أن يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة، أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد ﷺ إما شهادتها بنبوته، وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله، وهو حجة على أهل الكتاب وعلى غير أهل الكتاب من أصناف المشركين[1] الملحدين، كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾[2]

وقوله: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾[3]

وقوله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾[4]

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾[5]

وقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[6]

---

[1] ذكر المحقق زيادة واو العطف هنا في بعض النسخ

[2] سورة الشعراء: ١٩٧

[3] سورة يونس: ٩٤

[4] سورة الرعد: ٤٣

[5] سورة البقرة: ١٤٦، وسورة الأنعام: ٢٠

[6] سورة المائدة: ٨٣، ٨٤

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولاً ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ﴾ [1])[2]

وإذا كانت الكتب المتقدمة تشهد لنبوة محمد ﷺ فإنّها تشهد على صدق جميع ما دعا إليه، ويدخل في ذلك دخولاً أوّلياً، توحيد الله ﷻ الذي يتضمن انفراده بالربوبية.

والأخبار التي تقدم إيرادها تدلّ على أنّ خبر النبي ﷺ، كان موجوداً في كتب اليهود والنصارى، وأنّهم كانوا على علم بزمن مبعثه، ومكان مبعثه، وأنّهم وجدوا صفة رسول الله ﷺ مُطابقةً لصفة النبي المنتظر الموجودة في كتبهم، وهذا أحد أنواع آيات النبي ﷺ الدالّة على صدق نبوته، ويلزم من هذا أنها آيات على توحيد الربوبية، فإنّ تصديق نبوة النبي ﷺ يستلزم تصديق ما دعا إليه والإذعان له[3]، والنبي ﷺ دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، التي تتضمن الإقرار بتوحيد الربوبية.

وهذه الأخبار كما أنّها تضمنت آية أيّد الله بها نبينا محمد ﷺ، فإنّها تتضمّن آية أيّد الله بها موسى ﵇، وعيسى ﵇، ذلك أنّها تفيدنا بأنّ ذكر بعثة نبينا محمد ﷺ، كان موجوداً في التوراة الذي جاء به موسى ﵇، وفي الإنجيل الذي جاء به عيسى ﵇، وقد تحقق بمبعثه ﷺ خبرٌ في التوراة والإنجيل في مستقبل زمن نزولهما، وهذه آية على صدق نبوّة موسى ﵇، وعيسى ﵇، وصدق ما دعيا إليه، وكان دعوتهما إلى عبادة الله وحده، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[4]، والدعوة إلى إفراد الله بالعبادة تتضمن الدعوة إلى الإقرار بتوحيد الربوبية.

فالأخبار المكّية في شهادة الكتب المتقدمة لمحمد ﷺ بالرسالة من الشواهد على دلالة بعثة النبي ﷺ وآياته على توحيد الربوبية.

---

[1] سورة الإسراء: ١٠٧-١٠٩

[2] الجواب الصحيح (١١٨/٣)

[3] انظر: النقل عن الخطابي في هذا المعنى، ص (١٢٨)

[4] سورة النحل: ٣٦

ثالثاً- ما ورد في صفات النبي ﷺ الخِلقِيّة والخُلُقِيّة (الآيات التي أيّد الله بها رسول الله ﷺ في نفسه)، وفي ذلك:

أ- ما جاء في خاتم النبوة، وفي ذلك:

١- أنّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فَانْطَلَقتُ أنا وابن لها في بَهْمٍ لنا، ولم نأخذ معنا زاداً، فقلت: (يا أخي، اذهب فَأْتِنا بزاد من عند أُمِّنا)، فانطلق أخي، ومكثت عند البَهْم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: (أهو هو؟). قال الآخر: (نعم)، فأقبلا يَبْتَدَرَاني، فأخذاني، فبطحاني للقَفا، فَشَقّا بطني، ثم استخرجا قلبي فشَقَّاه، فأخرجا منه عَلَقَتَيْن سَوداوَيْنِ، فقال أحدهما لصاحبه: (إئتني بماء ثلج)، فغسل به جوفي، ثم قال: (إئتني بماء بَرَدٍ)، فغسل به قلبي، ثم قال: (إئتني بالسكينة)، فذَرَّه في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: (حُصْه)، فحاصه وختم عليه بخاتم النبوة، ثم قال أحدهما لصاحبه: (اجعله في كفة، واجعل ألفاً من أُمَّتِه في كفة) قال رسول الله ﷺ: فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أُشْفِقُ أن يَخِرَّ علَيَّ بَعضُهم، فقال: (لو أن أُمَّتَه وزنت به لمال بهم)، ثم انطلقا فتركاني. قال رسول الله ﷺ: وفَرِقْتُ فَرَقاً شديداً، ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتُها بالذي لقيت، فأشفَقَتْ أن يكون قد الْتُبِسَ بي، فقالت: (أعيذك بالله)، فرَحَّلَتْ بعيراً لها، فجَعَلَتْني على الرَّحْلِ، و رَكِبَت خلفي، حتى بَلَغْنا إلى أُمِّي، فقالت: (أَدَّيتُ أمانتي وذِمَّتي، وحَدَّثَتها بالذي لَقيتُ، فلمْ يُرِعْها ذلك، وقالت: (إني رأيت خرج مِنِّي — يعني: نوراً - أضاءت منه قصور الشام)[1]

٢- وعن أبي ذر ﷺ قال: قلتُ: يا رسول الله، كيف علمت أنك نبي أول ما علمت، حتى علمت ذلك واستيقنت؟ قال: (يا أبا ذر، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء

---

[1] تقدم تخريجه، ص (١١٤)

مكة[1] فوقع أحدهما في الأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: (أهو هو؟) قال: (هو هو)، قال: (فزنه برجل)، فوزنت برجل فرجحته، ثمّ قال: (زنه بعشرة)، فوزنني بعشرة فرجحتهم، ثم قال: (زنه بمائة)، فوزنني بمائة فرجحتهم، ثم قال: (زنه بألف) فوزنني بألف فرجحتهم، فجعلوا ينتثرون عليّ من كفة الميزان، فقال أحدهما للآخر: (لو وزنته بأمّته رجحها)، ثم قال أحدهما لصاحبه: (شق بطنه)، فشق بطني، ثمّ قال أحدهما: (أخرج قلبه) - أو قال: (شق قلبه) — فشق قلبي فأخرج منه مغمز[2] الشيطان وعلق الدم، فطرحها، ثمّ قال أحدهما للآخر: (اغسل بطنه غسل الإناء)، واغسل قلبه غسل الإناء — أو: (اغسل قلبه غسل المُلاَءَة[3]) - ثم دعا بالسكينة كأنها وجه هرة بيضاء، فأدخلت قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: (خط بطنه)، فخاط بطني، وجعلا الخاتم بين كتفي فما هو إلا أن وليا عني كأنما أعاين الأمر معاينة.[4]

٣- قول الراهب في قصة رحلة النّبي ﷺ إلى الشام مع أبي طالب: وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة. [5]

٤- وفي رواية لهذه القصة: ثم جعل ينظر بين عينيه ثم كشف عن ظهره، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضع الصفة التي عنده قال: فقبل موضع الخاتم.[6]

---

[1] البطحاء اسم يطلق على كل واد شقه السيل فجعل أرضه كالرمال، وكان البطحاء عَلَماً على جزء من وادي مكّة، هو: بين الحجون إلى المسجد الحرام، ومنها الغزة وسوق الليل. معجم المعالم الجغرافية (ص٤٦)

[2] في رواية اللالكائي: (مقر الشيطان)

[3] المُلاَءَة: الإزار والربطة. النهاية (٣٥٢/٤)

[4] رواه الدارمي في سننه (٢١/١ رقم ١٤)، واللالكائي في شرح أصول الإعتقاد (٨٣١/٤-٨٣٢ رقم ١٤٠٥)، قال الشيخ الألباني في تحقيق المشكاة (رقم ٥٧٠٥): (رجاله ثقات معروفون غير جعفر بن عثمان القرشي)

[5] تقدم تخريجه، ص (١٤٤)

[6] تقدم تخريجه، ص (١٤٦)

٥- وعنه، رضي الله عنه، قال: خرجتُ أبتغي الدِّين، فوافقتُ في الرهبان بقايا أهل الكتاب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾ [1] وكانوا يقولون: هذا زمان نبي قد أظلّ، يخرج من أرض العرب له علامات، من ذلك شامة مدورة، بين كتفيه خاتم النبوة.[2]

ب- ما ورد في بيان صدق النبي ﷺ :

١- عن ابن عباس ﷺ، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[3] ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف: (يا صباحاه)، فقالوا: (من هذا الذي يهتف؟)، قالوا: (محمد)، فاجتمعوا إليه، فقال: (يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب)، فاجتمعوا إليه، فقال: (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟) قالوا: (**ما جربنا عليك كذباً**)، قال: (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[4]

٢- عن عقيل بن أبي طالب[5]، قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: (إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا، فقال: (يا عقيل، انطلق فأتني بمحمد)

---

[1] البقرة، الآية: ١٤٦

[2] تقدم تخريجه، ص (١٥٠)

[3] سورة الشعراء: ٢١٤

[4] رواه البخاري في كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية (صحيح البخاري مع فتح الباري رقم ٣٥٢٧) (صحيح البخاري مع الفتح:٦٣٧/٦) مختصراً، وكتاب التفسير، باب: ((إن هو إلاّ نذير لكم بين يدي عذاب شديد)) رقم ٤٨٠١ (صحيح البخاري مع الفتح: ٤٠٠/٨)، ومسلم في كتاب الإيمان في قوله تعالى ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) رقم ٥٠٧ (صحيح مسلم مع شرح النووي ٧٧/٣-٧٨)

[5] هو: عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب أبو يزيد القرشي الهاشمي ابن عمّ رسول الله ﷺ وأخو علي وجعفر رضي الله عنهما تأخر إسلامه إلى عام الفتح وقيل أسلم بعد الحديبية وهاجر في أول سنة ثمان

فانطلقتُ إليه، فاستخرجته من حنش [١]ـــ يقول: من بيت صغير ـــ فجاء به في الظهيرة في شدة الحر فجعل يطلب الفيء، يمشي فيه من شدة الحر الرحض[٢]، فلما أتاهم قال أبو طالب: (إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن أذاهم، فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال: (أترون هذه الشمس؟) قالوا: (نعم) قال: (فما أنا أقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة) فقال أبو طالب: (والله **ما كذبنا ابن أخي قط**[٣] فارجعوا)[٤]

٣- قول جعفر بن أبي طالب في حديث أم سلمة في الهجرة إلى الحبشة: (أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسبي الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان)[٥]

جـــ - ما جاء في فصاحة النبي ﷺ وتأثر الناس بها

وكان أسر يوم بدر ففداه عمه العباس. شهد غزوة مؤتة وتوفي ﷺ في خلافة يزيد قبل الحرة. انظر: الإصابة (٥٣١/٤)

[١] هكذا في سيرة ابن إسحاق، وفي رواية الطبراني في الكبير والأوسط: (من كِبس)، وهو اللفظ الّذي أثبته ابن الأثير في النهاية (١٤٣/٤) وقال: (الكِبس بالكسر: بيت صغير، ويروى بالنون. من الكناس وهو بيت الظبي)

[٢] الرَحْض: الغسل، ويٌقال:رَحِض الرجل رحضاً إذا عَرق حتى كأنّه غُسل جسده، فهو تعبير عن شدة الحر. انظر: لسان العرب، مادة (رحض)

[٣] وفي لفظ: (ما كذب ابن أخي، فارجعوا)

[٤] رواه ابن إسحاق (ص١٣٥) والطبراني في الكبير (١٩١/١٧)، والأوسط (٢٥٢/٨)، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٥/١)

[٥] تقدم تخريجه، ص (١١٩)

و في ذلك قصة إسلام ضماد[1]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ ضماداً قدم مكة، وكان من أزد شَنُوءة[2]، وكان يرقي من هذه الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: (إن محمداً مجنون)، فقال: (لو أني رأيت هذا الرجل، لعل الله يشفيه على يدي). قال: فلقيه، فقال: (يا محمد، إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من يشاء، فهل لك؟) فقال رسول الله ﷺ: (إن الحمد لله نحمده ونستعينه، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد) قال: فقال: (أعد عليّ كلماتك هؤلاء)، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات. قال: فقال: (لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلمات هؤلاء، ولقد بلغن ناعوس البحر). قال: فقال: (هات يدك أبايعك على الإسلام) قال: فبايعه فقال رسول الله ﷺ: (وعلى قومك)، قال: (وعلى قومي). قال: فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه، فقال صاحب السرية للجيش: (هل أصبتم من هؤلاء شيئا؟) فقال رجل من القوم: (أصبت منهم مطهرة) فقال: (ردوها فإن هؤلاء قوم ضماد)[3]

د- اجتناب النبي ﷺ أدران الجاهلية قبل البعثة

---

[1] تقدمت ترجمته، ص (٨٦)

[2] تقدم التعريف به (ص٨٦)

[3] تقدم تخريجه، (ص٨٦)

١- لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبيّ ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك يَقِك من الحجارة، فخَرَّ إلى الأرض، وطَمَحَت عيناه إلى السماء، ثمّ أفاق فقال: (إزاري! إزاري!)، فشد عليه إزاره.[١]

٢- حديث أبي الطفيل[٢] وفيه: فبينا النبي – صلى الله عليه وسلم – يحمل حجارة من أجياد وعليه نمرة إذ ضاقت عليه النمرة، فذهب يضع النمرة على عاتقه، فبدت عورته من صغر النمرة، فنودي: (يا محمد! خمر عورتك!) فلم ير عريانا بعد ذلك. وكان بين الكعبة وبين ما أنزل الله عليه خمس سنين، وبين مخرجه وبنائها خمس عشرة سنة[٣]

٣- قال ابن إسحاق: وكان رسول الله ﷺ فيما ذُكر لي – يحدث عمّا كان الله يحفظه به في صغره، وأمر جاهليته أنّه قال: لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان، كُلُّنا قد تَعَرَّى، وأخذ إزاره، فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإني لأقبل معهم كذلك، وأدبر، إذ لكمني لاكم – ما أراه – لكمة وجيعة، ثمّ قال: (شد عليك إزارك)، قال: فأخذته، وشددته عليّ، ثمّ جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري عليّ من بين أصحابي[٤].

٤- حديث زيد بن حارثة الذي لقي فيه رسول الله ﷺ زيد بن عمرو بن نفيل وفيه: فأناخ رسول الله ﷺ البعير الذي تحته ثم قدمنا إليه السفرة التي كان فيه الشواء، فقال: (ما هذا؟) فقلنا: (هذه شاة ذبحناها لنصب كذا وكذا)، فقال: (إني لا أكل شيئاً

---

[١] رواه البخاري في كتاب الحج، باب فضل مكّة وبنيانها (صحيح البخاري مع الفتح: ٥١٣/٣ رقم ١٥٨٢)، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب بنيان الكعبة (صحيح البخاري مع الفتح ١٨٠/٧ رقم ٣٨٢٩)، ومسلم في كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢٥٦/٤-٢٥٧ رقم ٧٦٩)

[٢] تقدمت ترجمته، ص (١٠٤)

[٣] تقدم تخريجه، ص (١٠٥)

[٤] رواه ابن إسحاق بدون إسناد (سيرة ابن هشام: ١٨٣/١). قال الحافظ في الفتح (١٨١/٧): (قال السهيلي: إنما وردت هذه القصة في بنيان الكعبة فإن صح أن ذلك كان في صغره فهي قصة أخرى مرة في الصغر، ومرة في حال الاكتهال. قلت: وقد يطلق على الكبير غلام إذا فعل فعل الغلمان فلا يستحيل اتحاد القصة اعتماداً على التصريح بالأولية في حديث أبي الطفيل).

ذُبِح لغير الله)، ثمّ تفرّقا، وكان صنمان من نحاس يقال له إساف ونائلة، - يتمسح به المشركون إذا طافوا - فطاف رسول الله ﷺ وطفت معه، فلمّا مررت مسحت به فقال رسول الله ﷺ: (لا تمسه)، وطفنا فقلت في نفسي: (لأمُسَّنَّه أنظر ما يقول)، فمسحته، فقال رسول الله ﷺ: (لا تمسه ألم تنه؟). قال: فوالذي أكرمه، وأنزل عليه الكتاب ما استلمت صنما حتى أكرمه الله بالذي أكرمه، وأنزل عليه الكتاب.[١]

٥- وعن جبير بن مُطْعِم أنّه أضلّ بعيراً، فذهب يطلبه — يوم عرفة — فرأى النّبي ﷺ واقفاً بعرفة، وقال: هذا والله من الحُمْس فما شأنه هاهنا؟[٢]

٦- وعن علي ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين كلتاهما عصمني الله ﷻ فيهما قلت ليلة لبعض فتيان مكة - ونحن في رعاء غنم أهلها - فقلت لصاحبي : أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان فقال : بلى قال : فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير فقلت : ما هذا ؟ قالوا : تزوج فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلت شيئا ثم أخبرته بالذي رأيت ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لي غنمي حتى أسمر ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة فسألت فقيل : نكح فلان فلانة ، فجلست أنظر وضرب الله على أذني ، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شيء ثم أخبرته الخبر ، فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله ﷻ بنبوته[٣].

هـــ - ما جاء في رفعة أخلاق النبي ﷺ

---

[١] تقدم تخريجه، ص (٩٣)

[٢] تقدم تخريجه، ص (١١٧)

[٣] رواه الحاكم في المستدرك (٤/٢٧٣) وصححه وأقرّه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٢٦): (رجاله ثقات)، وحسّنه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٣٤٢)، وقد ضعّفه الشيخ الألباني في تخريجه أحاديث فقه السيرة (ص٧٠)

وفي ذلك حديث بدء الوحي وفيه قول أمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها بعدما أخبرها بما حدث في غار حراء، وأنّه خشي على نفسه: (كلا والله، ما يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتَقْرِي الضيف، وتُعين على نوائب الحق)[1]

التعليق

من الآيات التي أيّد الله بها رسوله ﷺ، الدالة على صدقه، وصدق ما جاء به، الآيات التي أيّده الله بها في نفسه ﷺ، وهذه الآيات تظهر في أخلاقه وفي صفاته.

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله أنّ (سيرة الرسول ﷺ، وأخلاقه، وأقواله، وأفعاله، وشريعته من آياته)[2]

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله: (من عرف حال النبي ﷺ وما هو عليه من الأخلاق العالية، وما أُعطي من العلوم النافعة الشاملة لكل ما يحتاجه الخلق، وما أُيّد به من الآيات والبراهين المتنوعة من كل وجه لا تعدّ ولا تُحصى، كل جنس من آياته، بل كل نوع، بل كل فرد منها يدل أكبر دلالة على أنّه رسول الله حقاً وأن ما جاء به حق وما خالفه باطل، **فوقوف العاقل البصير على بعض آيات الرسول في نفسه** وفي شرعه وفيما أُيّد به، **يعرف به بطلان أقوال الملحدين، وبطلان مذهب الماديين المنكرين لله** ولرسله ودينه)[3]

فبيّن – رحمه الله - أنّ تأمّل أحوال الرسول ﷺ، وأخلاقه الرفيعة، من الطرق التي بها يُعرف بطلان إنكار وجود الله وأفعاله، وإذا تقرر بطلان قولهم تقرر نقيضه، وهو القول بإثبات وجود الرب وأفعاله.

---

[1] تقدم تخريجه، ص (٣٨)

[2] الجواب الصحيح (٣/٢٥٥)

[3] الأدلة القواطع والبراهين (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي – القسم الخامس: الثقافة الإسلامية ٢/٣٥١)

والمرويات المتقدمة، ورد فيها بعض آيات الرسول في نفسه، وهي أما صفات خِلقِية وإما صفات خُلُقية.

أما خاتم النبوة فهو من الصفات الخِلقية (وهو الّذي كان بين كتفي النبي ﷺ، وكان من علامته التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها)[1]

وأما بقية الصفات المذكورة فهي من الصفات الخُلُقِية، وقد ذُكر منها صدق النبي ﷺ، وفصاحته، وتجنبه أخلاق الجاهلية، ورفعة أخلاقه ﷺ عموماً، وهذه الصفات لا تجتمع فيمن يدّعي النبوة كاذباً، (فإنّ النبوة يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن الأحوال تعرب عنهما، وتعرّف بهما...

..وما من أحد ادعى النبوة من الكذّابين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه – ما ظهر لمن له أدنى التميز، فإنّ الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور، ولا بد أن يفعل أموراً يبين بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده، بل كل شخصين ادعيا أمراً: أحدهما صادق والآخر كاذب – لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة، إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور)[2]

فصِدق النبي ﷺ، وشهادة ألدّ خصومه على أنّه لم يكذب في حياته قط، وبُعده عن الفحش، وعن الفجور، وعن جميع عادات الجاهلية، وأخلاقه العالية، كلها قرائن تدلّ على أنّ النبي ﷺ، كان صادقاً في دعواه النبوة.

وقد استدلت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها على صدق نبوة رسول الله ﷺ بهذه القرائن، وقالت مقولتها المشهورة: (كلا والله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتَقْرِي الضيف، وتُعين على نوائب الحق)، عندما ذكر النبي ﷺ أنّه خشي على نفسه.[3]

---

[1] فتح الباري (٦/٦٤٩)

[2] شرح الطحاوية (ص١٠٩)

[3] انظر: شرح الطحاوية (ص١١١-١١٢)

فصفات النبي ﷺ تقتضي تصديق نبوّته، وقد تقدّم البيان على أنّ جميع الآيات الدالة على صدق النبوة توجب الإقرار بتوحيد الربوبية، كما تقدّم وجه دلالة تلك الآيات على ذلك.[1]

رابعاً – ما جاء في آيات النبي ﷺ التي كانت قبل زمن النبوة، وفي ذلك:

أ- ما ورد في قصة الفيل

١- قال النبي ﷺ: (إنّ الله حبس عن مكّة الفيل)

٢- قال النّبي – صلّى الله عليه وسلّم: (ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخُلُقٍ، ولكن حبسها حابس الفيل)

٣- قال ابن عبّاس: أقبل أصحاب الفيل حتى إذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب فقال لَمِلكِهم: (ما جاء بك إلينا يا ربنا ألا بعثت فنأتيك بكل شيء أردت؟) فقال: (أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد إلا آمن فجئت أخيف أهله) فقال : (إنا نأتيك بكل شيء تريد فأرجع) فأبى إلاّ أن يدخله وانطلق يسير نحوه وتخلف عبد المطلب فقام على جبل فقال : لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ثم قال:

اللهم إن لكل إله حلالا فامنع حلالك

لا يغلبن محالهم أبدا محالك

اللهم فإن فعلت فأمر ما بدا لك

فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى أظلّتهم طير أبابيل التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [2] قال: فجعل الفيل يعج عجاً ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [3]

---

[1] انظر: (ص ١٢٨) من هذه الرسالة

[2] سورة الفيل: ٤

[3] سورة الفيل:٥

٤- وقال – رضي الله عنهما: جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصِفَاح[١]، فجاءهم عبد المطلب جد النبي – صلّى الله عليه وسلّم – فقال: (إنّ هذا بيت الله تعالى، لم يسلط عليه أحداً). قالوا: (لا نرجع حتى نهدمه). قال: وكانوا لا يقدمون فيلهم إلاّ تأخر فدعا الله الطير الأبابيل، فأعطاها حجارة سودا عليها الطين، فلمّا حاذتهم رمتهم، فما بقي منهم أحد إلاّ أخذته الحكة، فكان لا يحك إنسان منهم جلده إلا تساقط لحمه).

٥- عن عبيد بن عمير[٢]، قال: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر أمثال الخَطَاطِيف[٣] كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة حجرين في رجليه وحجرا في منقاره قال : فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الاخر وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادها شدة فأهلكوا جميعاً.[٤]

ب- ما جاء في خفة حمل آمنة برسول الله ﷺ، والرؤيا التي رأتها، وصفة ولادة النبي ﷺ، والشق الأول لصدره ﷺ

١- في قصة حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله ﷺ التي أرضعته:
..فرجعنا به، فوالله إنّه بعد مَقْدَمنا به بأشهرٍ مع أخيه لَفي بَهمٍ لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتدُّ، فقال لي ولأبيه: (ذاك أخي القرشيُّ قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه، فشقّا بَطْنَهُ، فهما يَسُوطانه). قالت: فخرجتُ أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائماً مُنْتَقَعاً وَجْهُهُ. قالت: فَالْتَزَمْتُهُ والْتَزَمَهُ أبوه، فقُلنا له: (مَالَك يَا بُنَيَّ؟) قال: (جاءني رجلان

---

[١] تقدم التعريف به (ص٥٨)

[٢] تقدمت ترجمته، (ص٥٨)

[٣] تقدم شرحه، (ص٥٨)

[٤] تقدم تخريج هذه الروايات، ص (٥٧-٥٩)

عليهما ثياب بِيضٌ فأَضْجَعَانِي وشَقَّا بطني، فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو). قالت: فرجعنا به إلى خِبَائِنَا.

قالت: وقال لي أبوه: (يا حليمة، لقد خَشِيتُ أن يكون هذا الغلام قد أُصيبَ، فأَلحِقيه بأَهْلِه قبل أن يظهر ذلك به) قالت: فاحتملناه فقدمنا به على أمه، فقالت: (ما أَقْدَمَكِ به يا ظِئْر، وقد كُنتِ حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟) قالت: فقُلتُ: (قد بَلَغَ الله بابني وَقَضَيتُ الذي عليّ، وتخوَّفْتُ الأحداثَ عليه، فَأَدَّيته إليك كما تُحِبِّين). قالت: (ما هذا شأنكِ، فأصدُقِيني خَبَرَكِ). قالت: فلم تدعني حتى أخبرتها. قالت: (أَفَتَخَوَّفْتِ عليه الشيطان؟). قالت: قُلتُ: (نعم)، قالت: (كلا والله، ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لبني لشأنا، أفلا أخبرك خبره؟) قالت: قُلتُ: (بلى)، قالت: (**رأيت حين حملتُ به، أنّه خرج منّي نورٌ أضاء لي قصور بُصرى من أرض الشام، ثم حملتُ به، فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف عليّ ولا أيسر منه، وقع حين ولد واضعاً يديه بالأرض، رافعاً رأسه إلى السماء**، دعيه عنك وانطلقي راشدة).[1]

٢- أنّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله؟ قال: كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر، فَانْطَلَقتُ أنا وابن لها في بَهْمٍ لنا، و لم نأخذ معنا زاداً، فقلت: (يا أخي، اذهب فَأْتِنا بزاد من عند أُمِّنا)، فانطلق أخي، ومكثت عند البَهْم، فأقبل طائران أبيضان كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه: (أهو هو؟). قال الآخر: (نعم)، فأقبلا يَبْتَدَرَانِي، فأخذاني، فبطحاني للقَفا، فَشَقَّا بطني، ثم استخرجا قلبي فشَقَّاه، فأخرجا منه عَلَقَتَيْن سَوداوَيْنِ، فقال أحدهما لصاحبه: (إئتني بماء ثلج)، فغسل به جوفي، ثم قال: (إئتني بماء بَرَدٍ)، فغسل به قلبي، ثم قال: (إئتني بالسكينة)، فذَرَّه في قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: (حُصْه)، فحاصه وختم عليه بخاتم النبوة، ثم قال أحدهما لصاحبه: (اجعله في كفة، واجعل ألفاً من أُمَّتِه في كفة) قال رسول الله ﷺ: فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي أُشْفِقُ أن يَخِرَّ عَلَيَّ بَعضُهم، فقال: (لو أن أُمَّتَه وزنت به لمال بهم)، ثم انطلقا فتركاني. قال رسول الله ﷺ: وفَرِقْتُ فَرَقاً شديداً، ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتُها بالذي لقيت، فأشفَقَتْ أن يكون قد الْتُبِسَ بي، فقالت: (**أعيذك بالله**)، فرَحَّلَتْ بعيراً لها،

---

[1] تقدم تخريجه، ص (١١٠)

فجَعَلَتْني على الرَّحْلِ، و رَكِبَت خلفي، حتى بَلَغْنا إلى أُمِّي، فقالت: (أَدَّيتُ أمانتي وذِمَّتي، وحَدَّثَتها بالذي لَقيتُ، فلمْ يُرِعْها ذلك، وقالت: (إني رأيت خرج مِنِّي — يعني: نوراً – أضاءت منه قصور الشام)[١]

٣– ما روي أنّ أمّ النبيّ ﷺ قالت: لمّا ولدته، خرج منّي نور أضاء له قصور شام، فولدته نظيفاً، ولدته كما يولد السخل ما به قذر، ووقع إلى الأرض وهو جالس على الأرض بيده[٢].

٤– ما روي أنّ النّبيّ ﷺلما ولد وقع على كفيه وركبتيه شاخصاً بصره إلى السماء.[٣]

٥–ما روي أنّ رسول الله ﷺ لّما ولدته أمّه وضعته تحت بُرمَة[٤] فانفلقت عنه، قالت: فنظرت إليه فإذا هو قد شق بصره ينظر إلى السماء[٥].

٦– أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال: (نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبُشرى أخي عيسى، ورأت أمّي حين حملت بي أنّه خرج منها نور أضاء لها قصور شام، واسترضعتُ في بني سعد بن بكر، فَبَينا أنا مع أخ لي نَرْعَى بهما لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بِيضٌ بِطَست من ذهب مملوءة ثلجاً، ثمّ أخذاني فشقّا بطني، واستخرجا قلبي فشقّاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثمّ غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنّقياه، ثمّ قال أحدهما لصاحبه: زِنْهُ بعشرة من أُمَّتِهِ، فوزنني بِهِم،

---

[١] تقدم تخريجه، ص (١١٤)

[٢] الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٢/١)، أفاد الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي ص (١٨٢) أنّ إسناده حسن وأنه مرسل

[٣] الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٣/١)، أفاد الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي ص (١٨٢) أنّ إسناده حسن وأنه مرسل

[٤] البُرْمَة: القِدر. النهاية (١٢١/١)

[٥] الطبقات الكبرى لابن سعد (١٠٢/١)، قال الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي ص (١٨٣): (وهذا مرسل رجاله كلهم ثقات)

فوزنتُهم، ثمّ قال: زِنْهُ بمائة من أمّته، فوزنني بِهم فوزنتهم، ثمّ قال: زِنْه بأَلفٍ من أمّته فوزنني بِهم فوزنتهم، فقال: دَعْه عَنكَ، فوالله لو وزنته بأمّته لوزنا)[1]

٧- عن أنس بن مالك ﵁ أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﵇ وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة. فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثمّ غسله في طِسْتٍ من ذهب بماء زمزم، ثمّ لأمه، ثمّ أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعَون إلى أُمّه – يعني: ظِئْرَهُ – فقالوا إنّ محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو مُنْتَقَعُ اللّون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صَدره.[2]

٨-وعن أبي ذر ﵁ قال: قلتُ: يا رسول الله، كيف علمت أنك نبي أول ما علمت، حتى علمت ذلك واستيقنت؟ قال: (يا أبا ذر، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما في الأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: (أهو هو؟) قال: (هو هو)، قال: (فزنه برجل)، فوزنت برجل فرجحته، ثمّ قال: (زنه بعشرة)، فوزنني بعشرة فرجحتهم، ثم قال: (زنه بمائة)، فوزنني بمائة فرجحتهم، ثم قال: (زنه بألف) فوزنني بألف فرجحتهم، فجعلوا ينتثرون عليّ من كفة الميزان، فقال أحدهما للآخر: (لو وزنته بأمّته رجحها)، ثم قال أحدهما لصاحبه: (شق بطنه)، فشق بطني، ثمّ قال أحدهما: (أخرج قلبه) - أو قال: (شق قلبه) – فشق قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم، فطرحها، ثمّ قال أحدهما للآخر: (اغسل بطنه غسل الإناء)، واغسل قلبه غسل الإناء – أو: (اغسل قلبه غسل المُلاَءَة) - ثم دعا بالسكينة كأنها وجه هرة بيضاء، فأدخلت قلبي، ثم قال أحدهما لصاحبه: (خط بطنه)، فخاط بطني، وجعلا الخاتم بين كتفي فما هو إلا أن وليا عني كأنما أعاين الأمر معاينة.[3]

---

[1] رواه ابن إسحاق (السيرة النبوية لابن هشام ١٦٨/١)، والحاكم في المستدرك (٦٧٣/٢) وصححه وأقره الذهبي، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١١٠/٨): (وهذا إسناد جيّد. وروي له شواهد من وجوه أخر)، ووافقه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٩/٤-٦٠ رقم ١٥٤٥

[2] رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفرض الصلوات (مع شرح النووي٣٨٩/٢ رقم ٤١١)

[3] تقدم تخريجه، ص (١٥٨)

التعليق:

من الآيات التي أيّد الله بها رسول الله ﷺ التي تدلّ على صدقه وصدق ما جاء به الآيات التي كانت قبل زمن النبوة.

ومن هذه الآيات ما حدث في قصة الفيل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد تواترت قصة أصحاب الفيل، وأنّ أهل الحبشة: النصارى ساروا بجيش عظيم، معهم فيل، ليهدموا الكعبة، لما أهان بعض العرب كنيستهم التي باليمن، فقصدوا إهانة الكعبة، وتعظيم كنائسهم، فأرسل الله عليهم طيراً أهلكهم، وكان ذلك عام مولد النبيّ ﷺ وكان جيران البيت مشركون يعبدون الأوثان، ودين النصارى خير من دينهم.

فعُلم بذلك أنّ هذه الآية لم تكن لأجل جيران البيت حينئذ، بل كانت لأجل البيت، أو لأجل النبيّ ﷺ الّذي ولد به في ذلك العام عند البيت، أو لمجموعهما، وأي ذلك كان فهو من دلائل نبوته)[1]

وقال:

(وقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ إستفهام في معنى التقرير، وهذا يقتضي أنّ هذا قد وقع وعلم به الناس ورأوه وقد قررهم على ذلك، لما فيه من الدلالة والبيان والإنعام على الخلق).[2]

ووجه دلالة قصة الفيل على توحيد الربوبية أنّها تدلّ على عظم قدرة الله تعالى، وذلك أنّ الطير، الّتي هي من أصغر وأضعف مخلوقات الله ﷻ، هزمت الفيل، الذي هو من أكبر وأقوى الحيوان، وهذا أمر خارق للعادة، والله ﷻ هو الّذي أقدر الطير على هزم الفيل، وقد جاءت في هذه الأخبار نسبة إرسال الطير إلى الله، كما علمنا من الرواية الأخيرة أنّ الله بعث ريحاً شديدة الّتي زادت الحجارة التي رمتها الطير شدّةً، وهذا كلّه يدلّنا على أنّ الله يتصرف في مخلوقاته بجميع أنواعها كيف يشاء، فالله ﷻ هو المتفرّد بالأمر وتدبير شؤون العباد، وهذه من خصائص الربوبية.

---

[1] الجواب الصحيح (٣٠٧/٣)

[2] الجواب الصحيح (٣٠٨/٣)

أمّا النور الذي رأته آمنة عند وضعها رسول الله ﷺ ففيه إشارة إلى النور الّذي اهتدى به الناس وأنّ ما جاء به حق.

قال الحافظ ابن رجب – رحمه الله تعالى: (وخروج هذا النور عند وضعه إشارة إلى ما يجي به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك منها كما قال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [2]) [3]

وإذا كان ما جاء به النور الذي يهتدي به الناس فهو الحق، وزبدة ما جاء به هي الدعوة إلى عبادة الله وحدة التي تتضمن تفرّده بالربوبية

أما خفة حمل آمنة برسول الله ﷺ، وصفة ولادة النبي ﷺ، وتحمّله شق صدره في حالة الطفولة فهذه الأشياء كلّها أمور خارقة عن العادة، والأمر الخارق للعادة تُفيد العلم بقدرة الله تعالى وأن الخلق تحت قهره وأمره، وأنّه قادر على تغيير مجرى العادة التي كان الناس يألفونها[4]، وهذا من خصائص الربوبية.

خامساً:– ما جاء في إخبار النبي ﷺ بالغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة، وفي ذلك:

أ– ما جاء في الإسراء والمعراج

---

[1] سورة المائدة: ١٥–١٦

[2] سورة الأعراف: ١٥٧

[3] لطائف المعارف، ص (٨٩)

[4] آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:٣٠٤/٥–٣٠٥)

١– عن أنس بن مالك، أنّ رسول الله ﷺ قال: أُتِيتُ بالبراق – وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طَرْفِه – قال: فركِبتُه حتى أَتَيتُ بيتَ المقدس. قال: فَرَبَطْتُه بالحَلْقَةِ التي يَرْبِطُ به الأنبياء. قال: ثم دَخَلتُ المسجد فصَلَّيتُ فيه ركعتين، ثم خَرَجتُ، فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فَاخْتَرتُ اللبن، فقال جبريل ﷺ: (اخْتَرْتَ الفطرة)، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقيل: (من أنت؟) قال: (جبريل)، قيل: (ومن معك؟)، قال: (محمد)، قيل: (وقد بعث إليه؟) قال: (قد بعث إليه)، ففُتِحَ لنا، فإذا أنا بِآدَم، فرَحَّبَ بي ودعا لي بخير، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: (من أنت؟)، قال: (جبريل)، قيل: (ومن معك؟)، قال: (محمد)، قيل: (وقد بعث إليه؟)، قال: (قد بعث إليه)، فَفُتِحَ لنا، فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا، صلوات الله عليهما، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لي بخير، ثم عَرَجَ بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: (من أنت؟)، قال: (جبريل)، قيل: (ومن معك؟)، قال: (محمد ﷺ)، قيل: (وقد بعث إليه؟)، قال: (قد بعث إليه)، فَفُتِحَ لنا، فإذا أنا بيوسف ﷺ، إذا هو قد أُعْطِيَ شَطْرُ الحُسن، فَرَحَّب ودعا لي بخير، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: (من هذا؟)، قال: (جبريل)، قيل: (ومن معك؟)، قال: (محمد)، قال: (وقد بعث إليه؟)، قال: (قد بعث إليه)، فَفُتِحَ لنا، فإذا أنا بإدريس فَرَحَّبَ ودعا لي بخير، قال الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[1]، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: (من هذا؟)، قال: (جبريل)، قيل: (ومن معك؟)، قال: (محمد)، قيل: (وقد بعث إليه؟)، قال: (قد بعث إليه)، فَفُتِحَ لنا، فإذا أنا بهارون ﷺ، فرَحَّبَ ودعا لي بخير، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل: (من هذا؟) قال: (جبريل)، قيل: (ومن معك؟)، قال: (محمد)، قيل: (وقد بعث إليه؟)، قال: (قد بعث إليه)، فَفُتِحَ لنا، فإذا أنا بموسى ﷺ، فرَحَّبَ ودعا لي بخير، ثم عَرَجَ إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: (من هذا؟)، قال: (جبريل)، قيل: (ومن معك؟) قال: (محمد ﷺ)، قيل: (وقد بعث إليه؟)، قال: (قد بعث إليه)، فَفُتِحَ لنا، فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مُسْنِدَاً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يَدْخُلُه كلَ يوم سبعون ألف مَلَكٍ لا يعودون

---

[1] سورة مريم: ٥٧

إليه، ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفِيلَةِ، وإذا ثمرها كالقِلاَل. قال: فلما غشيها من أمر الله ما غشي، تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حُسْنِها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خمسين صلاةً في كل يوم وليلة، فَنَزَلْتُ إلى موسى ﷺ، فقال: (ما فَرَضَ رَبُّكَ على أمتك؟)، قلت: (خمسين صلاة)، قال: (ارجع إلى رَبّكَ، فاسأله التخفيف، فإنّ أُمَّتَك لا يُطِيقُون ذلك، فإنِّي قد بَلَوتُ بني إسرائيل وخَبَرْتُهُم). قال: فرجعت إلى رَبِّي، فقلت: (يا رَبِّ، خَفِّف على أُمَّتِي)، فَحَطَّ عَنِّي خمساً، فَرَجَعْتُ إلى موسى، فَقُلْتُ: (حَطَّ عَنِّي خمساً)، قال: (إنّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُون ذلك، فارجع إلى رَبِّك، فاسأله التخفيف). قال: فلم أزل أرجع بين رَبِّي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام، حتى قال: (يا محمد، إنهنّ خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يَعمَلْهَا كُتِبَت له حسنة، فإن عَمِلَها كُتِبَت له عشراً، ومن همّ بسيئة فلم يَعْمَلْها لم تُكتَب شيئاً، فإن عَمِلَها كُتِبَت سيئة واحدة). قال: فَنَزَلتُ، حتى انتهيت إلى موسى ﷺ، فأخبرته فقال: (ارْجِع إلى رَبِّك، فاسأله التخفيف) فقال رسول الله ﷺ: فقلت: (قد رجعت إلى رَبِّي حتى استحييت منه)[(١)]

٢-عن أنس، قال، كان أبو ذر يُحَدِّثُ، أنّ رسول الله ﷺ قال: فُرِجَ عن سَقْفِ بيتي وأنا بمكَّة، فَنَزَلَ جبريل ﷺ، ففرج صدري، ثمّ غسله بماء زمزم، ثمّ جاء بطَسْتٍ من ذهب مُمتلِئٍ حكمةً وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثمّ أطبقه، ثمّ أخذ بيدي فعَرَجَ بي إلى السماء، فَلَمّا جِئنَا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لِخَازِن السماء الدنيا: (افْتَح)، قال: (من هذا؟) قال: (هذا جبريل) قال: (هل معك أحد؟)، قال: (نعم، معي محمد ﷺ)، قال: (فأرسل إليه؟)، قال: (نعم، فافْتَحْ)[(٢)]. قال: فَلَمّا عَلَونا السماء الدنيا فإذا رَجُلٌ عن يمينه أَسْوِدَة، وعن يَسَاره أسودة. قال: فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضَحِك، وإذا نظر قِبَلَ شماله بَكَى. قال: فقال: (مَرحَباً بالنبي الصالح والإبْنِ الصّالِح). قال: قُلْتُ: (يا جبريل، من هذا؟)، قال: (هذا آدم ﷺ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نَسمُ بَنيهِ، فَأَهل اليَمِين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قِبَلَ يمينه ضَحِك، وإذا نظر قِبَل شماله بَكَى).

---

(١) تقدم تخريجه، ص (٤٥)

(٢) قال المحقق: (في المطبوعة: فَفتَح)

قال: ثُمّ عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية، فقال لِخَازِنِها: (افْتَح) فقال له خازنها مثلَ ما قال خازن السماء الدنيا فَفَتَح.

فقال أنس بن مالك: فَذَكَر أَنّه وَجَدَ في السماوات آدم، وإدريس، وعِيسَى، وموسى، وإبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين، و لم يُثْبِتْ كيف منازِلُهم، غيرَ أنه ذَكَرَ أنه قد وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة.

قال: فَلَمّا مرّ جبريل ورسول الله ﷺ بإدريس صلوات الله عليه، قال: (مَرحَباً بالنبي الصالح، والأخ الصالح). قال: ثُمّ مَرَّ، فقلت: (من هذا؟)، فقال: (هذا إدريس). قال: (ثُمّ مَرَرْتُ بِمُوسَى عليه السلام، فقال: (مَرحباً بالنبي الصالح، والأخ الصالح). قال: قلت: (من هذا؟)، قال: (هذا موسى). قال: ثُمّ مَرَرَتُ بعِيسَى، فقال: (مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح)، قلت: (من هذا؟)، قال: (هذا عيسى بن مريم). قال: ثُمّ مررت بإبراهيم عليه السلام، فقال: (مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح). قال: قُلتُ: (من هذا؟)، قال: (هذا إبراهيم)[1]

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ثم عَرَجَ بي حتّى ظَهَرْتُ لِمُستَوًى، أسمع فيه صريف الأقلام، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: فَفَرَضَ الله على أُمَّتِي خمسين صلاة. قال: فرجعت بذلك حتى أَمُرّ بموسى، فقال موسى عليه السلام ماذا فَرَضَ رَبُّك على أمتك؟) قال: قلت: (فَرَضَ عليهم خمسين صلاة) قال لي موسى عليه السلام: (فراجع رَبَّك، فإنّ أُمَّتَك لا تُطيق ذلك). قال: فراجعت رَبِّي، فوَضَعَ شَطْرَها. قال: فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته، قال: (راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك). قال: فراجعت ربي فقال: (هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي). قال: فرجعت إلى موسى فقال: (راجع ربك)، فقلت: (قد استحييت من ربي). قال: ثم انطلق

---

[1] رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب كيف فُرضت الصلوات في الإسراء؟ (الفتح: ٥٤٧/١)، ومسلم – واللفظ له – في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفرض الصلوات (مع شرح النووي ٣٩٠/٢ رقم ٤١٣)

بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي. قال: ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك[١]

٤- عن مالك بن صعصعة[٢] قال: قال نبي الله ﷺ: بينا أنا عند البيت بين النائم واليَقْظَانِ، إذ سَمِعْتُ قائلاً يقول: (أحد الثلاثة بين الرجلين)، فَأُتِيتُ فانْطُلِقَ بِي، فأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِن ذَهَبٍ فيها مِن مَاءِ زَمزَم، فَشُرِحَ صدري إلى كذا وكذا، فاستُخرِجَ قَلبِي فَغُسِلَ بِمَاءِ زَمزَم، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَاناً وحِكمَةً، ثم أُتِيتُ بِدَابَةٍ أَبْيَضَ يُقال له: (البُرَاق)، فوق الحِمار ودون البغل، يقع خَطوُه عند أَقصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلتُ عليه، ثُمّ انْطَلَقنَا حتى أتينا السماء الدنيا، فاستفتح جبريل ﷺ، فقيل: (من هذا؟)، قال: (جبريل)، قيل: (ومن معك؟)، قال: (محمد ﷺ)، قيل: (وقد بعث إليه؟)، قال: (نعم). قال: فَفَتَحَ لنا، وقال: (مرحبا به، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جاء). قال: فأتينا على آدم ﷺ، وساق الحديث بِقِصَّتِه، وذَكَر أنه لَقِي في السماء الثانية عِيسَى ويَحيَى عليهما السلام، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون صلى الله عليهم وسلم. قال: ثم انطَلَقنَا حتى انتهينا إلى السماء السادسة، فَأَتَيتُ على موسى عليه السلام فَسَلَّمْتُ عليه، فقال: (مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح)، فَلَمّا جاوزتُهُ بَكَى، فَنُودِي: (ما يبكيك؟)، قال: (يا رَبِّ[٣]، هذا غُلامٌ بَعَثْتُهُ بعدي، يدخل من أُمّتِهِ الجنة أكثر مما يدخل من أُمّتِي). قال: ثُمَّ انْطَلَقنَا حتى انتَهَينَا إلى السماء السابعة، فأتيت على إبراهيم. وقال في الحديث: وحَدَّثَ نبي الله ﷺ أنه رأى أربعة أنهار يخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان: فقُلْتُ: (يا جبريل، ما هذه الأنهار؟)، قال: (أما النهران الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فَالنِّيل والفُرَات)، ثُمّ رُفِعَ لِي البيت المعمور، فقُلْتُ: (يا جبريل ما هذا؟)، قال: (هذا البيت المعمور، يَدخُلُه كُلَّ يوم سبعون ألف مَلَكٍ، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخِرُ ما عليهم)، ثُمَّ أُتِيتُ بِإنَاءَينِ

---

[١] رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات (مع شرح النووي ٣٩٢/٢ رقم ٤١٤)

[٢] هو: مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي الأنصاري، حدث أنس بن مالك عنه عن النبي ﷺ بقصة الإسراء وهو في الصحيحين حديثين. الإصابة (٧٢٨/٥)

[٣] قال المُحَقّق: في المطبوعة: رب، بدلاً من: يا رب.

أحدهما خمر والآخر لبن، فعُرِضَا عَلَيّ، فاخترت اللبن، فقيل: (أَصَبتَ أَصَاب الله بِكَ أُمَّتَكَ على الفِطرَة)، ثُمّ فُرِضَت على كل يوم خمسون صلاة.[١]

٥- عن ابن عبّاس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: (مَرَرتُ ليلة أُسري بي على موسى بن عِمران ﷺ، رجل آدمُ[٢] طُوالٌ جَعدٌ[٣]، كَأَنَّهُ من رجال شَنُوءة[٤]، ورأيت عيسى بن مريم ﷺ مَربُوعَ[٥] الخَلق، إلى الحمرة والبياض سَبط الرأس) وَأُري مالكاً خازن النار، والدَّجَّال، في آيات أراهن الله إياه ﴿ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ﴾ [٦]

٦- قال رسول الله ﷺ: (لما انتهينا إلى بيت المقدس قال جبريل بإصبعه[٧]، فخرق بها الحجر، وشد به البراق)[٨]

---

[١] رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٣٤٩/٦ رقم ٣٢٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣٩٣/٢ رقم ٤١٥) واللفظ له

[٢] الأُدْمَة في الناس: السُّمْرَة الشَّديدة، وقيل هو من أُدْمَةِ الأرض وهو لونها وبه سمي آدم عليه السلام. النهاية (٣٢/١)

[٣] جَعد الشَّعر: ضد السبط، والسَّبْط من الشَّعَر : المُنْبَسِط المُسْتَرَسِل. النهاية (٢٧٥/١، ٣٣٤/٢)

[٤] قال أبو العباس القرطبي في المُفهِم (٣٩٧/١): (أزد شَنُوءة: حيّ من اليمن، شُبِّه بهم موسى في كيفية خلقتهم)، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٩٤/٦): (قال الداودي: رجال الأزد معروفون بالطول)

[٥] المَرْبُوع: هو بين الطويل والقصير. يقال رجلٌ رَبْعة ومَرْبوع. النهاية (١٩٠/٢)

[٦] سورة السجدة: ٢٣، والحديث رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: (آمين)، والملائكة في السماء، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٣٦٢/٦ رقم ٣٢٣٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣٩٧/٢ رقم ٤١٨) واللفظ له

[٧] قال بإصبعه، أي: أشار بها. انظر: النهاية (١٢٤/٢)، وتحفة الأحوذي (٥٤٢/٨)

[٨] رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل (٣٠١/٥ رقم ٣١٣٢)، والحاكم (٣٩٢/٢). قال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٦٨/٣ رقم ٢٥٠٤)

٧- عن أنس بن مالك، أنّ رسول الله ﷺ قال: (أَتَيتُ على موسى ليلة أسري بي عند الكَثِيبِ الأَحْمَر[١]، وهو قائم يُصلِّي في قَبره)[٢]

٨- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: حين أُسرِيَ بي لَقِيتُ موسى عليه السلام - فَنَعَتَهُ النبي ﷺ - فإذا رَجُل - حَسِبتُه قال:- مُضطَرِب[٣]، رَجِلُ[٤] الرأس كأنه من رجال شَنُوءة قال ولقيت عيسى - فنَعَتَه النبي ﷺ - فإذا ربعة[٥] أحمر[٦] كأنما خرج من ديماس — يعني: حماماً — قال: ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه وأنا أشبه ولده به. قال: فأُتِيت بإناءين، في أحدهما لبن، وفي الآخر خمر، فقيل لي: (خُذ أيهما شئتَ)، فأخذتُ اللبن، فشربته، فقال: (هديت الفطرة — أو- أصبت الفطرة، أما إنك لو أخذتَ الخمر، غَوَت أُمَّتُك)[٧]

٩- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: لقد رأيتني في الحجر، وقريش تسألني عن مسراي، فسَأَلَتني عن أشياء من بيت المقدس لم أُثبِتها، فكُرِبتُ كُربَةً ما كُرِبتُ مِثلَه قَطّ. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أَنبَأتُهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رَجل ضَربٌ جَعدٌ كأنه من رجال شَنُوءة، وإذا

---

[١] الكثيب: الرَّمل المُستَطِيل المُحدَودِب. النهاية (١٥٢/٤)

[٢] رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب ومن فضائل موسى (صحيح مسلم مع شرح النووي:١٣٠/١٥ رقم ٦١٠٧)

[٣] قال الحافظ ابن حجر: القائل (حسبته) هو عبد الرزاق، والمضطرب الطويل غير الشديد، وقيل الخفيف اللحم. اهـ. فتح الباري (٥٥٨/٦)

[٤] قال الحافظ ابن حجر: قوله (رَجِل) بفتح الراء وكسر الجيم، أي: دَهِين الشَعر مسترسله، وقال ابن السكيت: شعر رجل، أي: غير جعد اهـ. فتح الباري (٤٩٤/٦)

[٥] انظر: التعليق على كلمة (مربوع)، ص (١٧٨)

[٦] الأحمر عند العرب: الشديد البياض مع الحمرة. فتح الباري (٥٦٠/٦)

[٧] رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾ -﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري:٤٩٣/٦ رقم ٣٣٩٤) ومسلم في كتاب الإيمان، باب ذكر النبي ﷺ للأنبياء عليهم السلام (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٤٠٣/٢ رقم٤٢٣) واللفظ له

عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي، أقرب الناس به شَبَهًا، عُروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي، أشبه الناس به صاحبكم – يعني نفسه– فحانت الصلاة فَأَمَمتُهم، فَلَمّا فَرَغتُ من الصلاة قال قائل: (يا محمد، هذا مَالِكٌ صاحب النار، فَسَلِّمْ عليه)، فالتَفتُّ إليه فبدأني بالسلام[1]

١٠– عن بن عباس — رضي الله عنهما – قال: أُسري بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، ثُمّ جاء من لَيلَتِهِ فَحَدَّثَهم بمَسِيرِه وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم، فقال ناسٌ:(نحن نصدق محمداً بما يقول؟)، فارتدوا كفاراً، فضرب الله أعناقهم مع أبي جهل، وقال أبو جهل: (يخوفنا محمد بشجرة الزقوم، هاتوا تمراً وزبداً فتزقموا)، ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس رؤيا منام، وعيسى وموسى وإبراهيم صلوات الله عليهم، فسُئِل النبي ﷺ عن الدجال، فقال: (أقمر[2] هِجَانا[3]). قال: رأيته فَيْلَمَانِيًّا[4] أقمر هجانا إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري كأن شعر رأسه أغصان شجرة، ورأيت عيسى شاباً أبيض جعد الرأس[5]، حديد البصر، مُبَطَّن[1] الخلق،

---

[1] رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب صلاة النبي ﷺ بالأنبياء عليهم السلام (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٤٠٧/٢ رقم ٤٢٩)

[2] أَقمَر: هو الشديد البياض. النهاية (١٠٧/٤)

[3] الهِجَان: الأبيض، ويَقَع على الواحِد والاثْنَين والجَميع والمؤنَّث بلَفْظٍ واحِد. النهاية (٢٤٨/٥)

[4] الفَيْلَم : العظيم الجُثَّة . والفَيْلَم : الأمر العظيم والياء زائدة . والفَيْلماني : منسوب إليه بزيادة الألف والنون للمبالغة. النهاية (٤٧٤/٣)

[5] هذا يخالف ما جاء في الصحيحين من أنه سبط الشعر

ورأيت موسى أَسحَم[2] آدم كثير الشعر، شديد الخلق، ونظرت إلى إبراهيم فلا أنظر إلى إرب من أرابه[3]، إلا نظرت إليه مني كأنه صاحبكم، فقال جبريل عليه السلام: (سَلِّم عَلَى مَالِك)، فسلمت عليه[4].

١١- عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: لما أسري برسول الله ﷺ انْتُهِيَ به إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيُقْبَضُ منها، وإليها ينتهي ما يُهبَط به من فوقها، فَيُقبَض منها. قال الله تعالى ﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾[5] قال: فراش من ذهب، قال: فأُعطِي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغُفِرَ لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المُقْحِمَات.[6]

---

[1] المُبَطَّن : الضَّامر البطن. النهاية (٣٧/١)

[2] الأسحم: الأسود. النهاية (٣٤٨/٢)

[3] آراب: أي أعضاء واحدها إرْبٌ بالكسر والسكون. النهاية (٣٦/١)

[4] رواه الإمام أحمد في المسند (٣٧٤/١)، وصحح إسناده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٨/٥)، وحسنه الشيخ الألباني في الإسراء والمعراج (ص٧٦)

[5] سورة النجم: ١٦

[6] قال النووي في شرح صحيح مسلم (٦/٣): المُقْحِمَاتُ: الذنوب العظام، والحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى (٥/٣ رقم ٤٣٠)

١٢- عن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: انتهيت إلى السدرة، فإذا نَبِقُهَا[١] مثل الجِرَار[٢]، وإذا وَرَقها مثل آذان الفيلة، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحولت ياقوتا أو زُمُرُّدا أو نحو ذلك.[٣]

١٣- عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لما أُسري بي انتهيت إلى سدرة المنتهى، فإذا نَبِقُها أمثال القلال)[٤]

١٤- عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال، قال رسول الله ﷺ: (ليلة أسري بي مررت على جبريل في الملأ الأعلى كالحِلْسِ[٥] البالي من خشية الله ﷻ)[٦]

---

[١] النَّبِق: بفتح النون، وكسر الباء، وقد تُسكَّن: ثَمَر السِّدر، واحدتُه: نَبِقَة ونَبْقَة، وأشبَهُ شيءٍ به العُنَّاب قبلَ أن تَشْتَدّ حُمْرَتُهُ. النهاية (١٠/٥)

[٢] الجرُّ والجِرَارُ : جمع جَرَّة وهو الإناء المعروف من الفَخَّار. النهاية (٢٦٠/١)

[٣] رواه الإمام أحمد في المسند (١٢٨/٣)، وصحح إسناده الشيخ الألباني في الإسراء والمعراج ص(٤٨)

[٤] رواه الطبراني في الكبير (٢٨٧/١٠)، وقال الباحث الدكتور عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكي (ص٩٦٣): (الحديث صحيح وله شواهد ثابتة)

[٥] هو الكِسَاء الذي يَلِي ظَهْر البعير تحت القَتَب. النهاية (٤٢٣/١)

[٦] رواه الحافظ ابن أبي عاصم في كتاب السنة (كتاب السنة مع ظلال الجنة: ٢٧٦/١)، وحسنه الشيخ الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة (٢٧٦/١)، وجوّد إسناده في الإسراء والمعراج ص(٦١)، وقال في السلسلة الصحيحة (٣٦٣/٥ رقم ٢٢٨٩): (الحديث بمجموع الطريقين حسن أو صحيح)

١٥- عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف. قلت: (ما هذا يا جبريل؟)، قال: (هذا الكوثر الذي أعطاك ربك)، فإذا طِينُه – أو طِيبُه – مسك أذفر[١]

١٦- عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: لما عرج بي ربي ﷻ مَرَرتُ بقوم لهم أظفار من نحاس، يَخْمِشُون[٢] وجوههم وصدورهم، فَقُلتُ: (من هؤلاء يا جبريل؟) قال: (هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم)[٣]

١٧- عن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لما كذبتني قريش، قُمتُ في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس فَطَفِقْتُ أُخبِرُهم عن آياته وأنا أنظر إليه)[٤]

١٨- عن بن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: (لما كان ليلة أُسري بي وأصبحت بمكة، فَظِعتُ بأمري[٥]، وعَرَفتُ أنّ الناس مُكَذِّبِيَّ). فَقَعَدَ معتزلاً حزيناً. قال: فمَرّ عَدُو الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمستهزئ: (هل كان من شيء؟) فقال رسول الله ﷺ: (نعم)، قال: (ما هو؟)، قال: (إنه أُسري به[٦] الليلة)، قال: (إلى أين؟) قال: (إلى بيت المقدس)، قال: (ثم أصبحتَ بين ظهرانينا؟)، قال: (نعم). قال: فلم يُرِ أنّه يُكَذِّبُه، مخافة أن يجحده الحديث إذا دعا قومه إليه، قال: (أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم

---

[١] أذْفَر – أي: طَيِّب الرِّيح . والذَّفَر بالتحريك : يقَعَ على الطَّيِّب والكَرِيه ويُفْرَق بينهما بِما يُضاف إليه ويُوصَف به. النهاية (١٦١/٢)، والحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب في الحوض، وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٤٧٢/١١ رقم٦٥٨١)

[٢] يَخمِشون، أي: يجرحون. انظر: النهاية (٧٩/٢)، وعون المعبود (٢٣٩/٨)

[٣] رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة (١٢٤/٥ رقم ٤٨٧٨)، والإمام أحمد في المسند (٢٢٤/٣)، وصحح إسناده الشيخ الألباني في الإسراء والمعراج ص(٥٢)، وأورده في السلسلة الصحيحة (٦٩/٢ رقم ٥٣٣)

[٤] رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٤٣/٨ رقم٤٧١٠)

[٥] أي: اشْتَدَّ عليَّ وهِبْتُه. النهاية (٤٥٩/٣)

[٦] هكذا في المسند، ولعلّه: (بي) كما في السنن الكبري للنسائي

ما حدثتني؟) فقال رسول الله ﷺ: (نعم)، فقال: (هيًّا معشر بني كعب بن لؤي) حتى قال: فانتفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا إليهما. قال: (حَدِّث قومك بما حَدَّثتَني)، فقال رسول الله ﷺ: (إنّي أسري بي الليلة) قالوا: (إلى أين؟) قُلتُ[1]: (إلى بيت المقدس)، قالوا: (ثُمّ أصبحتَ بين ظهرانينا؟)، قال: (نعم) قال: فَمِن بين مصفق، ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب، زَعَم. قالوا: (وهل تستطيع أن تَنعَت لنا المسجد؟ وفي القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد.) فقال رسول الله ﷺ: (فذهبت أَنعَت فما زلت أنعت حتى التبس عليّ بعض النعت – قال:- فجيء بالمسجد وأنا أنظر، حتى وضع دون دار عقال –أو: عقيل – فنعتُّه وأنا أنظر إليه) قال: (وكان مع هذا نعت لم أحفظه) قال: فقال القوم: (أما النعت، فوالله لقد أصاب)[2]

١٩- عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يَتَحَدَّثُ الناس بذلك، فارتَدَّ ناسٌ ممن كان آمنوا به وصدَّقُوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر ﷺ فقالوا: (هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أُسري به الليلة إلى بيت المقدس؟)، قال: (أوقال ذلك؟)، قالوا: (نعم)، قال: (لئن قال ذلك لقد صدق)، قالوا: (أو تُصَدِّقُه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟)، فقال: (نعم، إني لأُصَدِّقُه بما هو أبعد من ذلك، أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة) فلذلك سمي أبا بكر الصديق رضي الله عنه [3]

ب- عن خباب بن الأرت[4] قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بردةً له في ظل الكعبة. قلنا له: (ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟) قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيُجعل فيه، فَيُجَاءَ بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده

---

[1] هكذا في المسند، ولعله: (قال) كما في سنن النسائي الكبرى

[2] رواه الإمام أحمد في المسند (٣٠٩/١)، والنسائي في الكبرى (٣٧٧/٦)، وحسن أسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٣٩/٧)، وصححه الشيخ الألباني في الإسراء والمعراج ص (٨٢)

[3] رواه الحاكم في المستدرك (٦٥/١) وصححه ووافقه الذهبي، وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٦١٥/١ رقم ٣٠٦)

[4] تقدمت ترجمته، (ص٧٧)

ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)[1]

التعليق:

قد تقدم أنّ الآيات التي دلّت على صدق رسول الله ﷺ، وصدق ما جاء به من التوحيد والإيمان بالله كثيرة متنوعة، ومن هذه الآيات والبراهين إخباره بكثير من الأمور الغائبة عن أعين البشر، سواء أكانت هذه الأمور الغائبة في زمن قبل حياته ﷺ، أو كانت موجودة في حياته، أو لم تحدث بعد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وآياته ﷺ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية، وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلاً عن غير النبيين. ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير، كما تقدم بعض ذلك، وكذلك في الأحاديث الصحيحة، مما أخبر بوقوعه، فكان كما أخبر.

ففي الصحيحين عن حذيفة[2]، قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكون من مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلاّ حدث به، حفظه من حفظه ونَسِيه من نسيه، قد

---

[1] رواه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٧١٦/٦ رقم ٣٦١٢)

[2] هو: حذيفة بن اليمان العبسي، من كبار الصحابة، من نجباء الصحابة، وهو صاحب السر، أي: صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلمه أحد غيره، والمراد بالسر: ما أعلمه النبي ﷺ من أحوال المنافقين. واسم اليمان: حِسل – ويقال: حسيل – ابن جابر العبسي اليماني من شهداء أحد. وحذيفة ولاه عمر على المدائن ، وبقي عليها إلى أن مات بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة سنة ٣٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦١/٢)، الإصابة (٤٤/٢)

علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه.[1]

وفي صحيح مسلم، عن أبي زيد عمرو بن أخطب[2] قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ الفجر، ثم صعد المنبر فخَطَبَنا حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلّى بنا، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلّى بنا، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس. قال: وأخبرنا بما كان، وما هو كائن، فأحفظنا أعلمنا)[3]

فبيّن رحمه الله تعالى أنّ إخبار النبي ﷺ بالأمور الغائبة من الآيات التي أيّده الله بها، كما أشار رحمه الله إلى أنّ إخبار النبي ﷺ بالأمور الغائبة، يمكن تقسيمه باعتبار الزمان إلى ثلاثة أقسام، وهي كالتالي:

القسم الأول: إخباره ﷺ بالغيوب الماضية

وهو إخباره ﷺ بالأمور السابقة، مثل أخبار من قبله ﷺ من الأنبياء وأقوامهم، والأمم السابقة، وقصصهم وما حدث لهم.

القسم الثاني: إخباره ﷺ بالغيوب الحاضرة

---

[1] رواه البخاري في كتاب القدر، باب﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٥٠٣/١١ رقم ٦٦٠٤)، ومسلم – اللفظ له – في كتاب الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢٢٤/١٨ رقم ٧١٩٢)

[2] هو: عَمرو بن أَخْطب، أبو زيد الأنصاري الخزرجي المدني الأعرج، من مشاهير الصحابة الذين نزلوا البصرة، وله بها مسجد يعرف به، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٧٣/٣)

[3] الجواب الصحيح (٣٢٠/٣)، والحديث رواه مسلم في كتاب الفتن، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢٢٤/١٨ رقم ٧١٩٦)

وهو إخباره بالأمور الغائبة عن حواس البشر في الزمان الحاضر، مثل الأشياء التي عبّر بعض أهل العلم عنها بـــ(الغيب المطلق)[1]، مثل صفة الجنة والنار والبرزخ وما يقع فيها الآن، وصفة الملائكة وأعمالهم.

القسم الثالث: إخباره ﷺ بالغيوب المستقبلة

وهو (ما أخبر به ﷺ من المستقبلات، فوقع كما أخبر، ورأى الناس ذلك. وأما ما أخبر به، مما لم يقع إلى الآن، فكثير، وقد أخبر بأشياء من المغيبات، ووقعت في زمانه، ووجدت كما أخبر)[2]

وقد جاء أخبار من هذه الأقسام الثلاثة في مرويات العهد المكي، أما القسم الأول والثالث، وهما إخباره ﷺ بالغيوب الماضية والمستقبلة، فيدخل فيها حديث خباب بن الأرت حيث أخبر فيها النبي ﷺ بالتعذيب الذي واجهه أناس ممن قبلنا من الأمم إذ قال: (كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيُجعل فيه، فَيُجَاءَ بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه)، وهذا من المغيبات الماضية، كما أخبرنا ﷺ بالأمن الذي سيحصل للمسلمين في المستقبل، عندما قال: (والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه)، وهذا من الغيوب المستقبلة.

وأما القسم الثاني، وهو إخباره بالغيوب الحاضرة، فيدخل فيها أخبار الإسراء والمعراج، ويوجد في هذه الأخبار شيء من المغيبات الماضية أيضاً، والمغيبات الواردة في أحاديث الإسراء والمعراج كالآتية:

---

[1] انظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن ص (٢٣)

[2] الجواب الصحيح (٣٤٨/٣)

١- صفة المسجد الأقصى التي كانت غائبة عن أكثر أهل مكة عندما تكلّم عنها رسول الله ﷺ

٢- البراق وصفته

٣- جبريل عليه السلام، وبعض صفاته

٤- الأنبياء وأحوالهم في البرزخ وصفات موسى وعيسى عليهما السلام، وكون يوسف عليه السلام أعطي شطر الحسن

٥- السموات وتعددها

٦- البيت المعمور

٧- السدرة المنتهى وصفتها

٨ – عدد الصلوات المفروضة على قوم موسى

٩- الأقلام وصريفها

١٠- الأنهار الأربعة في السماء السابعة

١١- المَلَك الموكل بجهنم بتسميته بـــ(مالِك)

١٢- شجرة الزقوم

١٣- صفة الدجال

١٤- صفة الملأ الأعلى

١٥- صفة نهر الكوثر

ووجه دلالة هذه الأخبار وجميع ما ورد فيه إخبار رسول الله ﷺ بالمغيبات على توحيد الربوبية ووجود الخالق: أنّه ليس من عادة البشر أن يعلم الأمور التي وقعت في الزمن الماضي أو الغيب الحاضر، كما لا يمكنه أن يعلم ما سيحدث في المستقبل، فلا يمكن للرسول ﷺ أن يعلم الأشياء الغائبة التي أخبر بها إلاّ أن يُخبر بها، أو يقدر على شهادتها كما حدث له ليلة الإسراء والمعراج، ولا يمكن أن يخبره بما يحدث في هذا الكون في ماضيه ومستقبله وغيبه الحاضر، إلاّ خالق هذا الكون سبحانه وتعالى، ومدبره عز وجل، وهذا يدل على وجود خالق هذا الكون ومدبره ومالكه رب العالمين.

ومن ناحية أخرى: إخبار النبي ﷺ بالمغيبات على ما هي عليه يدل على صدقه وصدق نبوته ﷺ، وهذا يستلزم تصديق جميع ما دعا إليه، ومن أعظم ما دعا إليه: التوحيد بجميع أقسامه، قال الشيخ السعدي رحمه الله في هذا المعنى: (البراهين الدالة على رسالة محمد ﷺ ورسالة سائر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم من أكبر البراهين على إبطال قول الملحدين[1] وآيات الرسل عموماً ومحمد خصوصاً لا تعدّ ولا تحصى، متنوعة من كل وجه، توجب العلم الضروري بصدقهم وصحة ما جاؤوا به)[2]

سادساً:- ما جاء في الآيات المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير

النوع الأول منها: ما هو في العالم العلوي (الآيات الأفقية)، وفي ذلك:

أ- قصة حراسة السماء

فعن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين، فقالوا: (ما لكم؟)، فقالوا: (حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب)، قال: (ما حال بينكم وبين خبر السماء إلاّ ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا: ما هذا الأمر الذي حدث؟)، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين تَوَجّهُوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن، تَسَمَّعُوا له، فقالوا: (هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء)، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: (يا قومنا: إنا سمعنا قرآنا عجبا، يهدي إلى الرشد فآمنا

---

[1] أي: إنكار وجود الصانع

[2] الأدلة القواطع والبراهين (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ – القسم الخامس: الثقافة الإسلامية ٢/٣٧٠)

به ولن نشرك بربنا أحداً)، وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ [١]

ب- انشقاق القمر، وقد ورد في ذلك:

١- عن أنس بن مالك ﷺ: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما[٢]، وفي رواية لمسلم:فأراهم انشقاق القمر مرتين

٢- عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين، فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله ﷺ: (اللهم اشهد)[٣]

٣- عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: إنّ القمر انشق على زمان رسول الله ﷺ [٤]

٤-عن ابن عمر قال: انفلق القمر عى عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا[١]

---

[١] سورة الجن:١، والحديث رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري:٥٣٧/٨ رقم ٤٩٢١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الجهر بالقرآءة في الصبح والقرآءة على الجن (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣٨٨/٤ رقم ١٠٠٥)

[٢] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٢١/٧ رقم ٣٨٦٨)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٤٣/١٧ رقم ٧٠٠٧)

[٣] رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٤٨٣/٨ رقم ٤٨٦٤، ٤٨٦٥)، ومسلم – واللفظ له- في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٤١/١٧-١٤٢ رقم ٧٠٠٢، ٧٠٠٣، ٧٠٠٤)

[٤]رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٢١/٧ رقم ٣٨٧٠)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٤٣/١٧ رقم ٧٠١٠)

٥- عن جبير بن مطعم، قال : انشق القمر على عهد النبي ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا: (سحرنا محمد)، فقال بعضهم: (لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم)[٢]

٦- عن أبي عبد الرحمن السلمي[٣] قال : نزلنا المدائن فكنا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي معه فخطبنا حذيفة فقال: (ألا إن الله يقول ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ [٤]، ألا وإن الساعة قد اقتربت، ألا وإن القمر قد انشق، ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق، ألا وإن اليوم المضمار، وغدا السباق)[٥]

ج- الأخبار الواردة في الإسراء والمعراج، وقد تقدم ذكرها عند الحديث عن إخبار رسول الله ﷺ عن الغيوب الماضية والحاضرة والمستقبلة

التعليق:

---

[١] رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين، باب انشقاق القمر (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٤٢/١٧ رقم ٧٠٠٥) وقد ساق الإسناد دون المتن، والترمذي –واللفظ له- في كتاب التفسير، باب: ومن سورة القمر (٣٩٨/٥ رقم ٣٢٨٨)

[٢] رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب: ومن سورة القمر (٣٩٨/٥ رقم ٣٢٨٩)، والإمام أحمد (٨١/٤)، والحاكم في المستدرك (٥١٣/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح الترمذي: (١١٢/٣ رقم٢٦٢٢): (صحيح الإسناد)

[٣] هو: عبدالله بن حبيب بن ربيعة، مقرئ الكوفة، الإمام العَلَم، أبو عبد الرحمن السُلَمي الكوفي من أولاد الصحابة؛ مولده في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن ومهر فيه، وعرض على عثمان، وعلي، وابن مسعود، وحدث عن عمر وعثمان وطائفة، وذكر أن والده من أصحاب النبي ﷺ، وأنّه غزا معه. قيل إنه توفي سنة ٧٤هـ، وقيل: سنة ٧٣هـ، وقيل: قبل سنة ٨٠هـ، وقيل: في أوائل ولاية الحجاج على العراق. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٧/٤)

[٤] سورة القمر: ١

[٥] رواه الطبري في تفسيره (٨٦/٢٧)، وحسن إسناده الباحث عادل عبد الغفور في دراسة مرويات العهد المكي ص (٧٢٥)

لقد أيد الله ﷻ أنبياءه بآيات تُدرك بالحس، شهدها الجمع الغفير من الناس بأعينهم، ونقلوها إلى من بعدهم نقلاً متواتراً، وهذه الآيات توجب علماً ضرورياً بصدق الأنبياء وبالخالق.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى إن: (آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومعجزاتهم التي شهدها الخلق العظيم، وتناقلها القرون، واجتمعت عليها الدلالات المتنوعة: دلالة العقل، ودلالة الحس، واضطرار الخلق الذين شهدوها أنها من عند الله ومن آياته ومن براهينه، تهدم الأصل الذي أَصَّله الملاحدة[1] حيث لم يُثبتوا إلاّ ما دلّ عليه الحس، فإن أكثر المحسوسات إذا نُسِبَت لآيات الأنبياء ومعجزاتهم لم يكن عليها نسبة من هذه الجهة، فضلاً عن بقية الاستدلالات عليها، **فهي من أقوى الطرق وأوضحها وأدلّها على الصانع وصفاته وأفعاله**)[2]

ومن هذه الآيات الظاهرة التي شهدها الخلق العظيم ما لها علاقة بالفَلَك والأجرام السماوية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وآياته ﷺ المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع: الأول منها: ما هو في العالم العلوي، كانشقاق القمر، وحراسة السماء بالشهب الحراسة التامة لما بعث، كمعراجه إلى السماء)[3]

وقد عبّر الشيخ محمد بن صالح العثيمن رحمه الله عن هذا النوع من الآيات بأنها (الآيات الأفقية)[4]

وهذه الآيات الثلاث التي مثّل بها شيخ الإسلام ابن تيمية، ورد ذكر جميعِها في مرويات العهد المكّي، فحراسة السماء بالشهب، وانشقاق القمر، ومعراج النبي ﷺ إلى السماء كلها حدث ورسول الله ﷺ مستقر بمكّة.

---

[1] يقصد بهم المنكرين لوجود الخالق

[2] الأدلة القواطع والبراهين (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الخامس – ثقافة إسلامية: ٣٣١/٢)

[3] الجواب الصحيح (٣٦٣/٣)

[4] آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٣١١/٥)

أمّا حراسة السماء بالشهب، فقد وقعت لما بعث النبي ﷺ، وقد شهدها الناس مؤمنهم وكافرهم بأبصارهم، وجاء ذكرها في القرآن، و لم يُنكر وقوعها أحد من المشركين إذا قُرِئَ الآيات في ذكرها بحضرتهم، بل جاء ذكر الرمي في أشعار العرب.

قال النووي[١] رحمه الله: (وقد جاءت أشعار العرب باستغرابهم رميها لكونهم لم يعهدوه قبل النبوة، وكان رميها من دلائل النبوة)

وقال: (وذكروا[٢] أنّ الرمي بها، وحراسة السماء كانت موجودة قبل النبوة ومعلومة، ولكن إنّما كانت تقع عند حدوث أمر عظيم من عذاب ينزل بأهل الأرض، أو إرسال رسول إليهم، وعليه تأوّلوا قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [٣])[٤]

وقد تكلّم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن هذه الحادثة العظيمة، فقال: (ومن آياته الظاهرة التي في القرآن: ما ذكره من أن السماء مُلِئَت حرساً شديداً وشُهُباً بخلاف ما كانت العادة جارية به، قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ إلى قوله ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [٥] وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١

---

[١] هو: يحى بن شَرَف بن مُري، أبو زكرياء محي الدين الحزامي، النووي، الدمشقي، الحافظ، المحدث، الفقيه، من المحققين في مذهب الإمام الشافعي، وهو من أشهر شراح صحيح مسلم، ولد عام ٦٣١هـ، له: (مجموع شرح المهذب)، و(المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، و(رياض الصالحين)، و(الأربعين النووية)، وغير ذلك، وكان ورعاً، وزاهداً، وكثير النسك والعبادة، توفي سنة ٦٧٦هـ رحمه الله. انظر: الأعلام (١٤٩/٨)

[٢] يعني: علماء التفسير

[٣] سورة الجن: ١٠

[٤] شرح صحيح مسلم للنووي (٣٨٩/٤)

[٥] سورة الجن: ١-١٠

إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [1] وهذا كان النبي ﷺ يقرؤه على الناس، وهم يقرؤنه، ولم ينكره أحد ولا ارتاب به مؤمن، ولا احتج به عليه كافر، فدَلّ أن الناس علموا صدق ما أخبرت به الجن من أن السماء مُلِئَت حَرَساً شديداً وشُهُباً، وأنّهم لم يَتَمَكَّنُوا حِينَئِذٍ مما كانوا يتمكنون منه قبل ذلك من الاستماع، ومعلوم أن هذا أمر يراه الناس بأبصارهم، فإنّ امتلاء السماء بالشهب أمر يراه الناس كلهم، فلو لم يكن كذلك لكان الناس يُكَذِّبُون بهذا مؤمنهم وكافرهم، فإن الجماعة العظيمة الذين لم يتواطئوا يمتنع اتفاقهم على الكذب وعلى التصديق بما يعلمون أنه كذب وعلى كتمان ما يعلمونه وعلى ترك إنكار ما يعلمون أنه كذب

وقد سمع القرآن ألوف مؤلفة، أدركوا مبعثه، وشاهدوا أحوال السماء، فلو لم يكن هذا كان موجوداً – مع أن عامتهم كانوا مكذبين له، ولما آمنوا كانوا طوائف متباينين – يمتنع اتفاقهم على كذب أو كتمان أو سكوت، فلما لم ينكر ذلك أحد بل تظاهرت الأخبار بمثل ما أخبر به القرآن من الرمي العظيم بالشهب الذي لم يُعهده مثله، حتى صاروا يشكون: هل ذلك في الكواكب التي في الفلك أو في غيرها؟ وقالوا إن كان في كواكب الأفلاك فهو خراب العالم، فلما رواه فيما دونها علموا أنه لأمر حدث)[2]

فعُلِم أنّ امتلاء السماء بالشهب كان أمراً لم يعهده الناس، وشهدوه، واستغربوه وكان لأمر عظيم: نزول القرآن ومبعث نبينا محمد ﷺ

ووجه دلالة هذه الحادثة على توحيد الربوبية يظهر في أمرين:

الأمر الأول: امتلاء السماء بالشهب، من دلائل النبوة، وكل ما دل على أنّ النبوة حق، دل على صدق ما دعا إليه النبي عليه السلام، من ضمنه توحيد الربوبية، وقد سبق بيان ذلك.[3]

والأمر الثاني: يُستفاد من هذه الواقعة، أنّ الله متفرد بالتصرف في الكون، لأنّ التصرف بالكواكب والشهب خارج عن قدرة الإنس والجن، وليست هذه الشهب مُدَبِّرة

---

[1] سورة الشعراء: ٢١٠-٢١٢

[2] الجواب الصحيح (٣/٣٠٨-٣٠٩)

[3] انظر: ص (١٢٨)، (١٨٨) من هذه الرسالة

لأنفسها إذ لو كانت مدبرة لأنفسها لما اختلفت عادتها بمجرد دعوى شخص لتؤيده بما ادعاه،[1] فلا يتصرف بها إلا خالقها ومالكها، والّذي يتفرد بالتصرف بالكواكب، هو الذي يتفرّد بالتصرف بالكون وما فيه من الأجرام السماوية وما دونها، والتصرف بالكون من خصائص الرب ﷻ

وأما انشقاق القمر، فهو من أعظم الآيات والبراهين التي أيّد الله بها رسول الله ﷺ، ومن أشهرها، وقد انشق القمر عندما سأل كُفّارُ مكّة رسولَ الله ﷺ أن يُرِيَهم آية، وقد جاء ذكر هذه الواقعة في القرآن، في صدر سورة القمر، فقال الله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣ ﴾[2] (وكان النبي ﷺ يقرأ بهذه السورة في المجامع الكبار مثل صلاة الجمعة والعيدين، ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار بما فيها، وكل الناس يُقِرّ بذلك ولاينكره، فعُلِم أن انشقاق القمر كان معلوماً عند الناس عامة)[3]

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله في دلالة هذه الحادثة العظيمة على الصانع وصدق النبوة : (وكذلك إيماء الرسول إلى القمر فينشق نصفين بحيث يراه الحاضر والغائب فيخبر به كما رآه الحاضرون وأمثال ذلك مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر)[4]

ووجه دلالة انشقاق القمر على توحيد الربوبية يظهر فيما يلي:

أولاً: هذه الحادثة العظيمة من البراهين على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (قد ذكر الله انشقاق القمر، وبين أنّ الله فعله، وأخبر به لحكمتين عظيمتين: أحدهما: كونه من آيات النبوة، لما سأله المشركون آية،

---

[1] انظر: آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٣٠٥/٥)

[2] سورة القمر: ١-٣

[3] الجواب الصحيح (٣٦٣/٣)

[4] الصواعق لمرسلة (١١٩٨/٣)

فأراهم انشقاق القمر، والثانية: أنّه دلاله على جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء، من انشقاق السموات)[١]

وقد تقدم البيان على أنّ كلّ آية وبرهان دلّ على صدق النبي ﷺ وصدق نبوته، يصلح أن يكون دليلاً على توحيد الربوبية، فإنّ رسالته ﷺ تشمل التوحيد بجميع أنواعه.[٢]

ثانياً: يُستفاد من هذه القصة العجيبة: تفرّد الله ﷻ بالقدرة على هذا المخلوق العظيم، وعلى جميع المخلوقات، ففلق الأجرام السماوية ليس من عادة البشر، وإنما يقدر على ذلك من خلقها، وإذا كان الله قادر على أن يتصرف في القمر كما شاء، فقدرته على ما دون القمر من باب أولى.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى، مُعَلِّقاً على قصة انشقاق القمر: (ومن يفلق هذا الجسم العظيم الأفقي العالي إلا رب العالمين ﷯؟!)[٣]

وقال رحمه الله: (ونحن نؤمن بأن القادر على أن يطوي السماوات بيمينه كطي السجل للكتب، قادر على أن يفرق القمر فرقتين، ولا شيء يعجزه)[٤]

وقال: (انظر إلى الأكوان الفلكية التي لا تتغير بعوامل الزمن إلاّ بإرادة الله، ولقد أجراها الله تعالى كما قدر لها تجري منذ خلقها الله حتى يأذن بانتهائها، وفي ليلة من الليالي طلبت قريش من النبي ﷺ، آية فأشار إلى القمر فانشق نصفين متباعدين يراها الناس بأعينهم، حتى ادعت قريش جحوداً وعناداً أن النبي ﷺ سحرهم، وسألوا القادمين إلى مكة

---

[١] الجواب الصحيح (٣/٣٦٣)

[٢] انظر: ص (١٢٨)، (١٨٨) من هذه الرسالة

[٣] تفسير سورة الحجرات إلى سورة الحديد للشيخ ابن عثيمين (ص٢٦٢)

[٤] المصدر نفسه (ص٢٦٣)

عن ذلك فأخبروهم أنهم رأو انشقاق القمر في تلك الليلة. أفلا يدلّ هذا على أن هذا الكون العلوي منه والسفلي خاضع للرب الخالق العظيم؟[١]

والتفرد بالقدرة على الكون وما فيه، من أظهر خصائص الربوبية، فعُلِم أنّ قصة انشقاق القمر من الشواهد على توحيد الربوبية.

وأمّا معراج النبي ﷺ إلى السماء الّذي تواتر به الأخبار، فهو من أعظم المعجزات ومن أحسن البراهين على صدق نبوته ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وكذلك صُعُوده ليلة المعراج إلى ما فوق السموات، وهذا مما تواترت به الأحاديث، وأخبر به القرآن، أخبر بمسراه ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو بيت المقدس، وفي موضع آخر: بصعوده إلى السموات، فقال تعالى ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [٢] فأخبر هنا بمسراه ليلا بين المسجدين وأخبر أنه فعل ذلك ليريه من آياته)[٣]

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: (المعراج من أكبر الآيات، فلقد أسري بالنبي ﷺ، في ليلة واحدة إلى بيت المقدس، واجتمع هناك بالأنبياء، وصلّى بهم، ثم عرج به جبريل حتى بلغ سدرة المنتهى فوق سبع السماوات، وأوحى الله تعالى إليه ما أوحى، وشاهد ﷺ، من آيات الله الكبرى ما شاهد، ومر بالأنبياء في كل سماء، ورجع إلى مكّة، كل ذلك في ليلة واحدة مع بعد المسافة الأرضية بين مكة وبين البيت المقدس، ثم البعد العظيم بين السماء والأرض وبين السماء الدنيا وما فوقها إلى سدرة المنتهى، وقد أخبر الله تعالى في القرآن عن الإسراء في سورة الإسراء وعن المعراج في سورة النجم)[٤]

---

[١] آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٣٠٥/٥-٣٠٦)

[٢] سورة الإسراء: ١

[٣] الجواب الصحيح (٣٦٦/٣)

[٤] آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٣١٣/٥)

ووجه دلالة قصة الإسراء والمعراج على توحيد الربوبية أنّ قطع النبي ﷺ هذه المسافة البعيدة في ليلة واحدة والعروج إلى السماء أمر خارق للعادة، لأن البشر لا يقدر على ذلك بنفسه، وإذا كان خارقاً للعادة كان دليلاً على قدرة الخالق، وأنه قادر على تغيير مجرى العادة التي كان الناس يألفونها[1]، وتغيير الله مجرى العادة والمألوف من تصرفه ﷻ في الكون الّذي هو من أبرز خصائص الربوبية.

النوع الثاني: آيات الجو

وفي ذلك ظل الغمامة له في رحلته إلى الشام:

١-في قصة رحلته ﷺ مع عمّه إل الشام:

...ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به، وكان هو في رعية الإبل قال: (أرسلوا إليه)، **فأقبل وعليه غمامة تظله**. فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة. فلما جلس مال فئ الشجرة عليه، فقال: (انظروا إلى فئ الشجرة مال عليه).[2]

٢-وفي رواية: ...**وانما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله** ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة **ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة** واخضلت أغصان الشجرة على النبي ﷺ حين أستظل تحتها...

---

[1] انظر: آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٣٠٤/٥)

[2] تقدم التخريج بعد إيراد الحديث بكامله، ص (١٤٤)

وفيها: .. فلما نظر بحيرا إلى القوم فلم ير الصفة التي يعرف ويجدها عنده، **وجعل ينظر ولا يرى الغمامة على أحد من القوم، ويراها متخلفة على رأس رسول الله ﷺ**..

وفيها: .. ثم قام إليه فاحتضنه وأقبل به حتى أجلسه على **الطعام والغمامة تسير على رأسه** وجعل بحيرا يلحظه لحظاً شديداً[١]

التعليق:

من الآيات المتعلقة بالقدرة والفعل والتأثير: آيات الجو، والمراد بها الآيات المتعلقة بالمطر، والسحاب، والصحو، والريح مثل استسقائه ﷺ، واستصحائه، وإرسال الله الريح لنصر النبي ﷺ على أعدائه.[٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (والنوع الثاني: آيات الجو، كاستسقائه ﷺ، واستصحائه، وطاعة السحاب له، ونزول المطر بدعائه ﷺ)[٣]

ويدخل في هذا النوع من الآيات من مرويات العهد المكّي قصة ظل الغمامة لرسول الله ﷺ في رحلته إلى الشام مع عمّه أبي طالب، وسيرها فوق رأسه ﷺ حيث ذهب، ولا شك أن سير السحاب فوق شخص بعينه ليظله هو، ليس أمراً معهوداً في السحاب، فهو أمر خارق للعادة، والأمور الخارقة للعادة تبين لنا قدرة الخالق، وأنه قادر

---

[١] تقدم تخريجه، ص (١١٧)

[٢] انظر: الجواب الصحيح (٣/٣٧٥-٣٧٧)

[٣] الجواب الصحيح (٣/٣٧٥)

على تغيير مجرى العادة التي كان الناس يألفوها، وأن الكون خاضع لقدرة الله وتدبيره[1]، وهذا من خصائص الربوبية، فكان ظل الغمامة وسيره فوق رأس النبي ﷺ من الشواهد على توحيد الربوبية.

النوع الثالث: آثاره في الأشجار والخشب والأحجار، وفي ذلك:

١- في رحلة النّبي ﷺ قول الراهب: (إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي)

وفيه: فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فئ الشجرة. فلما جلس مال فئ الشجرة عليه، فقال: (انظروا إلى فئ الشجرة مال عليه)[2]

٢- وفي رواية: ...وانما حمله على دعائهم أنه رآهم حين طلعوا وغمامة تظل رسول الله ﷺ من بين القوم حتى نزلوا تحت الشجرة ثم نظر إلى تلك الغمامة أظلت تلك الشجرة **واخضلت أغصان الشجرة على النبي ﷺ حين أستظل تحتها**[3]

٣- قال رسول الله ﷺ: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن)[4]

٤- سُئل مسروق[5]: (من آذن النبي ﷺ بالجن ليلة استمعوا القرآن؟)، فقال: (حدّثني أبوك – يعني: عبد الله بن مسعود – أنّه آذنت بهم شجرة)[1]

---

[1] انظر: أيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٥:٣٠٤-٣٠٥)

[2] تقدم تخريجه، ص (١٤٤)

[3] تقدم تخريه، ص (١١٧)

[4] رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣٨/١٥ رقم ٥٨٩٨)

[5] هو: التابعي: مسروق بن الأجدع بن مالك، أبو عائشة الوادعي الهمداني الكوفي ،الإمام، القدوة، العلم، حدّث عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وابن مسعود وغيرهم ﵃ أجمعين، واعتُبر من كبار

٥- عن بن عباس، رضي الله عنهما، قال: إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاقدوا باللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى ونائلة وإساف لو قد رأينا محمدا لقد قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتى نقتله، فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: (هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك، لقد قاموا إليك، فقتلوك فليس منهم رجل إلاّ قد عرف نصيبه من دمك)، فقال: (يا بُنَيَّة، أريني وضوءاً)، فتوضأ، ثم دخل عليهم المسجد، فلما رأوه قالوا: (ها هو ذا)، وخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم، وعقروا في مجالسهم، فلم يرفعوا إليه بصراً، و لم يقم إليه منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤوسهم، فأخذ قبضة من التراب، فقال: (شاهت الوجوه) ثم حصبهم بها فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً[2]

٦-عن أنس بن مالك قال : جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ ذات يوم، وهو جالس حزين، قد خضب بالدماء، قد ضربه بعض أهل مكة، فقال: (ما لك؟) فقال: (فعل بي هؤلاء، وفعلوا)، قال: (أتحب ان أريك آية؟)، قال: (أرني)، فنظر إلى شجرة من وراء الوادي، قال: (ادع تلك الشجرة)، فدعاها، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه. قال: (قُل لها فلترجع)، فقال لها فَرَجَعَت حتى عادت إلى مكانها، فقال رسول الله ﷺ حسبي[3]

التابعين، وفي المخضرمين الذين أسلموا في حياة النبي ﷺ، وتوفي رحمه الله عام ٦٢هـ، وفيل ٦٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦٣/٤)

[1] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٠٨/٧ رقم ٣٨٥٩)

[2] رواه الإمام أحمد في المسند (٣٠٣/١، ٣٦٨)، ابن حبان في صحيحه (٤٣٠/١٤)، والحاكم في المستدرك (١٦٨/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٨٣/٦)

[3] رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٣٧٢/٤ رقم ٤٠٢٨)، مسند الإمام أحمد ١١٣/٣، مصنف ابن أبي شيبة (٣١٧/٦-٣٢٠)، سنن الدارمي (٢٦/١)، مسند أبي يعلى (٣٥٨/٦)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣٧٢/٤): (إسناده صحيح إن كان أبو سفيان واسمه طلحة بن نافع سمع من جبير)، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٧٢/٢): (صحيح)

٧- عن عمر بن الخطاب ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان بالحجون[1] وهو كئيب حزين، فقال: (اللّهم أرني اليوم آية، لا أبالي من كَذَّبَني بعدها من قومي)، فنادى شجرة من قبل عقبة أهل المدينة، فناداها، فجاءت تشق الأرض حتى انتهت إليه، فسَلَّمَت عليه، ثم أمرها، فذهبت. قال: فقال: (ما أبالي من كَذَّبَني بعدها من قومي)[2]

التعليق:

من الآيات التي أيّد الله به رسوله محمد ﷺ آثاره في الأشجار، والخشب، والأحجار، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنها من آيات نبوته ﷺ، واستشهد بعدد من الآحاديث في ذلك، من ضمن ما ذكر معظم ما تقدم إيراده هنا من مرويات العهد المكّي[3]

وتأثير النبي ﷺ في الحجر والشجر على أوجه مختلفة متنوعة، تظهر فيما يلي:

أولاً: في السجود له ﷺ كما وقع في قصة رحلة النبي ﷺ إلى الشام مع عمّه أبي طالب، حيث لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً للنبي ﷺ

---

[1] الحجون جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها وقيل: مكان من البيت على ميل ونصف وقيل على فرسخ وثلث . معجم البلدان (٢٢٥/٢)

[2] رواه أبو يعلى في المسند (١٩١/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٩): (وإسناد أبي يعلى حسن)

[3] انظر: الجواب الصحيح (٣٨٩/٣، ٤١٧)

ثانياً: في التسليم عليه، كما هو ظاهر في حديث تسليم الحجر عليه في مكّة قبل النبوة، وكما وقع في الحديث الذي جاء فيه ذكر حزن النبي ﷺ بعدما ضربه بعض أهل مكّة، حيث سلّمت الشجرة على النبي ﷺ، بعدما دعاها ومشت إليه ﷺ

ثالثاً: في تحدث الشجر معه ﷺ، كما وقع ليلة استماع الجن للقرآن

رابعاً: في ميل ظل الشجر وأغصانها عليه ﷺ كما حدث في قصة رحلته إلى الشام مع عمّه أبي طالب

خامساً: في طاعة الشجر لأمره ﷺ كما وقع في الحديث الذي جاء فيه ذكر حزن النبي ﷺ بعدما ضربه بعض أهل مكّة، إذ ورد فيه أن الشجرة مشت إليه ﷺ عند ندائه ﷺ لها، وعادت إلى مكانها بعد أن أمرها رسول الله بالرجوع.

سادساً: في تسبب الحصاة في قتل أعداء النبي ﷺ بإذن الله بعد ما أخذ قبضة من التراب، وقال: (شاهت الوجوه) وحصبهم بها.

وهذه الأشياء لا ريب أنها من دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ وصحة ما جاء به من توحيد الله ﷻ.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: (ومن الّذي أيّد محمداً ﷺ بالآيات البينات والنصر العظيم، وشق له القمر، **وسلّم عليه الشجر والحجر**...

فبعض هذه الآيات **توجب لكل منصف أن يعترف بوحدانية الله وكماله** وصحة ما جاء به الرسل في كلّ زمان ومكان)[1]

---

[1] الأدلة القواطع والبراهين (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الخامس – ثقافة إسلامية: ٢/٣٦٠-٣٦١)

فآثار النبي ﷺ في الشجر والحجر من دلائل نبوته ومن دلائل توحيد الربوبية، ووجه الاستدلال بها على توحيد الربوبية كما يلي:

١- هذه الآثار من دلائل النبوة، وقد أشار إلى ذلك بحيرى عندما قال في قصة رحلة النبي ﷺ إلى الشام مع عمّه أبي طلب: (ولا يسجدان إلاّ لنبي)، وقد تقدّم أن كل دليل على صحة نبوة الرسول ﷺ يصلح أن يكون دليلاً على توحيد الربوبية لأنّه داخل رسالته، لأنّ إثبات النبوة يستلزم إثبات ما دعا إليه.[١]

٢- التأثير في الشجر والحجر بهذه الطرق ليس مما يستطيعه البشر عادةً، فهو أمر خارق للعادة، والأمر الخارق للعادة يُفيد العلم بقدرة الله تعالى وأن الخلق تحت قهره وأمره، وأنّه قادر على تغيير مجرى العادة التي كان الناس يألفونها[٢]، وهذا من خصائص الربوبية.

النوع الرابع: تكثير الماء والطعام، وفي ذلك:

١- قصة حليمة، وفيه: قالت: فلمّا أخذته، رجعت به إلى رَحلي، **فلمّا وضعته في حِجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى رَوِيَ، وشرب معه أخوه حتى روي،** ثُمَّ ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا أنها لحافل، **فحلب منها ما شرب، وشربتُ معه حتى انتهينا رِياً وشِبعاً،** فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: (تعلمي والله يا حليمة، **لقد أخذتِ نسمة مباركة**). قالت: فقلت: (والله، إنّي لأرجو ذلك)، قالت: ثُمّ خرجنا ورَكِبتُ أنا أتاني وحملته عليها معي، فوالله لقطعتُ بالرَّكبِ، ما يقدر عليها شيء من حُمُرِهِم، حتى إنَّ صواحبي ليقلن لي: (يا ابنة أبي ذُؤيب، ويحكِ! ارْبَعِي علينا، أليست هذه أتانَكِ التي كُنتِ خَرَجْتِ عليها؟) فأقول

---

[١] انظر: ص (١٢٨)، (١٨٨) من هذه الرسالة.

[٢] آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:٥/٣٠٤-٣٠٥)

لهنّ: (بلى والله، إنها لهي هي)، قيفلن: (والله، إنّ لها لشأناً)، قالت: ثمّ قَدِمنا منازلَنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تَرُوحُ عليَّ حين قدمنا به معنا شباعاً لُبّناً، فنحلبُ ونشربُ، وما يحلب إنسانٌ قطرةَ لبنٍ ولا يجدها في ضَرْع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرُعيانهم: (وَيلَكُم! اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذُؤَيْب)، فتروح أغنامهم جياعاً ما تَبضُّ[1] بقطرة لبن، وتروح غنمي شِبَاعاً لُبّناً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته، وكان يَشِبُّ شباباً لا يشُبُهُ الغلمان، فلم يبلُغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفراً. قالت: فقدمنا به على أُمِّهِ، ونحن أحرص شيءٍ على مكثه فينا؛ لما كنّا نرى من بركته، فكلّمنا أُمَّه، وقلت لها: (لو تركتِ بُنَيّ عندي حتى يغلُظَ، فإنّي أخشى عليه وَبَأ مكّةَ[2])، فلم نزلْ بها حتى رَدَّته معنا[3].

٢- عن عمرو بن سعيد[4]، أن أبا طالب قال: كنت بذي المجاز[5] ومعي بن أخي – يعني: النبي ﷺ ، فأدركني العطش، فشكوت إليه، فقُلتُ: (يا بن أخي، قد عَطَشتُ)، وما قُلتُ له ذاك، وأنا أرى أن عنده شيئاً إلاّ الجزع. قال: فَثَنَى وَرِكَه، ثمّ نَزَل، فقال: (يا عم، أَعَطَشتَ؟). قال: قُلتُ:(نعم). قال: فأهوى بعقبه إلى الأرض، فإذا بالماء، فقال: (اشرَب يا عم)، قال: (فَشَرَبت)[6]

التعليق:

---

[1] تقدم شرحه، (ص١٠٧)

[2] تقدم شرحه، (ص١٠٩)

[3] تقدم تخريجه، ص (١١٠)

[4] قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (ص ٧٣٦): (عمر بن سعيد القرشي أو الثقفي مولاهم، أبو سعيد البصري، ثقة، من الخامسة)

[5]هُو موضِع عند عرَفَات كان يُقامُ به سُوق من أسْواق العرب في الجاهلية . النهاية (٤١٢/٣)

[6] الطبقات الكبرى لابن سعد (١٥٢/١-١٥٣)، صحح إسناده الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي ص٢٧٩، مع ذكره أن خبر عمرو بن سعيد معضل غالباً

من آيات النبوة: الماء والطعام الذي كان يكثر ببركة النبي ﷺ فوق العادة[1]، فإنّه قد ورد في أحاديث وأخبار كثيرة ذكر قلة الماء أو نفاده عند من حوله ﷺ مع حاجتهم إلى الماء، ثمّ تكثيره ببركته ﷺ، وهكذا مع الطعام[2]، ويدخل في هذه الأخبار من مرويات العهد المكّي قصة حليمة أمّ النبي ﷺ من الرضاعة، حيث ورد فيها تكثير اللبن في ثديها بعد أن رضعت النبي ﷺ، كما ورد فيها تكثير الحليب في غنمها الذي أدى إلى زوجها أن يقول: (لقد أخذت نسمة مباركة)، وكما ورد فيها أن الزيادة والخير كان يأتي أهلها حتى مضت سنتاه وفصلته.

ويدخل أيضاً في هذا النوع من الأخبار قصة عطش أبي طالب، الّذي ذكر عطشه للنبي ﷺ، فأهوى النبي ﷺبعقبه إلى الأرض، فإذا بالماء.

وتكثير النبي ﷺ للماء واللبن من الآيات التي أيّده الله بها، قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: (ومن الّذي أيّد محمداً ﷺ بالآيات البينات ..، وأنبع الماء من أصابعه **فروى الخلق الكثير، وبارك في الطعام الّذي باشره حتى أشبه الخلق الكثير**...

فبعض هذه الآيات **توجب لكل منصف أن يعترف بوحدانية الله وكماله** وصحة ما جاء به الرسل في كلّ زمان ومكان)[3]

ووجه دلالة تكثير النبي ﷺ للماء والطعام على توحيد الربوبية أن تكثير الماء والطعام بالقدر الذي ذكر في الأخبار المذكورة فوق عادة البشر، فهو أمر خارق للعادة، والأمر الخارق للعادة تُفيد العلم بقدرة الله تعالى وأن الخلق تحت قهره وأمره، وأنّه قادر على تغيير مجرى العادة التي كان الناس يألفونها[4]، وهذا من خصائص الربوبية.

---

[1] انظر: الجواب الصحيح (٣/٣٩٤)

[2] ساق شيخ الإسلام ابن تيمية عدداً كبيراً من الأحاديث في تكثير النبي ﷺ الماء والطعام والشراب في الجواب الصحيح (٣/٣٩٤-٤١٥) إلاّ أنها روايات مدنية

[3] الأدلة القواطع والبراهين (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الخامس – ثقافة إسلامية: ٢/٣٦٠-٣٦١)

[4] آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:٥/٣٠٤-٣٠٥)

النوع الخامس: كفاية الله له أعداءه وعصمته من الناس

تقدم إيراد مرويات العهد المكي في كفاية الله للنبي ﷺ أعداءه وعصمته من الناس عند الحديث في تفرد الله بتصريف الأمور وتدبير شؤون العباد، كحفظ الله له ﷺ من أبي جهل عندما حاول الاعتداء عليه ﷺ، وكحفظه تعالى له ﷺ من امرأة أبي لهب، وكحفظ الله له ﷺ ولصاحبه أبي بكر رضي الله عنه في طريقهما عندما هاجرا إلى المدينة.[1]

التعليق:

لقد تكفّل الله بحفظ نبيه محمد ﷺ، وكفايته أعداءه، قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [2]

وقال عز وجل: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [3]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [4]

وهذا الحفظ والحماية من دلائل النبوّة ومن الشواهد على ربوبية الله عز وجل

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: (ومن الّذي أيّد محمداً ﷺ بالآيات البينات والنصر العظيم، وشق له القمر، ...وعصمه من الناس وقد تكالبوا عليه من كل جانب، وحفظه وحفظ ما جاء به؟...

...فبعض هذه الآيات **توجب لكل منصف أن يعترف بوحدانية الله وكماله** وصحة ما جاء به الرسل في كلّ زمان ومكان)[1]

---

[1] انظر: ص (٦٩)، وما بعدها

[2] سورة البقرة: ١٣٧

[3] سورة الحجر: ٩٤-٩٦

[4] سورة المائدة: ٦٧

وقد جاء في مرويات العهد المكّي شواهد على حفظ الله لرسوله محمد ﷺ، وعصمته من الناس، ودلالتها على توحيد الربوبية كما يلي:

أولاً: أنّ الله كفى النبي ﷺ أعداءه، بأنواع عجيبة، خارجة عن العادة المعروفة[٢]، مثل ستر الله للنبي ﷺ عن أعين امرأة أبي لهب عندما همّت بأن توذيه ﷺ، وعن بصر أبي جهل عندما أقدم على التعدي عليه ﷺ، ومثل انتقام الله من سادات قريش، عندما أكثروا الاستهزاء بالنبي ﷺ[٣]، فالله ﷻ نصر نبيه ﷺ عليهم مع كثرتهم، وقوتهم، وغلبتهم، ومع كون النبي ﷺ وحده يجهر بمعاداتهم، وسب آبائهم، وشتم آلهتهم، وتسفية أحلامهم، والطعن في دينهم، وهذا من الأمور الخارقة للعادة[٤]، والأمر الخارق للعادة يُفيد العلم بقدرة الله تعالى وأن الخلق تحت قهره وأمره، وأنّه قادر على تغيير مجرى العادة التي كان الناس يألفونها[٥]، وهذا من خصائص الربوبية.

ثانياً: أنّ حفظ الله للنبي ﷺ وكفايته له أعداءه، فيه التنبيه إلى أحد خصائص الربوبية وهو حفظ الله أولياءه، وقد تقدم الحديث على ذلك في الفصل الأول[٦]

النوع السادس: تأييد الله له بالملائكة

تقدم في كثير من الأخبار في حفظ الله تعالى للنبي ﷺ ذكرُ حفظه له عن طريق إرسال الملائكة، وفي تأييد الله له بالملائكة غير الأخبار المذكورة:

---

[١] الأدلة القواطع والبراهين (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الخامس — ثقافة إسلامية: ٢/٣٦٠-٣٦١)

[٢] انظر: الجواب الصحيح (٣/٤٢٥)

[٣] انظر: ص (٦٩) وما بعدها، من هذه الرسالة

[٤] انظر: الجواب الصحيح (٣/٤٢٥)

[٥] آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٥/٣٠٤-٣٠٥)

[٦] انظر: ص (٦٩) وما بعدها من هذه الرسالة

١- قال ابن عباس – رضي الله عنهما: قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطان على عنقه. فبلغ النبي ﷺ فقال (لو فعله لأخذته الملائكة)[١]

٢- عن عائشة رضي الله عنها، أنّها قالت للنبي ﷺ: (هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟)، قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال[٢] فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: (إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم)، فناداني مَلَك الجبال، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثم قال: (يا محمد)، فقال: (ذلك فيما شِئتَ، إن شِئتَ أن أُطْبِقَ عليهم الأَخشَبَين[٣] فقال النبي ﷺ: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً)[٤]

التعليق:

---

[١] رواه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٥٩٥/٨ رقم ٤٩٥٨)

[٢] هو: ابن عبد ياليل بن عبد كلال وكان من أكابر أهل الطائف، وقد ذكر أهل السير أن كنانة بن عبد ياليل وفد مع وفد الطائف سنة ١٠هـــ فأسلموا، لكن ذكر المديني أن الوفد أسلموا الا كنانة فخرج إلى الروم ومات بها بعد ذلك. انظر: فتح الباري (٣٦٣/٦)

[٣] الأخْشَبَانِ : الجَبَلاَنِ المُطِفَان بمكة وهما أبو قُبَيْس والأَحْمَرُ وهو جبل مُشْرِفٌ وجهه على قُعَيْقِعَان . النهاية (٣٢/٢)

[٤] رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم (آمين) والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٣٦٠/٦ رقم ٣٢٣١)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنفقين (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣٦٥/١٢ رقم ٤٦٢٩)

من الآيات التي أيّد الله بها رسوله محمد ﷺ تأييده بالملائكة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (النوع السادس من آياته ﷺ تأييد الله له بملائكته)[1] ثمّ استشهد على ذلك بعدد من الآيات القرآنية ورد فيها ذكر تأييد الله له ﷺ بملائكته في المغازي، وبعدد من أحاديث المغازي.

وقد ورد تأييد الله لرسوله ﷺ في مرويات العهد المكّي في:

١- قصة امرأة أبي لهب بعد نزول سورة المسد عندما همّت بأذى النبي ﷺ حيث أرسل الله مَلَكاً ليستر النبي ﷺ عن بصرها، فقال النبي ﷺ، بعدما استغرب بعض أصحابه عدم رؤيتها له ﷺ: (لم يزل ملك يسترني منها بجناحيه)[2]

٢- خبر المستهزئين برسول الله ﷺ حيث ورد فيه أن جبريل عليه السلام رمى ورقة في وجه أحدهم فعمي، وأشار إلى مواضع من أجساد الآخرين فماتوا[3]

٣- قول النبي ﷺ: (لو فعله لأخذته الملائكة) في أبي جهل عندما بلغه ﷺ أنّه يريد التعدي عليه

٤- حديث عرض النبي ﷺ نفسه على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، حيث أرسل الله إلى النبي ﷺ مَلَكَ الجبال ليأمره بأمره ما شاء ﷺ

هذه الروايات المكّية كلّها تدلّ على أن الله سخّر للنبي ﷺ ملائكة تأييداً له ﷺ ودلالتها على توحيد الربوبية: أنّه يُستفاد من هذه الأخبار عظم قدرة الله سبحانه وتعالى وتفرّده بالأمر والتدبير، حيث خلق هذه المخلوقات العظيمة، التي تمتثل لأمره عز وجل كمال الامتثال، فهي خاضعة لتدبيره تمام الخضوع، وإذا كانت الملائكة خاضعة لتدبير الله تعالى، فخضوع ما دونها من باب أولى، وخضوع الكون لأمر الله وتدبيره من خصائص ربوبيته سبحانه وتعالى[4]

---

[1] الجواب الصحيح (٣/٤٢٠)

[2] تقدم تخريجه، ص(٧٠)

[3] تقدم تخريجه بعد إيراد القصة بطولها، ص (٧٢)، وص (٧٣)

[4] انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٢٥٩/٣)، ونبذة في العقيدة له (ضمن المجموع المذكور: ١١٨/٥)

النوع السابع: إجابة الله دعوته ﷺ

تقدم إيراد مرويات العهد المكّي في إجابة دعوته ﷺ في الفصل الأول عند الحديث على كون إجابة الدعوة من خصائص الربوبية كإجابة الله دعوة النبي ﷺ لهداية عمر بن الخطاب ﷺ، ودعوته على المستهزئين[1]، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنّ إجابة دعوة النبي ﷺ من أعلام نبوته[2]

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى: (ومن الّذي أيّد محمداً ﷺ بالآيات البينات والنصر العظيم، وشق له القمر، وسلّم عليه الشجر والحجر، **وكم أجاب الله دعوته** في إنزال الغيث وإمساكه، وفي شفاء الأمراض المتنوعة...

...فبعض هذه الآيات **توجب لكل منصف أن يعترف بوحدانية الله وكماله** وصحة ما جاء به الرسل في كلّ زمان ومكان)[3]

ودلالة إجابة دعوات النبي ﷺ في مرويات العهد المكّي على توحيد الربوبية من وجوه:

الوجه لأول: فيها التنبيه إلى أحد خصائص الربوبية وهو إجابة الدعاء وقد تقدم تفصيل ذلك في الفصل الأوّل عند الكلام على خصائص الرب

الوجه الثاني: أن أجابة الله دعاء النبي ﷺ، منها ما وقعت بأمور خارقة للعادة[4]، مثل: كون الأسود بن المطلب عمي برمي جبريل ورقة في وجهه بعدما دعا النبي ﷺ أن يعمى بصره[5]، ومثل السنة التي أخذت قريش عندما دعا عليهم الرسول ﷺ لإبطائهم على الإسلام، ثمّ كشف العذاب عنهم بعدما دعا ﷺ أن يُكشف عنهم العذاب[6]،والأمور

---

[1] انظر: ص (٨١) وما بعدها من هذه الرسالة

[2] انظر: الجواب الصحيح (٤٣٧/٣)

[3] الأدلة القواطع والبراهين (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الخامس – ثقافة إسلامية: ٣٦٠/٢-٣٦١)

[4] الجواب الصحيح (٤٣٧/٣)

[5] تقدم تخريجه، ص (٧٢)

[6] انظر: ص (٨١) من الرسالة

الخارقة للعادة تُفيد العلم بقدرة الله تعالى وأن الخلق تحت قهره وأمره، وأنّه قادر على تغيير مجرى العادة التي كان الناس يألفونها[1]، وهذا من خصائص الربوبية.

الوجه الثالث: كون الله عوّد النبي ﷺ إجابة دعائه من أعلام النبوة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومعلوم أن من عَوَّدَه الله إجابة دعائه، لا يكون إلا مع صلاحه ودينه، ومن ادعى النبوة لا يكون إلا من أبرّ الناس إن كان صادقاً أو من أفجرهم إن كان كاذباً، وإذا عَوَّده الله إجابة دعائه، لم يكن فاجراً بل براً، وإذا لم يكن مع دعوى النبوة إلا برًّا تَعَيَّنَ أن يكون نبياً صادقاً)[2]

ودلائل النبوة دلائل على توحيد الربوبية، فإنّ النبوة إذا ثبتت، ثبت ما دعا إليه النبي، ويدخل في ذلك توحيد الربوبية كما تقدم بيانه.[3]

النوع الثامن: تحمله ما لا يطيقه البشر عادة

وفي ذلك: ما جاء في شق صدر النبي ﷺ، أما الشق الأول فقد مر ذكره عند الكلام على آيات النبي ﷺ التي كانت قبل بعثته ﷺ، وإليك ما جاء في الشق الثاني إضافة إلى ما تقدم فيه من أحاديث الإسراء والمعراج:

١- عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: (أُتِيتُ فانطلقوا بي إلى زمزم، فشُرِحَ عن صدري، ثُمّ غُسِلَ بماء زمزم ثُمّ أُنزلت)[4]

---

[1] آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:٥/٣٠٤-٣٠٥)

[2] الجواب الصحيح (٣/٤٣٧-٤٣٨)

[3] انظر: ص (١٢٨)، ص (١٨٨)

[4] رواه مسلم في كتاب الإيمان،باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢/٣٨٨ رقم ٤١٠)

٢- عن مالك بن صعصعة، أن رسول الله ﷺ قال: (فأُتِيتُ بطست من ذهب مُمتَلِئ حِكمَةً وإيماناً، فَشُقَّ من النَّحر إلى مَرَاق البَطنِ، فغُسِل بماء زمزم، ثُمّ مُلِئَ حِكمَةً وإيماناً)[1]

التعليق:

من الآيات التي أيّد الله بها رسوله محمد ﷺ: تحمّله ﷺ ما لا يطيقه غيره من الإنس عادة، وخير الشواهد على ذلك شق الملائكة صدره ﷺ بالسكين، فإنّ الرجل لو شُرح صدرُه، بهذه الطريقة لما تحمّله ولمات، ولكن تحمّله النبي ﷺ يقظة، وشهده بعينيه.

ووجه دلالة شق صدر النبي ﷺ على توحيد الربوبية، أنّ تحمّله ذلك أمر خارج عما جرت عليه عادة البشر، مثل هذا دليل على قدرة الخالق، وأنه قادر على تغيير مجرى العادة التي ألفها الناس، وأن الخلق خاضع لأمر الله وتدبيره[2]، وكون الخلق خاضع لأمر الله من خصائص الربوبية

سابعاً- ما جاء في آيات الأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ،

وفي ذلك: ولادة عيسى عليه السلام، بغير أب، وبغير أن يمس أمّه مريم رضي الله عنها بشر

١- ففي قصة الهجرة الحبشية: قال النجاشي: (ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟) قالوا: (نقول كما قال عز وجل: هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البَتُول، الّتي لم يمسها بَشَر و لم يفْرضْها ولد). قال: فرفع عوداً من الأرض ثمّ قال: (يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه، ما يساوي هذا. مرحباً بكم

---

[1] رواه مسلم في كتاب الإيمان،باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢/٣٩٦ رقم ٤١٦)

[2] آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٥/٣٠٤-٣٠٥)

وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الّذي نجد في الإنجيل، وأنّه الّذي بَشَّرَ به عيسى بن مريم. انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه)[1]

٢-وفي حديث أبي موسى ﷺ في الهجرة الحبشية: فقال النجاشي لجعفر: (ما يقول صاحبك في ابن مريم؟)، قال: (يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجه من البتول العذراء لم يقربها بشر)[2]

٣- في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في حديث الهجرة إلى الحبشة: قال لهم: (ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه؟) قال: يقول: (هو عبد الله وكلمة من الله ألقاها إلى مريم وروح منه)، ويقول في مريم: (إنها العذراء البتول). قال: فأخذ عوداً من الأرض فقال: (ما زاد عيسى وأمه على ما قال صاحبكم قدر هذا العود)[3]

التعليق:

من آيات الأنبياء التي ورد ذكرها في مرويات العهد المكّي: كون عيسى بن مريم عليه السلام ولد من غير أب وبغير أن يقرب أمّه مريم بنت عمران رضي الله عنها بشر.

قال الله ﷻ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4]

---

[1] تقدم تخريجه، ص (١٥٤)

[2] تقدم تخريجه، ص (١١٤)

[3] رواه الطبري في تفسيره (٢/٧)، وقوّى إسناده الباحث عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي ص (٧٨٢)

[4] سورة آل عمرآن: ٤٥-٤٧

فأخبر تعالى أن المسيح لا أب له، حيث نسبه إلى أمّه، وأخبر باستفسار مريم لما بُشّرت به بما هو غير مألوف من التوالد البشري، وقد أجابها أن له سنة أخرى في الابتداع والاختراع، إذا أراد أن يُوجِد شيء فإنّه قادر على إيجاده على خلاف السنة المألوفة التي ربط فيها الأسباب بالمسببات.[1]

وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾[2]

فـــ(ـــذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنّ من حِكَم خلقه عيسى من امرأة بغير زوج ليجعل ذلك آية للناس؛ أي علامة دالة على كمال قدرته، وأنّه تعالى يخلق ما يشاء كيف يشاء، إن شاء خلقه من أنثى بدون ذَكَر كما فعل بعيسى، وإن شاء خلقه من ذَكَر بدون أنثى كما فعل بحواء...، وإن شاء خلقه بدون الذَكَر والأنثى معاً كما فعل بآدم، وإن شاء خلقه من ذَكَر كما فعل بسائر بني آدم)[3]

وقد جاء ذكر هذه الآية الدالة على قدرة الله على خلقه كيف يشاء في مرويات العهد المكّي حيث ورد فيه قول الصحابة عندما استفسرهم النجاسي عن معتقدهم في عيسى ابن مريم: (هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البَتُول، الّتي لم يمسها بَشَر).

ووجه دلالة قولهم على توحيد الربوبية، أنّ خلق الله للمسيح عليه السلام من غير أب، تدل على تمام قدرة الخلق، وأنّه قادر على أن يخلق الإنسان من ذكر وأنثى، ومن أنثى فقط، ومن ذكر فقط، ومن غير ذكر وأنثى جميعاً كما سبق بيانه، فهو قادر على أن يخلق

---

[1] انظر: صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن الكريم للشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله (١٢٤/٤-١٢٥)

[2] سورة مريم: ١٦-٢١

[3] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله (٣٠٢/٤)، وانظر كذلك: تفسير ابن كثير (٢٢٠/٥)

مخلوقاته وفق السنن والأسباب المعلومة المألوفة، وهو قادر على أن يخلقها على خلاف هذه السنن والأسباب، بل هو قادر على خلقها من عدم،[1] وهذا من أبرز خصائص الربوبية.

[1] انظر: تفسير ابن كثير (٥/٢٢٠)، أضواء البيان (٤/٣٠٢)، صفوة الآثار والمفاهيم (٤/١٢٤-١٢٥)، تفسير سورة آل عمران للشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/٢٧٢-٢٧٣)

الباب الثاني:

توحيد الأسماء والصفات في مرويات العهد المكّي
ويشمل تمهيد وفصلان:

التمهد: معنى توحيد الأسماء والصفات

الفصل الأول: بيان إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى لله تعالى في مرويات العهد المكّي

الفصل الثاني: مرويات العهد المكّي في موقف المشركين من توحيد الأسماء والصفات

التمهيد:

معنى توحيد الأسماء والصفات

وتحته مطلبان

المطلب الأول: معنى الاسم والصفة

المطلب الثاني: تعريف توحيد الأسماء والصفات شرعاً

المطلب الأوّل:

معنى الاسم والصفة

١- معنى الاسم

الاسم في اللغة مشتق من السُمُوّ وهو العُلوّ والارتفاع[١]، وهو (ما يُعرف به شيء ويستدل به عليه)[٢]، وقيل إن الاسم هو: (اللفظ الموضوع لمعنى تعييناً أو تمييزاً)[٣]، وقيل إنّه: (ما دل على الذات وما قام بها من صفات)[٤]

والاسم في حق الله ﷻ يدلّ على أمرين:

الأمر الأول: ذات الله ﷻ

الأمر الثاني: الصفة التي تضمّنها الاسم

وقد بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال: (قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾[٥]

---

[١] انظر: لسان العرب، مادة (سما)

[٢] المعجم الوسيط، مادة (سما)

[٣] معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات للأستاذ الدكتور محمد بن خليفة التميمي ص (٢٩)، وانظر: القاموس المحيط، مادة: (سما)، لسان العرب، مادة (سما)

[٤] معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص (٢٩)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٥٣/١٠)، (٣٣٣/١٣-٣٣٤، ٣٨٣)، (٤٩٤/٢٠)

[٥] سورة الإسراء: ١١٠

وكل اسم من اسمائه يدل على الذات المسماة، وعلى الصفة التي تضمنها الإسم، كالعليم يدل على الذات والعلم، والقدير يدل على الذات والقدرة، والرحيم يدل على الذات والرحمة)[١]

٢- معنى الصفة

الصفة في اللغة مأخوذة من الوصف وهو التحلية والنعت[٢]، و(الصفة هي: ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من أمور ذاتية أو معنوية أو فعلية
ومن صفات الله ﷻ:

الذاتية: اليدان-الوجه-العينان-الأصابع.

المعنوية: العلم-القدرة-الحياة-الإرادة.

الفعلية: النزول-الاستواء-الخلق-الرزق.)[٣]

---

[١] مجموع الفتاوى (١٣/٣٣٤-٣٣٥)

[٢] لسان العرب، مادة (وصف)

[٣] معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ص (٣١)

المطلب الثاني:
تعريف توحيد الأسماء والصفات شرعاً

توحيد الأسماء والصفات في الشرع هو: إفراد الله بأسمائه وصفاته، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، وبنفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ.[1]

ومعنى (إفراد الله بأسمائه وصفاته) هو الإيمان بأن الله ﷻ منفرد بالكمال المطلق في هذه الأسماء والصفات، وليس معناه نفي أسماء مشتركة بين الرب وبين العباد، وليس معناه أنّ العباد لا يشاركونه سبحانه وتعالى في أصل بعض الصفات، وإنّما معناه أنّ العباد لا يشاركونه في كمال معاني هذه الأسماء والصفات، فالكمال فيها لله وحده دون من سواه.[2]

مثال ذلك أن الله تعالى سمّى نفسه سميعاً وبصيراً بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [3]، وقد سمّى خلقه سميعاً وبصيراً بدليل قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [4]، والله السميع العليم، فللمخلوق من صفة السمع وصفة البصر ما يناسب ذاته الحقيرة الوضيعة الفقيرة، ولله سبحانه وتعالى من كما هذه الصفة

---

[1] انظر: الرسالة التدمرية (ضمن مجموع الفتاوى: ٣/٣)، لوامع الأنوار البهية (١٢٩/١)، القول السديد (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الثالث – العقيدة الإسلامية: ص١٠)

[2] انظر: القول السديد (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الثالث – العقيدة الإسلامية: ص١٠)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٧)

[3] سورة النساء: ٥٨

[4] سورة الإنسان: ٢

ما لا نهاية له، ليس لله فيها مثيل، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]

أمّا ما تلى (إفراد الله بأسمائه وصفاته) من تعريف توحيد الأسماء والصفات فهو المنهج الّذي يحقق به العبد هذا الإفراد، وهو الإيمان بجميع ما ورد في القرآن والسنة من أسماء الله تعالى وصفاته ومعانيها وأحكامها على الوجه الائق بعظمته وجلاله، من غير الوقوع في أربعة محاذير نحو هذه الأسماء والصفات، أو في واحد منها[2]، وهي:

١- التحريف: وهو (تغيير لألفاظ الأسماء والصفات أو تغيير لمعانيها)[3]

٢- التعطيل: وهو (نفي الصفات)[4]، (ولهذا كان السلف والأئمة يسمّون نفاة الصفات معطلة)[5]، وإن شِئتَ قُلتَ إن التعطيل: (إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضه)[6]

---

[1] سورة الشورى: ١١، انظر: كتاب التوحيد للحافظ أبي بكر ابن خزيمة رحمه الله (١/٧٩-٨١)، الرسالة التدمرية (ضمن مجموع الفتاوى: ٣/١٠-١١)، بدائع الفوائد (١/٢٩٠-٢٩٢)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٧)

[2] انظر: العقيدة الواسطية (ضمن مجموع الفتاوى: ٣/١٢٩-١٣٠)، و القول السديد (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الثالث – العقيدة الإسلامية: ص١٠)

[3] التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (ص٢٦)

[4] انظر: درء تعارض العقل والنقل (٨/٢٤٧)، (١/٢٨٤)

[5] مجموع الفتاوى (٥/٣٢٦)

[6] فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٤/٢١)

٣- التمثيل: وهو: (اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين)[١]

٤ – التكييف: وهو: (تعيين كنه الصفة وكيفيتها)[٢]، أمّا إذا ذُكر مقروناً مع التمثيل فهو (أن يعتقد المثبت أنّ كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، **من غير أن يقيدها بمماثل**)[٣]

كما يتضمن المنهج الّذي يتحقق به توحيد الأسماء والصفات نفي العبد ما نفاه الله عن نفسه، (أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله)[٤]

---

[١] القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٢٨٨/٣)

[٢] التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (ص٢٧)

[٣] القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٢٨٩/٣)

[٤] القول السديد (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الثالث – العقيدة الإسلامية: ص١٠)

الفصل الأوّل:

بيان إثبات الأسماء الحسنى والصفات العلى لله ﷻ في مرويات العهد المكّي

وتحته مبحثان:

المبحث الأوّل: أسماء الله الحسنى

المبحث الثاني: الصفات الإلهية

المبحث الأول:

أسماء الله الحسنى

أولاً- الأحد

١- عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد[١] . فأما رسول الله ﷺ فمَنَعَهُ الله بِعَمِّه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم[٢] في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم[٣] على ما أرادوا إلاّ بلال، فإنّه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: (أحدٌ، أحدٌ)[٤]

٢- عن مجاهد[٥]، قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمار، وسمية أم عمار، فأما رسول الله ﷺ فَمَنَعَهُ عَمُّه، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأُخِذ الآخرون، فأُلبِسوا أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ، فأعطوهم ما سألوا، فجاء إلى كل رجل منهم قومه بأنطاع

---

[١] هو: المقداد بن الأسود الكندي البهراني واسم والده عمرو بن ثعلبة بن مالك ، وقيل له: ابن الإسود لتبنّي الأسود بن عبد يغوث الزهري إيّاه، ولما نزل تحريم التبني قالوا له: المقداد بن عمرو لكن اشتهر بالمقداد بن الأسود، وهو من السابقين الأولين، من أوائل من أظهروا إسلامهم، وهاجر الهجرتين، وتوفي في خلافة عثمان سنة (٣٣هــ) وهو ابن ٧٠ سنة. انظر: الإصابة (٢٠٢/٦)

[٢] صهروهم، أي:عَذّبوهم. حاشية السندي (٩٩/١)

[٣] قال السندي: هكذا في النسخ الصحيحة، وهو من المؤاتاة، بمعنى: الموافقة.ا.هــ شرح سنن ابن ماجه (٩٩/١)

[٤] رواه ابن ماجه في كتاب: السنه، باب: في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (٩٩/١ رقم ١٥٠)، والإمام أحمد في مسنده (٤٠٤/١)، والحاكم في المستدرك (٣٢٠/٢) وصححه، ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في المصباح: (رجاله ثقات)، وحسنه الألباني في صحيح السيرة النبيوة (ص١٢١)

[٥] تقدمت ترجمته، (ص١٠٣)

الأدم فيها الماء، فألقوهم فيها، ثم حُمِلوا بجوانبه إلا بلالاً، فلما كان العشي جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرفث، ثم طعنها فقتلها فهي أول شهيد استشهد في الإسلام، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله حتى ملوه، فجعلوا في عُنُقِه حبلاً، ثم أمروا صبيانهم فيشتدوا به بين أخشبي مكة وجعل يقول: (أحدٌ، أحدٌ)[1]

٣- عن عبدالرحمن بن عوف[2]، قال : قال لي أمية بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: (يا عبد الإله، مَن الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟) قال: قلت: (ذاك حمزة بن عبدالمطلب)، قال: (ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل؟)

قال عبدالرحمن: فوالله، إني لأقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يُعَذِّبُ بلالاً بمكة على ترك الإسلام، فيُخرِجُه إلى رمضاء مكة[3] إذا حميت، فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول: (لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد)، فيقول بلال: (أحدٌ، أحدٌ)[4]

٤- عن أبي ابن كعب ﷺ أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: (انسب لنا ربك)، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ والصمد الذي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت ولا شيء يموت إلا سيورث وإن الله لا يموت ولا يورث ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[5]

---

[1] رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/٧-١٣)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٣٢/٣)، وقال الحافظ في لإصابة (٧١٢/٧): (مرسل صحيح السند)

[2] هو: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري أبو محمد أحد العشرة المشهد لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذي أخبر عمر عن رسول الله ﷺ أنه توفي وهو عنهم راض، ولد بعد عام الفيل بعشرة سنين، وأسلم قديماً في دار الأرقم، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً وجميع المشاهد، وكان ممن يفتي في عهد النبي ﷺ، وتوفي ﷺ ٣٢هـ وصلّى عليه عثمان ﷺ. انظر: الإصابة (٣٤٩/٤)

[3] الأرض الشديدة الحرارة. القاموس المحيط، مادة: (رمض)

[4] سيرة ابن هشام (٥٥٨/١)، وحسن إسناده الدكتور عادل عبد الغفور في دراسة مرويات العهد المكي (ص٦٨٨)

[5] سورة الإخلاص

قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شي[١]

التعليق:

من أسماء الله تعالى الثابتة في كتابه ﷻ، وفي سنة نبيه ﷺ: (الأحد).

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾

وقد جاء في السنة المطهرة أنّ رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: (اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)، فقال: (لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب)، وفي لفظ: (لقد سأل الله باسمه الأعظم..)[٢]

قال الحافظ ابن منده[٣] رحمه الله، يقرر ثبوت اسم (الأحد) لله تعالى: (ومن أسماء الله ﷻ الأحد الصمد)[٤]

---

[١] رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب: (ومن سورة الإخلاص) (٥/٤٥١ رقم ٣٣٦٤)، والإمام أحمد في المسند (٥/١٣٣-١٣٤)، والحاكم في المستدرك (٢/٥٨٩) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٣٦ رقم ٢٦٨٠): (حسن دون قوله: والصمد الذي)

[٢] رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء (٢/١١٣ رقم ١٤٩٣)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ (٥/٥١٥ رقم ٣٤٧٥)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (٤/٢٧٦ رقم ٣٨٥٧)، والإمام أحمد في المسند (٥/٣٥٠)، وقال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب)، وصحح إسناده الشيخ لألباني في التوسل ص٣٦

[٣] هو: محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبد الله الإمام الحافظ الجوال، محدث الإسلام ، ولد سنة ٣١٠هـ، وقيل: ٣١١هـ، وصنف (الإيمان)، و(الصفات)، و(التوحيد)، وتوفي عام (٣٩٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٢٨)

[٤] كتاب التوحيد للحافظ ابن منده (٢/٦٠)

وقال قوام السنة الإمام الحافظ أبو القاسم التيمي الأصبهاني[1]: (ومن أسمائه ﷻ: الماجد والواجد، والواحد والأحد)[2]، فقرّر ثبوت اسم (الأحد) لله جلّ وعلا.

كما قرر ثبوته الإمام ابن القيم حيث ذكر تحريم تسمية المخلوق بـــ(ـــالأحد)، قال رحمه الله تعالى: (ومما يمنع تسمية الإنسان به أسماء الرب تبارك وتعالى فلا يجوز التسمية بالأحد)[3]

وقد جاء ذكر هذا الإسم العظيم في مرويات العهد المكّي في قصة تعذيب المشركين لبلال رضي الله عنه، وفي قصة نزول سورة الإخلاص، وأمّا الشاهد من قصة تعذيب المشركين لبلال رضي الله عنه فهو في قوله (أحدٌ أحدٌ) يُعلِن للمشركين أنّ إلهه هو الله الأحد، عندما عذبوه على دينه وأرادوا منه أن ينسب الإلهية إلى آلهتهم[4]، وأما نزول سورة الإخلاص، فالشاهد منه في ورود قوله تعالى: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾

و(الأحد) هو: (المتفرّد بصفات المجد والجلال، المتوحِّد بنعوت العظمة والكبرياء والجمال، فهو واحد في ذاته، واحد في أسمائه لا سمي له، وواحد في صفاته لا مثيل له، وواحد في أفعاله لا شريك له ولا ظهير ولا عوين، وواحد في ألوهيته فليس له ندّ في المحبة والتعظيم، ولا له مثيل في التعبد له والتأله، وإخلاص الدين له، وهو الّذي عظمت صفاته ونعوته حتى تفرد بكل كمال، وتعذر على جميع الخلق أن يحيطوا بشيء من صفاته أو يدركوا شيئاً من نعوته[5]،

---

[1] هو: إسماعيل بن محمد بن الفضل أبو القاسم التيمي الأصبهاني، الإمام الحافظ، شيخ الإسلام قوام السنة ، ولد عام ٤٥٧هـــ، وصنف (الحجة في بيان المحجة)، وله تفسير يقع في ٣٠ مجلد سماه (الجامع) و(سير السلف)، ومات سنة (٥٣٥هـــ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٨٠)

[2] الحجة في بيان المحجة (١/١٧٤)

[3] تحفة المولود (ص١٢٥)

[4] انظر: فيض القدير (٥/٤٣١)، تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق لعلي بن بلبان المقدسي (ص٨٠)

[5] أي: تَعَذَّر وصولهم إلى العلم بكنه صفاته تعالى، مع إمكانهم الوصول إلى العلم بمعانيها

فضلاً عن أن يماثله أحد في شيء منها).[1]

ثانياً:- الأعلى

ورد إثبات هذا الاسم لله في حديث مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وفيه قول البراء بن عازب[2] – رضي الله عنهما: ..قَدِمَ النبي ﷺ، فما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ، حتى جعل الإماء يَقُلنَ: (قَدِمَ رسول الله ﷺ)، فما قَدِمَ حتى قَرَأتُ: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾[3]

التعليق:

من أسماء الله الحسنى الثابتة بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ: (الأعلى)

قال الله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾

وقال ﷻ: ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[4]

وكان النبي ﷺ يسبح الله بهذا الاسم في سجوده، فيقول: (سبحان ربّي الأعلى)[5]

وقد قرّر الحافظ ابن منده ثبوت هذا الاسم لله فقال: (ومن أسماء الله ﷻ العليّ الأعلى العظيم)[6]

---

[1] فتح الكريم الملك العلاّم في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن للشيخ السعدي (ص ٤٥)

[2] هو: البراء بن عازب بن الحارث أبو عمارة الأنصاري الأوسي، شهد أحداً، وغزا مع النبي ﷺ ١٤ غزوة، وقيل: ١٥، وسافر معه ﷺ ١٨سفراً، ومات عام ٧٢هـ. انظر: الإصابة (٢٧٨/١)

[3] سورة الأعلى: ١، والحديث رواه البخاري في كتاب الأنصار، باب مقدم النبي ﷺ ،اصحابه المدينة (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٣٠٥/٨ رقم ٣٩٢٥)

[4] سورة الليل: ٢٠

[5] رواه مسلم في كتب صلاة لمسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القرآءة في صلاة الليل (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣٠٤/٦ رقم ١٨١١)

[6] كتاب التوحيد للحافظ ابن منده (١٤٧/٢)

وورد إثبات اسم الله: (الأعلى) في مرويات العهد المكّي في حديث مقدم النبي ﷺ وأصحابه — رضي الله عنهم — المدينة والشاهد فيه في قرآءة البراء بن عازب لقول الله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾

قال الإمام ابن القيم — رحمه الله تعالى — في بيان ما يقتضيه هذا الاسم: (لّما كان الرّب تعالى هو: (الأعلى)، ووجهه الأعلى، وكلامه الأعلى، وسمعه الأعلى، وبصره وسائر صفاته عليا، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه)[1]

ثالثاً- الأكرم

ورد في إثبات هذا الاسم لله تعالى قصة أول نزول جبريل عليه السلام بالوحي في غار حراء[2]، ونزل في هذه القصة قول الله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [3]

---

[1] الصواعق المرسلة (١٠٣١/٣)

[2] تقدم تخريجه بعد إيراد الحديث كاملاً، ص (٣٨)

[3] سورة العلق: ١-٥

التعليق:

من أسماء الله الحسنى الثابتة لله في كتابه وفي السنة النبوية الشريفة: (الأكرم)

قال الله ﷻ: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾

وثبت عن اثنين من الصحابة هما: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر رضي الله عنها، الدعاء بهذا الإسم فإنهما كانا يقولان في سعيهما: (رب اغفر وارحم إنّك أنت الأعز الأكرم)[١]، ومثل هذا له حكم الرفع[٢]

وقرر الإمام ابن القيم ثبوت هذا الإسم لله، حيث قال —وهو يفسر قول الله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ : (ثم أعاد الأمر بالقراءة مُخبِراً عن نفسه بأنّه (الأكرم) وهو الأفعل من الكرم، وهو كثرة الخير، ولا أحد أولى بذلك منه سبحانه، فإن الخير كله بيديه، والخير كله منه، والنعم كلها هو موليها، والكمال كله والمجد كله له فهو الاكرم حقاً)[٣]

وقد ورد هذا الاسم في مرويات العهد المكّي في قصة نزول أول الوحي إلى رسول الله ﷺ، والشاهد في ورود قول الله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ ضمن الآيات التي نزلت.

وقد تقدم كلام ابن القيم رحمه الله في بيان أنّ الله هو (الأكرم) من خلال تفسيره لهذه الآية الكريمة، وبيانه لمعنى هذا الاسم.

---

[١] رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩٥/٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٨٣/٦)، وصححه الشيخ الألباني في حجة النبي (ص١٢٠)

[٢] انظر: مذكرة أصول الفقة على روضة الناظر للشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله (ص٢٥٦)

[٣] مفتاح دار السعادة (٢٤٢/١)

الرابعاً:- الإلـــه

ورد إثبات هذا الاسم من أسماء الله الحسنى في قرآءة النبي ﷺ آيات من سورة فصلت على عتبة بن ربيعة[1]، التي تضمنت قول الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ [2]

التعليق:

من أسماء الله الحسنى: (الإله)

قال الله تعلى: ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ [3]

وقرر الإمام ابن القيم – رحمه الله – ثبوت هذا الاسم لله أثناء كلام له في بيان معناه، فقال: (أما (الإله) فهو: الجامع لجميع صفات الكمال، ونعوت الجلال، **فيَدخُل في هذا الإسم** جميع الأسماء الحسنى).[4]

وورد ثبوت هذا الاسم في مرويات العهد المكّي في قرآءة النبي ﷺ آيات من سورة فصلت على عتبة بن ربيعة، التي تضمنت قول الله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – مبيّناً معنى هذا الاسم – إضافةً إلى ما سبق: ((الإلـــه) هو: الذي يُؤَلَّه، فَيُعبَد محبةً وإنابةً وإجلالاً وإكراماً)[5]

---

[1] انظر: (ص٤٠–٤٢) من هذه الرسالة

[2] سورة فصلت: ٦

[3] سورة النساء: ١٧١

[4] بدائع الفوائد (٧٨٢/٢)

[5] طريق الهجرتين (ص١٠٨)

وقال في موضع: ((الإله) هو: المستحق لكمال الحبّ، بكمال التعظيم والإجلال، والذُّل له والخضوع له)[1]

وقال – رحمه الله تعالى: ((الإله) هو: الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وهو الذي يفعل بقُدرَتِه، ومَشِيئته، وحكمته، وهو الموصوف بالصفات والأفعال، المُسمَّى بالأسماء التي قامت بها حقائقها ومعانيها)[2]

خامساً: – الخلاق

عن ابن عباس، قال: جاء العاص بن وائل[3] إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففته بيده، فقال: (يا محمد، أيحيي الله هذا بعد ما أرى؟) قال: (نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم)، فنزلت الآيات من أخر ﴿ يسٓ ﴾ ﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾[4] إلى آخر السورة[5]

التعليق:

(الخلاّق) من أسماء الله الحسنى

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[6]

---

[1] الصواعق المرسلة (١٤٣٥/٤)

[2] مدارج السالكين (٤٦١/٤)

[3] تقدمت ترجمته، (ص٤٣)

[4] سورة ﴿ يسٓ ﴾ :٧٧

[5] تقدم تخريجه، ص (٤٣)

[6] سورة الحجر: ٨٦

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [1]

وقرر الحافظ ابن منده رحمه الله ثبوت اسم (الخلاّق) لله، فقال: (ومن أسماء الله ﷻ: (الخالق) و(الخلاّق)) [2]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: (إن من أسمائه: (الخلاّق) المقتضي لوجود الخلق) [3]

وقد ورد هذا الاسم من أسماء الله الحسنى في قصة نزول آخر سورة ﴿ يسٓ ﴾ والشاهد من القصة في ورود قول الله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ضمن الآيات التي نزلت.

قال الحافظ ابن منده رحمه الله: (ومن أسماء الله ﷻ: (الخالق) و(الخلاّق)، قال الله ﷻ: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [4]، وقال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾) [5]، فاحتجّ بالآية الكريمة على ثبوت اسم (الخلاّق) لله ﷻ

وبيّن الإمام ابن القيم معنى هذا الاسم لله فقال: (ذكر ما هو أوضح للعقول من كُلِّ دليلٍ وهو: خلق السموات والأرض مع عظمهما وسعتهما؛ وأنه لا نسبة للخلق الضعيف إليهما، ومن لم تعجز قدرته وعلمه عن هذا الخلق العظيم – الذي هو أكبر من خلق الناس –: كيف تعجز عن إحيائهم بعد موتهم؟

ثم قرّر هذا المعنى بذكر وصفين من أوصافه مستلزمين لما أخبر به، فقال: ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

فكونه خلاّقاً عليماً يقتضي أن يخلق ما يشاء ولا يعجزه ما أرداه من الخلق) [6]

---

[1] سورة ﴿ يسٓ ﴾ : ٨١

[2] كتاب التوحيد للحافظ ابن منده (١١٢/٢)

[3] الصواعق المرسلة (١٥٦٤/٤)

[4] سورة فاطر: ٣

[5] كتاب التوحيد للحافظ ابن منده (١١٢/٢)

[6] إعلام الموقعين (٢٦١/٢)

سادساً:- الرب

ورد هذا الاسم من أسماء الله الحسنى في:

١- قصة أول نزول جبريل عليه السلام بالوحي في غار حراء [١]، وقد نزل في هذه القصة قول الله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [٢]

٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي - قال في حديثه: (فبينا أنا أمشي سَمِعتُ صوتاً من السماء، فَرَفَعتُ بَصَري، فإذا المَلَك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، فرُعِبتُ منه، فَرَجَعتُ فَقُلتُ: (زملوني) فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [٣]

٣- أنّ جبريل أَبطَأَ على رسول الله ﷺ فقال المشركون: (قد وُدِّعَ محمد) فأنزل الله عز وجل ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ ﴾ [٤]

٤- قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ [٥]، وقد قرأ النبي ﷺ في هذه القصة سورة فُصِّلت من أوّل السورة إلى السجدة

---

[١] تقدم تخريجه، ص (٣٨)

[٢] سورة العلق: ١-٥

[٣] سورة المدثر: ١-٥، والحديث رواه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (صحيح البخاري مع فتح الباري:٣٧/١ رقم ٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣٨٠/٢-٣٨١ رقم ٤٠٤)

[٤] سورة الضحى: ١-٣، والحديث رواه مسلم في كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (صحيح مسلم مع شرح النووي:٣٦٦/١٢-٣٦٧ رقم ٤٦٣٢)

[٥] انظر: ص (٤٠-٤٢) من الرسالة

٥- قال ابن مسعود: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفراً من الجنِّ، فأسلم النّفر من الجنّ، واستمسك النّاس بعبادتهم فنزلت: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [1]

٦- قصة سجود المسلمين والمشركين والجن والإنس بمكة عندما قرأ عليهم الرسول ﷺ سورة النجم[2]

٧- عن سعد بن أبي وقاص[3]، قال: كنّا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: (اطرد هؤلاء لا يَجتَرِؤُنَ علينا)، قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لَستُ أُسَمّيهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدّث نفسه، فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ [4]

٨-ما جاء عن ابن عباس، أنه قال: قالت قريش ليهود: (أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل). فقال: (سلوه عن الروح). قال: فسألوه عن الروح، فأنزل الله: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ

---

[1] سورة الإسراء: ٥٧، والحديث رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلاً ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٤٩/٨-٢٥٠ رقم ٤٧١٤ و ٤٧١٥)، ومسلم في كتاب التفسير، باب: في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣٥٨/١٨-٣٥٩، رقم ٧٤٧٠-٧٤٧٣)

[2] انظر: ص (٤٣-٤٥) من هذه الرسالة

[3] هو: سعد بن مالك بن أهيب ويقال له بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو إسحاق بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان أحد الفرسان وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وهو أحد الستة أهل الشورى، وكان رأس من فتح العراق وولي الكوفة لعمر، وكان مجاب الدعوة، وممن اعتزلوا الفتنة، توفي سنة (٥٦هـ). انظر: الإصابة (٧٤/٣)

[4] سورة الأنعام: ٥٢، والحديث رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقّاص (١٨٢/١٥-١٨٣ رقم ٦١٩١)

ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [١] قالوا: (أوتينا علماً كثيراً، التوراة، ومن أوتي التوراة، فقد أوتي خيراً كثيراً، فأنزلت ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ﴾ [٢] إلى آخر الآية[٣]

٩- عن ابن عباس، قال: قالت قريش للنبي ﷺ: (**ادع لنا ربك** أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك) قال: (وتفعلون؟) قالوا: (نعم) قال: فدعا فاتاه جبريل فقال: (**إنّ ربك** ﷻ يقرأ عليك السلام ويقول: (إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أُعَذِّبُهُ أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة) قال: (بل باب التوبة والرحمة)[٤]

١٠- قصة دعاء النّبي ﷺ على قريش لإبطائهم على الإسلام، قال ابن مسعود ﷺ: إن رسول الله ﷺ دعا قريشاً إلى الإسلام، فأبطؤوا عليه فقال: (اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف). فأخذهم سنة فحصت كل شيء حتى أكلوا الميتة والجلود حتى جعل الرجل يرى بينه، وبين السماء دخاناً من الجوع. قال الله ﷻ: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٥] . قال: فدعوا: ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ [٦]. أفيكشف العذاب يوم القيامة؟) قال: (فكشف ثم عادوا في كفرهم فأخذهم الله يوم بدر.[٧]

---

[١] سورة الإسراء: ٨٥

[٢] سورة الكهف، الآية: ١٠٩

[٣] تقدم تخريجه، ص (٥٣)

[٤] تقدم تخريجه، ص (٨١)

[٥] سورة الدخان، الآية: ١٠-١١

[٦] سورة الدخان، الآية: ١٢-١٥

[٧] تقدم تخريجه، ص (٨١)

١١- عن بن عباس رضي الله عنهما، قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال يا محمد أنشدك الله والرحم فقد أكلنا العلهز يعني الوبر والدم فأنزل الله ﷻ ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ فَمَا ٱسۡتَكَانُواْ لِرَبِّهِمۡ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [١]

١٢- حديث أنس الطويل في الإسراء والمعراج، وفيه قول موسى ﷺ: (ما فَرَضَ **رَبُّكَ** على أمتك؟)، وقوله ﷺ: (ارجع إلى **رَبّكَ**، فاسأله التخفيف)، وقول النبي ﷺ: فرجعت إلى **رَبِّي**، فقلت: (**يا رَبِّ**، خَفِّف على أُمَّتِي)، وقوله ﷺ: فلم أزل أرجع بين **رَبِّي** تبارك وتعالى وبين موسى ﷺ، وقوله ﷺ: (قد رجعت إلى **رَبِّي** حتى استحييت منه)[٢]

١٣- وفي رواية: فَفَرَضَ الله على أُمَّتِي خمسين صلاة. قال: فرجعت بذلك حتى أَمُرَّ بموسى، فقال موسى ﷺ ماذا فَرَضَ **رَبُّك** على أمتك؟) قال: قلت: (فَرَضَ عليهم خمسين صلاة) قال لي موسى ﷺ: (فراجع **رَبَّك**، فإنّ أُمَّتَك لا تُطيق ذلك). قال: فراجعت **رَبِّي**، فوَضَعَ شَطْرَها. قال: فرجعت إلى موسى ﷺ فأخبرته، قال: (راجع **ربك**، فإن أمتك لا تطيق ذلك). قال: فراجعت **ربي** فقال: (هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي). قال: فرجعت إلى موسى فقال: (راجع **ربك**)، فقلت: (قد استحييت من **ربي**)[٣].

١٤-عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف. قلت: (ما هذا يا جبريل؟)، قال: (هذا الكوثر **الذي أعطاك ربك**)، فإذا طِينُه - أو طِيبُه - مسك أذفر[٤]

١٥- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال أبو جهل: (هل يُعَفِّر محمد وجهه[٥] بين أظهركم؟). قال: فَقِيل: (نعم)، فقال: (واللات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على

---

[١] تقدم تخريجه، ص (٧٥)

[٢] تقدم تخريجه، ص (٤٥)

[٣] تقدم تخريجه، ص (١٧٦)

[٤] تقدم تخريجه، ص (١٨٢)

[٥] قال النووي في شرح صحيح مسلم (١٣٧/١٧): (أي: يسجد، ويلصق وجهه بالعفر، وهو: التراب)

رقبته، أو لأُعَفِّرَنَّ وَجهَه في التراب). قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يُصَلِّي، زَعَمَ لَيَطَأَ على رقبته، قال: فما فَجِئَهم منه إلا وهو يَنْكِصُ على عقبيه ويَتَّقِي بيديه، قال: فقيل له: (ما لك؟)، فقال: (إنّ بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولا، وأجنحة)

فقال رسول الله ﷺ: (لو دنا مِنِّي لاخْتَطَفَتْه الملائكة عُضواً عُضواً)

قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾ [(١)]

١٦- عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال: (ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا قد منعوي أن أبلغ كلام **ربي**)[(٢)]

١٧- قول النبي ﷺ في حديث بيعة العقبة الثانية: (أمّا الّذي أسألكم لرَبّي فتعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأما الذي أسألكم لنفسي فتمنعوني مما تمنعون أنفسكم)[(٣)]

١٨- حديث مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وفيه قول البراء بن عازب — رضي الله عنهما: ..قَدِمَ النبي ﷺ، فما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ،

[(١)] سورة العلق: ٦-١٩، والحديث رواه مسلم في كتاب صفات المنفقين، باب قوله: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٧/١٣٧-١٣٨ رقم ٦٩٩٦)

[(٢)] رواه أبو داود في كتاب السنة، باب في القرآن (٥/٦٨ رقم ٤٧٣٤)، والترمذي في كتاب فضائل القرآن (٥/١٨٤ رقم ٢٩٢٥)، وابن ماجه في كتاب السنة، باب فيما أنكرت الجهمية (١/١٣٣رقم ٢٠١)، والإمام أحمد في المسند (٣/٣٩٠)، والدارمي (٢/٥٣٢)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٦٩)، وقال الترمذي: (حديث غريب صحيح)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٥٩١-٥٩٢ رقم ١٩٤٧)

[(٣)] رواه الطبراني في الكبير (٢/١٨٦)، والأوسط (٨/٦٢)، والصغير (٢/٢٢٩)، وحسنه الدكتور سليمان السعود في أحاديث الهجرة (ص٨٤)

حتى جعل الإماء يَقُلنَ: (قَدِمَ رسول الله ﷺ)، فما قَدِمَ حتى قَرَأتُ: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [1]

التعليق:

(الرب) من أسماء الله الحسنى

قال تعالى: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [2]

وقال ﷻ: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [3]

وقال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [4]

وقال: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [5]

وقال ﷻ: ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [6]

وقال جلّ وعلا: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [7]

وفي السنة النبوية دعاء النبي عند الكرب: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله **رب العرش العظيم**، لا إله إلا الله **رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**)[8]

---

[1] سورة الأعلى:١، والحديث تقدم تخريجه، (ص٢٢٨)

[2] سورة سبأ: ١٥

[3] سورة ﴿يسٓ﴾ : ٥٨

[4] سورة الفاتحة: ٢

[5] سورة الأنعام: ١٦٤

[6] سورة الدخان: ٨

[7] سورة الرحمن: ١٧

[8] رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الكرب (صحيح البخاري مع الفتح: ١٤٩/١١ رقم ٦٣٤٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب دعاء الكرب (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٤٩/١٧ رقم ٦٨٥٨)

وكان النبي ﷺ يدعو الله بهذا الاسم ويتضرع به إليه كما في دعائه ﷺ: (رَبِّ أعِنِّي ولا تُعنْ عَلَيَّ)[1]

وقال ﷺ: (اللهم رب جبرائيلَ، وميكائيلَ، ورَبَّ إسرافيلَ، أعوذ بك من حَرِّ النار، ومن عذاب القبر)[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (أما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل)[3]

وقرّر الإمام ابن القيم ثبوت اسم (الرب) لله فقال: (أمّا دلالة الأسماء الخمسة عليها[4]، وهي: (الله)، و(**الرب**)، و(الرحمن)، و(الرحيم)، و(الملك) فمبني على أصلين...)[5]، ثمّ شرع في بيانهما.

وقد ورد هذا الاسم في مرويات العهد المكّي، في قصة نزول أول وحي حيث ورد فيه قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴾ [6]

وورد في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع النبي ﷺ حيث ورد فيها قراءة النبي ﷺ من أول سورة فُصِّلت إلى السجدة فيها، من ضمن الآيات التي قرأها ﷺ قول الله تعالى: ﴿ قُلۡ

---

(1) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل إذا سلّم (٢/١١٨-١١٩ رقم ١٥١٠) والترمذي في كتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ (٥/٥٥٤ رقم ٣٥٥١)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ (٤/٢٦٣ رقم ٣٨٣٠)، والإمام أحمد في المسند (١/٢٢٧)، والحاكم في المستدرك (١/٧٠١) وصححه ووافقه الذهبي، وصحح إسناده الشيخ الألباني في ظلال الجنة (١/١٦٨ رقم ٣٨٤)

(2) رواه النسائي في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من حر النار (٨/٢٤٥-٢٤٦)، وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٥٨ رقم ١٥٤٤)

(3) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن قرآءة القرآن في الركوع والسجود (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٤/٤١٩ رقم ١٠٧٤)

(4) أي: على أوصاف الكمال

(5) مدارج السالكين (١/٨٢)

(6) سورة العلق: ٣

أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [1]، وقوله ﷻ: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [2]، وقوله جلّ وعلا: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [3]، وقوله جلّ شأنه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [4]

كما ورد في قرآءة النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكّة حيث تضمنت هذه السورة قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴾ [5]

ووجه الاستشهاد ببقية ما ذُكر في ورود اسم (الرب) في مرويات العهد المكّي ظاهر في أنّ (الرب) أطلق على الله في تلك الأخبار.

أمّا اسم الله (الرّب)، فقد بيّن الطبري معناه فقال: (فربنا جل ثناؤه: السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر)[6]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الرب هو الذى يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه الى جميع أحواله من العبادة وغيرها)[7]

---

[1] سورة فصلت: ٩

[2] سورة فصلت: ١٣-١٤

[3] سورة فصلت: ٢٣

[4] سورة فصلت: ٢٩-٣٠

[5] سورة النجم: ٤٩

[6] تفسير الطبري (٦٢/١)

[7] مجموع الفتاوى (٢٢/١)

سابعاً وثامناً: - (الرحمن)، و(الرحيم)

ورد هذان الاسمان أو واحد منهما في:

١- قصة مجادلة عتبة مع رسول الله ﷺ [١]، وقد قرأ النبي ﷺ في هذه القصة سورة فصّلت من أوّل السورة إلى السجدة فيها، وبدأت هذه الآيات بقول الله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ ﴾ [٢]

٢- قصة نزول أول سورة الروم[٣]، وتضمنت الآيات التي نزلت قول الله تعالى: ﴿ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٤]

٣- عن خباب ﷺ، قال: كنت رجلا قَيْناً[٥] وكان لي على العاص بن وائل دَينٌ، فأَتَيتُه أتقاضاه، فقال لي: (لا أقضيك حتى تكفر بمحمد). قال: قُلتُ: (لن أكفر به حتى تموت ثم تُبعَث) قال: (وإني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد). قال: فنزلت ﴿ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدًا ۝٧٨ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدًا ﴾ [٦]

---

[١] تقدم إيراد القصة مع التخريج، ص (٤٠-٤٢)

[٢] سورة فصلت: ١-٢

[٣] انظر: ص (٥٣-٥٤) من الرسالة

[٤] سورة الروم: ٥

[٥] تقدم شرحه، (ص٧٧)

[٦] سورة مريم: ٧٧-٨٠، والحديث تقدم تخريجه، ص (٧٧)

التعليق:

(الرحمن) و(الرحيم) اسمان من أسماء الله الحسنى الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة.

قال الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [1]

وقال جلّ وعلا: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [2]

وفي الحديث القدسي: (أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشَقَقتُ لها من اسمي فمن وصلها وَصَلته ومن قطعتها بَتَتُّه)[3]

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل[4]: ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل دَيناً لأدى الله عنك؟ قل يا معاذ: (اللهم مَالِكَ المُلْكِ تؤتي المُلك من تشاء وتنزع المُلك ممن تشاء، وتُعِزّ من تشاء وتُذِلّ من تشاء، بيدك الخير، إنّك على كل شيء قدير، **رحمن الدنيا والآخرة** تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك)[5]

وعن أبي بكر الصديق ﷺ: أنه قال للنبي ﷺ: (عَلِّمني دعاء أدعو به في صلاتي) قال: (قُل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم)[6]

---

[1] سورة الفاتحة:٢-٣

[2] سورة البقرة: ١٦٣

[3] رواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم (٢/٢٢٠ رقم ١٦٩٤)، والترمذي — واللفظ له — في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم (٤/٣١٥ رقم ١٩٠٧)، والإمام أحمد في المسند (١/١٩١)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٤٩ رقم ٥٢٠)

[4] هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة الثانية مع الأنصار ثم شهد بدراً وأحداً وجميع المشاهد مع النبي ﷺ. توفي بشام عام (١٨هـ). انظر: الإصابة (٦/١٣٦)

[5] رواه الطبراني في الصغير (١/٣٣٦)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/١٧١)

[6] رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة (رقم ٦٣٢٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر (١٧/٣٠ رقم ٦٨٠٩)

قال الحافظ ابن منده رحمه الله: (ومن أسماء الله ﷻ: الرحمن الرحيم)[1]

وقال أبو القاسم التيمي الأصبهاني رحمه الله: (ومن أسماء الله تعالى: الرحمن الرحيم)[2]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (إنّ من أسمائه الحسنى: (الرحمن الرحيم)[3]

وقد ورد هذان الاسمان في مرويات العهد المّكي في قصة مجادلة عتبة مع رسول الله ﷺ حيث قرأ فيه رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [4]

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[5] رحمه الله تعالى: (قد دل استقراء القرآن العظيم، على أن الله جلّ وعلا إذا ذكر تنزيله لكتابه، أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى، المتضمنة صفاته العليا)

وقال: (وقد تكرر كثيراً في القرآن ذكره بعض أسمائه وصفاته، بعد ذكر تنزيل القرآن العظيم، كقوله في أول سورة المؤمن: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [6]، وقوله في أول سورة فصلت: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾)[7]

---

[1] كتاب التوحيد للحافظ ابن منده (٤٧/٢)

[2] الحجة في بيان المحجة (١٣٧/١)

[3] مختصر الصواعق المرسلة (٨٧٢/٣)

[4] سورة فصلت: ١-٢

[5] هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، المفسر، الفقيه، الأصولي، النحوي، الأصولي، ولد في موريتانيا، وأخذ العلم من مشائخ بلاده، وتفقه على مذهب الإمام مالك، ثم انتقل إلى بلاد الحرمين الشريفين، فاستقر في المدينة النبوية، ودرّس بالمسجد النبوي، والجامعة الإسلامية، وكان من كبار علماء عصره. له (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، و(آداب البحث والمناظرة)، وتوفي رحمه الله، عام ١٣٩٣هـ. انظر: ترجمته التي كتبها تلميذه الشيخ عطية بن محمد سالم وهي مطبوعة في آخر أضواء البيان (طبعة عالم الكتب)

[6] سورة غافر: ١-٣

[7] أضواء البيان (٤٥/٧)

ففي بداية هذه السورة الكريمة الذي قرأها النبي ﷺ على عتبة بن ربيعة، ذكر الله تنزيله كتابه، وبيّن أنّ مبدأ تنزيله منه ﷻ، وأتبع ذلك بذكر اسمه (الرحمن)، واسمه (الرحيم)

كما ورد اسم الله (الرحيم) في قصة نزول أول سورة الروم حيث نزل فيه قول الله تعالى: ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [1]

وورد اسم الله (الرحمن) في حديث خباب حيث نزل فيه قول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ [2]

والاسمان مشتقان من الرحمة، و(الرحمن) أبلغ من (الرحيم)، وهناك قولان لأهل العلم في الفرق بينها:

القول الأوّل: إن اسم (الرحمن) هو: ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، و(الرحيم) ذو الرحمة الخاصة للمؤمنين[3]

القول الثاني: (إنّ (الرحمن) دال على الصفة القائمة به سبحانه، و(الرحيم) دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل.

فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته)[4]

---

[1] سورة الروم: ٥

[2] سورة مريم: ٧٧-٧٨

[3] انظر: تفسير الطبري (١٨/٢)

[4] بدائع الفوائد (٤٢/١)

تاسعاً:- السميع

ورد في إثبات هذا الاسم قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ [(١)]

التعليق:

(السميع) اسم من أسماء الله الحسنى، وهو ثابت بالقرآن والسنة

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [(٢)]

وقال ﷻ: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [(٣)]

وكان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كَبَّر ثم يقول: (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك)، ثم يقول: (لا إله إلا الله) ثلاثاً، ثم يقول: (الله أكبر كبيراً، ثلاثا (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من هَمْزِه ونَفخِه ونَفثِه)، ثم يقرأ[(٤)]

---

(١) انظر: ص ٤٠ – ٤٢

(٢) سورة البقرة: ١٢٧

(٣) المائدة: ٧٦

(٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك (٣٤٤/١ رقم ٧٧٥)، والترمذي في أبواب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة (٩/٢ رقم ٢٤٢)، والإمام أحمد في المسند (٥٠/٣)، وحسّنه الشيخ الألباني في الإرواء (٥١/٢)

وقال النبي ﷺ: من قال: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم) ثلاث مرات لم تُصِبهُ فجأة بلاء حتى يُصبِح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات، لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي[(١)]

قال الحافظ ابن منده رحمه الله تعالى: (ومن أسماء الله ﷻ: السيد السلام السميع)[(٢)]

وقال أبو القاسم التيمي الأصبهاني رحمه الله: (ومن أسماء الله تعالى: السميع)[(٣)]

وقد ورد هذا الاسم في مرويات العهد المكّي في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ، حيث قرأ فيها سورة فصلت من أول السورة إلى السجدة فيها ومن ضمن هذه الآيات التي تلاها النبي ﷺ: قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [(٤)]

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى – يقرر ثبوت هذا الاسم من خلال هذه الآية الكريمة: (السياق ههنا لإثبات صفات كماله وأدلة ثبوتها وآيات ربوبيته وشواهد توحيده ولهذا عقب ذلك بقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ ﴾[(٥)] ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ [(٦)] فأتى بأداة التعريف الدالة على أن من أسمائه (السميع العليم) كما جاءت الأسماء الحسنى كلها معرّفة)[(٧)]

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (٥/٢٠٣-٢٠٤ رقم ٥٠٨٨)، والترمذي في كتاب الدعاء، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى (٥/٤٦٥ رقم ٣٣٨٨)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى (٤/٢٨٤ رقم ٣٨٦٩)، والإمام أحمد في المسند (١/٦٦)، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح غريب)، وصحح اسناده الشيخ الألباني في تحقيق الكلم الطيب (ص٣٣)

(٢) كتاب التوحيد للحافظ ابن منده (٢/١٣٢)

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/١٣٨)

(٤) سورة فصلت: ٣٦

(٥) سورة فصلت: ٣٧

(٦) سورة فصلت: ٣٩

(٧) إغاثة اللهفان (١/١٥٧)

وقد بيّن الإمام ابن القيم رحمه الله معنى هذا الاسم فقال: ((السميع): الذي قد استوى في سمعه سرُّ القول وجهره، وسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه أصوات الخلق ولا تشتبه عليه، ولا يشغله منها، سمع عن سمع، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه كثرة السائلين)[1]

عاشراً: – الصمد

ورد إثبات هذا الاسم في قصة نزول سورة الإخلاص [2]

التعليق:

من أسماء الله الحسنى الثابتة بكتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ: (الصمد)

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [3]

وقد جاء في السنة المطهرة أنّ رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: (اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)، فقال: (لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب)، وفي لفظ: (لقد سأل الله باسمه الأعظم..)[4]

قال الحافظ ابن منده: (ومن أسماء الله ﷻ: الصمد)[5]

وقد ورد هذا الاسم من أسماء الله الحسنى في قصة نزول سورة الإخلاص حيث نزل فيه هذه السورة التي ورد فيها قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾

---

[1] طريق الهجرتين (ص٢٣٤)

[2] سورة الإخلاص: ٢، والقصة تقدم إيرادها مع التخريج. انظر: ص (٢٢٦)

[3] سورة الإخلاص: ٢

[4] تقدم تخريجه، ص (٢٢٦)

[5] كتاب التوحيد للحافظ ابن منده (١٤٢/٢)

و(الصمد) هو: (السيد الذي قد كمل في سودده و الشريف الذي قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد عظم في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والغني الذي قد كمل في غناه والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد)[١]

وهو: (من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة، وذلك لكثرة خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة له)[٢]

وصحّ عن مجاهد أنه فسر (الصمد) بأنّه من لا جوف له[٣]، وهذا لا يناقض التفسير المتقدم (فإن اللفظ من الاجتماع، فهو الذي اجتمعت فيه صفات الكمال؛ ولا جوف له)[٤]

الحادي عشر: - العزيز

ورد هذا الاسم من اسماء الله الحسنى في:

١- قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ الذي قرأ فيها سورة فصلت من أول السورة إلى السجدة فيها، ومن ضمن الآيات التي تلاها ﷺ قوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [٥]

---

[١] تفسير الطبري (٣٤٦/٣٠)

[٢] الصواعق المرسلة (١٠٢٥/٣)

[٣] رواه الطبري في تفسيره (٧٤١/١٢)، وابن أبي عاصم في السنة (السنة مع ظلال الجنة: ١-٣٠٠/٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١-٣٠٠/٢)

[٤] الصواعق المرسلة (١٠٢٦/٣-١٠٢٧)

[٥] سورة فصلت: ١٢

٢- قصة نزول أول سورة الروم التي نزل فيها قول الله تعالى: ﴿ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [١]

التعليق:

ومن أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب والسنة: (العزيز)

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [٢]

وقال تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴾ [٣]

وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [٤]

وعن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: (عَلِّمني كلاماً أقوله)، قال: (قُل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا **بالله العزيز الحكيم**)، قال: (فهؤلاء لربي فما لي؟)، قال: (قل اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني)[٥]

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [٦] ورسول الله ﷺ يقول - هكذا بيده ويحركها يقبل بها

---

[١] سورة الروم: ٥

[٢] سورة الشعراء: ٩

[٣] سورة ص: ٦٦

[٤] سورة البروج: ٨

[٥] رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢٢/١٧ رقم ٦٧٨٨)

[٦] سورة الزمر: ٦٧

ويدبر: (يمجد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، **أنا العزيز**، أنا الكريم) فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا: (ليخرن به)[1]

قال الحافظ ابن منده رحمه الله تعالى: (ومن أسماء الله ﷻ: العزيز)[2]

وقال أبو القاسم التيمي: (ومن أسمائه: العزيز)[3]

وقد ورد هذا الاسم من أسماء الله الحسنى في مرويات العهد المكّي في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ، حيث قرأها فيها سورة فصلت من أول السورة إلى السجدة فيها، ومن ضمن الآيات التي تلاها ﷺ قوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [4]

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى – يقرر ثبوت هذا الاسم أثناء استخراجه الفوائد من قول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ : (ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات إسمين من أسماء الله وهما **العزيز** العليم)[5]

وورد اسم الله (العزيز) في قصة نزول أول سورة الروم حيث نزل فيها قول الله تعالى: ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [6]

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي في معنى هذا الاسم: ((العزيز): الّذي له جميع معاني العزة ﴿ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [7])[8] وهذه المعاني تشمل (عزة القوة، وعزة الغلبة،

---

(1) رواه الإمام أحمد في المسند (٧٢/٢)، وابن حبان في صحيحه (٣٢٢/١٦)، وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيق صحيح ابن حبان

(2) كتاب التوحيد للحافظ ابن منده (٧١/٢)

(3) الحجة في بيان المحجة (١٤٢/١)

(4) سورة فصلت: ١٢

(5) تفسير سورة ﴿ يسٓ ﴾ للشيخ ابن عثيمين (ص١٤٠)

(6) سورة الروم: ٥

(7) سورة يونس: ٦٥

(8) فتح الرحيم الملك العلاّم (ص ٢٥)

وعزة الامتناع؛ فامتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة، وخضعت لعظمته)[1]

ثانياً وعشر:- العليم

ورد هذا الاسم من أسماء الله الحسنى في:

١- قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع النبي ﷺ [2]

وضمن الآيات التي قرأها ﷺ قول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [3]

وقول الله جلّ وعلا: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [4]

٢- نزول آخر سورة ﴿ يسٓ ﴾ [5] وضمن هذه الآيات قول الله تعالى:﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [6]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (٢٥/١)

[2] انظر: ص (٤٠-٤٢) من الرسالة

[3] سورة فصلت: ١٢

[4] سورة فصلت : ٣٦

[5] انظر: ص (٤٣) من الرسالة

[6] سورة يس: ٧٩-٨١

التعليق:

(العليم) اسم من أسماء الله الثابتة بالكتاب والسنة

قال الله ﷻ: ﴿ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [1]

وقال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [2]

وقال جلّ وعلا: ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [3]

وكان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كَبَّر ثم يقول: (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك)، ثم يقول: (لا إله إلا الله) ثلاثاً، ثم يقول: (الله أكبر كبيراً، ثلاثا (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من هَمْزِه ونَفخِه ونَفثِه)، ثم يقرأ[4]

وقال النبي ﷺ: من قال (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض، ولا في السماء، وهو السميع العليم) ثلاث مرات لم تُصِبهُ فجأة بلاء حتى يُصبِح، ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات، لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي[5]

قال الحافظ ابن منده رحمه الله: (ومن أسمائه ﷻ: العالم العليم العلاّم)[6]

وقد ورد هذا الاسم من أسماء الله الحسنى في مرويات العهد المكي في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ حيث قرأ فيها سورة فصلت من أول السورة إلى السجدة فيها، ومن ضمن ما قرأه النبي ﷺ:

قول الله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [7]

---

[1] سورة البقرة: ٣٢

[2] سورة الأنبياء: ٤

[3] سورة الروم: ٥٤

[4] تقدم تخريجه، ص (٢٤٦)

[5] تقدم تخريجه، ص (٢٤٧)

[6] كتاب التوحيد للحافظ ابن منده (١٥١/٢)

[7] سورة فصلت: ١٢

وقول الله ﷻ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[1]

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى عند كلامه على قول الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ : (ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات إسمين من أسماء الله وهما العزيز **العليم**)[2]، فقرر ثبوت اسم الله العليم من هذه الآية الكريمة

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى – يقرر ثبوت هذا الاسم أثناء كلامه قول الله ﷻ: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ : (السياق ههنا لإثبات صفات كماله وأدلة ثبوتها وآيات ربوبيته وشواهد توحيده ولهذا عقب ذلك بقوله: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ ﴾[3] ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ ﴾[4] فأتى بأداة التعريف الدالة على أن من أسمائه (السميع **العليم**) كما جاءت الأسماء الحسنى كلها معرّفة)[5]

كما ورد اسم الله (العليم) في قصة نزول آخر سورة ﴿ يسٓ ﴾ ، حيث نزل فيها قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[6]

---

[1] سورة فصلت: ٣٦

[2] تقدم، ص (٢٥١)

[3] سورة فصلت: ٣٧

[4] سورة فصلت: ٣٩

[5] تقدم، ص (٢٤٧)

[6] سورة ﴿ يسٓ ﴾ : ٧٩– ٨١

(والعليم): (هو الّذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل؛ فلا يخفى عليه شيء من الأشياء)[1]

ثالثاً وعشر: - الغفور

ورد هذا الاسم من أسماء الله الحسنى في قصة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ [2]

التعليق:

(الغفور) من أسماء الله الحسنى الثابتة بكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ

قال الله ﷻ ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [3]

وقال جل وعلا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [4]

وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [5]

وكان يُعَدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: (رب اغفر لي وتب علي، إنك أنت التواب الغفور)[6]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (٢٤/١)

[2] انظر: ص (٤٠-٤٢) من الرسالة

[3] سورة الحجر: ٤٩

[4] سورة الزمر: ٥٣

[5] سورة البروج: ١٤

[6] رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس (٤٩٤/٥ رقم ٣٤٣٤)، والإمام أحمد في المسند (٢١/٢)، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح غريب)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٦/٢ رقم ٥٥٦)

وقرر الحافظ ابن منده رحمه الله هذا الاسم لله تعالى حيث قال: (ومن أسماء الله ﷻ الغفور والغافر والغفار)[1]

وقال أبو القاسم التيمي رحمه الله: (ومن أسمائه تعالى الغافر والغفور والغفار)[2]

كما قرر ثبوته الإمام ابن القيم رحمه الله قائلاً: (سبحانه له الأسماء الحسنى، فمن أسمائه: الغفور)[3]

وقد ورد هذا الاسم من أسماء الله الحسنى في مرويات العهد المكّي في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ حيث قرأ فيها سورة فصلت من أول السورة إلى السجدة فيها، ومن ضمن ما قرأه النبي ﷺ:

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[4]

والشاهد في قول الله ﷻ: ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾

و(الغفور): (الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه)[5]

رابعاً وعشر:- الواسع

ورد هذا الاسم في قصة سجود أهل مكة، مؤمنهم ومشركهم، إنسهم وجنهم مع رسول الله ﷺ، عندما قرأ عليهم سورة النجم[6]

---

[1] كتاب التوحيد للحافظ ابن منده (٢/١٥٦)

[2] الحجة في بيان المحجة (١/١٤٤)

[3] مفتاح دار السعادة (١/١٠٦)

[4] سورة فصلت: ٣٠-٣٢

[5] تيسير الكريم الرحمن (١/٢٤-٢٥)

[6] انظر: ص (٤٣-٤٥)

التعليق:

(الواسع) من أسماء الله الحسنى

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]

وقال جلّ وعلا: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]

وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾[3]

وقرّر أبو القاسم التيمي الأصبهاني ثبوت هذا الاسم لله تعالى حيث قال: (ومن أسمائه الواسع)[4]

كما قرر ثبوته لله الإمام القيم فقال: ((الواسع) من أسمائه)[5]

وقد ورد هذا الاسم في مرويات العهد مكي، في قصة سجود أهل مكة مع رسول الله ﷺ، عندما قرأ عليهم سورة النجم، إلاّ أنّه ورد مضافاً، حيث قرأ رسول الله ﷺ على أهل مكة، إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم، سورة النجم وفيها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾[6]

وقد استشهد بعض أهل العلم بهذه الآية الكريمة في سياق إثبات اسم (الواسع) لله سبحانه وتعالى[7]

---

[1] سورة البقرة: ١١٥

[2] سورة البقرة: ٢٤٧

[3] سورة النساء: ١٣٠

[4] الحجة في بيان المحجة (١/١٦٢)

[5] مختصر الصواعق المرسلة (١٠١٤/٣)

[6] سورة النجم: ٣٢

[7] انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى لمحمد الحمود النجدي (٤٠٢/١)

وقد بيّن الإمام ابن القيم معنى (الواسع) بقوله: (قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبۡحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [1]

فهذا السياق لا تعرّض فيه للقبلة؛ ولا سيق الكلام لأجلها؛ وإنما سيق لذكر عظمة الرب، وبيان سعة علمه وملكه وحلمه، و(الواسع) من أسمائه) [2]

خامساً وعشر:- أرحم الراحمين

عن عبد الله بن جعفر [3]، قال: لمّا توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه، فدعا إلى الإسلام. قال: فلم يجيبوه. قال: فانصرف فأتى ظل شجرة، فصلّى ركعتين، ثم قال: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم بي، إلى من تكلني؟ إلى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُني [4]، أم إلى قريب مَلَّكْتَهُ أمري؟ إن لم تكن غضبان عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سَخَطُك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك) [5]

---

[1] سورة البقرة: ١١٦-١١٧

[2] مختصر صواعق المرسلة (١٠١٤/٣)

[3] هو: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أبو جعفر الهاشمي ولد بأرض الحبشة لما هاجر أبواه إليها وهو أول من ولد بها من المسلمين ، ومات عام ٨٧هـ. انظر: الإصابة (٤٠/٤)

[4] أي: يلقاني بالغلظة والوجه الكريه. النهاية (٣٢٣/١)

[5] رواه الطبراني في الدعاء (١٢٨٠/٢)، وابن عدي في الكامل (١١١/٦). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥/٦): (وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات)، وضعّف الحديث الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٨٦/٦ رقم ٢٩٣٣)، وحسّن إسناده عبد الرحمن بن حسن بن قائد في تحقيق الوابل الصيب (الّذي أشرف عليه فضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله وشفاه) (ص ١١٥): وقال: (وعنعنة ابن إسحاق لا تضر هاهنا؛ فإنّ حديثه هذا من أخبار المغازي والسير التي عظمت عنايته بها، وقبلها منه الأئمة، ولا نكارة في إسناده ولا في متنه) والله أعلم

التعليق:

من أسماء الله الحسنى (أرحم الراحمين) وهو من الأسماء الحسنى

ومن الأدلة على ذلك قول الله ﷻ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2]

وفي حديث الشفاعة: ..فيقول الله ﷻ: (شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، و لم يبق إلا أرحم الراحمين)[3]

وفي حديث آخر في الشفاعة: يقول الله ﷻ: (أنا أرحم الراحمين، ادخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئاً)[4]

وقرّر أبو القاسم التيمي ثبوت هذا الاسم لله ﷻ، حيث قال: (ومن أسمائه: خير الفاتحين، وخير الراحمين، وخير الغافرين، وأرحم الراحمين)[5]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك أسماؤه المضافة، مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك مما ثبت فى الكتاب والسنة، وثبت فى الدعاء بها بإجماع المسلمين)[6]

فقرر إثبات هذا الاسم لله ﷻ، بل نقل الإجماع على ثبوته.

---

[1] سورة الأعراف: ١٥١

[2] سورة الأنبياء: ٨٣

[3] رواه مسلم في كتاب الإيمان في باب معرفة طريق الرؤية (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣/٢٩-٣٣ رقم ٤٥٣)

[4] رواه الإمام أحمد في المسند (٤/١)، وحسن إسناده الشيخ الألباني في ظلال الجنة (١-٢/٣٣٥، ٣٦٧-٣٦٨ رقم ٧٥١، ٨١٢)

[5] الحجة في بيان المحجة (١/١٦٥)

[6] مجموع الفتاوى (٢٢/٤٨٥)

وقد ورد هذا الاسم في مرويات العهد المكي في قصة خروج النبي ﷺ إلى الطائف، في قول النبي ﷺ: (يا أرحم الراحمين، أنت أرحم بي)، فدعا ربّه جلّ وعلا بهذا الاسم مما يدلّ على أنّه من أسمائه الحسنى.

و(أرحم الراحمين): أرحم بالعباد من كلّ راحم، أرحم بهم من آبائهم وأمّهاتهم وأولادهم وأنفسهم[١]

سادساً وعشر- ذو الجلال والإكرام

عن أسماء بنت أبي بكر[٢]، أنهم قالوا لها: (ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ)، فقالت: كان المشركون قعدوا في المسجد يتذاكرون رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك، إذ دخل رسول الله ﷺ فقاموا إليه، وكانوا إذا سألوا عن شيء صدقهم، فقالوا: (ألست تقول كذا وكذا)، فقال: (بلى)، فتشبثوا به بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقيل له: (أدرك صاحبك)، فخرج من عندنا، وإن له غدائر[٣]، فدخل المسجد وهو يقول: (ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟) قال: فلهوا عن رسول الله ﷺ، وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس شيئا من غدايره إلا جاء معه وهو يقول: (تباركت يا ذا الجلال والإكرام)[٤]

---

[١] تيسير الكريم الرحمن (٥٨٣/٢)

[٢] تقدمت ترجمتها، (ص٦٩)

[٣] هي الذَّوائب واحدها : غَديرة. النهاية (٣٤٥/٣)

[٤] مسند الحميدي (١٥٥/١)، مسند أبي يعلى (٥٢/١)، وقد حسن الحافظ إسناده في الفتح (٢٠٧/٧)

التعليق:

من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب والسنة: (ذو الجلال والإكرام)، ودليل ثبوت هذا الاسم له ﷻ قول الله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [1]

وكان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال: (اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام)[2]

وعن أنس رضي الله عنه، أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: (اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي ياقيوم، فقال النبي ﷺ: (لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أَعطى)[3]

قال الحافظ ابن منده رحمه الله – مقرّراً ثبوت هذا الاسم لله سبحانه وتعالى: (ومن أسماء الله ﷻ: ذو الجلال والإكرام)[4]

كما قررّ ثبوته أبو القاسم التيمي الأصبهاني قائلاً: (ومن الأسماء المضافة ذوالجلال والإكرام)[5]

وورد هذا الاسم في مرويات العهد المكّي في حديث أسماء بنت أبي بكر المتقدم حيث ورد فيه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه : (تباركت يا ذا الجلال والإكرام)، ومثل هذا له حكم الرفع.

---

[1] سورة الرحمن: ٢٧

[2] رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (صحيح مسلم مع شرح النووي:٩٢/٥ رقم ١٣٣٣)

[3] رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء (١١٣/٢ رقم ١٤٩٥)، والنسائي في باب الدعاء بعد الذكر (٤٤/٣)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب خلق الله مائة رحمة (٥٥٠/٥ رقم ٣٥٤٤)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (٢٧٦/٤-٢٧٧ رقم ٣٨٥٨)، والإمام أحمد في المسند (١٢٠/٣، ٢٤٥)، وصحح إسناده الشيخ الألباني في التوسل (ص٣٤)

[4] كتاب التوحيد للحافظ ابن منده (١٢٠/٢)

[5] الحجة في بيان المحجة (١٦٣/١)

و(ذو الجلال والإكرام) هو: (ذو العظمة والكبرياء والمجد، الّذي يُعَظَّم ويُبجَّل ويُجَلّ لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل والجود، الّذي يُكرِم أولياءه وخواصَّ خلقِه بأنواع الإكرام، الّذي يكرِمُه أولياؤه ويجلُّونه ويعظّمونه ويحبّونه وينيبون إليه ويعبدونه)[1]

[1] تيسير الكريم الرحمن (١٧٥٦/٤)

المبحث الثاني:

الصفات الإلهية

وهي[1]:

<u>أولاً</u>:- صفة الإرادة، وصفة المشيئة

وردت صفتا الإرادة والمشيئة في:

١- قصة نزول آخر سورة ﴿ يسٓ ﴾[2]، وفي السورة قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3]

٢- قصة نزول أول سورة الروم[4]، الذي يتضمن قول الله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾[5]

٣- قصة وفاة أبي طالب[6]،حيث نزل فيه قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[7]

٤- حديث بيعة العقبة الأولى، وفيه: (ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)[8]

---

[1] تنبيه: لم تُكرّر الصفات المتعلقة بخصائص الربوبية التي تقدم ذكرها في الباب الإول.

[2] انظر: ص (٤٣) من الرسالة

[3] سورة ﴿ يسٓ ﴾ : ٨٢

[4] انظر: ص (٥٣-٥٤) من الرسالة

[5] سورة الروم: ٤-٥

[6] الحديث تقدم إيراده مع التخريج، ص (٨٧)

[7] سورة القصص: ٥٦

[8] تقدم تخريجه، (ص٧٧)

التعليق:

من الصفات الإلهية الثابتة بالكتاب والسنة: الإرادة والمشيئة

قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ [(١)]

وقال جل وعلا: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡ ﴾[(٢)]

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [(٣)]

وقال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [(٤)]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [(٥)]

وقد جاء إثبات هذه الصفة الإلهية في السنة النبوية المطهرة

قال رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[(٦)]

وفي حديث نزول المسيح: (فيرسل الله طيراً كأعناق البُخْت[(٧)] فتحملهم فتطرحهم حيث **شاء الله** ثم يرسل الله مطراً)[(٨)]

---

(١) سورة البقرة: ٢١٢

(٢) سورة المائدة: ٤٨

(٣) سورة السجدة: ١٣

(٤) سورة المائدة: ١

(٥) سورة البروج: ١٢-١٦

(٦) رواه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (صحيح البخاري مع فتح الباري: ١/١٩٧ رقم ٧١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٧/١٢٩ رقم ٢٣٨٩)

(٧) البُخت جمع بُختي، والبخت: جِمال طِوَال الأعناق. انظر: النهاية (١/١٠١)

(٨) رواه مسلم في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٨/٢٦٨ رقم ٧٢٩٩)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (قوله ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ دليل على أمور: أحدها: أنه سبحانه يفعل بإرادته ومشيئته)[1]

وقرر الحافظ الحكمي رحمه الله ثبوت المشيئة والإرادة لله تعالى حيث قال:

باقٍ فلا يفنى ولا يبيد ... ولا يكون غير ما يريد

منفرد بالخلق والإرادة ... وحاكم جل بما أراده[2]

وقال: (والمراد بالإرادة هنا الإرادة القدرية الكونية التي لا بد لكل شيء منها ولا محيص ولا محيد لأحد عنها وهي مشيئة الله الشاملة)[3]

وقد جاء في إثبات هذه الصفة في مرويات العهد المكي قصة نزول آخر سورة ﴿ يسٓ ﴾ ، حيث ورد في الآيات التي نزلت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى، وهو يستخرج الفوائد من هذه الآية الكريمة، ويقرر ثبوت هذه الصفة لله تعالى من خلالها: (ومن فوائدها: إثبات الإرادة لله لقوله ﴿ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا ﴾ وإرادة الله ﷻ كما قال أهل العلم تنقسم إلى قسمين: شرعية، وكونية.

فالشرعية هي التي بمعنى المحبة.

والكونية هي التي بمعنى المشيئة.)[4]

وورد إثبات صفة المشيئة في قصة نزول أول سورة الروم لورود قوله تعالى ضمن الآيات التي نزلت: ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾

ووجه الاستدلال بالآية على إثبات المشيئة لله ظاهر في نسبة المشيئة إليه جل وعلا.

---

(1) التبيان في أقسام القرآن (ص٥٧)

(2) سلم الوصول إلى علم الأصول (ضمن: معارج القبول بشرح سلم الوصول ٥٩/١)

(3) معارج القبول (٢٧٧/١)

(4) تفسير سورة ﴿ يسٓ ﴾ للشيخ ابن عثيمين (ص٣٠٨)

كما ورد في إثبات صفة المشيئة لله – في مرويات العهد المكي – قصة وفاة أبي طالب حيث نزل فيه قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾

وقد احتج الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى بهذه الآية الكريمة على إثبات المشيئة والإرادة لله تعالى، حيث ذكرها عند افتتاحه الباب الذي خصه للأحاديث الدالة على إثبات المشيئة والإرادة في كتاب التوحيد من صحيحه[1]

ووجه دلالة الآية على إثبات هذه الصفة ظاهر في إضافة فعل المشيئة لله ﷻ

وحديث بيعة العقبة الأولى أيضاً يدلّ على إثبات المشيئة لله، لورود قول النبي ﷺ: (ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)

ثانياً:- صفة الحب

ورد إثبات صفة الحب لله تعالى في:

١- دعاء النبي ﷺ لهداية عمر بن الخطّاب ﷺ، وإعزاز الإسلام به، فعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم أعز الإسلام **بأَحَبّ** هذين الرجلين **إليك**: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب) قال: وكان أحبهما إليه عمر.[2]

---

[1] انظر: صحيح البخاري مع فتح الباري (١٣/٤٥٤)

[2] تقدم تخريجه، ص (٨٢)

٢- وفي رواية: قال سعيد بن المسيب[١]: كان رسول الله ﷺ إذا رأى عمر بن الخطاب أو أو أبا جهل بن هشام قال: (اللهم اشدد دينك **بأَحَبِّهما إليك**) فشدد دينه بعمر بن الخطاب[٢]

٣- قول النبي ﷺ وهو واقف على الحَزْوَرَة[٣]: (والله، إنكِ لخير أرض الله، وأَحَبّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرِجت منك ما خَرَجتُ)[٤]

التعليق:

الحب صفة من صفات الله ﷻ الثابتة بكتاب الله تعالى وبسنة نَبِيِّه محمد ﷺ

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [٥]

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [٦]

وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [٧]

---

[١] تقدمت ترجمته، (ص٨٢)

[٢] تقدم تخريجه، ص (٨٢)

[٣] الحَزْوَرَة: هو موضع بمكّة عنْدَ باب الحنّاطِين وهو بوزن قَسْوَرة. قال الشافعي: (الناس يُشَدِّدُون الحَزْوَرَة والحُدَيْبِيَة وهما مُخَفّفتان) النهاية (٣٨٠/١)

[٤] رواه الترمذي في كتاب المناقب، باب في فضل مكّة (٧٢٢/٥ رقم ٣٩٢٥)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب فضل مكة (٥١٧/٣-٥١٨ رقم ٣١٠٨)، والإمام أحمد في المسند (٣٠٥/٤)، والحاكم في المستدرك (٨/٣) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في تحقيق المشكاة (١١٥/٢)، وفي الثمر المستطاب (ص٥٠٩)

[٥] سورة البقرة: ١٩٥

[٦] سورة المائدة: ٥٤

[٧] سورة التوبة: ٤

وقال رسول الله ﷺ يوم خيبر: (لأُعطِيَنَّ الرايةَ غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب اللهَ ورسولَه، **ويُحِبُّهُ اللهُ** ورسوله)[1]

وقال ﷺ: (إن الله جميل **يُحبّ** الجمال)[2]

وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع على إثبات المحبة لله ﷻ حيث قال: (الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين، ومحبتهم له)[3]

وقد ورد إثبات هذه الصفة لله تعالى في مرويات العهد المكّي في دعاء النبي ﷺ لهداية عمر بن الخطّاب ﷺ، وإعزاز الإسلام به حيث قال (اللهم أعز الإسلام **بأَحَبّ** هذين الرجلين **إليك**: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب)، فأثبت من خلال هذا الدعاء أن الله يُحبّ، فأثبت له صفة المحبة

كما ورد إثبات صفة الحب لله في قول النبي ﷺ: (إنكِ لخير أرض الله، وأَحَبّ أرض الله إلى الله)، حيث نسب النبي ﷺ الحب إلى الله جلّ وعلا

ثالثاً: - رؤية الله لخلقه

ورد إثبات رؤية الله لخلقه في نزول أخر سورة العلق[4]، وضمن الآيات التي نزلت، قول الله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [5]

---

[1] رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل (صحيح البخاري مع الفتح: ١٦٨/٦ رقم ٣٠٠٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٧٢/١٥ رقم ٦١٧٢)

[2] رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر بيانه (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢٧٥/٢ رقم ٢٧١)

[3] مجموع الفتاوى (٣٥٤/٢)، وانظر: منهاج السنة (١٦٧/٣)

[4] تقدم تخريج الحديث بعد إيراده، (ص٢٣٨)

[5] سورة العلق: ١٤

التعليق:

رؤية الله لخلقه صفة من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة

قال الله ﷻ لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [1]

ويدلّ على إثبات هذه الصفة حديث جبريل المشهور وفيه: (...قال: (ما الإحسان؟)، قال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه **يراك)**[2]

قال الحافظ أبو القاسم التيمي الأصبهاني – رحمه الله: (واجب على كل مؤمن أن يثبت من صفات الله ﷻ ما أثبته الله لنفسه، وليس بمؤمن مَن ينفي عن الله ما أثبته الله لنفسه في كتابه؛ فرؤية الخالق لا تكون كرؤية المخلوق)[3]

وقد ورد إثبات رؤية الله لخلقه في مرويات العهد المكّي في نزول آخر سورة العلق لورود قول الله تعالى ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ ضمن الآيات التي نزلت.

رابعاً:- صفة الرحمة

ورد إثبات هذه الصفة لله في نزول قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [4]

---

[1] سورة طه: ٤٦

[2] رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيما، والإسلام، والإحسان وعلم الساعة (صحيح البخاري مع فتح الباري:١/١٤٠ رقم ٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١/١٠١ رقم ٩٣)

[3] الحجة في بيان المحجة (١/١٩٦)

[4] سورة الإسراء: ٥٧، تقدم تخريجه، ص (٢٣٥)

التعليق:

الرحمة صفة من صفات الله الثابتة والكتاب والسنة

قال الله جلّ وعلا: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1]

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (لما خلق الله الخلق، كتب في كتاب ، فهو عنده فوق العرش: إنَّ **رحمتي** تغلب (أو : غلبت) غضبي)[2]

وقرر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – إثبات هذه الصفة لله حيث قال: (إنّ أهل السنة يصفونه بالقدرة الإلهية والحكمة والرحمة)[3]

وقد ورد إثبات صفة الرحمة لله في مرويات العهد المكّي في نزول قول الله تبارك وتعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾

وفي هذه الآية الكريمة إثبات صفة الرحمة لله جلّ وعلا.

خامساً:- صفة الرضى

وردت صفة الرضى في حديث ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف، في قول النبي ﷺ: (لك العُتْبَى حتى ترضى)[4]

---

[1] سورة البقرة: ٢١٨

[2] رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري:٦/٣٣٠ رقم ٣١٩٤)

[3] مجموع الفتاوى (١٦/٢٩٦)

[4] تقدم تخريجه، ص (٢٥٨)

التعليق:

الرضى صفة من صفات الله الثابتة بالقرآن والسنة

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلاً ﴾ [١]

وقال جلّ وعلا: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [٢]

وقال ﷻ: ﴿ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [٣]

وقال النبي ﷺ: (رضى الله في رضى الوالد وسخط الرب في سخط الوالد)[٤]

وفي دعاء النبي ﷺ في السجود: (اللهم أعوذ برضاك من سخطك)[٥]

وقد قرر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي[٦] ثبوت صفة الرضى لله ﷺ حيث رد على من نفاها عن الله ﷻ [٧]

---

[١] سورة طه: ١٠٩

[٢] سورة الفتح: ١٨

[٣] سورة المجادلة: ٢٢

[٤] رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء من الفضل في رضا الوالدين (٣١٠/٤ رقم ١٨٩٩)، والحاكم في المستدرك (١٦٨/٤) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٣/٢-٤٤ رقم ٥١٦)

[٥] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (صحيح مسلم مع شرح النووي:٤٢٦/٤ رقم ١٠٩٠)

[٦] هو: عثمان بن سعيد بن خالد أبو سعيد التميمي الدارمي السجستاني، الإمام، العلاّمة الحافظ، الناقد، ولد قبل سنة ٢٠٠هـ بيسير، وطوّف الأقاليم في طلب الحديث، سمع الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وصنف كتاباً في (الرد على الجهمية) وكتاباً في (الرد على بشر المريسي). توفي رحمه الله عام (٢٨٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٣١٩/١٣)

[٧] نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد ص٥٥٧

وقد نقل الشيخ محمد بن صالح العثيمين الإجماع على إثبات هذه الصفة لله تعالى قائلاً: (وأجمع السلف على إثبات الرضا لله تعالى فيجب إثباته له)[1]

وقد وردت هذه الصفة في دعاء النبي ﷺ المشهور عند رجوعه من الطائف حيث قال (لك العتبى حتى **تَرضَى**)

ووجه الاستشهاد به على صفة الرضى ظاهر في نسبة رسول الله ﷺ الرضى لله جلّ وعلا.

سادساً:- صفة السمع

ورد إثبات صفة السمع في حديث عائشة رضي الله عنها في ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف، وفيه قول جبريل: (إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم)[2]

التعليق

السمع صفة من صفات الله الثابتة بكتاب الله تعالى وبسنة نبييه ﷺ

قال الله ﷻ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ [3]

وقال ﷻ لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [4]

---

[1] شرح لمعة الاعتقاد (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٢٩/٥)

[2] تقدم تخريجه، ص (٢٠٩)

[3] سورة آل عمران: ١٨١

[4] سورة طه: ٤٦

وقال النبي ﷺ: (إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً)[1]

وقد نقل شيخ الإسلام الإجماع على إثبات صفة السمع لله تعالى، فقال رحمه الله: (وقد دل الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة، ودلائل العقل على أنه سميع بصير)[2]

وقد ورد إثبات هذه الصفة الإلهية في مرويات العهد المكي في قول جبريل عليه السلام للنبي عند رجوعه من الطائف: (إن الله قد سمع قول قومك لك)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: (قال الكرماني[3]: المقصود من هؤلاء الأحاديث إثبات صفتي السمع والبصر)[4]

وقال شيخنا عبد الله الغنيمان حفظه الله في شرحه لهذا الحديث: (في الحديث البيان الواضح في أن الله تعالى يسمع أقوال عباده، وأنه لا يخفى عليه تعالى من ذلك شيء)[5]

ووجه دلالة الحديث على إثبات صفة السمع لله ظاهر في إضافة السمع لله في قول جبريل عليه السلام

سابعاً:- صفة العَتْب

ورد إثبات صفة العتب في حديث ذهاب النبي ﷺ إلى الطائف، في قول النبي ﷺ: (لك العُتْبَي حتى ترضى)[6]

---

(1) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٣٨٤/١٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢٧/١٣-٢٨ رقم ٦٨٠٢)

(2) كتاب الرد على المنطقيين ص(٥٠٩)

(3) هو: محمد بن يوسف بن علي شمس الدين الكرماني، أحد شراح صحيح البخاري، وسمى شرحه: (الكواكب الدراري). توفي رحمه الله عام ٧٩٦هـ. انظر: كشف الظنون (٥٤١/١)

(4) فتح الباري (٣٨٧/١٣)

(5) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١٩٧/١)

(6) تقدم تخريجه، ص (٢٥٨)

التعليق:

العَتْب صفة من صفات الله ﷻ

قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [1]

أي: لا يُطلَب منهم إزالة عَتْبِ الله عليهم بالتوبة والعمل الصالح[2]

وقال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [3]

وقال النبي ﷺ في دعاء الطائف: (لك العُتبى)

وقرر الإمام ابن القيم ثبوت صفة العتب فقال: (ويُشهد من خطابه عتابه لاحبابه ألطف عتاب، وأنه مع ذلك مُقيلُ عَثَرَاتِهم وغافر زلاّتهم ومقيمٌ أعذارهم، ومصلحٌ فسادَهم، والدافع عنهم، والمحامي عنهم، والناصر لهم، والكفيل بمصالحهم، والمنجي لهم من كل كرب، والموفي لهم بوعده، وأنه وَلِيُّهُم الذي لا ولى لهم سواه، فهو مولاهم الحق ونصيرهم علي عدوهم، فنعم المولى ونعم النصير)[4]

وقد ورد إثبات هذه الصفة في مرويات العهد المكي في قول النبي المتقدم في دعاء الطائف، وقال الإمام ابن القيم في شرحه له فقال: (وقول النبي في دعاء الطائف: (لك العتبي) هو اسم من الإعتاب لا من العَتب، أي: أنت المطلوب إعتابه ولك عَليّ أن أُعتبَك وأُرضيك بطاعتك، فأفعل ما ترضى به عَنِّي وما يزول به، عَتبُك عَلَيّ فالعتب منه على عبده، والعُتبَى والإعتاب له من عبده)[5]

فقرر رحمه الله ثبوت العَتْب لله من خلال هذه الرواية المكّية.

---

[1] سورة النحل: ٨٤

[2] انظر: بدائع الفوائد (١٦٢٢/٤-١٦٢٣)

[3] سورة الروم: ٥٧

[4] الفوائد، ص (٨٦)

[5] بدائع الفوائد (١٦٢٢/٤-١٦٢٣)

ثامناً:- صفتا العفو والمغفرة

ورد إثبات هتين الصفتين في:

١- حديث سجود أهل مكّة مع النبي ﷺ بعد قرآءته ﷺ لسورة النجم عليهم[١]، وهذه السورة تتضمن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [٢]

٢- حديث بيعة العقبة الأولى، وفيه قول النبي ﷺ: (ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)[٣]

٣- وفي رواية: (إن شاء عَذَّب، وإن شاء غَفَر)[٤]

التعليق:

العفو والمغفرة، صفتان ثابتتان لله بالكتاب والسنة

قال الله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [٥]

وقال جلّ وعلا: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٦]

وفي حديث الدعاء على الجنازة: (اللهم اغفر له، وارحمه، و**عافه** واعف عنه...)[٧]

---

[١] انظر: (ص٤٣-٤٥) من هذه الرسالة

[٢] سورة النجم: ٣٢

[٣] تقدم تخريجه، (ص٧٧)

[٤] رواه ابن إسحاق (سيرة ابن هشام:١/٣٩٥)، وصحح إسناده الدكتور سليمان السعود في أحاديث الهجرة (ص٧١)

[٥] سورة التوبة: ٤٣

[٦] سورة فصلت: ٤٣

[٧] رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٣٤/٧ رقم ٢٢٢٩)

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى- يقرر إثبات صفة العفو لله تعالى:

وهو العَفُوُّ فَعَفْوُهُ وَسِعَ الوَرَى   لولاه غار الأرض بالسكان[١]

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله تعالى – في إثبات الصفتين: (العفُو الغفور الغفار: الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه)[٢]

وقد جاء إثبات صفة المغفرة في مرويات العهد المكّي في قصة سجود أهل مكّة مع النبي ﷺ بعدما قرأ عايهم سورة النجم التي تتضمن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾، كما جاء إثبات هذه الصفة في حديث بيعة العقبة الأولى الذي قال فيه رسول الله ﷺ: إن شاء عَذَّب، وإن شاء غَفَر)

وجاء إثبات صفة العفو في الرواية الأخرى للحديث، وفيه قول النبي ﷺ: (ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)

تاسعاً:- صفة العلم

ورد إثبات صفة العلم في:

١- قصة أول نزول جبريل عليه السلام بالوحي في غار حراء وفيه: (حتى فَجِئَهُ الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: (اقرأ)، فقال رسول الله ﷺ : (ما أنا بقارئ). قال: (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: (اقرأ) قلت : (ما أنا بقارئ) فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: (اقرأ) قلت: (ما أنا بقارئ) فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ

---

[١] الكافية الشافية (ص٢٤٤)

[٢] تيسير الكريم الرحمن (٢٤/١)

﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [(١)]

٢- قصة نزول آخر سورة ﴿ يسٓ ﴾ [(٢)]، وتضمنت الآيات التي نزلت قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [(٣)]

٣- قصة سجود أهل مكة، مؤمنهم ومشركهم، أنسهم وجنهم مع رسول الله ﷺ، عندما قرأ عليهم سورة النجم[(٤)]التي تتضمن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [(٥)]، وقول الله تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [٦]

٤- عن سعد قال: قالت قريش للنبي ﷺ : (لو طردت هؤلاء عنك جالسناك تدني هؤلاء دوننا) فنزلت : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ إلى قوله ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [(٧)]

[(١)] تقدم تخريجه، ص (٣٨)

[(٢)] انظر: ص(٤٣) من الرسالة

[(٣)] سورة يس: ٧٩

[(٤)] انظر: ص (٤٣-٤٥)

[(٥)] سورة النجم: ٣٠

[٦] سورة النجم: ٣٢

[(٧)] سورة الأنعام: ٥٢-٥٣، والحديث رواه الحاكم في المستدرك (٣/٣٦٠)، وصححه ووافقه الذهبي

التعليق:

العلم صفة من صفات الله الثابتة بكتاب الله والسنة النبوية، ويصعب عد وحصر أدلّة القرآن والسنة على إثبات علم الله ﷻ كما بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: (أمّا إثبات علمه وتقديره للحوادث قبل كونها، ففي القرآن والحديث والآثار ما لا يكاد يُحصر)[١]

ومن الأدلة القرآنية:

قول الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [٢]

وقول الله ﷻ: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [٣]

وقول الله جلّ وعلا: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [٤]

ومن السنة المطهرة:

قول النبي ﷺ: (إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب)[٥]

وقوله ﷺ: (مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تَغِيضُ الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)[٦]

---

[١] جامع الرسائل (١٨٣/١)

[٢] سورة البقرة: ٢٥٥

[٣] سورة العنكبوت: ١١

[٤] سورة غافر: ١٩

[٥] رواه البخاري في كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٥٨/٣ رقم ١١٦٦)

[٦] رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٣٧٤/١٣ رقم ٧٣٧٩)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى –يقرر ثبوت صفة العلم لله ﷻ: (ولهذا كان قول المرسلين: إن الله أحصى كل شيء عدداً، فهو يعلم أوزان الجبال، ودورات الزمان، وأمواج البحر، وقطرات المطر، وأنفاس بني آدم)[1]

وقد ورد إثبات صفة العلم لله ﷻ في مرويات العهد المكي في قصة أول نزول القرآن حيث ورد في أول ما نزل من القرآن قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

وقد قرر الإمام ابن بَطَّة[2] رحمه الله ثبوت صفة العلم لله ﷻ بهذه الآية الكريمة حيث ذكرها في الآيات التي سردها في بيان أن الله عالم متكلم[3]

كما ورد إثبات هذه الصفة الإلهية في قصة نزول آخر سورة ﴿ يسٓ ﴾ لورود قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [4]

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: (ومن فوائد الآية الكريمة: علم الله بكل خلق)[5]، فقرر رحمه الله إثبات صفة العلم من هذه الآية الكريمة

وورد إثبات هذه الصفة في قصة سجود أهل مكة، مؤمنهم ومشركهم، أنسهم وجنهم مع رسول الله ﷺ، عندما قرأ عليهم سورة النجم التي اشتملت قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [6]، وقول الله تعالى: ﴿ هُوَ

---

[1] درء تعارض العقل والنقل (١٧٣/١٠)

[2] هو: عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري، المعروف بـــ(ابن بَطَّة)، الإمام القدوة، العابد الفقيه المحدث ، شيخ العراق، ومن علماء الحنابلة.، صنف (الإبانة الكبرى). ولد عام ٣٠٤هـــ، ومات عام ٣٨٧هـــ. انظر: طبقات الحنابلة (٢٥٦/٣)، وسير أعلام النبلاء (٥٢٩/١٦)

[3] الإبانة (الكتاب الثالث – الرد على الجهمية:٢١٩/١)

[4] سورة ﴿ يسٓ ﴾ : ٧٩

[5] تفسير سورة ﴿ يسٓ ﴾ للشيخ ابن عثيمين (ص٢٩٨)

[6] سورة النجم: ٣٠

أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [1]

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في تفسير هذه الآيات: (هو أعلم ﷻ بمن ضل عن سبيله فعلاً، ومن سيضل، لأنه عالم بما كان وبما يكون، فقوله ﴿ بِمَن ضَلَّ ﴾ لا تعني أنه لا يعلم إلا من حصل منه الضلال بالفعل بل هو يعلم من حصل منه الضلال بالفعل، ومن سيحصل منه، **لأن الله** ﷻ **موصوف بالعلم التام** في الحاضر والمستقبل والماضي)[2]

فبيّن رحمه الله أن الآية تدلّ على أنّ الله ﷻ موصوف بالعلم التام، فالعلم صفة من صفاته جلّ وعلا

وكذلك قصة نزول الوحي في قريش عندما طلبوا من النبي ﷺ أن يطرد المسلمين الذين ظنوهم دونهم يُستفاد منها إثبات صفة العلم لورود قول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[3]

ووجه دلالة الآية على إثبات صفة العلم ظاهر في إضافة العلم إلى الله ﷻ

---

[1] سورة النجم: ٣٢

[2] تفسير سورة الحجرات إلى سورة الحديد للشيخ ابن عثيمين (ص٢٢٧)

[3] سورة الأنعام: ٥٣

عاشراً:-صفتا العلو والاستواء

يُستفاد إثبات صفة العلو والاستواء من:

١- قصة مجادلة عتبة مع رسول الله ﷺ[١] وقد تلا النبي ﷺ في هذه القصة آيات من سورة فصلت، منها قول الله تعالى:﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [٢] ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [٣]

ويستفاد صفة العلو من:

٢- معراج رسول الله ﷺ إلى السماء[٤]

التعليق:

العلو صفة من صفات الله ﷻ الثابتة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بأنواع متنوعة من الدلالة: تارةً ببيان أنّ الله (استوى على عرشه، وتارةً بأنّه فوق عباده، وتارةً بأنّه العلي الأعلى، وتارةً بأن الملائكة تعرج إليه، وتارةً بأن الأعمال الصالحة ترفع إليه، وتارة بأن الملائكة في نزولها من العلو إلى أسفل تنزل من عنده، وتارةً بأنه رفيع الدرجات، وتارةً بأنه في السماء، وتارةً بأنه الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وتارة بأنّه فوق سمواته على عرشه، وتارة بأن الكتاب نزل من عنده، وتارة بأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وتارة

---

[١] تقدم إيراد القصة مع التخريج، ص (٤٠-٤٢)

[٢] سورة فصلت: ١-٢

[٣] سورة فصلت: ١١

[٤] تقدم إيراد الروايات في ذلك، انظر: ص (١٧٣) وما بعدها من الرسالة

بأنه يرى بالأبصار عيانا يراه المؤمنون فوق رؤوسهم إلى غير ذلك من تنوع الدلالات على ذلك)[1]

ومن أدلة القرآن المتكاثرة على علو الله تعالى:

قول الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [2]

وقول الله جلّ وعلا: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [3]

وقوله ﷻ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [4]

ومن أدلة السنة على إثبات صفة العلو لله جلّ وعلا:

قول النبي ﷺ: (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟ يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً)[5]

ومنها قول النبي ﷺ للجارية: (أين الله؟، قالت: في السماء، قال: من أنا؟، قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنّها مؤمنة)[6]

وقد نقل الإمام ابن القيم إجماع أهل العلم على إثبات صفة العلو لله ﷻ فقال أثناء ذكره الأدلّة على علو الله جلّ وعلا:

هذا وسادس عشرها إجماع أهـــ	ـــل العلم أعني حجة الأزمـــان
من كل صاحب سنة شَهَدتُ له	أهل الحديث وعسكـــر القرآن

---

[1] الصواعق المرسلة (١/٣١٥)

[2] سورة النحل: ٥٠

[3] سورة الملك: ١٦-١٧

[4] سورة المعارج: ٤

[5] رواه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع (صحيح البخاري مع فتح الباري:٦٦٦/٧ رقم ٤٣٥١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاقم (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٦٣/٧ رقم ٢٤٤٩)

[6] رواه مسلم في كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢٦/٥-٢٧ رقم ١١٩٩)

لا عبـــرة بمـــخالف لهـــم ولـــو كانوا عديد الشـــاء والـــبعران

أن الـــذي فوق السمـــوات العلى والعرش وَهْوَ مُبَـــاين الأكـــوان

هو رَبُّنَـــا سبـــحانـــه وبـــحمده حقاً على العرش استوى الرحمن[1]

فبيّن رحمه الله أنّ علماء السلف والخلف، أئمة أهل السنة والجماعة، في جميع الأزمنة أجمعوا على إثبات علو الله تعالى وأنّه بائن عن خلقه وأنّه لا عبرة بمن خالفهم من أهل البدعة والضلال.[2]

وقرر شيخ الإسلام أن الإقرار بعلو الله أمر فطري قائلاً: (قد يقولون[3]: إنّ علمهم بأن الله فوق العالم علم ضروري فطري، وأن الخلق إذا حزبهم شدة أو حاجة في أمر، وجهوا قلوبهم إلى الله يدعونه ويسألونه؛ وأن هذا أمر متفق عليه بين الأمم التي لم تغير فطرها، لم يحصل بينهم بتواطئ واتفاق، ولهذا يوجد هذا في فطرة الأعراب والعجائز والصبيان من المسلمين واليهود والنصارى والمشركين، ومن لم يقرأ كتاباً، ولم يتلق مثل هذا عن معلم ولا أستاذ)[4]

فبيّن رحمه الله تعالى أن الإنسان يعلم في نفسه أنّ ربّه فوق المخلوق، ويجد هذا في فطرته قبل أي تعَلُّم مسبق.

ومما يتعلق بإثبات صفة العلو لله تعالى: إثبات صفة الاستواء له جلّ وعلا

قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [5]

---

[1] الكافية الشافية ص (١١٩)

[2] انظر: شرح القصيدة النونية لمحمد خليل هراس (١/٢٤٠-٢٤١)

[3] أي: المثبتون لصفات الله تعالى

[4] درء تعارض العقل والنقل (١٢/٦)

[5] سورة البقرة: ٢٩

وقال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [1]

وقال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [2]

وقال جلّ وعلا: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴾ [3]

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى عندما سئل عن كيفية صفة الاستواء: (الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضالاً)[4]

فقرّر ثبوت هذه الصفة الإلهية حيث قال: (والإيمان به واجب)

قال الحافظ أبو بكر ابن خزيمة[5] رحمه الله بعد ذكره لبعض الآيات القرآنية الدالة على ثبوت صفة الاستواء لله جل وعلا: (فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا: أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا)[6]

وقد جاء إثبات علو الله ﷻ في مرويات العهد المكي:

أولاً: في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ، الّتي قرأ فيها النبي ﷺ سورة فصلت إلى السجدة فيها، والشاهد من القصة في الآيات التي تلاها رسول الله ﷺ فإنها بدأت بقول الله تعالى: ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [7] (وهذا التنزيل يقتضي علو

---

[1] سورة الرعد: ٢

[2] سورة طه: ٥

[3] سورة الفرقان: ٥٩

[4] رواه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (ص٦٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٤١/٣)، وقوّاه الشيخ الألباني في مختصر العلو (ص١٤١-١٤٢)

[5] هو: محمد بن إسحاق بن خزيمة الحافظ الحجة الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة، أبو بكر السلمي، النيسابوري الشافعي، ولد عام ٢٢٣هـ، وصنف (كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ) وغيره من التصانيف النافعة، وتوفي عام ٣١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤)

[6] كتاب التوحيد للحافظ ابن خزيمة (٢٣٣/١)

[7] سورة فصلت: ١-٢

من أنزله وكونه فوق عرشه مبايناً لخلقه، فإن التنزيل مصدر نزل بمعنى ألقى الشيء من أعلى إلى أسفل فيكون الملقي عالياً على من أنزله إليهم وإلا لم يصح تسميته تنزيلاً إذا كان المتكلم به ليس فوق عباده ولا مبايناً له بل يسمى بغير ذلك مما لا يقتضي العلو كالتبليغ والتوصيل)[1]

وقد قرر ذلك الإمام ابن القيم إذ قال:

هذا وسادسها وسابعها النزو ... ل كذلك التنـــزيل للقرآن

واللهُ أخـــبرنا بأنّ كتـــابـــه ... تنـــزيله بالحق والبرهـــان

أيكون تنزيلاً وليس كلام من ... فوق العباد أذاك ذو إمكان

أيكون تنزيلاً من الرحمن والر ... حْمن ليس مباين الأكوان[2]

فبيّن رحمه الله تعالى أنّ تنزيل القرآن من الله يدلّ على علوه، كما بيّن وجه دلالة ذلك، فكلّ نص ورد في ذكر تنزيل القرآن من الله تعالى يصلح للاحتجاج على إثبات صفة العلو لله تعالى، وصدر سورة فصلت التي قرأه رسول الله ﷺ في قصة مجادلة عتبة معه ﷺ من تلك النصوص.

ويُستفاد إثبات صفة العلو والاستواء من موضع آخر من الآيات التي قرأها رسول الله ﷺ على عتبة بن ربيعة وهو قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [3]

ووجه دلالة الآية على إثبات صفة الاستواء لله ﷻ في إضافة فعل الاستواء إليه ﷻ

ثانياً: في معراج رسول الله ﷺ إلى السموات لتلقي فرضية الصلوات الخمس، ووجه دلالة معراجه على علو الله أنه صعد إلى السموات لتلقي أمر الصلوات من الله تعالى وهذا يقتضي أن الله فوق الخلق باين عنهم، وكل نص جاء فيه ذكر صعود الأشياء إلى الله ﷻ على علوّه جلّ وعلا كما بيّنه الإمام ابن القيم فقال:

---

[1] شرح القصيدة النونية (٢١٩/١)

[2] الكافية الشافية ص (١٠٩-١١٠)

[3] سورة فصلت: ١١

هذا وخامسها صعود كلامنا بالطيبـــات إليـــه والإحسان

وكذا صعود الباقيات الصالحا تِ إليه من أعمال ذي الإيمان

إلى أن قال:

وكذلك معراج الرسول إليه حق ثـــابت ما فيـــه من نـــكران

بل جاوز السبع الطِّباق وقد دنـــا منه إلى أن قُدِّرت قوســـان

بل عاد من موسى إليه صاعداً خمساً عداد الفرض في الحسبان[1]

فقرّر رحمه الله أنّ صعود الأشياء إلى الله تعالى يقتضي علوه جلّ وعلا على خلقه وذكر الأمثلة على ذلك، ومما خصه بالذكر معراج النبي ﷺ، فعُلم أن قصة المعراج دالة على إثبات صفة العلو لله تعالى.

الحادي وعشر:- صفة الغضب، والسخط

ورد إثبات صفة الغضب لله في الدعاء الوارد عن النبي ﷺ في رجوعه من الطائف: (إن لم تكن **غضبان** عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، **أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سَخَطَك**)[2]

التعليق:

الغضب صفة من صفات الله تعالى الثابتة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

قال الله ﷻ ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [3]

---

[1] الكافية الشافية (ص ١٠٨-١٠٩)

[2] تقدم تخريجه، ص (٢٥٨)

[3] سورة النساء: ٩٣

وقال جلّ وعلا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [(١)]

وقال رسول الله ﷺ: (يوشك إن طالت بك مُدَّة، أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر، يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله)[(٢)]

وحكى شيخ الإسلام ابن تيمية اتفاق الأمة على إثبات صفة الغضب لله تعالى فقال: (والأمة متفقة على أن الله يكره المنهيات دون المأمورات، ويحب المأمورات دون المنهيات، وأنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين، ويحب التوابين ويحب المتطهرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأنه يمقت الكافرين **ويغضب** عليهم)[(٣)]

فقرر ثبوت هذه الصفة ونقل الإجماع على ذلك.

وقد ورد إثبات هذه الصفة في مرويات العهد المكّي في دعاء الطائف المشهور وفيه قول النبي ﷺ وهو يشكو إلى ربه ما صنع به أهل الطائف: (إن لم تكن **غضبان** عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، **أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سَخَطَك**)

ووجه دلالة الحديث على إثبات صفة الغضب لله ظاهر في إضافة النبي ﷺ الغضب إلى الله سبحانه وتعالى

ثانياً وعشر:- صفة القدرة

ورد إثبات هذه الصفة في ما جاء عن ابن عباس — رضي الله عنهما، قال: لما أُخرجَ النبي ﷺ من مكة، قال أبو بكر: (أخرجوا نبيهم، ليُهلَكَنّ)، فأنزل الله ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ [(٤)]

---

(١) سورة الممتحنة: ١٣

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء (صحيح مسلم مع شرح النووي:١٨٨/١٧ رقم ٧١٢٤)

(٣) منهاج السنة (١٦٠/٦)

(٤) سورة الحج: ٣٩، والحديث تقدم تخريجه، (ص٦٧)

التعليق:

القدرة صفة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [1]

وفي قال رسول الله ﷺ في دعاء الألم: (أعوذ بعِزّة الله وقُدرَته من شر ما أجد وأحاذر)[2]

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى: (فإذا نطق الكتاب العزيز، ووردت الأخبار الصحيحة، بإثبات السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة **والقدرة** والعظمة والمشيئة والإرادة والقول والكلام والرضى والسخط والحب والبغض والفرح والضحك؛ وجب اعتقاد حقيقته؛ من غير تشبيهٍ بشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، والانتهاء إلى ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ؛ ولا زيادة عليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، وإزالة لفظ عما تعرفه العرب وتصرفه عليه، والإمساك عما سوى ذلك)[3]

وقد ورد إثبات صفة القدرة لله في مرويات العهد المكّي في حديث موقف الصدّيق رضي الله عنه عند خروج النبي ﷺ من مكّة لنزول قول الله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾

وفي هذه الآية الكريمة إثبات القدرة لله تعالى.

---

[1] سورة البقرة: ٢٠

[2] رواه مسلم في كتاب الطب، باب استحباب وضع يده على موضع الألم مع الدعاء (صحيح مسلم مع شرح الووي:٤١١/١٤ رقم ٥٧٠١)

[3] العقائد (مخطوط) نقلاً عن علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين للدكتور رضا بن نعسان معطي (ص٨٢)

ثالثاً وعشر:- صفة القوة

ورد إثبات صفة القوة في الآيات التي قرأها رسول الله ﷺ على عتبة بن ربيعة[١]، التي تضمنت قول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [٢]

التعليق:

القوة صفة من صفات الله الثابتة بالقرآن الكريم

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [٣]

وتقدّم كلام الحافظ ابن كثير في تقريره ثبوت هذه الصفة لله، عند الكلام على إثبات صفة القدرة.

وقد ورد إثبات هذه الصفة لله في مرويات العهد المكّي في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ؛ فإنّه ﷺ قرأ على عتبة في هذه القصة آيات من سورة فصلت التي تضمنت قول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾

وهذه الآية الكريمة فيها إثبات القوّة لله جلّ وعلا.

---

[١] انظر: (ص٤٠-٤٢) من هذه الرسالة

[٢] سورة فصلت: ١٥

[٣] سورة الذاريات: ٥٨

رابعاً وعشر:- صفة الكلام

ورد إثبات صفة الكلام لله تعالى في:

١- ما رواه ابن عباس، قال: قالت قريش للنبي ﷺ: (ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك) قال: (وتفعلون؟) قالوا: (نعم) قال: فدعا فاتاه جبريل فقال: (إنّ ربك ﷻ يقرأ عليك السلام ويقول: (إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة) قال: (بل باب التوبة والرحمة)[1]

٢-قول الصحابة في حديث أم سلمة في الهجرة إلى الحبشة بعدما سألهم النجاشي عن الإسلام ومن جاءهم به: (جاء به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل من قبله، فأمرنا بالصدق والوفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان وأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له، فصدقناه **وعرفنا كلام الله**)[2]

٣- في حديث ابن مسعود في الهجرة إلى الحبشة: قال عمرو بن العاص: فإنّهم يخالفونك في عيسى بن مريم. قال: ما تقولون في عيسى بن مريم وأمه؟ قالوا: نقول كما قال عزّ وجل: **هو كلمة الله** وروحه ألقاها إلى العذراء البَتُول، الّتي لم يمسها بَشَر و لم يفْرِضْها ولد.[3]

٤- فقال النجاشي لجعفر: (ما يقول صاحبك في ابن مريم؟)، قال: (يقول فيه قول الله: هو روح الله وكلمته أخرجه من البتول العذراء لم يقربها بشر)[4]

---

[1] تقدم تخريجه، ص (٨١)

[2] رواه أبو نعيم في الدلائل (ص١٠٤)، وأورده الشيخ الألباني في صحيح السيرة (ص ١٧٣)

[3] تقدم تخريجه، ص (١٥٤)

[4] تقدم تخريجه، ص (١١٤)

٥- في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الهجرة إلى الحبشة: قال لهم: (ما يقول صاحبكم في عيسى وأمه؟) قال: يقول: (هو عبد الله وكلمة من الله ألقاها إلى مريم وروح منه)[(١)]

٦- حديث أنس الطويل في الإسراء والمعراج وفيه: فلم أزل أرجع بين رَبِّي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام، حتى قال: (يا محمد، إنهنّ خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يَعمَلْهَا كُتِبَت له حسنة، فإن عَمِلَها كُتِبَت له عشراً، ومن همّ بسيئة فلم يَعْمَلْها لم تُكتَب شيئاً، فإن عَمِلَها كُتِبَت سيئة واحدة)[(٢)]

٧-و في رواية: فراجعت ربي فقال: (هي خمس، وهي خمسون، **لا يُبَدَّلُ القولُ لَدَيّ**)[(٣)]

٨- عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال: (ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ **كلام ربي**)[(٤)]

التعليق:

صفة الكلام ثابتة لله بكتاب الله والسنة وإجماع سلف الأمة

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[(٥)]

وقال عز وجل ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[(٦)]

[(١)] تقدم تخريجه، ص (٢١٣)

[(٢)] تقدم تخريجه، ص (٤٥)

[(٣)] تقدم تخريجه، ص (١٧٦)

[(٤)] تقدم تخريجه، ص (٢٣٨)

[(٥)] سورة البقرة: ٣٠

[(٦)] سورة البقرة: ٢٥٣

وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [1]

وقال الله جلّ وعلا: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ [2]

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل)[3]

وحكى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى اتفاق السلف على إثبات صفة الكلام لله جلّ وعلا حيث قال: (لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكّة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر) وذكر أسماءهم فقال: (فما رأيت واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء) إلى أن قال رحمه الله: (...وأن القرآن كلام الله غير مخلوق)[4] واتفاقهم على أن القرآن كلام الله غير مخلوق يستلزم اتفافهم على إثبات صفة الكلام لله ﷻ

وممن نقل الإجماع على إثبات صفة الكلام لله ﷻ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فذكر أن هذه الصفة ثابتة (بالإجماع والنقل المتواتر عن الأنبياء عليهم السلام)[5]

وقد ورد إثبات صفة الكلام لله ﷻ في مرويات العهد المكّي على الأوجه التالية:

أولاً: بإضافة القول إلى الله تعالى كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، في قول جبريل ؈ للنبي ﷺ: إنّ ربك ﷻ يقرأ عليك السلام ويقول: (إن شئت أصبح

---

[1] سورة النساء: ١٦٤

[2] سورة الأعراف: ١٤٣

[3] رواه أبو داود في كتاب السنة، باب في القرآن (٧٠/٥ رقم ٤٧٣٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٢/٣-٢٨٣ رقم ١٢٩٣)، ورواه البخاري معلقاً وموقوفاً (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٤٦١/١٣)

[4] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩٤/٢-١٩٦)

[5] كتاب في الرد على الطوائف الملحدة والزنادقة والجهمية والمعتزلة والرافضة (ضمن الفتاوى الكبرى: ٥٢٢/٦)

لهم الصفا ذهباً)، وكما جاء في حديث الإسراء والمعراج حيث ورد فيه قول النبي ﷺ: فلم أزل أرجع بين رَبِّي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام، حتى قال: (يا محمد، إنهنّ خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة)، وفي رواية: (هي خمس، وهي خمسون، **لا يُبَدَّلُ القولُ لَدَيّ**)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين في تعليقه على حديث الإسراء والمعراج: (وفيه: ..إثبات كلام الله عز وجل، وأنّه يتكلّم بصوت مسموع؛ لأن الله سمع كلام النبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم وهو يحاور ربه، وكان يراجعه، ..وفيه الرد على الأشاعرة، الّذين يقولون: إنّ الكلام هو المعنى القائم بالنفس! وأن ما سمعه النبي عليه الصلاة والسلام إنما هو أصوات خلقت، تعبر عن كلام الله عز وجل، ووجه الدلالة: أنّ الرسول أضاف القول إلى الله، وإذا أضيف القول إلى قائله، صار الصوت قائماً به لا بغيره)[1]

فبيّن رحمه الله تعالى أنّ قصة الإسراء والمعراج من فوائدها إثبات صفة الكلام لله تعالى وذكر أنّ وجه استدلال الحديث على ذلك إضافة القول إلى الله، وكلامه رحمه الله يقتضي أنّ كل نص فيه إضافة القول إلى الله فهو دليل على إثبات صفة الكلام، وأنه سبحانه وتعالى يتكلّم بصوت مسموع.

ثانياً: بإضافة لفظ (الكلام) إلى الله عز وجل، كما جاء في قصة الهجرة الحبشية في قول الصحابة: (وعرفنا **كلام الله**)، وكما جاء في قول النبي ﷺ وهو يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال: (ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا قد منعنوي أن أبلغ **كلام ربي**)

وهذا الحديث الأخير احتج به على إثبات صفة الكلام كل من: الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وابن ماجه، وأبو داود، والحافظ ابن منده، وابن بطة، واللالكائي، والبيهقي، حيث أوردوا الحديث في الأبواب التي عقدوها من أجل البيان على الصفات التي يتصف بها الرب تبارك وتعالى، أو من أجل البيان على أنّ الله متصف بصفة الكلام، كما احتج به شيخ الإسلام ابن تيمية.[2]

---

[1] التعليق على صحيح مسلم (٥٤٨/١)

[2] انظر: خلق أفعال العباد (ص٧٧)، سنن ابن ماجه - كتاب السنة - باب فيما أنكرت الجهمية (١٣٣/١رقم ٢٠١)، سنن أبي داود - كتاب السنة - باب في القرآن (٦٨/٥ رقم ٤٧٣٤)، كتاب

ثالثاً: بإضافة الكلمة إلى الله، كما ورد في قصة الهجرة إلى الحبشة في قول الصحابة للنجاشي في عيسى بن مريم عليه السلام: (**هو كلمة الله** وروحه ألقاها إلى العذراء البَتُول)، وفي رواية: (هو روح الله **وكلمته** أخرجه من البتول العذراء لم يقربها بشر)، وفي أخرى: (هو عبد الله **وكلمة من الله** ألقاها إلى مريم وروح منه)

ومعنى كونه عليه السلام كلمة الله: أنه كان بكلمة الله، يعني: أن الله قال له كن فكان.[1]

وهذا فيه دليل على إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عند كلامه على مسائل الباب الّذي ساق فيه حديثاً آخر جاء فيه ذكر أن عيسى عليه السلام كلمة الله ألقاها إلى مريم، وهو قول النبي ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)[2]: (الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافاً للأشعرية)[3]، وعلّق على قوله الشيخ محمد بن صالح العثيمين قائلاً: (وفي بعض النُسَخ: خلافاً للمعطلة، وهذه أحسن؛ لأنّها أعمّ، حيث تشمل الأشعرية والمعتزلة والجهمية وغيرهم؛ ففيه ...إثبات الكلام بقوله: (وكلمته ألقاها))[4]

التوحيد للحافظ ابن منده (١٦٩/٣)، الإبانة الكبرى (الكتاب الثالث — الرد على الجهمية: ٢٣٠/١-٢٣١)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٧٣/٢)، الاعتقاد للبيهقي (ص١٠٠)، مجموع الفتاوى (٤٦٢/١٢-٤٦٣)، منهاج السنة النبوية (٣٧٤/٥-٣٧٥)

[1] انظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص ١٢٥-١٢٦)، مجموع الفتاوى (٤١٨/٨)، التعليق على صحيح مسلم (١٧٣/١)

[2] رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٥٤٦/٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٧٢/١ رقم ١٣٨)

[3] كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٩/٦ — القسم الأول:العقيدة والآداب الإسلامية)

[4] القول المفيد على كتاب التوحيد (٨٨/١)

فبيّن رحمه الله تعالى أن إضافة الكلمة إلى الله فيه حجّة على إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى

خامساً وعشر: صفة المعية

وفي ذلك قول النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: (لا تحزن إنّ الله معنا)[1]

التعليق:

المعية صفة ثابتة لله بالكتاب والسنة والإجماع

قال الله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [2]

وقال جلّ وعلا: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [3]

وقال الله تعالى فيما رواه عنه نبيّه ﷺ: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني...)[4]

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمة الله تعالى – الإجماع على إثبات هذه الصفة لله فقال: (فصل: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٨٣)

[2] سورة الحديد: ٤

[3] سورة المجادلة: ٧

[4] رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري رقم ٧٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٧/٥ رقم ٦٧٤٦)

كتابه، وتواتر عن رسوله ﷺ، وأجمع عليه سلف الأمة من أنّه سبحانه فوق سمواته على عرشه عَلِيٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يَعلَمُ ما هم عاملون)

ثمّ بيّن – رحمه الله – أنّ صفة المعيّة لا تقتضي كون الله مختلطاً بخلقه – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – وبيّن أنّ إثبات هذه الصفة لا يناقض إثبات صفة العلو، فقال: (وليس معنى قوله:﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ : أنّه مختلط بالخلق؛ فإنّ هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأُمّة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله، من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مُطَّلِع إليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

وكل هذا الكلام الّذى ذكره الله سبحانه من أنّه فوق العرش، وأنّه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون)[1]

وقد ورد إثبات صفة المعيّة لله تعالى في مرويات العهد المكّي في قول النبي ﷺ إلى الصدّيق رضي الله عنه: (لا تحزن إنّ الله معنا)، والمعية هنا معيّة الله الخاصة لأوليائه المقرّبين، فإنّ معية الله على وجهين:

١- المعية العامة لجميع الخلق ومقتضاها أنّ الله مطلع عليهم، شهيد عليهم، مهيمن عالم بهم، وهذا معنى قول السلف: أنّ معهم بعلمه

٢- المعية الخاصة للمتقين: والمقصود بها: أنّ الله مع خاصة عباده بالحفظ، والنصر، والتأييد والإعانة على عدوّهم وليس مجرد علمه وقدرته.[2]

---

[1] العقيدة الواسطية (ضمن مجموع الفتاوى: ١٤٢/٣)

[2] انظر: منهاج السنة النبوية (٣٧٢/٨-٣٧٣، ٣٨٠-٣٨١)

سادساً وعشر:- صفة النور

ورد إثبات صفة النور في الدعاء الوارد عن النبي ﷺ عندما ذهب إلى الطائف: (أعوذ **بِنُورِ** وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سَخَطُك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)[1]

التعليق:

النور صفة من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة[2]

قال الله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [3]

وقال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله ﷻ خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور؛ اهتدى، ومن أخطأه؛ ضلَّ)[4]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقد أخبر الله في كتابه أنَّ الأرض تشرق بنور ربها ، فإذا كانت تشرق من نوره؛ كيف لا يكون هو نوراً؟! ولا يجوز أن يكون هذا النور المضاف إليه إضافة خلق وملك واصطفاء)[5]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

النـــور من أسمائـــه أيضـــاً ومن أوصافه سبحان ذي البرهان[6]

---

[1] تقدم تخريجه، ص (٢٥٨)

[2] وهو من أسماء الله الحسنى كذلك، لكن لم يأت في هذا الحديث بصيغة الاسم، ولذا لم يُذكر ضمن الأسماء الحسنى الواردة في مرويات العهد المكّي

[3] سورة الزمر: ٦٩

[4] رواه الترمذي في كتاب الإيمان (٥/٢٦ رقم ٢٦٤٢)، والإمام أحمد في المسند (٢/١٧٦، ١٩٧)، والحاكم في المستدرك (١/٨٤)، وصححه ووافقه الذهبي، والألباني في السلسلة الصحيحة (٣/٦٣-٦٤ رقم ١٠٧٦)

[5] مجموع الفتاوى (٦/٣٩٢)

[6] الكافية الشافية (ص٢٤٩)

قال الشيخ محمد خليل الهراس[1] في شرحه لهذا البيت: (ومن أسمائه سبحانه النور، وهو أيضاً صفة من صفاته، فيقال: الله نور، فيكون اسماً مخبراً به على تأويله بالمشتق، ويقال: ذو نور، فيكون صفة؛ قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [2]، وقال: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [3])[4]

وقد ورد إثبات هذه الصفة لله ﷻ في مرويات العهد المكي في قول النبي ﷺ في دعاء الطائف: (أعوذ بنور وجهك)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (النص قد ورد بتسمية الرب نوراً، وبأن له نوراً مضافاً إليه وبأنه نور السماوات والأرض وبأن حجابه نوره فهذه أربعة أنواع: فالاول يقال عليه سبحانه بالإطلاق فإنّه النور الهادي. والثاني: يضاف إليه كما يضاف إليه حياته وسمعه وبصره وعزته وقدرته وعلمه، وتارة يضاف إلى وجهه، وتارة يضاف إلى ذاته، فالأول كقوله (أعوذ بنور وجهك))[5]

فقرر رحمه الله أنّ النور يضاف إلى الله إضافة الصفة، كبقية الصفات الإلهية، مثل: الحياة، والسمع، والبصر، والعزة، والقدرة، والعلم، وذكر أنّ هذه الصفة تارة يضاف إلى الذات وتارة يضاف إلى الوجه واستشهد بدعاء الطائف.

---

[1] هو: محمد خليل هراس الرئيس العام لجماعة أنصار السنة بمصر سابقاً، المتوفى عام ١٤٠٥هـ.

[2] سورة النور: ٣٥

[3] سورة الزمر: ٦٩

[4] شرح القصيدة النونية (١١٣/٢)

[5] مختصر الصواعق المرسلة (١٠٣٨/٣)

وقد علّق الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى[1] رحمه الله على دعاء الطائف قائلاً: (فأضاف النور إلى الوجه، والوجه إلى الذات واستعاذ بنور الوجه الكريم، فَعُلِمَ أن نُورَه صفة له، كما أن الوجه صفة ذاتية)[2]

فقرر ثبوت النور لله من خلال دعاء النبي ﷺ عند رجوعه من الطائف.

سابعاً وعشر:-صفة الوجه

ورد إثبات صفة الوجه في الدعاء الوارد عن النبي ﷺ عندما ذهب إلى الطائف: (أعوذ بنور **وجهك** الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سَخَطُك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك)[3]

التعليق:

الوجه صفة من صفات الله الثابتة بالوحيين

قال الله جلّ وعلا: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[4]

---

[1] هو: الشيخ العلامة أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تلقى العلم من كبار علماء عصره في نجد كالعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، وابنه الشيخ عبد اللطيف، وغيرهما، ثم انتقل إلى الحجاز، وسكن في مكّة، وكان نشيطاً في الدعوة إلى التوحيد والسنة، وكانت لدعوته استجابة كبيرة، وتوفي عام ١٣٢٩هـــ. انظر: الترجمة التي كتبها الشيخ محمد بن مانع في مقدمة توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم

[2] توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٣٠٢/٢)

[3] تقدم تخريجه، ص (٢٥٨)

[4] سورة القصص: ٨٨

وقال ﷻ: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [1]

وقال رسول الله ﷺ: إن الله ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يَخفِض القسط ويَرفَعُه، يُرفَع إليه عَملُ الليل قبل عَمَلِ النهار، وعَمَلُ النهار قَبلَ عَمَلِ الليل، حِجَابه النور، لو كَشَفَه لَأحْرَقَت سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما انتهى إليه بَصَرُه من خَلقِهِ)[2]

ونقل الحافظ ابن خزيمة رحمه الله اتفاق علماء السلف على إثبات صفة الوجه فقال رحمه الله بعد إيراده جملة من الآيات تثبت صفة الوَجْه لله تعالى: (فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر؛ مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا؛ من غير أن نشبه وَجْه خالقنا بوَجْه أحد من المخلوقين، عز ربنا أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين)[3]

وورد إثبات صفة الوجه لله تعالى في مرويات العهدالمكّي في دعاء الطائف المشهور في قول النبي ﷺ: (أعوذ بنور **وجهك** الذي أشرقت له الظلمات)

وقد احتجّ الحافظ ابن منده رحمه الله بهذا الحديث على إثبات صفة الوجه حيث أورده ضمن الأحاديث التي ساقها في إثبات الوجه لله ﷻ [4]

كما احتج به الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله فقال: (وكيف يُمكِن تأويل الْوَجْهِ بالذَّاتِ أو بغيرها فِي مِثل قوله عليه السلام في حديث الطائف: (أعوذ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ)[5]، فأثبت الوجه لله من خلال هذا الحديث، حيث أورده للإنكار على من نفى صفة الوجه بتأويله بغيرها.

---

[1] سورة الرحمن: ٢٧

[2] رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٧/٣ رقم ٤٤٤)

[3] كتاب التوحيد للحافظ ابن خزيمة (٢٦/١)

[4] الرد على الجهمية لابن منده (ص ٥٤)

[5] شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص١١٤)

الفصل الثاني:

مرويات العهد المكّي في موقف المشركين من توحيد الأسماء والصفات

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: إنكار المشركين بعض أسماء الله تعالى

المبحث الثاني: اشتقاق المشركين أسماء لأصنامهم من أسماء الله الحسنى

المبحث الثالث: نسبة المشركين إلى الله تعالى ما لا يليق بعظمته وجلاله

المبحث الأوّل:

إنكار المشركين بعض أسماء الله تعالى

جاء في مخاصمة قريش النبي ﷺ قولهم: (إذا لم نقبل منك ما جئتنا به فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا الرجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرنا إليك يا محمد وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا) وقال قائلهم: (نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله)[١]

التعليق:

من المعلوم أنّ المشركين كانوا ينفون اسم (الرحمن)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (قد أنكر الله تعالى على المشركين نفيهم اسم (الرحمن) كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ [٣])[٤]

(وكانوا يأنفون من وصف الله بالرحمن؛ ولهذا أنفوا يوم الحديبية)[٥] أن يكتبوا: (بسم الله الرحمن الرحيم) وقال قائلهم: (أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب: (باسمك اللهم) كما كنت تكتب)[٦]

---

[١] ابن إسحاق (ص ١٧٨)، وأشار إلى ضعفه الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكي ص (٧٣٦)

[٢] سورة الفرقان: ٦٠

[٣] سورة الرعد: ٣٠

[٤] درء تعارض العقل ولنقل (٥/٥٢)

[٥] تفسير ابن كثير (٤/٤٦٠) مع تصرف يسير

[٦] تقدّم تخريجه، ص (٥٧)، وأوّله: (ما خلأت القصواء..)

ومن أنكر اسماً من أسماء الله تعالى فقد وقع في الإلحاد الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [1]، فإنّ (الإلحاد في أسماء الله: العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها)[2] أو (الميل بها عمّا يجب فيها)[3]، وقد ذكر أهل العلم أنّ إنكار شيء من أسماء الله أو ما دلّت عليه من الصفات والأحكام، أحد أنواع هذا الإلحاد المنهي عنه.[4]

وإذا كان جحد شيء من أسماء الله من طريقة المشركين، فما حال من أنكرها جميعاً أو جميع معانيها؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الآيات المتقدمة في نفي المشركين لاسم (الرحمن): (فإذا كان هذا قوله سبحانه فيمن يُنكر الرحمن، فما الظن بمن يُنكِر جميع معاني أسمائه وصفاته؟)[5]

وقد ورد إنكار المشركين لاسم (الرحمن) في مرويات العهد المكّي في مخاصمة قريش النبي ﷺ فإنّه قد ورد فيها قولهم: (قد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا الرجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً)

وقد ساق ابن جرير هذه القصة عند تفيسره لقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [6]

---

[1] سورة الأعراف: ١٨٠

[2] بدائع الفوائد (١/٢٩٧)

[3] القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين:٣/٢٧٨)

[4] انظر: بدائع الفوائد (١/٢٩٨)، والمصدر السابق (٣/٢٧٨)

[5] درء تعارض العقل والنقل (٥/٥٣)

[6] سورة الإسراء: ١١٠، وانظر: تفسير الطبري (١٥/١٦٥)

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى: ﴿ قُلِ ﴾ يا محمد، لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله ﷻ، المانعين تسميته بالرحمن ﴿ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾)[1]

وفي إيراد الطبري رحمه الله للقصة في تفسير هذه الآية استشهاد على نفي المشركين اسم (الرحمن) عن الله تعالى، تعالى الله عما قالوه علواً كبيراً.

فتبيّن هنا أحد عناصر موقف المشركين من أسماء الله وصفاته وهو أنّهم أنكروا اسم (الرحمن) وما دلّ عليه من صفة الرحمة.

---

[1] تفسير ابن كثير (١٢٨/٥)

المبحث الثاني:

اشتقاق المشركين أسماء لأصنامهم من أسماء الله الحسنى

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: (سمى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره وتقدست أسماؤه فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى) [1]

التعليق:

ذكر أهل التفسير أنّ المشركين اشتقوا أسماء آلهتهم الباطلة من أسماء الله الحسنى فاشتقوا اسم (اللاّت) من (الإله)، واشتقوا (العُزّى) من العزيز.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [2]

وهذه هي الأصنام الكبرى التي كانت بمدائن الحجاز، فإنّه كانت اللاّت لأهل المدينة، والعُزّى لأهل مكة، ومناة الثالثة الأخرى لأهل الطائف

وهذه كلها مؤنثة كما قال في الآية الأخرى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [3]

وهذه جعلوها شركاء له تعبد من دونه وسموها بأسمائه مع التأنيث كما قيل: إن اللات من (الإله)، والعزى من (العزيز) ومناة من منى يمنى إذا قدّر وكانوا يسموها الربّة، وهم سموها بهذه الأسماء التي فيها وصفها لها بالإلهية والعزة والتقدير والربوبية، وهي أسماء سمّوها هم وآباؤهم، ما أنزل الله بها من سلطان، أي: من كتاب وحجة، فإن الله تعالى لم يأمر أحداً بإن يعبد أحدا غيره و لم يجعل لغيره شركاء في إلـــهيته) [4]

---

[1] لم أقف على رواية مسندة في هذا المعنى، وإنما وقفتُ على ما حكاه عنهم ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٨/٢٧) و لم يُسنِد

[2] سورة النجم: ١٩-٢٠

[3] سورة النساء:١١٧

[4] درء تعارض العقل والنقل (٣٦٦/٧)

واشتقاق المشركين أسماء آلهتهم الباطلة من أسماء الله الحسنى من الإلحاد المنهي عنه في قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [1]

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (الإلحاد في أسمائه – تبارك وتعالى – أنواع:

أحدها: أن يسمى الأصنام بها كتسميتهم اللاّت من الإلـــهية، والعُزَّى من العزيز. وتسميتهم الصنمَ إلـــهاً، وهذا إلحاد حقيقةً فإنّهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلـــهتهم الباطلة)[2]

فعُلم العنصر الثاني من موقف المشركين من أسماء الله الحسنى وصفاته العلى وهو أنّهم كانوا يُلحدون في أسمائه ﷻ باشتقاقهم أسماء أصنامهم الكبرى من أسماء الله الحسنى.

---

[1] سورة الأعراف: ١٨٠

[2] بدائع الفوائد (١/٢٩٨)

المبحث الثالث:

نسبة المشركين إلى الله تعالى ما لا يليق بعظمته وجلاله

يظهر نسبة المشركين إلى الله تعالى ما لا يليق بعظمته وجلاله في:

أولاً- نسبتهم البنات إلى الله

ورد نسبة المشركين البنات إلى الله في:

١- قرآءة النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكّة[١] وفيها قول الله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ [٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [٣]

٢- قول قريش في مخاصمتهم النبي ﷺ: (نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله)[٤]

التعليق:

كان المشركون ينسبون البنات إلى الله مع أنّهم كانوا لا يرضَون بها لأنفسهم

قال الله ﷻ: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [٥]

وكانوا يزعمون أنّ الملائكة بنات الله

---

[١] انظر: ص (٤٣-٢٧) من الرسالة

[٢] سورة النجم: ٢١-٢٢

[٣] سورة النجم: ٢٧

[٤] تقدم تخريجه، ص (٣٠٢)

[٥] سورة النحل: ٥٧-٥٨

قال الله تبارك ونعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾ [1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (كان المشركون يقولون : إن الملائكة بنات الله كما حكى الله ذلك عنهم ... وهم مع هذا يجعلون البنات نقصا وعيبا ويرون الذكر كمالا فقال لهم: كيف تصفون ربكم بأنقص الوصفين وأنتم مع هذا لا ترضون هذا لأنفسكم؟)[2]

وقد ورد نسبة المشركين البنات إلى الله وقولهم إنّ الملائكة بنات الله في قرآءة النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكّة، فإنّ السورة تضمنت قول الله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾ [3]، وقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [4]

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في الآية الأولى: (يقول جلّ ثناؤه: قسمتُكم هذه قسمة جائرة غير مستوية ناقصة غير تامة، لأنّكم جَعَلتُم لِرَبِّكُم من الولد ما تكرهون لأنفسكم وآثرتم أنفسكم بما ترضونه)[5]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في نفس المعنى: (بيّن سبحانه وتعالى أنّ [المشركين] يُفَضِّلون أنفسهم على رهم ويجعلون له ما يكرهون ويقولون بوصفهم الكذب: أن لهم الحسنى وأنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون، وأنّ ما جعلوا لله نظيره، إذا بُشرَ به أحدهم ظل وجهه مُسوداً ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [6] فبيّن سبحانه أنّ هذا الحكم حكم سيء، كما قال تعالى..: ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾)[7]

---

[1] سورة الزخرف: ١٩

[2] درء تعارض العقل والنقل (٣٦٢/٧)

[3] سورة النجم: ٢١-٢٢

[4] سورة النجم: ٢٧

[5] تفسير الطبري (٦٠/٢٧)

[6] سورة النحل: ٥٩

[7] درء تعارض العقل والنقل (٣٦٣/٧) مع تصرّف يسير

فَعُلِمَ أنّ في الآية إنكار على المشركين لنسبتهم البنات إلى الله تعالى، تعالى الله عمّا يقول الظالمون عُلُوّاً كبيراً.

وقال الإمام ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾ : (يقول تعالى ذكره: إنّ الذين لا يُصَدِّقُون بالبعث في الدار الآخرة، وذلك يوم القيامة لَيُسَمُّون ملائكة الله تسمية الإناث، وذلك أنهم كانوا يقولون: هم بنات الله)[1]

ففي الآية الكريمة الإنكار على المشركين في تسميتهم الملائكة تسمية الأنثى وجعلهم لها أنها بنات الله تعالى[2]

ومما ورد في مرويات العهد المكّي في نسبة المشركين البنات إلى الله قول قريش في مخاصمتهم النبي ﷺ: (نحن نعبد الملائكة وهن بنات الله)

وقولهم هذا يدلّ دلالة واضحة على أنّ المشركين كانوا ينسبون البنات إلى الله

ثانياً:- نسبة بعض المشركين النقص إلى الله ﷻ في صفاته، وتشبيههم بعض صفاته بصفات خلقه

عن ابن مسعود ﷺ قال: اجتمع عند البيت ثلاثة نفر: قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي، قليل فقه قلوبهم، كثير شحم بطونهم، فقال أحدهم: (أترون الله يسمع ما نقول؟)، وقال الآخر: (يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا)، وقال الآخر: (إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا) فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ ﴾ الآية[3]

---

[1] تفسير الطبري (٦٣/٢٧)

[2] انظر: تفسير ابن كثير (٤٥٨/٧)، تيسير الكريم الرحمن (١٧٣٤/٤)

[3] سورة فصلت: ٢٢، والحديث رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٤٢٤/٨ رقم ٤٨١٧)، ومسلم

التعليق:

في هذا الحديث الإنكار على بعض المشركين الذين شكّوا في كمال سمع الله ﷻ وكمال علمه جلّ وعلا، حيث ظنوا أن الله لا يسمعهم إن أخفوا، وأنّه لا يعلم كثيراً مما يعملون، فاعتقدوا النقص في هاتين الصفتين، كما دلّ الحديث على تشبيه هؤلاء الجهلة سمع الله تعالى بأسماع خلقه الّذين يسمعون الجهر ولا يسمعون السرّ[1]

فاتّضح من الحديث عُنصُران من موقف المشركين من صفات الله جلّ وعلا، وهما:

١- أنّ بعض المشركين كانوا ينسبون النقص إلى صفات الله ﷻ

٢- أنّهم كانوا يقيسونها بصفات المخلوقين، تعالى الله عمّا يصفون

وتبيّن مما سبق في هذا الفصل أنّ موقف المشركين من أسماء الله تعالى يظهر في أربعة أمور:

١- اشتقاقهم أسماء أصنامهم من أسماء الله الحسنى

٢- جحدهم بعض أسماء الله تعالى

٣- نسبة بعضهم النقص إلى صفات الله تعالى

٤- تشبيههم صفات الله بصفات المخلوقين

في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفات المنافقين وأحكامهم (صحيح مسلم مع شرح النووي:١٧/١٢٠ رقم ٦٩٦٠)

[1] انظر: إغاثة اللهفان (١/١٥٦-١٥٧)، فتح الباري (١٣/٥٠٥)

وهذه الأمور الأربعة كلّها داخلة في الإلحاد المنهي عنه في القرآن الكريم[1]، فمن وقع في واحد من هذه الأمور الأربعة فإنّ له نصيباً من التشبه بمشركي مكّة في دينهم

[1] انظر: بدائع الفوائد (١/٢٩٧-٢٩٩)

الباب الثالث:

توحيد الألوهية في مرويات العهد المكّي

وتحته تمهيد وستة فصول:

تمهيد: معنى توحيد الألوهية

الفصل الأوّل: البراهين على توحيد الألوهية في مرويات العهد المكّي

الفصل الثاني: كلمة التوحيد (لا إله إلاّ الله) في مرويات العهد المكّي

الفصل الثالث: أنواع العبادات التي ورد ذكرها في مرويات العهد المكّي

الفصل الرابع: بيان حقيقة الشرك في مرويات العهد المكّي

الفصل الخامس: بيان حقيقة الكفر والطاغوت في مرويات العهد المكّي

الفصل السادس: بيان الولاء والبراء في مرويات العهد المكّي

تمهيد:

معنى توحيد الألوهية

وتحته مبحثان:

المطلب الأوّل: معنى كلمة "إله" ومعنى العبادة

المطلب الثاني: تعريف توحيد الألوهية شرعاً

المطلب الأوّل:

معنى كلمة (إله) ومعنى العبادة

١- معنى كلمة (إله)

قال الجوهري: (أله بفتح إلاهة، أي: عبد عبادة)[١]، ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (ويَذَرَكَ وإلــهتك)[٢] بكسر الهمزة قال وعبادتك[٣] وكان يقول: إنّ فرعون كان يُعبد في الأرض[٤] ومنه قولنا: (الله) وأصله: (إله) على فِعال بمعنى مفعول أي: معبود[٥]

فـ(ـالإلــه) على وزن فِعَال بمعنى مفعول، ومعناه على ما سبق: (معبود)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الإلــه: هو الذي يألــهه القلب بكمال الحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، والخوف والرجاء، ونحو ذلك)[٦]

وقال في موضع آخر: (الإلــه هو:المستَحِق للعبادة)[٧]

وعرّف الإمام ابن القَيِّم (الإلــه) بانّه مَن:(يؤلّه فيُعبد محبةً وإنابةً وإجلالاً وإكراماً)[٨]

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: (الإلــه: الّذي يُطاع فلا يُعصى هيبة له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكّلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاء له)[٩]

ويُلاحظ مما سبق أن معنى (الإلــه) يدور على ما يلي من المعاني:

---

(١) الصحاح، مادة (أله)

(٢) سورة الأعراف: ١٢٧

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/٩)

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/٩) بلفظ: (إنّما كان فرعون يُعبد ولا يَعبد)

(٥) انظر: تهذيب اللغة، مادة: (الله)

(٦) العبودية (ص٣٠-٣١)

(٧) الرد على الطوائف المُلحِدة (ضمن الفتاوى الكبرى:٣٧٧/٦)

(٨) طريق الهجرتين (ص ١٠٨)

(٩) تحقيق كلمة الإخلاص (ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي:٥٣/٣)

أوّلاً: العبادة

ثانياً: المحبة

ثالثاً: الإجلال، أي: التعظيم

فـــ(ـــالإلـــه) هو: (المعبود) وإن شئت قلت: إنّ (الإلـــه): (هو: المعبود محبّةً وتعظيماً)[1]

٢- معنى العبادة

العبادة في اللغة: (الخضوع والتذلل)[2]

وتُعَرّف العبادة شرعاً باعتبارين: تارة باعتبار فعل العابد، وتارة باعتبار المُتعَبّد به[3]

فتُعَرّف بالاعتبار الأوّل بأنّها: (التعبد بمعنى التذلل لله ﷻ بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ محبةً وتعظيماً)[4]

وعرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية بالاعتبار الثاني بأنّها: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الباطنة والظاهرة)[5]

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٦٤/١)

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص٥٤٢، لسان العرب ٢٧١/٣-٢٧٣

(٣) انظر: تقريب التدمرية (ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: ٢٢٥/٤)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١٤/١)

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٤/١)

(٥) العبودية (ص١٩)

المطلب الثاني:

تعريف توحيد الألوهية شرعاً

يُلاحظ في كلام علماء أهل السنة والجماعة أنّ هذا النوع من التوحيد، يُعبّر عنه بعدة تعبيرات، منها:

١- توحيد الإلـــهية

٢- توحيد الألوهية

٣- توحيد العبادة

٤- توحيد الإرادة والقصد

٥- التوحيد العَمَلي

وقد استعمل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله جميع هذه التعبيرات

فقال في موضع: (إنّ كثيراً منهم يظنون أنّ التوحيد المفروض هو الإقرار والتصديق بأنّ الله خالق كل شيء وربه، ولا يميزون بين الإقرار بتوحيد الربوبية الّذى أقرّ به مشركوا العرب، **وبين توحيد الالـــهية الذى دعاهم إليه رسول الله ولا يجمعون بين التوحيد القولى والعملى)**[1]

فعبّر عنه بـــ(ـــتوحيد الالـــهية)، والتوحيد العَملي.

---

[1] مجموع الفتاوى (١٠/٢٦٤)

وقال في موضع آخر: (التوحيد الذي لا بدّ منه لا يكون إلا بـــ(**ـــتوحيد الإرادة والقصد**)، وهو: (**توحيد العبادة**) وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله أن يقصد الله بالعبادة ويريده بذلك دون ما سواه وهذا هو الإسلام)[1]

فعبّر عنه بـــ(ـــتوحيد الإرادة والقصد)، و(توحيد العبادة)

وقال رحمه الله: (التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو: أن يُعبَد الله وحده لا شريك له، فهو: **توحيد الألوهية**)[2]

والتعبير الأكثر استعمالاً عند شيخ الإسلام ابن تيمية هو: (توحيد الإلـــهية)[3]

ويُلاحظ من النقول المتقدّمة أنّ شيخ الإسلام عرّف هذا النوع من التوحيد بأنّه: (تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله) و(أن يُقصد الله بالعبادة ويريده بذلك دون ما سواه)، وبأنّه: (أن يُعبَد الله وحده لا شريك له)

ومما عُرّف به توحيد الألوهية أنّه: (إثبات الخلق أنّ الله مألوههم، ومحبوبهم الّذي لا يتوجه العبد المخلوق المكلّف العابد إلاّ له)[4]

وعرّفه الإمام محمد بن عبد الوهاب بأنّه: (إفراد الله سبحانه بالعبادة)[5]

وعرّفه حفيده الشيخ سليمان بن عبد الله بأنّه: (إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له، لا يُجعل فيها شيئاً لغيره ، لا مَلَكٌ مُقَرَّب، ولا نبي مُرسَل، فضلاً عن غيرهما)[6]

---

[1] كتاب في الرد على الطوائف المُلحدة (ضمن الفتاوى الكبرى:٦/٣٧٧-٣٧٨)

[2] الاستقامة (٢/٣١)

[3] انظر: مجموع الفتاوى (٢/٣٧، ٣٨)، (١٠/٢٦٤، ٢٧٨، ٢٨٣، ٢٨٩، ٣٣١، ٣٣٢)، (١٣/٢١٣)، (١٤/٣٧٩)، (٢٠/١٨٣، ٤٥٦)، الرد على الطوائف المُلحِدة (ضمن الفتاوى الكبرى:٦/٣٧٨)، الاستقامة (٢/٣٠، ٣١)، بيان تلبيس الجهمية (٢/٤٥٤)، فاستعمل (توحيد الإلـــهية) في جميع هذه المواضع ما عدا موضعين

[4] تجريد التوحيد المفيد (ص ٤٣) مع تصرف

[5] كشف الشبهات (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهّاب: ٦/١١٤- القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

[6] تيسير العزيز الحميد (ص٢٠)

وقد نبّه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله على أنّ (توحيد الألوهية) يُقال له (توحيد الإلـــهية) باعتبار، ويُقال له (توحيد العبادة) باعتبار آخر، فإن أريد به وصف الله تعالى بأنّه وحده يستحق العبادة يُقال له (توحيد الإلـــهية)، ويُقال له (توحيد العبادة) باعتبار وجوب إخلاص العبادة لله على العبد.[١]

---

[١] انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الأول – التفسير: ٨/١٥٨)

الفصل الأوّل:

البراهين على توحيد الألوهية في مرويات العهد المكّي

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: الاستدلال على توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية

المبحث الثاني: الاستدلال على توحيد الألوهية بتوحيد الأسماء والصفات

المبحث الأوّل:

الاستدلال على توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية

ورد في ذلك:

١-ما جاء في ذكر زيد بن عمرو أنّه كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: (الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثمّ تذبحونها على غير اسم الله) إنكاراً لذلك وإعظاماً له[١]

٢- عن مجاهد[٢] قال: حدّثني مولاي أنّ أهله بعثوا معه بقدح فيه زبد ولبن إلى آلهتهم، قال: فمنعني أن آكل الزبد لمخافتها قال: فجاء كلب فأكل الزبد وشرب اللبن، ثمّ بال على الصنم، وهو إساف ونائلة.[٣]

٣- وعنه عن مولاه أنّه حدّثه أنّه كان فيمن يبني الكعبة في الجاهلية، قال: (ولي حجر أنا نَحَتُّهُ بيدي، أعبده من دون الله تبارك وتعالى، فأجيء باللبن الخاثر[٤] الذي أنفسه على نفسي، فأصبه عليه، فيجيء الكلب فيلحسه ثمّ يشغر[٥] فيبول).[٦]

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٣٨)

[٢] تقدمت ترجمته، (ص١٠٣)

[٣] رواه الدارمي في سننه (١/١٤)، والطبراني في الكبير (٧/١٦٤-١٦٥)، وقال الهيثمي في المجمع (١/١١٥): (ورجاله ثقات)، وقوّى إسناده د/عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي (ص٩)

[٤] الخاثر بمعنى: الثقيل. النهاية (٢/١١)

[٥] شَغَر الكَلب إذا رفَع إحدى رِجْليه ليَبُولَ (٢/٤٨٢)

[٦] رواه أحمد (٣/٤٢٥)، والحاكم (١/٦٢٨)، وحسّنه الشيخ الألباني في تخريجه أحاديث فقه السيرة ص (٨٠)

٤- قول أبو رجاء العطاردي[١]: (كنّا نعبد الحجر، فإذا وجدْنا حجراً وهو أخْيَرُ منه ألقيناه وأخذْنا الآخرَ، فإذا لم نجد حجراً جَمَعْنا جُثْوَةً[٢] من تراب، ثمّ جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثمّ طفنا به).[٣]

٥- في قصة إسلام سلمان الفارسي ﷺ: ...فقال — يعني والد سلمان الفارسي: (أين كنتَ؟) قلتُ: (مررت بالنصارى، فأعجبني صلاتهم ودعاؤهم، فجلستُ أنظر كيف يفعلون). قال: (أيْ بُنَيّ، دينك ودين آبائك خيرٌ من دينهم). فقلت: (لا والله، ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قومٌ يعبدون الله، ويدعونه ويصلّون له، **ونحن نعبد ناراً نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت)**.[٤]

٦- في خبر عمرو بن عبسة[٥]: (رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية، ورأيت أنها آلهة باطلة - يعبدون الحجارة - والحجارة لا تضر ولا تنفع)[٦]

٧- قال ابن مسعود: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفراً من الجنِّ، فأسلم النّفر من الجنّ، واستمسك النّاس بعبادتهم فنزلت: ﴿ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[٧]

٨- عن أبي هريرة، قال: لما أنزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[٨]، دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فاجتمعوا فعمّ وخصّ، فقال: (يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا

---

[١] أبو رجاء العطاردي قيل: اسمه عمران بن ملحان، وقيل: اسمه عطارد، ولد قبل الهجرة بـــ١١ سنة ، وأسلم بعد فتح مكّة، وعاش إلى خلافة هشام بن عبد الملك ، وتوفي عام ١٠٧هـــ. انظر: الإصابة (١٤٨/٧)

[٢] جُثوَة من التراب : القطعة من التراب تجمع فتصير كوما وجمعها الجثا. فتح الباري (٦٩٢/٧)

[٣] رواه البخاري في كتاب المغازي، باب: وفد بني حنيفة (صحيح البخاري مع فتح الباري:٦٩٢/٧ رقم ٤٣٧٦)

[٤] تقدم تخريجه، ص (١٥٠)، وهذا اللفظ في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحق

[٥] تقدم ترجمته، (ص٩٧)

[٦] تقدم تخريجه، ص (١٥٣)

[٧] سورة الإسراء: ٥٧، والحديث تقدم تخريجه، ص (٢٣٥)

[٨] سورة الشعراء: ٢١٤

أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سَأَبُلُّها بِبَلالِها)[(١)]

٩- عن عائشة ، قالت: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قام رسول الله ﷺ على الصفا، فقال: (يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم)[(٢)]

١٠- قصة نزول الوحي في الوليد بن المغيرة، وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالاً مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴾ [(٣)]

١١- قصة مجادلة عتبة مع رسول الله ﷺ، وفيها قرآءة النبي ﷺ لسورة فصلت من أول السورة إلى السجدة فيها[(٤)]، ومن ضمن الآيات التي قرأها ﷺ:

قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا

---

(١)(غير أن لكم رحماً سَأَبُلُّها بِبَلالِها) قال النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم (٧٥/٣) : (ضبطناه بفتح الباء الثانية وكسرها وهما وجهان مشهوران...، ومعنى الحديث سأصلها، شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة، ومنه بلوا أرحامكم أي صلوها)، والحديث رواه مسلم كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٧٥/٣ رقم ٥٠٠)

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب في قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (صحيح مسلم مع شرح النووي:٧٥/٣-٧٦ رقم ٥٠٢)

(٣) سورة المدثر: ١١-١٥، وتقدم إيراد القصة بطوله مع التخريج، انظر: ص (٣٩-٣٩)

(٤) انظر: ص (٤٠-٤٢)

طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [1]

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [2]

١٢- قصة قرآءة النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكّة وفي السورة قول الله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [3]

١٣- حديث وفاة أبي طالب وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [4]

التعليق:

جاء في النصوص أدلّة وبراهين متنوعة في تقرير توحيد الألوهية[5]، ومن أبرز أنواع هذه الأدلّة والبراهين: الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، وبيان هذا الاستدلال أنّ الله ﷻ (كما أنّه وحده هو ربّ [الناس] ومليكهم لم يشركْه في ربوبيته ولا

---

[1] سورة فصلت: ٩-١٢

[2] سورة فصلت: ٣٧

[3] سورة النجم: ٢٦

[4] سورة القصص، الآية: ٥٦، والحديث تقدم تخريجه، ص (٨٧)

[5] انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الأول – التفسير: ٢٣/٨، ١٥٩-١٦٠)، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الأول – التفسير: ١٨٨/٨-١٩٤)، فتح الرحيم الملك العلاّم (ص٧٧-٩٨)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص١٩٦-١٩٨)

في ملكه لهم أحد، فكذلك هو وحده إلــهـهم ومعبودهم، فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكاً في إلــهيته، كما لا شريكَ معه في ربوبيته ومُلكِه)[١]

وقد ورد هذا النوع من الاستدلال من وجوه، منها:

أولاً: التقرير العام

فقد جاءت أدلّة فيها ذكر على وجه العموم أنّ المنفرد بالربوبية وأفرادها وخصائصها هو الذي يستحق العبادة دون من سواه[٢]

ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [٣]

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (فتأمّل ما تحت هذه الألفاظ من البرهان الشافي في التوحيد، أي: إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال فكيف يجعلون له أنداداً)[٤]

ومن الأمثلة على التقرير العام لتوحيد الإلــهية بتوحيد الربوبية قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴾ [٥]

(أي: هو الخالق لهذه المخلوقات، الرازق لها، المدبّر لها؛ فكما أنّه لا شريك له في ربوبيته إياها؛ فكذلك لا شريك له في ألوهيته)[٦]

---

[١] بدائع الفوائد (٢/٧٨٠)

[٢] انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الأول – التفسير: ٨/١٥٩)

[٣] سورة البقرة: ٢١

[٤] بدائع الفوائد (٤/١٥٤٧)

[٥] سورة الصافات: ٤–٥

[٦] تيسير الكريم الرحمن (٣/١٤٦٣–١٤٦٤)

ثانياً: الاستدلال على توحيد الألوهية بإلزام المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية على أن يعبدوا الله دون من سواه[1]

ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [2]

أي: فكيف ينقلبون عن عبادة الله إلى عبادة غيره مع اعترافهم بتوحيد الربوبية، فإن من اعترف بأن الله خالقه، إذا توجّه بالعبادة إلى غير الله، فقد صرفها إلى مخلوق مثله وهذا غاية الجهل والضلال، وإقرارهم بتوحيد الربوبية يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية، وهذا من أعظم الأدلّة على وجوب إخلاص العبادة لله وبطلان الشرك[3]

ثالثاً: الاستدلال على توحيد الألوهية ببيان عجز من عُبد من دون الله ﷻ وخلوه من صفات الربوبية[4]

ومن الأمثلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [5]

هذه الآية الكريمة فيها توبيخ وإنكار على المشركين بأنّهم عبدوا مع الله ﷻ مخلوقات خالية من خصائص الربوبية، وإذا كانت هذه المعبودات كذلك ليس لها ما

---

[1] انظر: فتح الرحيم الملك العلاّم (ص٧٧)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص١٩٤-١٩٥)

[2] سورة الزخرف: ٨٧

[3] انظر: فتح القدير (٧٤١/٤)، تيسير الكريم الرحمن (١٦٢٢/٤)

[4] انظر: قاعدة في توحيد الإلــهية وإخلاص العمل والوجه لله لشيخ الإسلام ابن تيمية (ضمن مجموع الفتاوى: ٢٧/١)، تيسير العزيز الحميد (ص٢١٣-٢١٥)، القواعد الحسان لتفسير القرآن (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الأول — التفسير: ١٦٠/٨)، فتح الرحيم الملك العلاّم (ص٧٧)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص١٩٥)

[5] سورة الأعراف: ١٩١-١٩٢

تستحق به العبادة، فعُلم بطلان اتخاذ آلهة مع الله تعالى، وَوُجوب إخلاص العبادة لله دون من سواه[1]

وقد ورد جميع هذه الوجوه الثلاثة في مرويات العهد المكّي في الروايات التي أوردت في هذا المبحث، فورد في التقرير العام:

أولاً: قصة نزول الوحي في الوليد بن المغيرة، حيث نزل فيها قول الله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالاً مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَـٰتِنَا عَنِيدًا ﴾

أنكر الله في هذه الآية الكريمة على الوليد بن المغيرة الّذي أنعم ﷻ عليه بعدد من النعم الدنيوية، التي توجب (تعلق القلب بالله خوفاً ورغبة ورهبة، والتألّه له وحده لا شريك له)[2]، فلم يَقُم بشكر هذه النعم بالانقياد للحق، والقيام بالتوحيد، بل عاند الحق ووقف في وجه دعوة الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده.[3]

وهذا الإنكار فيه الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية إذ فيه الإشارة إلى أنّ إنعام الله تعالى على الخلق بهذه النِعَم يستلزم إخلاصهم جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له.

ثانياً: قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ لأن الآيات التي قرأها ﷺ تضمنت قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ

---

[1] انظر: تفسير ابن كثير (٥٢٩/٣)، فتح القدير (٣٩٣/٢)، تيسير العزيز الحميد (ص٢١٤)، تيسير الكريم الرحمن (٥٩٩/٢)

[2] القواعد الحسان لتفسير القرآن (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الأول – التفسير: ١٥٩/٨) مع تصرف يسير

[3] انظر: تفسير ابن كثير (٢٦٥/٨)، تيسير الكريم الرحمن (١٩٠٧/٤)، في ظلال القرآن (٣٩١/٧-٣٩٢)

أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات: (يُنكر تعالى ويَعجَب من كفر الكافرين به، الّذين جعلوا معه أنداداً؛ ويُشركونهم معه، ويبذُلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم، ويسوّونهم بالرب العظيم الملك الكريم، الّذي خلق الأرض الكثيفة العظيمة في يومين..) ألى أن قال: (فَتَرْكُ المشركين الإخلاص لهذا الرب العظيم الواحد القهار، الّذي انقادت المخلوقات لأمره، ونفذ فيها قدره من أعجب الأشياء)[1]

فبيّن رحمه الله تعالى غرابة عدم قيام المشركين بإخلاص العبادة لله تعالى مع كونه خالق الكون والذي بيده تصرف الأشياء كلها، ومدلول هذا أنّ خالق الكون ومالكه هو الّذي يستحق العبادة دون من سواه.

كما تضمنت الآيات التي قرأها النبي ﷺ على عتبة بن ربيعة قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾

قال الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة: (﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ أي: اعبدوه وحدَه؛ لأنّه الخالق العظيم)[2]

فخالق هذه المخلوقات العظيمة التي تنتفع بها العباد هو الذي يستحق العبادة[3]

وأما الاستدلال على توحيد الألوهية بإلزام المشركين بإقرارهم بتوحيد الربوبية على القيام بعبادة الله وحده، ففيه قول زيد بن عمرو بن نفيل لقريش: (الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثمّ تذبحونها على غير اسم الله) إنكاراً لذلك وإعظاماً له، فاحتجّ زيد على بطلان تسمية المشركين غير الله على ذبائحهم بما أقرّوا

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (٤/١٥٦٥-١٥٦٦)

[2] تيسير الكريم الرحمن (٤/١٥٧٥)

[3] انظر: المصدر السابق

به من أنّ الله وحده هو الخالق والرازق، ودليل إقرارهم بذلك عدمُ اعتراضهم على قوله إنّ خالق الشاة ورازقه هو الله، ولو لم يك المشركون مقرّين بأنّ الله هو الخالق لما كان لاحتجاجه فائدة، فألزم زيد المشركين بإقرارهم بتوحيد الألوهية على القيام بتوحيد العبادة.

وأمّا الاستدلال على توحيد الألوهية ببيان عجز من عُبد من دون الله ﷻ وخلوه من صفات الربوبية ففيه:

أولاً: أخبار فيها ذكر وقائع امتُهِن فيها أصنام وأوثان وفي ذلك الخبران اللّذان جاء فيهما ذكر تبوّل الكلب على الصنم، وخبر أبي رجاء العطاردي أنّ المشركين إذا وجدوا حجراً ظنّوه أحسن من الحجر الّذي عبدوه ألقوه وعبدوا الحجر الجديد مكانه.

وفي هذه الأخبار دلالة واضحة على خلو الأصنام من صفات الربوبية، فإنّها لم تقدر على دفع الإهانة عن نفسها، فعجزها عن دفع الضر عن غيرها من باب أولى، فعُلم عدم استحقاقها للعبادة وبطلان الشرك.

ثانياً: ما ورد فيها أنّ المعبودات من دون الله مفتقرة إلى من عبدها وفي ذلك قول سلمان الفارسي لوالده في قصة إسلامه في النصارى الّذين مرّوا بقومهم: (لا والله، ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قومٌ يعبدون الله، ويدعونه ويصلّون له، **ونحن نعبد ناراً نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت)**

ففي قول سلمان ﷺ بيان على أن النار الّذي يعبدها المجوس، مفتقرة في أيقادها وإبقائها إلى مخلوق، فهي خالية عن صفات الربوبية، عاجزة عن القيام بشؤون نفسها فضلاً عن غيرها فلا تستحق العبادة، فتبيّن هنا بطلان عبادة المجوس لغير الله تعالى.

ثالثاً: ما ورد فيها التصريح بأن من عبد من دون الله خالية من صفات الربوبية، لا تنفع ولا تضر وفي ذلك قول عمرو بن عبسة في قصة إسلامه: (رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية، ورأيت أنها آلهة باطلة – يعبدون الحجارة – والحجارة لا تضر ولا تنفع)

فعَلِم عمرو بن عبسة بطلان آلهة قومه من عجزها وعدم قدرتها على نفع من عبدها ودفع الضر عنهم، وهذا العلم يقتضي صرف جميع العبادات لله وحده لا شريك له

رابعاً: ما ورد فيها أنّ من عُبِد من دون الله محتاج مفتقر إلى الله ﷻ فهي خالية من صفات الربوبية لا تصلح عبادهم، وفي ذلك قول ابن مسعود: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفراً من الجنِّ، فأسلم النّفر من الجنّ، واستمسك النّاس بعبادهم فنزلت: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (أي: هؤلاء الّذين يدعوهم هؤلاء هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب؛ فكيف تدعوهم وهم محتاجون مفتقرون؟! فهذا سفه في الحقيقة، وهذا ينطبق على كل من دعي، وهو داع؛ كعيسى بن مريم، والملائكة، والأولياء، والصالحين. وأمّا الشجر والحجر فلا تدخل في الآية)[1]

فبيّن أنّ من عُبد من دون الله جلّ وعلا خال من خصائص الربوبية لأنّهم أنفسهم مفتقرون إلى ربهم، لا يستحقون العبادة، وإنما يستحق العبادة من يحتاجون أليه هو، ومن يدبر شؤونهم وهو الله ﷻ

خامساً: ما ورد فيه نفي الشفاعة عن غير الله تعالى إلا بإذنه ورضاه ﷻ وفي ذلك قرآءة النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكّة لاشتمال السورة على قول الله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: (في هذه الآيات من الرد على من عبد الملائكة والصالحين لشفاعة أو غيرها مالا يخفى، لأنهم إذا كانوا لا يشفعون إلا بإذن من الله ابتداء، فلأي معنى يُدعَون ويُعبَدُون، وأيضاً فإن الله لا يأذن إلا لمن ارتضى قوله وعمله وهو الموحد لا المشرك)[2]

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: (هذه الآية في سياق بطلان ألوهية اللات والعزّى) وقال: (إذا كانت الملائكة وهي في السموات في العلو لا تغني شفاعتهم إلاّ بعد إذنه تعالى ورضاه؛ فكيف باللات والعزى وهي في الأرض؟! ولهذا قال: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ ، مع أنّ الملائكة تكون في السموات وفي الأرض، ولكن

---

[1] القول المفيد على كتاب التوحيد (١٤٨/١)

[2] تيسير العزيز الحميد (ص٢٤١)

أراد الملائكة التي في السموات العلى، وهي عند الله سبحانه؛ فحتى الملائكة المقربون حملة العرش لا تغني شفاعتهم إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)[١]

وإذا تبيّن أنه لا أحد يملك الشفاعة إلاّ الله، وأن من يشفع إنما يشفع بإذن الله ورضاه، بطل التَعلّق بمن يُظن أنّه يشفع عند الله ابتداء بدون إذن الله وبدون رضاه عن المشفوع، فهؤلاء ليس عندهم شيء من خصائص الربوبية، فيتعيّن التعلّق بالّذي يملك الشفاعة وإخلاص العبادة له وهو الله جلّ وعلا[٢]

سادساً: ما ورد فيها نفي صفات الربوبية عن النبي ﷺ وهو أفضل الخلق وسيد ولد آدم، لا يستطيع أن ينفع قرابته، فإذا نفي عنه ﷺ خصائص الربوبية، فإن نفي ذلك عن غيره من باب أولى[٣]

وفي ذلك قول النبي ﷺ لقريش لما نزل قول الله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ : (لا أملك لكم من الله شيئاً)

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: (هذا كلام النبي ﷺ لأقاربه الأقربين: عمه، وعمته، وابنته؛ فما بالك بمن هم أبعد؟! فعدم إغنائه عنهم شيئاً من باب أولى؛ فهؤلاء الّذين يتعلقون بالرسول ﷺ ويلوذون به ويستجيرون به الموجودون في هذا العصر وقبله قد غرّهم الشيطان واجتالهم عن طريق الحق)[٤]

ومن هذا الباب قصة وفاة أبي طالب الّتي نزل فيها قول الله تعالى: : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله: (إذا عرف الانسان معنى هذه الآية، ومن نزلت فيه، تَبيّن له بطلان قولهم وفساد شركهم، لأن رسول الله ﷺ أفضل الخلق وأقربهم من الله وأعظمهم جاهاً عنده، ومع ذلك حَرَصَ واجتهد على هداية عمه أبي طالب في حياة أبي طالب وعند موته، فلم يَتَيَسَّر ذلك و لم يقدر عليه، ثم استغفر له بعد

---

[١] القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٣٣٦-٣٣٧)

[٢] انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٢١٦-٢١٧)

[٣] انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٢٢٨)

[٤] القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٢٩٦)

موته، فلم يغفر له حتى نهاه الله عن ذلك، ففي هذا أعظم البيان وأوضح البرهان على أنه ﷺ لا يملك ضراً ولا نفعاً ولا عطاءً ولا منعاً وأن الأمر كله بيد الله)[١]

وإذا تبيّن أنّ النبي ﷺ لا يملك شيئاً من أفراد الربوبية، تبيّن بطلان صرف العبادة له ﷺ، لأنّ الذي يستحق العبادة هو الّذي بيده الأمر وهو الله جلّ وعلا.

[١] تيسير العزيز الحميد (ص٢٦٨)

المبحث الثاني:
الاستدلال على توحيد الألوهية بتوحيد الأسماء والصفات

وفي ذلك:

١- قرآءة النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكّة[١]، وفي السورة قول الله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [٢]

٢- في قصة إسلام عمر رضي الله عنه: فقام عمر فتوضأ، ثم أخذ الكتاب فقرأ ﴿ طه ﴾ حتى انتهى إلى قوله ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ [٣] قال: فقال عمر: (دلوني على محمد)[٤]

ومن ضمن الآيات التي قرأها عمر قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [٥]

---

[١] انظر: ص (٤٣-٤٥)

[٢] سورة النجم: ٢٣

[٣] سورة ﴿ طه ﴾: ١٤

[٤] رواه الدارقطني (١٢٣/١)، والحاكم في المستدرك (٦٥/٤)، وابن سعد في الطبقات (٢٦٧/٣) واللفظ له، قال الدارقطني: (القاسم بن عثمان ليس بقوي)، وقال الهيثمي في المجمع (٦٢/٩): (فيه القاسم بن عثمان وهو ضعيف)

[٥] سورة ﴿ طه ﴾: ٨

التعليق:

قد تقدم البيان على أن الطرق في النصوص في تقرير توحيد الألوهية كثيرة متنوعة[1]، ومن هذه الطرق: الاستدلال بتوحيد الأسماء والصفات على توحيد الألوهية، وبيان هذا الاستدلال أنّ الله متصف بالكمال المطلق لا يُشاركه فيه أحدٌ بوجه من الوجوه و(كما أنّ الكمال المطلق والكبرياء والعظمة، ونعوت الجلال والجمال المطلق كلها لله لا يمكن أن يتصف بها غيره فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذي لا يشاركه فيه مشارك بوجه)[2]

وهذا الاستدلال ورد على وجوه، منها:

أولاً: التقرير العام

فقد جاء في النصوص أدلّة فيها بيان أنّ الله هو الذي يستحق العبادة وحده دون من سواه وذلك لكماله، ولأنّ الأسماء الحسنى له وحده[3].

وفي ذلك قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [4]

وقول الله ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [5]

---

[1] انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الأول – التفسير: ٨/٢٣، ١٥٩-١٦٠)، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الأول – التفسير: ٨/١٨٨-١٩٤)، فتح الرحيم الملك العلاّم (ص٧٧-٩٨)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص١٩٦-١٩٨)

[2] القول السديد في مقاصد التوحيد (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الثالث – العقيدة الإسلامية: ص٢٤)

[3] انظر: فتح القدير (٣/٤٩١)

[4] سورة البقرة: ٢٥٥

[5] سورة الأعراف: ١٨٠

وقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1]

ثانياً: البيان على عدم استحقاق الآلهة الباطلة للعبادة وذلك لنقصها وعدم اتصافها بصفات ذات شأن، فضلاً عن عدم اتصافها بصفات من يستحق العبادة، لأن ذلك شأن خاص بالله وحده لا شريك له.

وفي ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [2]

وقول الله ﷻ في إبراهيم ﵇: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [3]

ففي هذه الآيات عاب الله على المشركين الذين عبدوا من تنتفي فيه هذه الصفات: السمع، والبصر، والكلام[4]، وهذا فيه دليل على أن من انتفى فيه صفات الكمال لا يكون إلـــهاً.

وقد ورد الاستدلال على توحيد الألوهية بتوحيد الأسماء والصفات في مرويات العهد المكّي من كلا الوجهين، ففي الوجه الأول وهو التقرير العام وردت قصة إسلام عمر والشاهد في الآيات في سورة ﴿ طه ﴾ التي قرأها عمر، التي تضمنت قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [5]

---

[1] سورة الحشر: ٢٢-٢٤

[2] سورة الأعراف: ١٤٨

[3] سورة مريم: ٤٢

[4] انظر: الرد على الجهمية للدارمي (ص١٥٧)، مجموع الفتاوى (٣/٨٧-٨٨)

[5] سورة ﴿ طه ﴾ : ٨

وفي هذه الآية الكريمة بيّن الله تعالى اختصاص الإلــهية به سبحانه وذلك لأنّه الموصوف بصفات الكمال ولأنّه هو الّذي له الأسماء الحسنى[1]

وأمّا في الوجه الثاني، وهو البيان على أنّ الناقص لا يكون إلــهاً، فورد فيه قرآءة النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكّة التي اشتملت قول الله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [2]

ذمّ الله تعالى في هذه الآية الكريمة المشركين لعبادهم أسماء بلا مسميات، لا حقيقة لها، أسماء ليست دالة على ما تضمنت من المعاني، فهي أسماء ليست بدالة على صفات الكمال، فهي أسماء مجردة لا تستحق العبادة[3]، وهذا فيه دليل على أن الذي لا يتصف بصفات الكمال لا يستحق العبادة.

---

[1] انظر: فتح القدير (٤٩١/٣)

[2] سورة النجم: ٢٣

[3] انظر: تفسير البيضاوي (مع حاشية محي الدين شيخ زاده: ٢٥١/٢، ٨٥/٣)، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٤٩٤/٣-٤٩٥)، تفسير سورة الحجرات إلى سورة الحديد للشيخ ابن عثيمين (ص ٢١٦-٢١٧)

الفصل الثاني:

كلمة التوحيد (لا إله إلاّ الله) في مرويات العهد المكّي

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تفسير كلمة التوحيد (لا إلـــه إلاّ الله)

المبحث الثاني: فضل كلمة التوحيد

المبحث الثالث: الإتيان بكلمة التوحيد أول واجب على المكلّف

المبحث الأوّل:

تفسير كلمة التوحيد (لا إلـــه إلاّ الله)

وفي ذلك:

١- ما جاء عن بن عباس رضي الله عنهما قال: مرض أبو طالب، فأتته قريش، وأتاه رسول الله ﷺ يعوده، وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فقعد فيه، فقالوا: (إن ابن أخيك يقع في آلهتنا)، قال: (ما شأن قومك يشكونك؟)، قال: (يا عم، أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي العجم إليهم الجزية)، قال: (ما هي؟)، قال: (لا إله الا الله)، فقاموا، فقالوا: (أجعل الآلهة إلـــهاً واحداً؟). قال: ونزل ﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ ﴾[١]

٢- و في فصة وفاة أبي طالب: ..فقال له: (أي عمِّ، قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله)، فقالا له (أترغب عن ملّة عبد المطلب؟)، فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: (هو على ملّة عبد المطلب)، وأبى أن يقول: (لا إله إلاّ الله)[٢]

٣- وعن ربيعة بن عباد الدِئَلي[٣]، وكان جاهلياً أسلم، قال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز [٤]يقول: (يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا)، ويدخل

---

[١] سورة ﴿صٓ﴾ : ١-٥، والحديث رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ﴿ صٓ ﴾ (٣٦٥/٥-٣٦٦ رقم ٣٢٣٢)، والإمام أحمد في المسند (٢٢٧/١)، والحاكم في المستدرك (٤٦٩/٢)، وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصحح أسناده الحافظ ابن كثير في إرشاد الفقيه (٣٣٥/٢)، والشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند (٣١٤/٣)، وضعف إسناده الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي

[٢] تقدم تخريجه، ص (٨٧)

[٣] هو: ربيعة بن عباد الدِئَلي كان جاهلياً فأسلم. توفي ﷺ في خلافة الوليد. انظر: الإصابة (٦٤٩/٢)

[٤] تقدم التعريف به، (ص٢٠٥)

في فجاجها والناس منقصفون[1] عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت، يقول: (أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا) [2]

٤- وفي رواية: (يا بني فلان، إنّي رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد)[3]

٥- وعن أشعث[4]، قال: حدثني شيخ من بنى مالك بن كنانة، قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها، يقول: (يا أيها الناس، قولوا: لا إله الا الله، تفلحوا). قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب، ويقول: (يا أيها الناس، لا يغرنكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى). قال: وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ [5]

التعليق:

كلمة التوحيد (لا إله إلاّ الله) كلمة عظيمة يترتب على التلفظ بها مع العمل بمقتضاها فضائل عظيمة وفوائد جليلة في الدنيا والآخرة إلاّ أنّ حصول هذه الفضائل والآثار مقيّد بمعرفة وفهم معناها فهماً صحيحاً

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كلمة (لا إله إلاّ الله): (اعلم رحمك الله تعالى أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام باقية في عقبه لعلهم يرجعون، وليس المراد

---

[1] مُنقَصِفُون عليه أي: مزدحمون. النهاية (٧٣/٤)

[2] رواه الإمام أحمد في المسند (٤٩٢/٣)، والحاكم في المستدرك (٦١/١)، وصححه الدكتور سليمان السعود في أحاديث الهجرة (ص٦٧)، والباحث الدكتور عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي (ص٩٩٦)

[3] رواه ابن إسحاق (سيرة ابن هشام: ٣٨٦/١)، وصححه الباحث الدكتور عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي (ص٩٩٦)

[4] هو: أشعث بن أبي الشعثاء (سليم) المحاربي الكوفي ثقة من الطبقة السادسة من التابعين، توفي عام ٢٥هـ. انظر: تقريب التهذيب (ص١٤٩)

[5] رواه الإمام أحمد في المسند (٦٣/٤)، وقال الذهبي في السيرة النبوية (١٢٢/١): (إسناده قوي)، وصحح الشيخ الألباني إسناده في دفاع عن الحديث النبوي (ص٢٢)

قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإنّ المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يُصَلّون ويتصدّقون، لكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب)[١]

ومما يجدر التنبُّه إليه: أنّ واقع كثير من المسلمين اليوم الّذين يتلفظون بهذه الكلمة – بل غالبهم – أنّهم لا يفهمونها فهماً صحيحاً ولربما يفهمونها فهماً خاطئاً بخلاف مشركي العرب الّذين عرفوا معناها ولكن أبوا أن يقولوها[٢]

وجهل المسلمين بمعنى (لا إله إلا الله) خلاف ما أمرهم الله ﷻ به، فإنّه تعالى أمر عباده أن يعلموا معنى هذه الكلمة نفياً وإثباتاً، علماً يُنافي الجهل بذلك فقال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [٣]

وقد بوّب الإمام محمد بن إسماعيل البخاري على هذه الآية بقوله: (بابٌ: العلم قبل القول والعمل)[٤]

وقال الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [٥]

أي: من شهد أن لا إلــه إلا الله وعلم بقلبه ما شهد به بلسانه[٦]

وكلمة لا إله إلاّ الله معناها: (لا معبود بِحَقٍّ إلاّ الله)[٧]، وتتضمن النفي والإثبات: نفي الإلــهية عما سوى الله، وإثبات الإلــهية لله على وجه الاختصاص

---

[١] تفسير كلمة التوحيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهّاب: ٢٤٤/٦ – القسم الأوّل: العقيدة والآداب الإسلامية)

[٢] انظر: التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام للشيخ الألباني رحمه الله (ص١٢-١٤)

[٣] سورة محمد: ١٩، وانظر: معارج القبول (٥١٨/٢)

[٤] صحيح البخاري مع فتح الباري (١٩٢/١)

[٥] سورة الزخرف: ٨٦

[٦] زاد المسير لابن الجوزي (٣٣٤/٧)

[٧] ثلاثة الأصول (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهّاب: ١٣٧/٦ – القسم الأوّل: العقيدة والآداب الإسلامية)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (هذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الإلـــهية عما سوى الله، وإثباتها له بوصف الاختصاص، فدلالتها على إثبات إلاهيَّتِه أعظم من دلالة قولنا: (الله إلـــه)، ولا يستريب أحد في هذه ألْبَتَّةَ)[١]

والنفي مستفاد من قول (لا إلـــه)، ويُستفاد الإثبات من قول (إلاّ الله)[٢]

ويوضح كلمة (لا إله إلا الله) قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٣]

وذكر السلف في تفسير هذه الآية الكريمة أنّ الكلمة التي جعلها إبراهيم عليه السلام باقية في عقبه هو قول: (لا إلـــه إلاّ الله)[٤]، الّذي يطابق قول خليل الرحمن ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ الذي يدل على خلع ما سوى الله من الآلهة الباطلة، وهو النفي، وعبادة الله وحده وهو الإثبات[٥]

وورد في مرويات العهد المكّي من أبلغ ما يوضح معنى كلمة التوحيد وهو قصة نزول أول سورة ﴿ صٓ ﴾ ، والشاهد من القصة في طلب النبي ﷺ من المشركين أن يقولوا: (لا إلـــه إلاّ الله) وردهم عليه ﷺ قائلين؟: (أجعل الآلهة إلاهاً واحداً؟) (أي: كيف ينهى عن اتخاذ الشركاء والأنداد ويأمر بإخلاص العبادة لله وحده)[٦]، وهذا يدلّ على أنّهم فهموا أنّ كلمة (لا إله إلاّ الله) يتضمن نفي الإلـــهية عن آلهتهم وإثباتها لله دون من سواه، ولكن أبوا أن يقولوها استكباراً، ويوضح هذا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ

---

[١] بدائع الفوائد (٩٢٦/٣)

[٢] انظر: ثلاثة الأصول (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهّاب: ١٣٧/٦ – القسم الأوّل: العقيدة والآداب الإسلامية)

[٣] سورة الزخرف: ٢٦-٢٨

[٤] انظر: تفسير الطبري (٦٣/٢٥)

[٥] انظر: تفسير ابن كثير (٢٢٥/٧)، شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن العثيمين (ص٧٢)

[٦] تيسير الكريم الرحمن (١٤٨٨/٤)

لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴾ [١]، فعرفوا أنّ كلمة (لا إلـــه إلاّ الله) يستلزم ترك ما يُعبد من دون الله لأنّ الاستفهام في قولهم: ﴿ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا ﴾ للنفي [٢]

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنّ قول الله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [٣]، من الآيات التي لا تُحصى إلاّ بكلفة في نفي الألوهية عن غير الله وإثباتها له وحده [٤]، وهذا يقتضي أنّ كلمة (لا إله إلاّ الله) يتضمن نفي الإلـــهية عن غير الله، وإثباتها لله وحده دون من سواه لأنّ المشركين إنّما قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا ﴾ بعدما طلبهم النبي ﷺ أن يقولوا: (لا إله إلاّ الله) كما جاء في سبب نزول الآية، وكما توضحه الآية التي تقدم ذكرها من سورة الصافات.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (الكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دون الله، والبراءة منه، فإنّه لما قال لهم: قولوا: (لا إله إلا الله) قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا ﴾) [٥]

وهذا الكلام يتضمن التقرير أنّ قصة نزول أوّل سورة ﴿ صٓ ﴾ تُفَسِّر كلمة (لا إله إلاّ الله) بأنّها نفي الإلـــهية عما سوى الله وإثباتها له وحده لا شريك له.

وعلّق حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ [٦] رحمه الله على حديث نزول أول سورة ﴿ صٓ ﴾ قائلاً: (ففي هذا من البيان والعلم، (أن لا إله إلا الله) تبطل عبادة

---

[١] سورة الصافات: ٣٥-٣٦

[٢] انظر: تفسير سورة الصافات للشيخ ابن عثيمين (ص ٧٩)

[٣] سورة ﴿ صٓ ﴾ : ٥

[٤] انظر: بيان تلبيس الجهمية (٤٨٠/١)

[٥] كشف الشبهات (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهّاب: ١١٥/٦- القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

[٦] هو: الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي القاضي العالم العلاّمة، ولد في بلد الدرعية، وأخذ العلم عن جدّه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعن عمومته، وعن غيرهم من كبار تلاميذ جدّه، كما أخذ عن مشائخ مصر، له شرح لكتاب التوحيد المسمى: (قرة

كل ما يعبده المشركون من دون الله، وتنفي ما كان بينهم من معبوداهم الموجودة في الخارج بأعياها)[1]

فتبيّن من هذا العرض أنّ قصة نزول أول سورة ﴿صٓ﴾ توضح كلمة التوحيد (لا إله إلاّ الله) بأنّها إخلاص العبادة لله والكفر بما سواه من الآلهة الباطلة

وقصة نزول سورة ﴿صٓ﴾ تُنبِّه على أمر في غاية الأهمّية، وهو أنّ حال كثير من المنتسبين إلى دين الإسلام اليوم (شرٌ مما كان عليه عامة العرب في الجاهلية الأولى من حيث سوء الفهم لمعنى هذه الكلمة الطيبة؛ لأنّ المشركين العرب كانوا يفهمون، ولكنهم لا يؤمنون، أما [هؤلاء المنتسبين إلى الإسلام]، فإنّهم يقولون ما لا يعتقدون، يقولون (لا إله إلاّ الله)، ولا يؤمنون حقاً بمعناها)[2]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك: (فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ماعرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير إعتقاد القلب لشيء من المعاني

والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولايدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى (لاإله إلا الله))[3]

وهذا حال كثير (ممن يدّعي الإسلام بل يدعي العلم، بل يدعي الإمامة في الدين، ...، [و]هذا – ادعاؤه الإسلام – فضلاً عن العلم فضلاً عن الإمامة، ويخفى عليه ذلك

عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين)، وتلخيص لـــكتاب (تيسير العزيز الحميد) المسمى بـــ(التهذيب والتجريد لشرح كتاب التوحيد) المشهور باسم (فتح المجيد)، وتوفي رحمه الله عام ١٢٨٥هـــ. انظر: الدرر السنية (٤٠٤/١٦)، تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (١٧٠٤/٣)

[1] بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية: الجزء الرابع، القسم الأول ص٣٤٥)

[2] التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام (ص١٤) مع شيء من التصرف

[3]كشف الشبهات (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهّاب: ١١٦/٦- القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

الذي بان وظهر لجهال الكفار، هذا في الحقيقة من أعجب العجب؛ بل من أعظم الجهل وأفحش الخطأ)[1]

وقال حفيده الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: (فتباً لمن كان أبو جهل ورأس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه بـــ(لا إله إلا الله)[2]

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: (وفيه أن المشركين عرفوا معناها الذي وضعت له ودلت عليه من إبطال عبادة كل معبود سوى الله)[3].

فيستفاد من قصة نزول أول سورة ﴿ صٓ ﴾ مع حال الأمة اليوم أن الواجب على الدعاة (أن يدندنوا حول هذه الكلمة وحول بيان معناها بتلخيص، ثم بتفصيل لوازم هذه الكلمة الطيبة)[4].

ويُستفاد تفسير التوحيد من قصة وفاة عبد المطلب، وفيه: فقال له: (أي عمِّ، قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله)، فقالا له (أترغب عن ملّة عبد المطلب؟)، فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال: (هو على ملّة عبد المطلب)، وأبى أن يقول: (لا إله إلاّ الله)

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله عند عَدِّه مسائل هذا الحديث:

(الثالثة: وهي المسألة الكبيرة، تفسير قوله: (قل: لا إلـــه إلا الله)؛ بخلاف ما عليه من يدّعي العلم.

الرابعة: أنّ أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل: (قل: لا إلـــه إلاّ الله)؛ فقبّح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام)[5]

---

[1] شرح كشف الشبهات من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص٣٨) مع شيء من التصرف

[2] تيسير العزيز الحميد (ص ٥٧)

[3] بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية: الجزء الرابع، القسم الأول ص٣٤٥)

[4] التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام (ص١٤)

[5] كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٣٧/٦ – القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

فعُلم أنّ كلمة (لا إلـــه إلاّ الله) تستلزم التبرؤ من كل ما يُعبد من دون الله، وعلم المشركون ذلك، وأبو أن يقولوها تعصباً لأكابرهم[١]

وورد في تفسير كلمة التوحيد (لا إله إلاّ الله) حديث عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل، حيث قال ﷺ (يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله)، وفي اللفظ الآخر للحديث: (يا بني فلان، إنّي رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد)، ومجيئ الحديث باللفظين يدلّ على أنّ معنى (لا إلـــه إلاّ الله) ترك عبادة جميع ما يعبد من دون الله، وإخلاصها لله ﷻ دون من سواه.[٢]

وفي رواية أشعث أنّ أبا جهل ردّ على قول النبي ﷺ: (يا أيها الناس، قولوا لا إلـــه إلاّ الله، تفلحوا) قائلاً: (يا أيها الناس، لا يغرنكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى) وهذا يدلّ على أنّ كلمة التوحيد تستلزم ترك كل ما عُبِد من دون الله والتبرؤ منه، كما يدلّ على أنّ المشركين فهموا معنى كلمة التوحيد ومقتضياته بخلاف كثير ممن ينتسب إلى الإسلام في هذه الأزمنة كما تقدم بيانه.

---

[١] انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣٥٧/١، ٣٥٩)

[٢] انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٠٠)

المبحث الثاني:

فضل كلمة التوحيد

وفي ذلك:

١- قول النبي ﷺ في قصة وفاة عمّه أبي طالب: (أي عمِّ، قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله)[١]

٢- وعن ربيعة بن عباد الديلي، وكان جاهلياً أسلم، قال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: (يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا)، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت، يقول: (أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا)[٢]

٣- وعن طارق المحاربي[٣] قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز، وأنا في بياعة أبيعها. قال: فمرّ وعليه جبة له حمراء، وهو ينادي بأعلى صوته: (أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا)، ورجل يتبعه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعُرقُوبَيه[٤]، وهو يقول: أيها الناس، لا تطيعوه فإنّه كذّاب). قال: قلت: (من هذا؟)، قالوا: (هذا غلام بني عبد المطلب)، قلت: (فمن هذا الذي يتبعه، يرميه بالحجارة؟)، قالوا: (عَمُّه عبد العزى) وهو أبو لهب[٥]

---

[١] سورة القصص، الآية: ٥٦، والحديث تقدم تخريجه، ص (٨٧)

[٢] تقدم تخريجه، ص (٣٣٨)

[٣] هو: طارق بن عبد الله المحاربي وهو صحابي نزل الكوفة، له حديثان عن رسول الله ﷺ، وقيل: ثلاثة. انظر: الإصابة (٥١١/٣)

[٤] العُرقُوب: الوَتَرُ الذي خَلْفَ الكَعْبَين بين مَفْصِل القَدَم والسَّاق من ذَوات الأَرْبع وهو من الإنسان فُوَيْقَ العَقِب. النهاية (٢٢١/٣)

[٥] رواه الدارقطني (٤٤/٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٦/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٢/٧)، والحاكم في المستدرك (٦٦٨/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأورده الشيخ الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص ١٤٣)

٤- وعن أشعث، قال: حدثني شيخ من بنى مالك بن كنانة، قال: رأيت ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها، يقول: (يا أيها الناس، قولوا: لا إله الا الله، تفلحوا). قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب، ويقول: (يا أيها الناس، لا يغرنكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى). قال: وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ [(١)]

التعليق:

تقدّم أن كلّمة التوحيد من قالها وعمل بها، يحصل له آثار حميدة ونتائج جميلة، وخير الدنيا والآخرة من ثمرات هذه الكلمة الطيبة[(٢)]

ومن أعظم فضائلها: دخول الجنة وتكفير الذنوب، كما قال النبي ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)[(٣)]

وقال رسول الله ﷺ: (فإنّ الله قد حرّم على النار من قال: (لا إلـــه إلا الله)، يبتغي بذلك وجه الله)[(٤)]

و(لهذه الكلمة إذا قيلت بإخلاص وعمل بمقتضياتها ظاهراً وباطناً آثار حميدة على الفرد والجماعة)[(٥)] في الدنيا والآخرة إضافة إلى ما تقدم وهي كثيرة متنوعة، لا يُحصى

---

(١) تقدم تخريجه، ص (٣٣٨)

(٢) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد (ضمن المجموعة الكاملة لمؤافات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الثالث، العقيدة الإسلامية: ص١١)

(٣) تقدم تخريجه، ص (٢٩٤)

(٤) رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب: المساجد في البيوت (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٦١٨/١)، ومسلم في كتاب المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (صحيح مسلم مع شرح النووي:١٦١/٥ رقم ١٤٩٤)

(٥) معنى لا إلـــه إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع لفضيلة الشيخ صالح الفوزان (ص٤١)

عددها، ومن فضائلها (أنّ أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال: لآ إلـــه إلاّ الله خالصاً من قلبه[1]

ومن أعظم فضائلها أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها وفي ترتب الثواب عليها على [تطبيق هذه الكلمة الطيبة])[2]

ومن فضائل كلمة: (لا إلـــه إلا الله) : حصول الطمأنينة النفسية والإستقرار الذهني والتسلية عن المصائب لمن قالها وعمل بمقتضاها

ومن فوائد هذه الكلمة: اجتماع الكلمة التي ينتج عنها حصول القوة للمسلمين والانتصار على عدوهم

ومنها: توفر الأمن والطمأنينة في المجتمع الموحد الذي يدين بمقتضاها

ومنها: حصول السيادة والاستخلاف في الأرض لأهل (لا إلـــه إلا الله) مع تكفل الله لهم بالفتح والنصر في الدنيا

ومنها: حصول السمو والرفعة لأهلها في الدنيا والآخرة

ومنها: تحرير العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم

ومنها: عصمة المال والدم)[3]

وقد جاء في مرويات العهد المكّي ما يدلّ على عظم فضل قول (لا إلـــه إلا الله) فقصة وفاة أبي طالب يدلّ على بعض فضائل الكلمة الطيبة وهي:

أولاً: دخول الجنة لمن كان (لا إلـــه إلاّ الله) آخر كلامه

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في شرحه لحديث وفاة أبي طالب: (وفي هذا الحديث من فوائد أن من ختم له بلا إلـــه إلا الله، فإنّه يرجى أن يكون من أهل

---

[1] لقول النبي ﷺ: (أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إلـــه إلا الله خالصاً من قلب نفسه) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٤٢٦/١١ رقم ٦٥٧٠)

[2] القول السديد في مقاصد التوحيد (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الثالث، العقيدة الإسلامية: ص١٢) مع تصرف

[3] انظر: المصدر السابق (ص١٢-١٣)، معنى لا إلـــه إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع (ص٤١-٤٦)

الجنة، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (من كان آخر كلامه: (لا إلـــه إلا الله) دخل الجنة)[1]

ثانياً: أنّ من قال (لا إلـــه إلا الله) نفعته الشفاعة لقول النبي ﷺ: (أي عمِّ، قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله)

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله: (فيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته، وأن من مات على التوحيد نفعته الشفاعة وإن لم يعمل شيئاً غير ذلك)[2]

ونفي انتفاع الشفاعة عن أبي طالب هنا نفي انتفاع الشفاعة لدخول الجنة، وإلا فينفعه شفاعة النبي ﷺ أن يخفف عنه العذاب بالنسبة لغيره، فإنّ النبي ﷺ ذُكر عنده أبو طالب فقال: (لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضحضاح[3] من النار، يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه)[4]

---

[1] التعليق على صحيح مسلم (١٦١/١)

[2] تيسير العزيز الحميد (ص٢٦١) وقوله رحمه الله: (وإن لم يعمل شيئاً غير ذلك)، يُقيَّد بمن قالها عند الموت لأنّ السياق يدلّ على ذلك، ولا يُفهم منه أنّ من نطق بالشهادتين ويقر بالفرائض، لكنه ترك جميع العمل الظاهر بالكلّية بدون عذر شرعي لا يعمل شيئاً البتة، أنّه يُحكم بإسلامه ولا يُحكم بكفره، فإنّ هذا خلاف ما ذهب إليه أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله من تكفير تارك الصلاة كسلاً من غير جحود (انظر: الدرر السنية ٢٠٠/٤-٢٠٤) ولأنّه خلاف معتقد أهل السنة والجماعة (انظر: شرح حديث جبريل لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٥٥٦، ٥٧٧، مسائل في الإيمان لفضيلة الشيخ صالح الفوزان ص٢١، ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي للشيخ الدكتور سفر الحوالي ٦٣٥/٢-٧٤٦)

[3] الضّحضاح في الأصل: ما رقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار. النهاية (٧٥/٣)

[4] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٣٢/٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٨٠/٣ رقم ٥١٢)

ثالثاً: من قال كلمة (لا إلـــه إلا الله) يُحكم بإسلامه ويُجرى عليه أحكام الإسلام ولو قالها عند الموت ما لم يشرع في النزع

ولذلك بوّب النووي على حديث وفاة أبي طالب بقوله: (باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة)[1]

وقال الشخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله في شرحه لحديث وفاة أبي طالب: (فيه دليل على أن الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته، وأن من مات على التوحيد نفعته الشفاعة وإن لم يعمل شيئاً غير ذلك، **وأنّ من كان كافراً يجحدها إذا قالها عند الموت أجريت عليه أحكام الإسلام**، فإن كان صادقاً نفعته عند الله وإلا فليس لنا إلا الظاهر)[2]

---

[1] صحيح مسلم مع شرح النووي (٣/١٦١)

[2] تيسير العزيز الحميد (ص٢٦١)

المبحث الثالث:

الإتيان بكلمة التوحيد أوّل واجب على المكلّف

وفي ذلك:

١- قصة عمرو بن عبسة، قال: (بأي شيء أرسلك؟) فقال رسول الله ﷺ: (بأن يُوَحَّد الله ولا يُشرَك به شيء، وكسر الأوثان وصلة الرحم)[١]

٢- عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: إن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: (هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح)، قال: (ما هي؟)، قالوا: (تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة)، قال: (حتى أنظر ما يأتي من عند ربي)، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[٢] السورة، وأنزل الله ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[٣]

٣- قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ، التي قرأ فيها النبي ﷺ آيات من سورة فصلت[٤]، وهذه الآيات تضمنت قول الله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[٥]

---

[١] رواه الإمام أحمد في المسند (١١٢/٤)، وصححه شعيب الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيق المسند (٢٣٧/٢٨)

[٢] سورة الكافرون: ١

[٣] سورة الزمر: ٦٤-٦٦، والحديث رواه الطبري في تفسيره (٣٣١/٣٠)، والطبراني في المعجم الصغير (٤٤/٢)، وضعف إسناده الباحث عادل عبد الغفور في دراسة مرويات العهد المكي ص٦٢٩

[٤] انظر: ص (٤٠-٤٢)

[٥] سورة فصلت: ١٤

٤- في حديث أبي موسى ﷺ في الهجرة إلى الحبشة: قال جعفر: (لا نسجد إلا لله)، فقال له النجاشي: (وما ذاك؟)، قال: (إن الله بعث فينا رسوله وهو الرسول الذي بشر به عيسى برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله **ولا نشرك به شيئاً،** ونقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وأَمَرَنا بالمعروف ونهانا عن المنكر)[1]

٥- قول جعفر بن أبي طالب[2] في حديث أم سلمة في الهجرة إلى الحبشة: (أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسبي الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان) وقوله (وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً)[3]

٦- في حديث عبد الله بن مسعود في الهجرة إلى لحبشة: قال جعفر: (إنّ الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله ﷻ، وأمرنا بالصلاة والزكاة)[4]

٧- عن بن عباس رضي الله عنهما قال: مرض أبو طالب، فأتته قريش، وأتاه رسول الله ﷺ يعوده، وعند رأسه مقعد رجل، فقام أبو جهل فقعد فيه، فقالوا: (إن ابن أخيك يقع في آلهتنا)، قال: (ما شأن قومك يشكونك؟)، قال: (يا عم، أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي العجم إليهم الجزية)، قال: (ما هي؟)، قال: (لا إله الا الله)، فقاموا، فقالوا: (أجعل الآلهة إلـــهاً واحداً؟). قال: ونزل ﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِى ٱلذِّكۡرِ ﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىۡءٌ عُجَابٌ ﴾ [5]

---

[1] تقدم تخريجه، ص (١١٤)

[2] تقدم ترجمته، (ص١١٣)

[3] تقدم تخريجه، ص (١١٩)

[4] تقدم تخريجه، ص (١٥٤)

[5] تقدم تخريجه، ص (٣٣٧)

٨- قول النبي ﷺ في قصة وفاة عمّه أبي طالب: (أي عمِّ، قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله)[١]

٩- وعن ربيعة بن عباد الدِئَلي، وكان جاهلياً أسلم، قال: رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: (يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا)، ويدخل في فجاجها والناس منقصفون عليه، فما رأيت أحداً يقول شيئاً وهو لا يسكت، يقول: (أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا)[٢]

١٠- وعن طارق المحاربي قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز، وأنا في بياعة أبيعها. قال: فمرّ وعليه جبة له حمراء، وهو ينادي بأعلى صوته: (أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا)، ورجل يتبعه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: (يا أيها الناس، لا تطيعوه فإنّه كذّاب). قال: قلت: (من هذا؟)، قالوا: (هذا غلام بني عبد المطلب)، قلت: (فمن هذا الذي يتبعه، يرميه بالحجارة؟)، قالوا: (عَمُّه عبد العزى) وهو أبو لهب[٣]

١١- وعن أشعث، قال: حدثني شيخ من بنى مالك بن كنانة، قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها، يقول: (يا أيها الناس، قولوا: لا إله الا الله، تفلحوا). قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب، ويقول: (يا أيها الناس، لا يغرنكم هذا عن دينكم، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم وتتركوا اللات والعزى). قال: وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ[٤]

١٢- قول النبي ﷺ في بيعة العقبة الثانية: (أما الذي أسألكم لرَبّي، فتعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأما الذي أسألكم لنفسي، فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم)[٥]

---

[١] سورة القصص: ٥٦، والحديث تقدم تخريجه، ص (٨٧)

[٢] تقدم تخريجه، ص (٣٣٨)

[٣] تقدم تخريجه، ص (٣٤٥)

[٤] تقدم تخريجه، ص (٣٣٨)

[٥] تقدم تخريجه، (ص٢٣٨)

التعليق:

إنّ أول واجب على المكلّف هو الإتيان بكلّمة التوحيد، بالتبرؤ من عبادة كل من سوى الله، وإخلاصها له وحده لا شريك له

وهو أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام

كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [(١)]

وقال: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [(٢)]

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في تفسير هذه الآية: (هذه الآية هي معنى: (لا إله إلاّ الله) فإنّها تضمنت النفي والإثبات كما تضمنته (لا إلـه إلاّ الله)، وفي قوله: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ الإثبات، وفي قوله: ﴿ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ النفي، فدلّت الآية على أنّه لا بدّ في الإسلام من النفي والإثبات، فيثبت العبادة لله وحده، وينفي عبادة ما سواه)[(٣)]

فكان دعوة الرسل إلى ركني (لا إلـه إلاّ الله): نفي العبادة عما سوى الله، وإثباتها لله وحده لا شريك له.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن، قال له: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى (وفي رواية: إلى شهادة أن لا إلـه إلاّ الله وأنّي رسول الله) فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم)[(٤)]

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٥

(٢) سورة النحل: ٣٦

(٣) تيسير العزيز الحميد (ص٣٤)

(٤) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٣٥٩/١٣ رقم٧٣٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٤٧/١ رقم ١٢١)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن أول ما أوجبه الله على لسان رسوله هو الاقرار بالشهادتين كما قال النبي ﷺ لمعاذ ابن جبل لما بعثه إلى اليمن)[1] وذكر الحديث

وعلّق الإمام ابن القيم على هذا الحديث فقال: (ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم)[2]

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: (فيه دليل على أنّ التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه هو أول واجب، فلهذا كان أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام)[3]

وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع على أنّ أول ما يدعَى إليه الكافر الشهادتين، فقال: (وهذا مما اتفق عليه أئمة الدين وعلماء المسلمين فإنهم مجمعون على ما علم بالاضطرار من دين الرسول أن كل كافر فإنه يدعى إلى الشهادتين سواء كان معطلاً أو مشركاً أو كتابياً وبذلك يصير الكافر مسلماً ولا يصير مسلماً بدون ذلك)[4]

وما تقدم إيراده من مرويات العهد المكّي تدلّ على أنّ أول واجب على العبد الإتيان بكلّمة التوحيد، بنفي الإلـــهية عن غير الله وإثباتها لله وحده لا شريك له.

أمّا حديث عمرو بن عبسة السلمي فالشاهد منه في قول رسول الله ﷺ: (بأن يُوَحَّد الله ولا يُشرَك به شيء، وكسر الأوثان وصلة الرحم)، مجيباً على سؤال عمرو بن عبسة: (بأي شيء أرسلك؟)

وقد علّق على هذا الحديث الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، فقال: (وفيه من العبر أيضاً أنّه لما قال: (أرسلني الله)، قال: (بأي شيء أرسلك؟)، قال: (بكذا وكذا)،

---

[1] الاستقامة (١٤٢/١)

[2] مدارج السالكين (٤٣٢/٤)

[3] تيسير العزيز الحميد (ص١٠١)

[4] درء تعارض العقل والنقل (٧/٨)

فتبيّن أن زبدة الرسالة الإلـــهية والدعوة النبوية هي توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وكسر الأوثان)[١]

فعُلِم أنّ خلاصة دعوة الرسل الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة من سواه، فهو أوّل واجب على العبد.

وأمّا نزول سورة الكافرون فوجه دلالته أنّ السورة تتضمن معنى (لا إلـــه إلاّ الله)، لأنّها تتضمن نفي عبادة ما سوى الله، وإثباتها له وحده لا شريك له[٢]، وقد أمر الله تعالى رسوله في هذه السورة ﷺ بم يخاطب الكفار[٣]، وإذا وَجَب على النبي ﷺ أن يخاطب الكفار بالتوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده، والتبرؤ من عبادة غيره، الّذي هو معنى (لا إلـــه إلاّ الله)، دلّ ذلك على أنّ أول واجب على العبد الإتيان بكلّمة التوحيد.

والشاهد في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ في قرآءة النبي ﷺ لقول الله تعالى: ﴿ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: (﴿ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ ﴾ أي: يتبع بعضهم بعضاً متوالين، ودعوتهم جميعاً واحدة ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ أي: يأمرون بالإخلاص لله، وينهون عن الشرك به)[٤]

فالآية تدلّ على أنّ دعوة جميع الرسل إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، وهو أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [٥]

---

[١] المفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهّاب: ١٩٩/٦-٢٠٠- القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

[٢] انظر: تفسير ابن كثير (٥٠٧/٨-٥٠٨)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٤)

[٣] انظر: فتح القدير (٦٨٢/٥-٦٨٣)

[٤] تيسير الكريم الرحمن (١٥٦٧/٤)

[٥] سورة الأنبياء: ٢٥

وقال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [١]

فهو أول واجب على المكلف[٢]

وأمّا حديث الهجرة الحبشية فالشاهد في قول جعفر للنجاشي: (إن الله بعث فينا رسوله وهو الرسول الذي بشر به عيسى برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، **فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً**)، وقوله في رواية: (بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، **فدَعَانا إلى الله تعالى لنُوَحِّدَه ونَعبُدَه، ونَخلَعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان**)، وقوله في رواية أخرى: (إنّ الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله ﷻ)

ويستفاد من هذا أنّ دعوة النبي ﷺ إلى قومه كانت الدعاء إلى إخلاص العبادة لله وحده، وخلع كل ما يُعبد من دون الله ﷻ، وهذا معنى (لا إلـــه إلاّ الله)، وهذا يدلّ على أنّ أول واجب على المكلّف الإتيان بكلمة التوحيد

وأمّا حديث نزول سورة ﴿ صٓ ﴾ ، فالشاهد منه في قول النبي ﷺ (يا عم، أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي العجم إليهم الجزية)، قال: (ما هي؟)، قال: (لا إله الا الله).

هذا يدلّ على أنّ دعوة النبي ﷺ هي الدعوة إلى الإتيان بكلمة (لا إلـــه إلاّ الله) وهو أوّل ما كان يدعوا إليه ﷺ، فهو أول واجب على المكلف

وقصة وفاة أبي طالب كذلك تدلّ على أنّ الإتيان بكلمة التوحيد أول واجب على العبد، والشاهد في قول النبي ﷺ: (أي عمِّ، قل: لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله)، حيث دعاه إلى كلمة التوحيد، ولم يَدْعُهُ إلى النظر أو القصد إلى النظر أو غيره من الأمور التي زعم المتكلّمون أنّها أول واجب على المكلّف.

وهكذا طواف النبي ﷺ على القبائل قائلاً: (قولوا: لا إلـــه إلاّ الله)، لم يدعُهم إلى النظر أو القصد إلى النظر أو الشك وإنّما دعاهم إلى الإتيان بكلمة التوحيد مما يدل على أن الإتيان بكلمة التوحيد أول واجب على المكلّف.

---

[١] سورة النحل: ٣٦

[٢] انظر: تيسير العزيز الحميد (ص١٠١)

الفصل الثالث:

أنواع العبادات التي ورد ذكرها في مرويات العهد المكّي

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العبادات القلبية

المبحث الثاني: العبادات القولية

المبحث الثالث: العبادات العملية

المبحث الأوّل:

العبادات القلبية

أولاً: -التوكل

فيه قول النبي ﷺ في قصة إسلام ضماد[1] في رواية: (ونؤمن به ونتوكل عليه)[2]

التعليق:

(التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى لأنّه من أفضل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد، بل لا يقوم به على وجه الكمال إلاّ خواص المؤمنين)[3]

وهو اعتماد العبد بقلبه على الله تعالى وثقته به، واعتقاده أنّه كافيه مع الأخذ بالأسباب[4]

قال الله ﷻ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [5]

وقال ﷻ لنبينا محمد ﷺ: ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴾ [6]

---

[1] تقدم ترجمته، (ص٨٦)

[2] دلائل البيهقي (٢٢٤/٢)، وأصله في صحيح مسلم كما تقدم. انظر: ص (٨٦)

[3] تيسير العزيز الحميد (ص ٤٣٧)

[4] انظر: تيسير العزيز الحميد (ص٣٤٧)، معارج القبول (٥٥٢/٢-٥٥٣)، شرح كتاب التوحيد للشيخ ابن باز (ص١٧٧)

[5] سورة المائدة: ٢٣

[6] سورة النمل: ٧٩

وقد ورد ذكر هذه العبادة في قول النبي ﷺ في قصة إسلام ضماد: (ونؤمن به ونتوكل عليه)، وقد عطف النبي ﷺ التوكل على الإيمان عطف الخاص على العام فالتوكل من الإيمان، فهو نوع من أنواع العبادة[1].

ثانياً:- الحب والرجاء الخوف والخشية

وفي ذلك:

١- قول ابن مسعود ﵁: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفراً من الجنِّ، فأسلم النّفر من الجنّ، واستمسك النّاس بعبادهم فنزلت: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[2]

٢- قول رسول الله ﷺ: (ليلة أسري بي مررت على جبريل في الملأ الأعلى كالحِلْسِ البالي[3] من خشية الله ﷻ)[4]

---

[1] كثير ما تُعطف أنواع العبادات على اسم العبادة في القرآن ليقصدها المتعبد بخصوصها. انظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٥٣-٥٧)

[2] سورة الإسراء: ٥٧، والحديث تقدم تخريجه، ص (٢٣٥)

[3] تقدم شرحه، (ص١٨٢)

[4] تقدم تخريجه، ص (١٨٢)

التعليق:

الحب والرجاء والخوف والخشية من العبادات القلبية

قال الله تعالى في المحبة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [1]

وقال سبحانه في الرجاء: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [2]

وقال الله في الخوف: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [3]

وقال ﷻ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [4]

وقال جلّ وعلا في الخشية: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ [5]

وقال سبحانه في مدح عباده المؤمنين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾ [6]

والخشية أخص من الخوف فهي: (الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه)[7]

وقد ورد جمع العبادات القلبية الثلاث التي عليها مدار العبودية: الحب، والخوف، والرجاء في مرويات العهد المكّي في خبر ابن مسعود ﷺ المتقدم الّذي كانت القضية الواردة فيه سبباً لنزول قول الله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾

---

[1] سورة البقرة: ١٦٥

[2] سورة الكهف: ١١٠

[3] سورة آل عمران: ١٧٥

[4] سورة الرحمن: ٤٦

[5] سورة البقرة: ١٨٥

[6] سورة المؤمنون: ٥٧

[7] شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص ٦٠)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: (أخبر تعالى عن خواص عباده الذين كان المشركون يزعمون أنهم يتقربون بهم إلى الله تعالى : أنهم كانوا راجين له خائفين منه فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [1]

يقول تعالى: هؤلاء الذين تدعوهم من دوني: هم عبادي، يتقربون إلي بطاعتي، ويرجون رحمتي، ويخافون عذابي؛ فلماذا تدعوهم من دوني؟ فأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم : من الحب والخوف والرجاء)[2]

وقال رحمه الله: (فابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب منه بالعبودية والمحبة، فذكر مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه: الحب، والخوف، والرجاء)[3]

فبيّن رحمه الله أنّ الله جمع بين أنواع العبادة الثلاثة التي عليها مدار الإيمان والعبودية في هذه الآية.[4]

كما جاء ذكر الخشية مفرداً في حديث الإسراء والمعراج في قول النبي ﷺ: (ليلة أسري بي مررت على جبريل في الملأ الأعلى كالحِلْسِ البالي من خشية الله ﷻ) فذكر ﷺ أنّ الخشية من صفات الملائكة المقربين، ومن عباداتهم.

ثالثاً- الصبر

وفيه قول النبي ﷺ: (صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)[5]

---

[1] سورة الإسراء: ٥٦-٥٧

[2] مدارج السالكين (٢/٢٢٦)

[3] المصدر السابق (٢/٢١٦)

[4] انظر كذلك: المصدر السابق (٣/٤٥٧، ٦٥٢)

[5] المستدرك (٣/٤٣٢)، قال الألباني في حاشية فقه السيرة: (حسن صحيح)

التعليق:

الصبر من أنواع العبادة التي أمر الله عباده بها

قال جلّ وعلا: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [1]

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [2]

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ – رحمه الله – في بيان فضل الصبر، ومكانته، ومشروعيته، والحكمة في الأمر به: (قضى [الله] أن يبتلي النوع الانساني بالأوامر والنواهي والمصائب التي قدرها عليهم، أمرهم بالصبر على ذلك، وافترضه عليهم تسلية لهم وتقوية على ذلك، وَوَعَدَهم عليه الثواب بغير حساب كما قال: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [3] فعلى هذا يكون الصبر ثلاثة أنواع: صبر على المأمور، وصبر على المحظور، وصبر على المقدور، ويشملها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٤٢ ﴾ [5]، ولما كان الصبر لا يحصل إلا بالله؛ كما قال: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [6]، ارشد تبارك وتعالى إلى الجمع بينهما، وقال تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [7])[8]

---

(1) سورة غافر: ٥٥

(2) سورة العصر: ١-٣

(3) سورة الزمر: ١٠

(4) سورة الرعد: ٢٢

(5) سورة النحل: ٤٢

(6) سورة النحل: ١٢٧

(7) سورة الطور: ٤٨

(8) تيسير العزيز الحميد (ص٤٥١-٤٥٢)

وورد ذكر هذه العبادة التي هي (حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله)[1] في قول النبي ﷺ: (صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)، فقد أمر ﷺ آل ياسر في هذا الحديث بالصبر على الأذى الشديد الّذي لقوه من المشركين، وبيّن ثواب هذا الصبر الذي هو الجنة، فأمر النبي ﷺ بالصبر، وذكره ﷺ أنّه مثاب عليه يدلّ على أنّ الصبر نوع من أنواع العبادة.

[1] شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص ٢٤)

المبحث الثاني:

العبادات القولية

أولاً- الاستعاذة

وفي ذلك:

١- قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ [١] التي قرأ فيها النبي ﷺ آيات من سورة فصّلت، ومن تلك الآيات قول الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [٢]

٢- قول الرسول ﷺ في قصة إسلام ضماد:(ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا)[٣]

---

[١] انظر: ص (٤٠-٤٢) من الرسالة

[٢] سورة فصلت: ٣٦

[٣] تقدم تخريجه، ص (٣٥٨)

التعليق:

من أنواع العبادة: الاستعاذة وهي: طلب الإعاذة من مكروه[1]

ولهذا أمر الله بالاستعاذة به في غير آية من القرآن[2]

قال الله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [3]

وقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [4]

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [5]

وقال جلّ وعلا: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [6]

وقد ورد الأمر بالاستعاذة في مرويات العهد المكّي في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ، لقرآءة النبي ﷺ، سورة فصلت من أول السورة إلى السجدة فيها، وتضمنت الآيات التي تلاها ﷺ قول الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

كما ورد ذكر هذه العبادة في قصة إسلام ضماد في قول النبي ﷺ: (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا)

---

[1] انظر: شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص٦٣-٦٥)

[2] انظر: تيسير العزيز الحميد ص (١٧٥)

[3] سورة المؤمنون: ٩٧-٩٨

[4] سورة غافر: ٥٦

[5] سورة الفلق: ١

[6] سورة الناس: ١-٣

ثانياً– الاستعانة

وفي ذلك قول النبي ﷺ في قصة إسلام ضماد: (إن الحمد لله نحمده ونستعينه...)[1]

التعليق:

(من أنواع العبادة الاستعانة، وهي طلب العون من الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[2]

أي: لا نعبد إلاّ إيّاك ولانستعين إلا بك)[3]

وقال تعالى عن نبيّنا محمد ﷺ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[4]

وقال رسول الله ﷺ: (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله)[5]

وقد ورد تقرير هذه العبادة في مرويات العهد المكّي في قول النبي ﷺ في قصة إسلام ضماد: (إن الحمد لله نحمده ونستعينه).

---

[1] تقدم تخريجه، ص (٨٦)

[2] سورة الفاتحة: ٥

[3] معارج القبول (٥٦٢/٢)

[4] سورة الأنبياء: ١١٢

[5] رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة (٦٦٧/٤ رقم ٢٥١٦)، والإمام أحمد في المسند (٢٩٣/١)، والحاكم في المستدرك (٦٢٣/٣)، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح)، وصححه الشيخ الألباني في ظلال الجنة (١-١٣٨/٢ رقم ٣١٦)

ثالثاً- الاستغفار

وفي ذلك قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ التي قرأ فيها النبي ﷺ آيات من سورة فصلت[1]، من ضمنها قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾[2]

التعليق:

الاستغفار طلب المغفرة من الله[3] وهو نوع من أنواع العبادة، التي أمر الله بها قال الله ﷻ: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4]

وقال تبارك وتعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾[5]

وورد الأمر بهذه العبادة في مرويات العهد المكّي في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ، حيث قرأ فيها النبي ﷺ آيات من سورة فصلت التي تضمنت قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ﴾

---

[1] انظر: (٤٠-٤٢) من هذه الرسالة

[2] سورة فصلت: ٦

[3] انظر: فتح الباري (٤٧٩/١٣-٤٨٠)

[4] سورة البقرة: ١٩٩

[5] سورة محمد: ١٩

رابعاً:- التسبيح

وفي ذلك:

١- قرآة النبي ﷺ آيات من سورة فصلت على عتبة بن ربيعة[١]، التي تضمنت قول الله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴾ [٢]

٢- حديث مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وفيه قول البراء بن عازب – رضي الله عنهما: ..قَدِمَ النبي ﷺ، فما رأيتُ أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ، حتى جعل الإماء يَقُلنَ: (قَدِمَ رسول الله ﷺ)، فما قَدِمَ حتى قَرَأتُ: ﴿ سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴾ [٣]

---

[١] انظر: (ص٤٠-٤٢) من هذه الرسالة

[٢] سورة فصلت: ٣١

[٣] سورة الأعلى:١، والحديث تقدم تخريجه، (ص٢٢٨)

التعليق:

من العبادات القولية التي شرعها لعباده تسبيحه ﷻ الذي يتضمن تعظيمه ﷻ، وتنزيهه عن العيوب والنقائص[١]

وقد أمر الله عباده بتسبيحه (أول النهار وآخره وفي أوقات الليل وأدبار الصلوات)[٢] فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ [٣]

وقد ورد ذكر هذه العبادة في مرويات العهد المكي في قرآة النبي ﷺ آيات من سورة فصلت على عتبة بن ربيعة، التي تضمنت قول الله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ حيث وصف الله الملائكة المقربين بهذه العبادة

كما ورد ذكر التسبيح والأمر به في حديث وصول رسول الله ﷺ مع أصحابه إلى المدينة، لورود قرآءة البراء بن عازب رضي الله عنه لقول الله تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾

خامساً:- التكبير

وفي ذلك نزول أول سورة المدثر[٤]، وضمن الآيات التي نزلت قول الله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [٥]

---

[١] انظر: مجموع الفتاوى (١٤٤/١٧)

[٢] تيسير الكريم الرحمن (١٧٠٤/٤)

[٣] سورة ﴿ قٓ ﴾: ٣٩-٤٠

[٤] تقدم تخريجه، (ص٢٣٤)

[٥] سورة المدثر: ٣

التعليق:

التكبير الّذي هو (وصف الله سبحانه بالكبرياء والعظمة، وبأنّه أكبر من أن يكون له شريك كما يعتقده الكفار)[1] عبادة من العبادات القولية التي أمر الله بها في كتابه العزيز.

قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [2]

وقد ورد الأمر بهذه العبادة في مرويات العهد المكّي في نزول أول سورة المدثر لورود قول الله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ في الآيات التي نزلت، وذكر المفسرون أنّ معنى ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ : (اختَص سَيِّدَك، ومالكك، ومصلح أمورك بالتكبير، وهو: وصفه سبحانه بالكبرياء والعظمة، وأنه أكبر من أن يكون له شريك كما يعتقده الكفار، وأَعظِم من أن يكون له صاحبة أو ولد)[3]

<u>سادساً</u>:- الحمد والشكر

وفي ذلك:

١- قول النبي ﷺ في قصة إسلام ضماد: (إن الحمد لله نحمده..)[4]

---

[1] فتح القدير (٤٢٩/٥) مع تصرف يسير

[2] سورة الإسراء: ١١١

[3] فتح القدير (٤٢٩/٥)

[4] تقدم تخريجه، ص (٨٦)

٢- عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: إن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: (هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح)، قال: (ما هي؟)، قالوا: (تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة)، قال: (حتى أنظر ما يأتي من عند ربي)، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [١] السورة، وأنزل الله ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [٢]

التعليق:

الحمد والشكر من أنواع العبادة التي أمر الله بها

(الحمد هو: الإخبار بمحاسن المحمود مع المحبة له)[٣]

والشكر حقيقته في العبودية: (ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناء واعترافاً، وعلى قلبه: شهوداً ومحبة، وعلى جوارحه: انقياداً وطاعة)[٤]

(والفرق بينهما: أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب

ومعنى هذا: أن الشكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناء واعترافاً وبالجوارح طاعة وانقياداً، ومتعلقه: النعم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمود عليها، كما هو محمود على إحسانه وعدله، والشكر يكون على الإحسان والنعم

---

[١] سورة الكافرون: ١

[٢] سورة الزمر: ٦٤-٦٦، والحديث تقدم تخريجه، ص (٣٥٠)

[٣] جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٥٧)

[٤] مدارج السالكين (٢/٥٧٥)

فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس، فإن الشكر يقع بالجوارح والحمد يقع بالقلب واللسان)[١]

وقد أمر الله عباده أن يحمدوه وأن يشكروه

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢]

قال المفسرون إن هذه الآية خبر بمعنى أمر[٣]

وقال ﷻ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ [٤]

وقال الله ﷻ: ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [٥]

وقال جلّ وعلا: ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [٦]

وورد تقرير هذه العبادة في مرويات العهد المكّي في قول النبي ﷺ في قصة إسلام ضماد: (إنّ الحمد لله نحمده ..)

كما ورد الأمر بالشكر في الحديث المتضمن سبب نزول سورة الكافرون وقول الله تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

---

[١] المصدر السابق (٢/٥٧٩-٥٨٠)

[٢] سورة الفاتحة: ٢

[٣] تفسير الطبري (١/٦١)، تفسير ابن كثير (١/١٢٨)

[٤] سورة النمل: ٩٣

[٥] سورة البقرة: ١٥٢

[٦] سورة النحل: ١١٤

سابعاً:- الدعاء

وفي ذلك:

١- قصة إسلام سلمان الفارسي ﷺ: فقلت: لا والله ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قومٌ يعبدون الله، **ويدعونه** ويصلّون له، ونحن نعبد ناراً نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت[1]

٢- قول ابن مسعود: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفراً من الجنِّ، فأسلم النّفر من الجنّ، واستمسك النّاس بعبادتهم فنزلت: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [2]

٣- جميع الأحاديث الواردة في إجابة الله دعوات النبي ﷺ كدعائه ﷺ لهداية عمر بن الخطاب ﷺ ودعائه على المستهزئين.[3]

---

[1] تقدم تخريجه، ص (١٥٠)، واللفظ ليونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق

[2] سورة الإسراء:٥٧، والحديث تقدم تخريجه، ص(٢٣٥)

[3] انظر: ص (٨١) وما بعدها من هذه الرسالة

التعليق:

الدعاء من أجلّ العبادات وهو أعلى مقامات العبودية وهو لب العبادة، والعبودية تظهر في الدعاء أكثر مما تظهر في غيره من العبادات، ويجتمع فيه من أنواع التعبد ما لا يجتمع في غيره، ولهذا أُطلق لفظ الدعاء على العبادة نفسها في القرآن[1]

والدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة

فدعاء المسألة طلب الداعي ما ينفعه، وطلب كشف ما يضرّه

وأما دعاء العبادة فهو أن يتعبد به لله طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه

ويراد بالدعاء في القرآن دعاء المسألة تارة ودعاء العبادة تارة ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان فدعاء العبادة يستلزم دعاء المسألة، ودعاء المسألة يتضمن دعاء العبادة[2]

وقد أمر الله تعالى بالدعاء في كتابه فقال: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [3]

وقال النبي ﷺ: (الدعاء هو العبادة)[4]

وقد ورد تقرير هذه العبادة في مرويات العهد المكّي في قصة إسلام سلمان رضي الله عنه في قول سلمان رضي الله عنه: (لا والله ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قومٌ يعبدون الله، **ويدعونه** ويصلّون له، ونحن نعبد ناراً نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت)

---

[1] انظر: تصحيح الدعاء ص (١٧) لفضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد شفاه الله

[2] انظر: مجموع الفتاوى (١٥/١٠-١١)، بدائع الفوائد (٢/٨٣٥-٨٣٦)، تيسير العزيز الحميد ص (١٨٠-١٨١)، شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص٥٦)، تصحيح الدعاء ص (١٧-١٨)

[3] سورة غافر: ٦٠

[4] رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء (٢/١٠٩ رقم ١٤٧٩)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة المؤمن (٥/٣٧٤-٣٤٥ رقم ٣٢٤٧)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء (٤/٢٦٢ رقم ٣٨٢٨)، والإمام أحمد في المسند (٤/٢٧١)، والحاكم في المستدرك (١/٦٦٧)، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح)، وصححه الحاكم، وقال الشيخ الألباني في صحيح الجامع (١/٦٤١ رقم ٣٤٠٧): (صحيح)

وقد استدلّ سلمان ﷺ على أنّ دين النصارى الّذين مرّوا بهم خير من دين المجوس بأنّهم يعبدون الله ويوجهون الدعاء إليه بخلاف المجوس الذين عبدوا النار، والعطف في قوله (ويدعونه) على قوله (هؤلاء قوم يعبدون الله) عطف الخاص على العام، فالدعاء نوع من أنواع العبادة

وأمّا قصة إسلام الجن فالشاهد فيه في نزول قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾

من معاني ﴿ يَبۡتَغُونَ ﴾ : يطلبون[1]، ومن معاني ﴿ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ : الحاجة، وتقديم الجار والمجرور على لفظ ﴿ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ في قول الله تعالى: ﴿ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ يفيد الحصر والقصر أو الاختصاص، ففي الآية الكريمة الثناء على خاصة عباد الله وذلك أنّهم طلبوا حوائجهم من الله وحده دون من سواه[2]، وذلك يدلّ على أنّ الدعاء عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى

وفي الأخبار الواردة في إجابة دعوات النبي ﷺ تحقيق لقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾

---

[1] انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١٤٩)

[2] انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد ص(٧٩-٨٠)

المبحث الثالث:

العبادات العملية

أولاً:- الذبح

وفي ذلك:

١- أنّ النّبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدَح[١] قبل أن ينْزل على النبي ﷺ الوحيُ، فقُدِّمَت إلى النبي ﷺ سفرة، فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: (إني لستُ آكل مما تذبحون على أنصابكم ولاآكل إلاّ ما ذُكِر اسمُ الله عليه). وأنّ زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: (الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثمّ تذبحونها على غير اسم الله!) إنكاراً لذلك وإعظاماً له[٢]

٢- حديث زيد بن حارثة في بحث زيد بن عمرو بن نفيل عن الدين، وحواره مع النبي ﷺ، وفيه: ..فأناخ رسول الله ﷺ البعير الذي تحته، ثم قدمنا إليه السفرة التي كان فيها الشواء، فقال: (ما هذا؟) فقلنا: (هذه شاة ذبحناها لنصب كذا وكذا)، فقال: (إني لا أكل شيئاً ذُبِح لغير الله)، ثمّ تفرّقا[٣]

٣- حديث زيد بن عمرو من نفيل وورقة بن نوفل والتماسهما لدين وفيه قول زيد بن عمرو للنبي ﷺ: (يا بن أخي إنا لا نأكل مما ذبح على النصب)[٤]

---

[١] تقدم التعريف به، (ص٩٢)

[٢] تقدم تخريجه، ص (٣٨)

[٣] تقدم تخريجه، ص (٩٣)

[٤] تقدم تخريجه، ص (٩٥)

التعليق:

الذبح في الشرع إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص وإذا قُصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهو عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ﷻ [١]

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [٢]

و(النسك): الذبح[٣]

وقال تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [٤]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين، وهما: الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والإفتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته وأمره وفضله وخلفه، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة فى صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر وتركاً لإعانة الفقراء وإعطائهم وسوء الظن منهم بربهم ولهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ والنسك هي الذبيحة إبتغاء و جهه، والمقصود أن الصلاة و النسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب لأن فعل ذلك وهو الصلاة والنحر سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله إياه من الكوثر والخير الكثير، فشُكر المنعم عليه وعبادتُه أعظمها هاتان العبادتان بل الصلاة نهاية العبادات وغاية الغايات، كأنه يقول: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ الخير الكثير وأنعمنا عليك بذلك لأجل قيامك لنا بهاتين العبادتين شكراً لإنعامنا عليك)، وهما السبب لإنعامنا عليك بذلك فقم لنا بهما فإن الصلاة والنحر محفوفان بإنعام قبلهما وإنعام بعدهما، وأجل العبادات المالية النحر، وأجل العبادات البدنية الصلاة، وما يجتمع للعبد فى الصلاة لا يجتمع له فى غيرها من سائر العبادات كما عرفه أرباب القلوب

---

[١] انظر: شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص٦٦)

[٢] سورة الأنعام: ١٦٢

[٣] انظر: تفسير الطبري (٤٢٠/٥)

[٤] سورة الكوثر: ٢

الحية وأصحاب الهمم العالية، وما يجتمع له فى نحره من إيثار الله وحسن الظن به وقوة اليقين والوثوق بما فى يد الله أمر عجيب، إذا قارن ذلك الإيمان والإخلاص، وقد إمتثل النبى ﷺ أمر ربه، فكان كثير الصلاة لربه كثير النحر)[1]

فبيّن رحمه الله عظم مكانة الذبح من بين سائر العبادات، كما بيّن أنّه أجل العبادات المالية لما يجتمع فيه من أنواع العبادة كالخضوع لله تعالى، والشكر له ﷻ، وحسن الظن به، والتوكل عليه.

وقد ورد الإنكار على الذبح لغير الله، وعلى الذبح باسم غير الله في قصة زيد بن عمرو بن نفيل وبحثه عن الدين الحنيف، حيث ورد فيه إنكاره على مشركي مكة ذبائحهم، وذلك لأنّهم كانوا يذبحون الشاة على غير اسم الله، وحيث ورد فيه امتناع النبي ﷺ عن أكل ما ذُبح لغير الله، وما ذُبح على النصب، مما يدلّ على أنّ الذبح إذا وقع على جهة التقرب والتذلل والتعظيم عبادة يجب أن تكون لله وحده لا شريك له، كما يجب أن يسمى الله على الذبيحة.

ويُستفاد من هذا أن الذبح ينظر فيه إلى أمرين:

الأمر الأول: التسمية، فلا يجوز الذبح على غير اسم الله تعالى، ولا يجوز أكل ما ذبح على غير اسم الله كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ [2]

﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾ : (ما ذُبح على غير اسمه تعالى من الأنصاب والأنداد والأزلام، ونحو ذلك مما كانت الجاهلية ينحرون له)[3]

و(التسمية على الذبيحة من جهة المعنى: استعانة، فإذا سمى الله: فإنّه استعان في هذا الذبح بالله جلّ وعلا، لأنّ الباء في قولك: بسم الله، يعني: أذبح متبركاً، مستعيناً بكل اسم الله جلّ وعلا، أو بالله جلّ وعلا الّذي له الأسماء الحسنى)[4]

---

[1] مجموع الفتاوى (٥٣١/١٦-٥٣٢)

[2] سورة البقرة: ١٧٣

[3] تفسير ابن كثير (٤٨١/١-٤٨٢)

[4] التمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص (١٣٨)

فمن ذبح بسم غير الله فقد صرف العبادة لغير الله، ووقع في الشرك الأكبر، لأنّه قد استعان بغير الله، وإن جعل الذبيحة لله[1]

أمّا ترك تسمية الله على الذبيحة فالراجح من أقوال أهل العلم أنه حرام ولو على الناسي[2]

الأمر الثاني: القصد من الذبيحة، فمن نوى بذبيحته التقرب، يجب عليه أن يقصد بها وجه الله تعالى، ولا يجوز له الذبح تقرباً وتذللاً لغير الله فإنّه شرك، أما من ذبح من أجل اللحم وإكراماً للضيوف جاز له ذلك إذا سمّى الله على ذبيحته لأنّه استعان بالله في ذبيحته و لم يذبح تقرّباً وتذللاً لغير الله[3]

ثانياً- السجود

وفي ذلك:

١- قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ، التي قرأ فيها رسول الله ﷺ آيات من سورة فصلت[4]، من ضمنها قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾ [5]، وسجد النبي ﷺ بعد قرآءة هذه الآية

---

[1] انظر: المصدر السابق، ص (١٣٩-١٤١)

[2] مجموع الفتاوى (٢٣٩/٣٥)

[3] انظر: شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (٦٦-٦٧)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، ص (١٣٩-١٤٠)

[4] انظر: ص (٤٠-٤٢) من هذه الرسالة

[5] سورة فصلت: ٣٧

٢- حديث عبد الله بن مسعود في الهجرة إلى لحبشة: قال: قال جعفر: (أنا خطيبكم اليوم). فاتبعوه فسلَّم و لم يسجد، فقالوا له: (ما لك لا تسجد للمَلِك؟) قال: (إنّا لا نسجد إلا لله ﷻ). قال: (وما ذاك؟) قال: إنّ الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله ﷻ، وأمرنا بالصلاة والزكاة)[1]

٣- في حديث أبي موسى ﷺ في الهجرة إلى الحبشة: قال جعفر: (لا نسجد إلا لله)[2]

٤- سجود أهل مكّة إنسهم وجنّهم، مؤمنهم وكافرهم عندما قرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة النجم[3] وانتهت هذه السورة بقول الله تعالى: ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾[4]

٥- نزول آخر سورة العلق[5]، وضمن الآيات التي نزلت قول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[6]

التعليق:

السجود نوع من أنواع العبادة، وقد وصف الله الملائكة المقربين بالسجود له تعالى في سياق المدح مما يدل على أنّه يحبه، فهو عبادة

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴾[7]

---

[1] تقدم تخريجه (١٥٤)

[2] تقدم تخريجه، ص (١١٤)

[3] انظر: ص (٤٣-٤٥) من الرسالة

[4] سورة النجم: ٦٢

[5] انظر: (ص٢٣٨)

[6] سورة العلق: ١٩

[7] سورة الأعراف: ٢٠٦

وقد ذم الله من امتنع عن هذه العبادة، فقد وصف الكفار بالامتناع عن السجود فقال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ [1]

وقد أمر الله تبارك وتعالى بالسجود فقال : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ [2]

وقال جلّ وعلا لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾ [3]

وقد ورد الأمر بالسجود لله وحده والنهي عن السجود لغيره في مرويات العهد المكي في قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع النبي ﷺ، حيث قرأ رسول الله ﷺ في هذه القصة من أول سورة فصلت إلى السجدة فيها فسجد، وانتهت الآيات التي تلاها ﷺ بقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾

وفي هذا الأمر بالسجود لله والنهي عن السجود لغيره تعالى مما يدلّ على أنّ السجود نوع من أنواع العبادة لا يجوز صرفه لغير الله ﷻ

كما ورد هذا الأمر والنهي في حديث الهجرة الحبشية حيث جاء فيه قول جعفر: (لا نسجد إلا لله)، وقوله: (إنّ الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله ﷻ)

وورد الأمر بالسجود في قصة سجود أهل مكّة مع رسول الله ﷺ، حيث سجدوا مع رسول الله ﷺ بعد قرآءته سورة النجم عليهم، وانتهت هذه السورة بالأمر بالسجود لله في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴾

---

[1] سورة الانشقاق: ٢١

[2] سورة الإنسان: ٢٦

[3] سورة العلق: ١٩

و(العطف في قوله ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ۩ ﴾ على قوله: ﴿ فَٱسۡجُدُواْ ﴾ من باب عطف العام على الخاص)[1]

كما ورد الأمر بهذه العبادة العظيمة في نزول آخر سورة العلق لورود قول الله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾ ضمن الآيات التي نزلت.

ثالثاً:- الصلاة، والزكاة، والصيام

وفي ذلك:

١- قول سلمان الفارسي ﷺ في قصة إسلامه: فقلت: (لا والله ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قومٌ يعبدون الله، ويدعونه ويصلّون له، ونحن نعبد ناراً نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت)[2]

٢- حديث مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ، فيه قرآءة النبي ﷺ لآيات من سورة فصلت[3]، من ضمنها قول الله ﷻ: ﴿ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [4]

٣- قول جعفر في حديث أم سلمة في الهجرة إلى الحبشة: (وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام)[5]

---

[1] تفسير سورة الحجرات إلى سورة الحديد للشيخ ابن عثيمين (ص٢٥٩)

[2] تقدم تخريجه ص (١٥٠)، واللفظ ليونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق

[3] انظر: ص (٤٠-٤٢) من الرسالة

[4] سورة فصلت: ٦-٧

[5] تقدم تخريجه، ص (١١٩)

٤- في حديث عبد الله بن مسعود في الهجرة إلى لحبشة: قال جعفر: (إنّ الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله عزّ وجل، وأمرنا بالصلاة والزكاة)[١]

٥- في حديث أبي موسى ﷺ في الهجرة إلى الحبشة: قال جعفر: (لا نسجد إلا لله)، فقال له النجاشي: (وما ذاك؟)، قال: (إن الله بعث فينا رسوله وهو الرسول الذي بشر به عيسى برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة وأَمَرَنا بالمعروف ونهانا عن المنكر)[٢]

٦- حديث الإسراء والمعراج الذي تلقى فيه النبي ﷺ فرض الصلوات الخمس[٣]

التعليق:

أمر الله عباده بالصلاة، والزكاة، والصيام

وقد جمع تعالى بين الأمر بالصلاة وبين الأمر بالزكاة في قوله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [٤]

وقال جلّ وعلا في الصيام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [٥]

وهذه العبادات الثلاث من أركان الإسلام الخمسة

---

[١] تقدم تخريجه، ص (١٥٤)

[٢] تقدم تخريجه، ص (١١٤)

[٣] انظر: ص (١٧٣) وما بعدها

[٤] سورة البينة: ٥

[٥] سورة البقرة: ١٨٣

قال رسول الله ﷺ: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان)[1]

وجاء ذكر مشروعية الصلاة في مرويات العهد المكّي مفردةً في قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه: (لا والله ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قومٌ يعبدون الله، ويدعونه **ويصلّون له**، ونحن نعبد ناراً نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت)

وقد استدلّ سلمان رضي الله عنه على أنّ دين النصارى الّذين مرّوا بهم خير من دين المجوس بأنّهم يعبدون الله ويصلّون له بخلاف المجوس الذين عبدوا النار، والعطف في قوله (ويصلون له) على قوله (هؤلاء قوم يعبدون الله) عطف الخاص على العام، فالصلاة نوع من أنواع العبادة

كما جاء ذكر فرضية الصلاة مفردة في حديث الإسراء والمعراج حيث فرض الله على رسوله ﷺ الصلوات الخمس بعد عروجه ﷺ إلى السماء السابعة

وجاء تقرير وجوب الزكاة مفردة في حديث مجادلة عتبة بن ربيعة مع رسول الله ﷺ، لِتَضَمُّن الآيات التي قرأها ﷺ في هذا الحديث على قول الله تعالى: ﴿ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾

اختلف المفسرون في المراد بالزكاة في هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم إنّه طهارة النفس من الشرك والأخلاق الرذيلة، وقال آخرون إنّه زكاة الأموال[2]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عقب ذكره للقول الأخير: (وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير، وفيه نظر لأنّ إيجاب الزكاة إنّما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد، وهذه الآية مكّية، اللهم إلا أن يقال: لا يَبعُد أن يكون أصل الصدقة والزكاة وكان مأموراً به في ابتداء البعثة، كقوله تبارك

---

[1] رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١/١٣٠ رقم ١١٣)

[2] انظر: تفسير ابن كثير (١٦٤/٧)

وتعالى: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ ﴾[1]، فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بين أمرها بالمدينة، ويكون هذا جمعاً بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجباً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله ﷺ الصلوات الخمس، وفصّل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئاً فشيئاً والله أعلم)[2]

ويُمكن أن يقال إنّ الأمر بالزكاة في مكّة من الخطاب الّذي أُخِّر بيانه من وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، بمعنى أنّ المسلمين عُرِّفوا بوجوب إيتاء الزكاة في مكّة على وجه الإجمال، ثمّ جاء تفصيل ذلك متراخياً عنه، لأنّ الراجح من أقوال علماء أصول الفقه جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة[3]

وجاء تقرير وجوب الصلاة، والزكاة، والصيام معاً في حديث الهجرة الحبشية في قول جعفر للنجاشي: (وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام)

ولكن يَرِد على ذكر الصيام ما رواه معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام يوم عاشوراء، ثمّ إنّ الله ﷻ فرض عليه الصيام فأنزل الله ﷻ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾[4]، فإنّ ظاهر هذا الحديث أنّ الصيام لم يشرع إلاّ بعد الهجرة، ويُمكن أن يُزال هذا الإشكال بما تقدّم من الكلام في جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت

---

[1] سورة الأنعام: ١٤١

[2] تفسير ابن كثير (١٦٤/٧)

[3] انظر: المستصفى من علم الأصول لأبي حامد الغزالي (٤٠/٢-٤٧)، روضة الناظر وجنة المناظر لموفق الدين ابن قدامة (٥٨٥/٢-٥٩٣)، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص (٢٩١-٢٩٢)

[4] سورة البقرة: ١٨٣، والحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب كيف الأذان (٢٤٧/١-٢٤٨ رقم ٥٠٧)، والإمام أحمد في المسند (٢٤٦/٥)، والحاكم في المستدرك (٣٠١/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الشيخ الألباني في صحيح أبي داود (١٠٣/١): (صحيح)، وصححه في الثمر المستطاب ص (١١٢)، وأشار إلى صحته في إرواء الغليل (٢٠/٤-٢١)

الحاجة، ويُقال إنّ المسلمين عُرّفوا بوجوب الصيام في مكّة بإجمال ليستعدّوا له، ثمّ جاء بيانه وتفصيله متراخياً في المدينة والله أعلم

الفصل الرابع:

بيان حقيقة الشرك في مرويات العهد المكّي

وتحته تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد: معنى الشرك وحكمه

المبحث الأول: أنواع الشرك الواردة في مرويات العهد المكّي

المبحث الثاني: النهي عن الشرك

المبحث الثالث: أسباب الوقوع في الشرك

المبحث الرابع: مرويات العهد المكي في إبطال شبهات المشركين

تمهيد:

معنى الشرك وحكمه

الشرك في اللغة مادته تدل على الشركة الذي هو خلاف الانفراد[1] فهو أن يُجعل واحدٌ شريكاً للآخر

والشرك في الشرع: تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق في خصائص الإلـــهية كالتفرد بمُلك الضر والنفع، والعطاء والمنع، والتفرد بالكمال المطلق الذي لا يشارك الله فيه أحد بوجه من الوجوه، والتفرد باستحقاق العبادة[2]

وهذا التعريف يشمل جميع أقسام التوحيد الثلاثة، ولهذا قيل إنّ الشرك: (هو: اتخاذ الشريك مع الله جلّ وعلا في الربوبية، أو في العبادة، أو في الأسماء والصفات)[3]

والكلام في هذا الفصل على الشرك في الألوهية وهو: صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى[4]

والشرك أعظم ما نهى الله عنه، وكثيراً ما يأتي النهي عنه في القرآن مقروناً بالأمر بالتوحيد الذي هو أعظم ما أمر الله به

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ [5]

والنهي عن الشرك أول النهي في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾ [6]

---

[1] انظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (شرك)

[2] انظر: تجريد التوحيد المفيد (ص ٦٢-٦٣)، تيسير العزيز الحميد (ص ٩١)

[3] التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص ٩)

[4] انظر: الأصل الجامع لعبادة الله وحده (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٢٥٥/٦ – القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

[5] سورة النساء: ٣٦، وانظر: ثلاثة الأصول (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ١٣٥/٦ – القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

[6] سورة البقرة: ٢٢

والشرك لا يغفره الله إلاّ بالتوبة، قال الله جلّ وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [1]

ومن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله يُحرم من دخول الجنة ويخلد في نار جهنم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [2]

والشرك يحبط الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [3]

وجاء حكم الشرك في السنة النبوية، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار)[4]

وعن جابر بن عبدالله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار)[5]

فاتضح مما سبق أنّ الشرك أعظم الذنوب، وعواقبه وخيمة، لأنّه يحبط الأعمال، وصاحبه يُحرم من دخول الجنة، ويخلد في النار إلاّ إن تاب، ولذلك يجب على كلّ مسلم أن يعلم حقيقة الشرك، وأنواعه، والأسباب التي توقع المرء في الشرك، وأن يعلم زيف شبهات من حاول أن يبرر الشرك، ليكون على حذر منه، وكي يتجنبه، ويبتعد عنه أعظم البعد.

---

[1] سورة النساء: ١١٦

[2] سورة المائدة: ٧٢

[3] سورة الأنعام: ٨٨

[4] رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ (صحيح البخاري مع الفتح: ٢٥/٨ رقم ٤٤٩٧)

[5] رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٢٧٩/٢ رقم ٢٦٦)

المبحث الأوّل:

أنواع الشرك الواردة في مرويات العهد المكّي

وفي ذلك:

أولاً: ما ورد في شرك الدعاء، وفي ذلك قول ابن مسعود ﷺ: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفراً من الجنِّ، فأسلم النّفر من الجنّ، واستمسك النّاس بعبادتهم فنزلت: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [1]

ثانياً: ما جاء في شرك الطاعة، في ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما: (إذا سرَّكَ أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ ﴾ إلى قوله ﴿ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾ [2]

وفي الآية قوله تعالى: ﴿ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ﴾

التعليق:

ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأئمة الدعوة أنّ الشرك الأكبر المخرج من الملة أربعة أنواع[3]:

---

[1] سورة الإسراء: ٥٧، والحديث تقدم تخريجه ص(٢٣٥)

[2] سورة الأنعام: ١٤٠، والحديث رواه البخاري في كتاب المناقب، باب قصة زمزم وجهل العرب (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٦٣٦/٦ رقم ٣٥٢٤)

[3] انظر: مجموعة التوحيد (ص٣)، الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق للشيخ سليمان بن سحمان (ص٤٢١-٤٢٣)

النوع الأول: شرك الدعاء

والدليل عليه قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [1]

النوع الثاني: شرك النية ولإرادة والقصد

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [2]

النوع الثالث: شرك الطاعة

قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [3]

وفسّر النبي ﷺ عبادتهم الأحبار والرهبان باتباعهم إيّاهم في تحريمهم ما أحلّه الله وتحليلهم ما حرّمه الله ﷻ [4]

---

[1] سورة العنكبوت: ٦٥

[2] سورة هود: ١٥-١٦

[3] سورة التوبة: ٣١

[4] رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة التوبة (٥/٢٧٨ رقم ٣٠٩٥)، وحسنه الشيخ الألباني في غاية المرام (ص٢٠)

النوع الرابع: شرك المحبة

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [١]

والأخبار المتقدمة من مرويات العهد المكّي في النوع الأول والثالث

أمّا شرك الدعاء فقد ورد ذكره في خبر ابن مسعود في إسلام الجن لنزول قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾

ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله إنّ الدعاء المذكور في الآية دعاء المسألة[٢]، فكانت عبادتهم الجنّ أنهم كانوا يتوجهون إليهم بالدعاء وهذا شرك في الدعاء

وأمّا الشرك في الطاعة فقد ورد ذكره في أثر ابن عباس رضي الله عنهما: (إذا سرَّكَ أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾

وفي الآية قوله تعالى: ﴿ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ﴾

قال الشيخ عبد الحميد بن باديس[٣] رحمه الله تعالى: (ومن توحيده تعالى: توحيده في شرعه، فلا حاكم ولا مُحَلِّل ولا مُحَرِّم سواه)[٤]

ثمّ استدلّ على قوله بعدد من الآيات القرآنية، من ضمنها قول الله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَـٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾

---

[١] سورة البقرة: ١٦٥

[٢] القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١٤٨)

[٣] هو: الشيخ عبد الحميد بن باديس أحد علماء الجزائر ورئيس جمعية العلماء الجزائريين، كان رحمه الله نشيطاً في الدعوة إلى الله، وحريصاً على تعليم عقيدة السلف الصالح. توفي عام ١٩٤٠م. انظر: الترجمة التي كتبها تلميذه في مقدمة كتاب الشيخ: (العقائد الإسلامية)

[٤] العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (ص٦٨)

ومفهوم كلام الشيخ رحمه الله أنّ الشرك بالله منه ما هو شرك في شرعه، ووجه دلالة الآية على شرك الطاعة، أنّ المشركين حرموا ما أحلّه الله تعالى، فجعلوا أنداداً لله في حكمه وشرعه وطاعته، ومن أطاعهم في ذلك أشرك، وهذا شرك في الطاعة

فتبيّن أنّ شرك الطاعة ورد ذكره وبيان قبحه في مرويات العهد المكّي

المبحث الثاني:

النهي عن الشرك

وفي ذلك:

١- نزول أول سورة المدثر[١]، وورد في الآيات التي نزلت في أول هذه السورة قول الله تعالى: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾[٢]

٢- قرآءة رسول الله ﷺ لآيات من سورة فصلت على عتبة بن ربيعة[٣]، من ضمنها قول الله تعالى: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾[٤]

٣- عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: إن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: (هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح)، قال: (ما هي؟)، قالوا: (تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة)، قال: (حتى أنظر ما يأتي من عند ربي)، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٥] السورة، وأنزل الله ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٦]

ومن ضمن هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٧]

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٢٣٤)

[٢] سورة المدثر: ٥

[٣] انظر: (ص٤٠-٤٢) من الرسالة

[٤] سورة فصلت: ٦

[٥] سورة الكافرون: ١

[٦] سورة الزمر: ٦٤-٦٦، والحديث تقدم تخريجه، (ص٣٥٠)

[٧] سورة الزمر: ٦٥

٤- عن ابن عباس ﷺ أن أحد المشركين قال للنبي ﷺ: (يا محمد، تزعم أن الله أنزل عليك ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [(١)] ؟ قال: (نعم) قال: (فقد عبد الشمس والقمر والملائكة وعيسى وعزير، فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟) فنزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [(٢)]

٥- حديث بيعة العقبة الأولى، وفيه قول النبي ﷺ: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه)[(٣)]

٦- عن سعد بن أبي وقاص ﷺ: أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: حلفت أمّ سعد أن لا تُكَلِّمَه أبداً، حتى يكفر بدينه، ولا تأكل، ولا تشرب، قالت: (زَعَمتَ أن الله وَصَّاك بوالديك، وأنا أُمُّك وأنا آمرك بهذا)

قال: مَكَثَت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجَهدِ، فقام ابن لها، يقال له عُمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله ﷻ في القرآن هذه الآية ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي ﴾ وفيها ﴿ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [(٤)]

[(١)] سورة الأنبياء: ٩٨

[(٢)] سورة الأنبياء: ١٠١، والحديث رواه الطبراني في الكبير (١٥٣/١٢)، وأبو بكر ابن مردويه كما ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣٧٩/٥) وذَكَر الإسناد واللفظ له، وحسنه الحافظ ابن حجر في موافقة الخبر الخبر (١٧٢/٢)، وصححه الوادعي في الصحيح المسند من أسباب النزول (١٥١)

[(٣)] تقدم تخريجه، (ص٧٧)

[(٤)] سورة لقمان: ١٥، والحديث رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب في فضل سعد بن أبي وقاص ﷺ (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٨٠/١٥ رقم ٦١٨٨)

٧- جميع الأخبار الواردة في بيان أنّ الإتيان بكلمة التوحيد أول واجب على المكلف كقول النبي ﷺ وهو يطوف على القبائل: (إنّي رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً)[١]

التعليق

تقدم الكلام على حكم الشرك، وأنه أعظم ما نهى الله عنه، وأنّ عواقبه وخيمة، والأخبار المتقدمة من مرويات العهد المكي تدلّ على النهي عن الشرك وحكمه وبعض نتائجه.

أمّا الآيات التي نزلت في في أول سورة المدثر فإنّها تضمنت قول الله تعالى: ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾، وورد عن جماعة من المفسرين إن الرُجز: الأصنام والأوثان، فيكون في الآية الأمر بترك عبادتها والتبرؤ منها، فيكون في الآية النهي عن الشرك[٢]

وأمّا الآيات من سورة فصلت التي قرأها النبي ﷺ على عتبة بن ربيعة فإنّها تضمنت قول الله تعالى: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾

و(الويل): (الهلاك والدمار)[٣]

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى: (توعد [الله] من ترك الاستقامة فقال: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾، أي: الذين عبدوا من دونه من لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا حياة ولا نشوراً، ودَسُّوا أنفسهم فلم يزكُّوها بتوحيد ربهم والإخلاص له، ولم يصلوا ولم يُزكّوا؛ فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع للخلق بالزكاة وغيرها)[٤]

والتوعد على أهل الشرك بالهلاك والدمار يدلّ أعظم الدلالة على خطورة الشرك وأنّه منهي عنه أعظم النهي

---

[١] انظر: المبحث الثالث من الفصل الثاني في هذا الباب

[٢] انظر: تفسير الطبري (١٤٧/٢٩)

[٣] تفسير ابن كثير (٣١١/١)

[٤] تيسير الكريم الرحمن (١٥٦٥/٤) مع تصرف يسير

وحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي كان سبباً لنزول سورة الكافرون وآيات من سورة الزمر من ضمنها قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ يدلّ على أنّ الشرك عواقبه وخيمة، وذلك أنّ الله رتّب على الشرك في نبوة جميع الأنبياء إبطال جميع الأعمال الصالحة[1]، ومن أعظم ما يتشوق إليه العبد قبول أعماله، فإذا كان الشرك يحرم المرء من ذلك دلّ على خطورته ووجوب البعد عنه.

وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي ورد فيه قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ يدل على خطورة الشرك، ووجه دلالته ظاهرة في أنّ الله توعد من عَبَدَ من دونه شريكاً بجهنّم، فدلّ ذلك على أنّ الشرك منهي عنه أعظم النهي

أمّا حديث بيعة العقبة الأولى فوجه دلالته على النهي عن الشرك أنّ رسول الله ﷺ اشترط على أصحاب هذه البيعة اجتناب عدد من الأمور المحرمة وأولها الشرك بالله ﷻ فدلّ ذلك على تحريم الشرك، ووجوب الابتعاد عنه

وأمّا حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فالشاهد فيه في نزول قول الله تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾

فنهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن طاعة الوالدين في أمرهما بالشرك

أما الأحاديث الدالة على أنّ الإتيان بكلمة التوحيد أول واجب على العبد، فإنّها تضمنت إمّا التصريح بالنهي عن الشرك مقروناً بالتصريح بالأمر بالتوحيد الذي هو أعظم ما أمر الله به، وإمّا تضمنت الأمر بقول (لا إلــه إلاّ الله) الذي ركناه نفي الألوهية عن غير الله وإثباتها له وحده دون من سواه، فدلّ ذلك على أنّ الشرك منهي عنه والعبد لا يتم أول ما وجب عليه حتى يجتنب الشرك أعظم الاجتناب، دون تهاون أو تفريط، لما لذلك من خطر عظيم.

---

[1] تيسير الكريم الرحمن (١٥٢٩/٤)

المبحث الثالث:

أسباب الوقوع في الشرك

أولاً:- الغلو في الصالحين

وفي ذلك:

١- قول ابن عبّاس – رضي الله عنهما: (كان اللاتُ رجلاً يَلتُّ سَويقَ الحاجِّ) [١]

٢- وفي لفظ: (كان يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن، فعبدوه) [٢]

٣- وفي لفظ آخر: (كان رجل في الجاهلية على صخرة بالطائف وعليها له غنم، فكان يسلو من رسلها[٣] ويأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حيساً ويطعم من يمر به من الناس، فلمّا مات عبدوه) [٤]

٤- وعن مجاهد[٥] رحمه الله: (كان يلت السويق للحاج فعُكِف على قبره) [٦]

---

[١] رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٤٧٨/٨ رقم ٤٨٥٩)

[٢] رواه ابن أبي حاتم كما ذكر الحافظ في فتح الباري (٤٧٨/٨) و لم أجده في المطبوع، وأصله في صحيح البخاري كما تقدم.

[٣] أي: يستخرج اللبن من لبنها. انظر: معجم مقاييس اللغة: مادة (رسل)، لسان العرب: مادة (سلا)

[٤] رواه الفاكهي في أخبار مكة (١٦٤/٥) من طريق مجاهد وأصله في صحيح البخاري كما تقدم. انظر: الفتح (٤٧٨/٨)

[٥] تقدمت ترجمته، (ص١٠٣)

[٦] رواه الطبري في تفسيره (٥٨/٢٧) وصحح إسناده الدكتور عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكي (ص١٠)

٥- عن عائشة أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبي ﷺ فقال: (إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة)[1]

التعليق:

للوقوع في الشرك وانتشاره أسباب، أعظمها بل أوّل ما أدّى إلى الوقوع فيه: الغلو في الصالحين، فأوّل شرك في تأريخ البشر شرك قوم نوح

قال ابن عباس – رضي الله عنهما: (كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)[2]

وسبب وقوعهم في الشرك الغلو في الصالحين، فقال ابن عبّاس – رضي الله عنهما، في قول الله جلّ وعلا : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرًا ﴾[3]: (أسماءُ رجالٍ صالحين من قَوم نوح، فلمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انْصِبُوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنْصاباً وسمّوها بأسمائهم فَفَعلوا، فلم تُعبَد، حتى إذا هلك أولئك وَتَنسَّخ العلم عُبِدَت)[4]

---

[1] رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد؟ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٦٢٤/١ رقم ٤٢٧)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٥/٥ رقم ١١٨١)

[2] رواه الطبري في تفسيره (٣٣٤/٢)، والحاكم في المستدرك (٤٨٠/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وأشار إلى صحته الحافظ ابن كثير في تفسيره (٥٦٩/١)، والشيخ الألباني في تحذير الساجد (ص١٠١-١٠٢)، وصححه الشيخ مقبل الوادعي في تخريجه أحاديث تفسير ابن كثير (٤٦١/١)، وأمّا قوله: (ولا يُقبل مثل هذا إلا من كتاب أو سنة)، فلا يضرّ كونه موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما لأنّ الصحابي لا يتكلم عن الغيب برأيه فله حكم الرفع، فيُقبل.

[3] سورة نوح: ٢٣

[4] رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٥٣٥/٨ رقم ٤٩٢٠)

وورد عن بعض السلف أنّهم (كانوا قوما صالحين من بني آدم وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: (لو صَوّرنَاهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصَوَّرُوهم)، فلمّا ماتوا وجاء آخرون، دب إليهم إبليس فقال: (إنّما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر)، فعبدوهم)[١]

وهذا كلّه يدلّ على خطورة الغلو في الصالحين وأنّه أوّل سبب للوقوع الشرك في بني آدم، ولذلك نهى الله ﷻ عنه في كتابه أعظم النهي فقال: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ ﴾[٢]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: (ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنّهم تجَاوزُوا الحدَّ في عيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حَيِّز النبوة إلى أن اتَّخَذُوه إلـــهاً من دون الله، يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنّه على دينه، فادَّعَوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه، سواءً كان حقاً أو باطلاً أو ضلالاً أو رشاداً أو صحيحاً أو كذباً)[٣]

كما نهى عنه النبي ﷺ فقال: (لا تطروني كما أطرتِ النصارى عيسى بن مريم، فإنّما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله)[٤]

ومن أسباب الغلو المُفضية ألى الشرك الخطيرة التصوير الذي لعن رسول الله ﷺ فاعله[٥]، وذكر أهل العلم أنّ أحد علل النهي عن التصوير كونه من (وسائل الإشراك؛

---

[١] تفسير الطبري (٢٥٣/١٢)

[٢] سورة النساء: ١٧١

[٣] تفسير ابن كثير (٤٧٧/٢)

[٤] رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٥٥١/٦ رقم ٣٤٤٥)

[٥] رواه البخاري في كتاب الطلاق، باب مهر البغي والنكاح الفاسد (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٤٠٤/٩ رقم ٥٣٤٧)

فإنّ شرك كثير من المشركين كان من جهة الصور، فكان من تحقيق التوحيد ألا تُقَرّ الصور لأجلّ أنّ الصورة وسيلة من وسائل المشركين في عباداتهم)[١]

ويتضح من الكلام المتقدم عن ظهور الشرك في قوم نوح: أنّ التصوير كان له دور في انتشار الشرك فيهم حيث صوّروا صالحيهم بعد موتهم ليُنَشِّطَهم في عبادتهم، ولّما جاء الجيل المُقبِل، عبدوا تلك الصُوَر، ولذلك قال فيهم الإمام ابن القيم رحمه الله: (فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور، وفتنة التماثيل)[٢]

ومن أسباب الشرك ووسائله: الغلو في قبور الصالحين إمّا بالبناء عليها وإمّا بالعكوف عليها، ولذلك (نهى رسول الله ﷺ أن يُجصَّص القبر وأن يُقعد عليه وأن يبنى عليه)[٣]

وهذه النواهي التي جاءت في أحكام القبور، (إنّما لأجل سد الطرق التي توصل إلى الغلو في قبور الصالحين.

فمجاوزة الحد في قبور الصالحين هي مجاوزة لما أمر الشارع أن تكون عليه القبور، لأنّ قبور الصالحين لا تختلف عن قبور غير الصالحين، فالغلو فيها يكون بالكتابة عليها، أو برفعها، أو بالبناء عليها، أو باتخاذها مساجد، وكل هذا من الوسائل المؤدية إلى الشرك الأكبر)[٤]

والأخبار المقدمة من مرويات العهد المكّي شواهد على هذه الوسائل الثلاث للشرك.

فيُستفاد من قول ابن عبّاس رضي الله عنهما، وقول مجاهد في اللات أنّ الغلو في الصالحين، والغلو في قبورهم بالعكوف عليها، من أسباب الوقوع في الشرك وذلك أنّ

---

[١] التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٥٥٧)

[٢] إغاثة اللهفان (٢٨٧/١)

[٣] رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٤١/٧ رقم ٢٢٤٢)

[٤] التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٢٧٠)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٨٤/٢-٢٠٠)

اللاتّ كان رجلاً صالحاً يُحسن إلى الحجّاج، فلمّا مات عظّمه الناس، ثمّ بالغوا في تعظيمه، حتى عكفوا على قبره، ثمّ جعلوه إلـــهاً[١]

وقد بوّب الشيخ محمد بن عبد الوهّاب رحمه الله على قول مجاهد بقوله: (باب: ما جاء أنّ الغلو في قبور الصالحين يصَيِّرها أوثاناً تُعبَد من دون الله)[٢]، يشير إلى دلالة قول مجاهد المتقدم على أنّ الغلو في قبر رجل صالح بالعكوف عليها من وسائل الشرك

وأمّا حديث عائشة في ذكر أم حبيبة وأم سلمة ما رأتاه في كنيسة في الحبشية بعدما هاجرتا إليها ففيه تحذير النبي ﷺ من التصوير والبناء على قبور الصالحين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (فجمع بين التماثيل والقبور)[٣]

وذكر نحوه تلميذه ابن القيم رحمه الله ثمّ أومأ إلى أنّ سبب هذا النهي أنّهما من وسائل الشرك فقال : (فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور، وهذا كان سبب عبادة اللاتّ)[٤]

ثمّ نقل كلام شيخه رحمه الله الآتي في بيان علّة النهي: (وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع، هي أوقعت كثيراً من الأمم، إمّا في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإنّ النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين، وبتماثيل يزعمون أنها طلاسم للكواكب ونحو ذلك، فإن يشرك بقبر الرجل الذي يعتقد نبوته أو صلاحه، أعظم من أن يشرك بخشبة أو حجر على تمثاله، ولهذا تجد أقواما كثيرين يتضرعون عندها ويخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في المسجد)[٥]

---

[١] انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٩١)، إغاثة اللهفان (١/٢٨٨)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٤٢٥)

[٢] كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٤٥/٦ — القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

[٣] اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٩٠)

[٤] إغاثة اللهفان (١/٢٨٨)

[٥] اقتضاء الصراط المستقيم (٢/١٩٢)، إغاثة اللهفان (١/٢٨٨)

فبيّنا رحمهما الله جمع نصارى الحبشة بين الفتنتين: فتنة الصور، وفتنة القبور، كما بيّنا أنّ سبب زجر النبي ﷺ عليهم في فعلهم، أنّ الصور والغلو في قبور الصالحين بالبناء عليها من وسائل الشرك.

ثانياً:- البدعة ودعاة السوء

وفي ذلك:

١- قول النبيّ ﷺ: (رأيت عمرو بن عامر الخُزاعي يجرُّ قُصْبَه في النّار، كان أوّل من سَيَّبَ السوائب)[١]

٢- وقوله ﷺ: (رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرتُ، ورأيتُ فيها ابن لحي وهو الذي سيَّب السوائب)[٢]

٣- قول النّبي ﷺ في عمرو بن لحيّ: (إنّه أوّل من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة، وسيَّب السائبة ووصل الوصيلة، وحمى الحامي)[٣]

---

[١] السوائب جمع السائبة. كان الرجُل في الجاهلية إذا خرج فقُضِيَت حاجته، سيّب من ماله ناقة أو غيرها، فجعلها للأوثان، فما ولدت من شيء كان لها. انظر: النهاية (٤٣١/٢)، تفسير ابن كثير (٢١٠/٣)، والحديث رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ١٣٢/٨ رقم ٤٦٢٣)، وفي كتاب المناقب، باب قصة الجزاعة (صحيح البخاري مع فتح الباري:٦٣٣/٦ رقم ٣٥٢١)، ومسلم في كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبّارون، والجنّة يدخلها الضعفاء (١٨٦/١٧-١٨٧ رقم ٧١٢٢)

[٢] رواه البخاري في كتاب الكسوف، باب الجهر بالقرآءة في الكسوف، ومسلم في كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٤٤٢/٦ رقم ٢٠٨٨)

[٣] الوصيلة هي: الناقة إذا ولدت أنثى بعد أنثى، وقيل: هي الشاة كانت إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم، وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم، وقيل غير ذلك، والحام: الفحل من الإبل، إذا وُلد لولده قالوا: حمى هذا ظهره، فلا يحملون عليها شيئاً، ولا يجزون له وبراً، ولا يمنعون من حمى رعى، ومن حوض يشرب منه، وإن كان الحوض

٤- عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : (إن أول من سَيَّب السوائب، وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وأني رأيته يجر أمعاءه في النار)[١]

٥- قول النّبي ﷺ في عمرو بن لحيّ: (وهو أوّل من حَمَلَ العرب على عبادة الأصنام)[٢]

التعليق:

من أسباب الشرك وانتشاره: البدعة، قال الله جلّ وعلا: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٣]

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: (وقوله ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ أي: عن أمر رسول الله ﷺ، وهو سَبِيلُه ومِنهَاجه وطريقته، وسنته، وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل، وما خالفه فهو مردود، على قائله وفاعله، كائناً من كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: (من عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أمرُنا، فهو رد)[٤]

لغير صاحبه. انظر: تفسير ابن كثير (٣/٢١٠-٢١١)، فتح القدير (٢/١١٧) والحديث رواه ابن إسحاق (سيرة ابن هشام:١/٩٠)، والطبري في تفسيره (٧/٨٦)، والحاكم في المستدرك (٤/٦٠٥) وصححه ووافقه الذهبي، وحسّن إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٢٤٣)

[١] رواه الإمام أحمد في المسند (١/٤٤٦)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٢٤٢ رقم ١٦٧٧)، وقال في الصحيح الجامع (١/٥٠٤ رقم ٢٥٨٠): (صحيح)

[٢] رواه أحمد (٥/١٣٨) والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (٤/٦٠٤-٦٠٥)، وحسّن إسناده الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٢٤٤)

[٣] سورة النور: ٦٣

[٤] تفسير ابن كثير (٦/٨٩-٩٠)، والحديث رواه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (صحيح البخاري مع فتح الباري:٥/٣٥٥ رقم ٢٦٩٧)، ومسلم – واللفظ له – في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور (صحيح مسلم مع شرح النووي: ١٢/٢٤٢ رقم ٤٤٦٨)

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (وما الفتنة؟ الشرك، لَعَلّه إذا رَدَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شئ من الزيغ فيُهلكه)[1]

فمخالفة أمر النبي ﷺ بإحداث في دينه ما ليس منه يؤدي إلى الشرك

ومن أسباب الشرك وانتشاره: ظهور دعاة السوء يدعون إلى ترك التوحيد وعبادة غير الله، فعن عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثمّ قال: (هذا سبيل الله مستقيماً) قال: ثمّ خَطّ عن يمينه وشماله، ثم قال: (هذه السُبُل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾[2]

ومن السبل المخالفة لسبيل الله تعالى المستقيم: سبيل الشرك، عليه شيطان يدعو إليه

وقد جاء في مرويات العهد المكّي ما يدلّ على أنّ البدعة وظهور دعاة السوء من أسباب الشرك في قصة عمرو بن لحي فإنّه أحدث في دين إبراهيم بدعة شركية كفرية وهي: عبادة الأصنام، ودعا العرب إليها فحملهم على عبادتهم وهذا يدلّ على أنّ تغير الأديان وظهور دعاة السوء من أعظم أسباب ظهور الشرك

---

[1] رواه عنه الفضل بن زياد كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول (١١٦/٢)، وقال المحقق في الحاشية: (للإمام أحمد كتاب بعنوان: (طاعة الرسول)، ولعل هذه الرواية تكون منه) ثمّ تكلّم بما يُقنع القارئ بذلك، فليراجَع

[2] سورة الأنعام: ١٥٣، والحديث رواه الإمام أحمد في المسند (٤٦٥/١)، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط وزملاؤه في تحقيق المسند: (٤٣٦/٧)

ثالثاً:- التعصب للآباء والاجداد، وموافقة أقران السوء

وفي ذلك:

١- ما جاء عن عمرو بن العاص أنّه سُئل: (ما أشد ما رأيت قريشاً بلغوا من رسول الله ﷺ؟) قال: مر ﷺ بهم ذات يوم، فقالوا له: (أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟) فقال: (أنا ذاك)، فقاموا إليه فأخذوا بمجامع ثيابه، فرأيت أبا بكر رضي الله عنه محتضنه من ورائه وهو يصيح بأعلى صوته وإن عينيه لتسيلان وهو يقول : يا قوم ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [1]

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ لِعَمِّهِ عند الموت: (قل لا إله إلاّ الله أشهد لك بها يوم القيامة)، قال: (**لولا أن تعيرني قريش، يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك**)[2]

٣- لّما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل — فقال: (أي عمِّ، قل لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله). فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: (**يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبدالمطلب؟**) فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: (**على ملّة عبد المطلب**)[3]

---

[1] سورة غافر: ٢٨، والحديث رواه النسائي في السنن الكبرى (٦/٤٤٩)، ورواه البيهقي في الدلائل (٢/٢٧٧)، وصحح إسناده الدكتور عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي ص(٦٦١)

[2] رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع وهو الغرغرة، ونسخ جواز الاستغفار للمشركين، والدليل على أن من مات على الشرك فهو من أصحاب الجحيم ولا ينقذه شيء من الوسائل (صحيح مسلم مع شرح النووي:١٦١/٢ رقم ١٣١)

[3] تقدم تخريجه، ص (٨٧)

التعليق:

من أسباب الشرك وانتشاره، التعصب للآباء وموافقة أقران السوء

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [1]

وقال الله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِي ﴾ [2]

والأخبار المتقدمة من مرويات العهد المكّي تدلّ على ذلك

أمّا حديث عمرو بن العاص ﷺ فالشاهد فيه في قول المشركين للنبي ﷺ: (أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا؟)، ووجه الدلالة أنّ اعتراضهم على دعوة النبي ﷺ بسبب مخالفتها عمّا كان عليه آباؤهم وأجدادهم

وأمّا حديث وفاة أبي طالب فالشاهد فيه في قول أبي جهل وعبد الله بن أبي أمية: (**يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبدالمطلب؟**) حيث صرفوا أبا طالب عن الدخول في الإسلام لمخالفته لملة عبد المطلب، وفي قول أبي طالب: (**لولا أن تعيرني قريش، يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك**)، حيث اعترف أبو طالب بأنّ سبب عدم إقراره بالتوحيد موافقته لعشيرته.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عند كلامه على أسباب تَخَلُّف عَمل بعض الناس عن علمهم بمصالحهم : (السبب الثامن: من تَخَيَّل أنّ في الإسلام ومتابعة الرسول إزراءً وطعناً منه على آبائه وأجداده وذمّاً لهم، وهذا هو الذي منع أبا طالب وأمثاله عن الاسلام، استَعْظَمُوا آباءهم وأجدادهم أن يشهدوا عليهم بالكفر والضلال، وأن يختاروا خلاف ما اختار أولئك لانفسهم، ورأوا أنّهم إن أسلموا سفهوا أحلام أولئك، وضَلَّلُوا عقولهم، ورموهم بأقبح القبائح، وهو الكفر والشرك، ولهذا قال اعداء الله لأبي طالب عند الموت: (ترغب عن ملة عبد المطلب؟)، فكان آخر ما كَلَّمَهم به: (هو على ملة عبد المطلب)، فلم يَدَعْهُ أعداءُ الله إلاّ من هذا الباب لِعِلمِهم بتعظيمه أباه عبد المطلب، وأنّه

---

[1] سورة الزخرف: ٢٣

[2] سورة الفرقان: ٢٧-٢٩

إنّما حاز الفخر والشرف به، فكيف يأتي أمراً يلزم منه غاية تنقيصه وذَمِّه، ولهذا قال: (لولا أن تكون مَسَبَّةً على بني عبد المطلب لأقررت بها عينك)، أو كما قال)[1]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في عدّه لمسائل هذا الحديث: (فيه مسائل) إلى أن قال: (الثامنة: مضَرّة أصحاب السوء على الإنسان، التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر، العاشرة: استدلال الجاهلية بذلك)[2]

فأشار رحمه الله إلى أنّ تعظيم الأسلاف والأكابر، ومرافقة أصحاب السوء من المشركين من أسباب بقاء أبو طالب على الشرك.

---

[1] مفتاح دار السعادة (٣٣٨/١)

[2] كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٣٧/٦-٣٨ – القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

المبحث الرابع:

مرويات العهد المكّي في إبطال شبهات المشركين

١- إبطال تبرير المشركين دعاء غير الله بزعمهم أنّهم إنّما يقصدون شفاعتهم

وفي ذلك قصة سجود أهل مكّة مع رسول الله ﷺ عندما قرأ عليهم ﷺ سورة النجم[١] التي تضمت على قول الله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[٢]

التعليق:

من الشبهات التي حاول المشركون – قديماً وحديثاً – أن يُبرِّروا بها دعاءهم لغير الله قولهم إنّهم يقصدون شفاعتهم دون الاعتقاد أنّهم ينفعونهم أو يضرّونهم[٣]

قال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾[٤]

وقال جلّ وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[٥]

---

[١] انظر: (ص٤٣-٤٥) من هذه الرسالة

[٢] سورة النجم: ٢٦

[٣] أمّا المتأخرون من المشركين من المنتسبين إلى الإسلام فقد ضمّوا هذا إلى قولهم إنّ المشركين كانوا يعتقدون النفع والضر في أصنامهم، ويردّ على ذلك ما تقدمّ في بيان إقرار المشركين بتوحيد الربوبية في الفصل الثاني من الباب الأول من هذه الرسالة

[٤] سورة يونس: ١٨

[٥] سورة الزمر: ٣

وقد رد الله عليهم في كتابه بتقرير أنّ الشفاعة ملك له وحده لا شريك له، وأنّه لا تنفع شفاعة أحد إلا بشرطين:

الشرط الأول: إذن الله ﷻ للشافع أن يشفع

الشرط الثاني: رضاه ﷻ عن الشافع والمشفوع له

قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾ [1]

وقال جلّ وعلا: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [2]

وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ [3]

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (من جهل المشرك : اعتقاده أن من اتخذه ولياً أو شفيعاً: أنه يشفع له، وينفعه عند الله، كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله كما قال تعالى في الفصل الأول: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ وفي الفصل الثاني: ﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾ وبقي فصل ثالث: وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول ... فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها: لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله)[4]

وإذا تبيّن أنّ الشفاعة لا تنفع إلا بإذن الله ورضاه تبيّن أنّها ملك لله وحده لا شريك له، فتعيّن طلبها من الله وحده، وإخلاص العبادة له تعالى وحده دون من سواه

وقد جاء رد هذه الشبهة التي تعلّق بها المشركون في مرويات العهد المكّي في قرآءة النبي ﷺ سورة النجم على أهل مكة وهذه السورة تضمنت قول الله تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾

---

[1] سورة الزمر: ٤٤

[2] سورة البقرة: ٢٥٥

[3] سورة الأنبياء: ٢٨

[4] مدارج السالكين (٥٩٧/١-٥٩٨)

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ –رحمه الله: (في هذه الآيات من الرد على من عبد الملائكة والصالحين لشفاعة أو غيرها مالا يخفى، لأنهم إذا كانوا لا يشفعون إلا بإذن من الله ابتداء، فلأي معنى يُدعَون ويُعبَدُون، وأيضاً فإن الله لا يأذن إلا لمن ارتضى قوله وعمله وهو الموحد لا المشرك)[1]

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: (هذه الآية في سياق بطلان ألوهية اللات والعزّى) وقال: (إذا كانت الملائكة وهي في السموات في العلو لا تغني شفاعتهم إلاّ بعد إذنه تعالى ورضاه؛ فكيف باللات والعزى وهي في الأرض؟! ولهذا قال: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾ ، مع أنّ الملائكة تكون في السموات وفي الأرض، ولكن أراد الملائكة التي في السموات العلى، وهي عند الله سبحانه؛ فحتى الملائكة المقربون حملة العرش لا تغني شفاعتهم إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)[2]

وإذا تبيّن أنه لا أحد يملك الشفاعة إلاّ الله، وأن من يشفع إنما يشفع بإذن الله ورضاه، بطل التَعَلّق بمن يُظن أنّه يشفع عند الله ابتداء بدون إذن الله وبدون رضاه عن المشفوع، فيتعيّن التعلّق بالّذي يملك الشفاعة وإخلاص العبادة له وهو الله جلّ وعلا[3]

٢- إبطال دعوى خصوصية الشرك بعبادة الأصنام

وفي ذلك:

١- جميع ما ورد في مرويات العهد المكي في النهي عن عبادة غير الله بصيغة العموم كنزول قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ [4]، وقد تقدّم إيراد هذه المرويات عند الكلام على أن الإتيان بكلمة التوحيد أول واجب على المكلّف

---

[1] تيسير العزيز الحميد (ص٢٤١)

[2] القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٣٣٦-٣٣٧)

[3] انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٢١٦-٢١٧)

[4] سورة الزمر: ٦٤

٢- جميع ما ورد في بيان تنوع المعبودات الّتي عّبد من دون الله في العهد المكّي، كقول المشركين للنبي ﷺ: (فقد عُبِد الشمس والقمر والملائكة وعيسى وعزير)[١]، وسيأتي إيراد هذه المرويات في مبحث مستقل عند الكلام على الطاغوت وأنواعه الورادة في مرويات العهد المكّي إن شاء الله.

التعليق:

من الشبهات التي تعلّق بها متأخرو المشركين – لا سيما المنتسبين إلى الإسلام منهم: دعوى خصوصية الشرك بعبادة الأصنام، فزعموا أنّ الآيات التي نزلت في زجر المشركين إنما نزلت في من عبد الأصنام[٢]

ويردّ على ذلك أنّ الله نهى عن الشرك بجميع أنواعه وصُوَرِه مع تَفَرُّق الناس في عبادتهم، يعبدون أصنافاً شتى من المعبودات، و لم يُخَصِّص نوعاً دون آخر[٣]

وقد ورد هذا المعنى في مرويات العهد المكّي، أمّا الأخبار التي جاء فيها الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن الشرك، فقد وردت بصيغة العموم و لم يأتِ ما خصص هذا النهي بالأصنام، ومن تلك النصوص، نزول قول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[٤]، الّذي قال فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: (فيه مسائل: الأولى:

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٣٩٥)

[٢] كشف الشبهات (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٦/١١٩، ١٢٢ – القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

[٣] انظر: المصدر السابق، القواعد الأربع (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ٦/١٤٥ – القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

[٤] سورة الزمر: ٦٤

الجواب عن قول المشركين: (هذا في الأصنام، أمّا الصالحون، فلا؛ قوله: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ ﴾ عام فيما سوى الله)[1]

وهكذا جميع النصوص الواردة في النهي عن الشرك في مرويات العهد المكّي، فإنّها عامة في جميع ما عُبد من دون الله.

وأمّا البيان أنّ الناس الّذين بعث الله إليهم رسول الله ﷺ، ونهاهم عن صرف العبادة لغيره، كانوا متفرّقين في عبادتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأصنام والأوثان، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، فسيأتي تفصيله في مبحث مستقل في الطاغوت وأنواعه الواردة في مرويات العهد المكّي إن شاء الله.

---

[1] الدرر السنية (٣٨٣/١٣)

الفصل الخامس:

بيان حقيقة الكفر والطاغوت في مرويات العهد المكّي

فيه مبحثان:

المبحث الأوّل: معنى الكفر وأنواعه

المبحث الثاني: معنى الطاغوت وأنواعه

المبحث الأوّل:

معنى الكفر وأنواعه

الكفر نقيض الإيمان، ويُطلق على جحود النعمة الّذي هو نقيض الشكر، وأصله في اللغة السَتر والتغطية، قيل: لأنّ الكافر مُغَطًّى على قلبه[١]

وعرّفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بأنّه: (عدم الايمان باتفاق المسلمين سواء اعتقد نقيضه وتكلم به او لم يعتقد شيئا و لم يتكلم)[٢]

وقال رحمه الله تعالى: (الكفر: عدم الايمان بالله ورسله، سواءً كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً، أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة)[٣]

والكفر باعتبار خلود مُرتكِبِه في النار وعدمه نوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (أمّا الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فالكفر الأكبر : هو الموجب للخلود في النار، والأصغر : موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود)[٤]

والكلام في هذا المبحث عن الكفر الأكبر المخرج عن الملّة وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أنّه خمسة أنواع: (كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق)[٥]

وقد ورد ذكر بعض هذه الأنواع في مروايت العهد المكي، وبيانها ما يلي:

---

[١] انظر: لسان العرب، مادة: (كفر)

[٢] مجموع الفتاوى (٨٦/٢٠)

[٣] المصدر السابق (٣٣٥/١٢)

[٤] مدارج السالكين (٥٨٧/١)

[٥] المصدر السابق (٥٩١/١)

أولاً–كفر الإباء والاستكبار

وفي ذلك:

١– قصة وفاة أبي طالب، فلمّا حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل – فقال: (أي عمِّ، قل لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: (على ملّة عبد المطلب)[١]

٢– قال رسول الله ﷺ لِعَمِّهِ عند الموت: (قل لا إله إلاّ الله أشهد لك بها يوم القيامة)، قال: (**لولا أن تعيرني قريش، يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك**)[٢]

التعليق:

من أنواع الكفر الأكبر: كفر الإبا والاستكبار مع التصديق وهو كفر من لم يُكذِّب الرسالة، ولكن لم يقبلها إباء واستكباراً

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (أما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس، فإنّه لم يجحد أمر الله، ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، و لم ينقد له إباء واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه ﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَـٰبِدُونَ ﴾[٣]، وقول الأمم لرسلهم: ﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾[٤]،

---

[١] تقدم تخريجه، (ص٨٧)

[٢] تقدم تخريجه، (ص٤٠٦)

[٣] سورة المؤمنون: ٤٧

[٤] سورة إبراهيم: ١٠

وقوله كذبت ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴾ [1]، وهو كفر اليهود كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ [2]، وقال: ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾ [3]، وهو كفر أبي طالب أيضاً، فإنه صدّقه، و لم يَشُكّ في صدقه، ولكن أخذته الحمية وتعظيم آبائه، أن يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر)[4]

فعرّف رحمه الله بكفر الإباء والاستكبار وبيّن أنّ كفر أبي طالب المذكور في الأخبار المتقدمة من مرويات العهد المكي من هذا النوع

ثانياً- كفر الإعراض

وفي ذلك قرآءة النبي ﷺ آيات من سورة فصلت على عتبة بن ربيعة[5]، وتضمنت هذه الآيات قول الله تعالى: ﴿ فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ [6]

التعليق:

كفر الإعراض: الإعراض بالسمع والقلب عن رسالة نبينا محمد ﷺ، بلا تصديق ولا تكذيب، بلا موالاة له ولا معاداة

---

[1] سورة الشمس: ١١

[2] سورة البقرة: ٨٩

[3] سورة البقرة: ١٤٦

[4] مدارج السالكين (١/٥٩١-٥٩٢)

[5] تقدم إيراد القصة مع التخريج، ص (٤٠-٤٢)

[6] سورة فصلت: ٤-٥

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: (أما كفر الإعراض : فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يُصَدِّقُه ولا يُكَذِّبُه، ولا يُواليه ولا يُعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به ألبتة)[1]

وقال: (كفر إعراضٍ محضٍ، لا ينظر فيما جاء به الرسول، ولا يُحِبُّه ولا يُبغِضُه، ولا يُوَاليه ولا يعاديه، بل هو معرض عن متابعته ومعاداته)[2]

وقد ورد ذكر هذا النوع من الكفر في مرويات العهد المكي في قرآءة النبي ﷺ آيات من سورة فصلت على عتبة بن ربيعة، التي تضمنت قول الله تعالى: ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴾

قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات: (وقوله: ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ ﴾ استكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله، وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيراً لهم ونذيراً، وهم قوم رسول الله ﷺ ﴿ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ يقول: فهم لا يصغون له فيسمعوه إعراضاً عنه واستكباراً)[3]

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: (أي: اعمل أنت على طريقتك، ونحن على طريقتنا، لا نتابعك)[4] وهذا هو كفر الإعراض.

---

[1] مدارج السالكين (١/٥٩٢)

[2] مفتاح دار السعادة (١/٣٣١)

[3] تفسير الطبري (٢٤/٩١)

[4] تفسير ابن كثير (٧/١٦١)

المبحث الثاني:

معنى الطاغوت وأنواعه

الطاغوت في اللغة مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحدّ[١]

وأجمع ما قيل في تعريفه ما قاله الإمام ابن القيم، فقال رحمه الله تعالى: (الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع)[٢]

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: (الطاغوت ما عُبد من دون الله، وهو راض، أما ما عُبِد من دون الله وهو لا يرضى بذلك، كالرسل والأنبياء، فليسوا بطواغيت لأنّهم لم يأمروا بذلك)[٣]

وعلّق الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله على تعريف الإمام ابن القَيِّم المتقدم، فقال: (ومراده من كان راضياً بذلك، أو يُقال: هو طاغوت باعتبار عابده، وتابعه، ومطيعه؛ لأنّه تجاوز به حدّه حيث نزّله فوق منزلته التي جعلها الله له، فتكون عبادته لهذا المعبود، واتباعه لمتبوعه، وطاعته لمُطاعه طغياناً لمجاوزته الحدّ بذلك)[٤]، وقال في موضع آخر: (ومراده بالمعبود والمتبوع والمطاع غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عبدوا، أو اتبعوا، أو أطيعوا فالأصنام التي تعبد من دون الله طواغيت وعلماء السوء الذين يدعون إلى الضلال والكفر، أو يدعون إلى البدع، وإلى تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله طواغيت، والّذين يُزَيِّنون لولاة الأمر الخروج عن شريعة الإسلام بنُظُم يستوردونها مخالفةً لنظام الدين الإسلامي طواغيت، لأنّ هؤلاء تجاوزوا حدّهم)[٥]

---

[١] انظر: مفردات القرآن الكريم (ص٥٢٠)

[٢] إعلام الموقعين (٩١/٢)

[٣] شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد العزيز بن باز (ص١٤)

[٤] القول المفيد على كتاب التوحيد (٢٨/١-٢٩)

[٥] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١٩٨/٢)

فتبيّن أنّ الرسل، والأنبياء، والصالحين، الّذين عَبَدَهم الضلال بعد موهم لا يصلح اطلاق كلمة (الطاغوت) عليهم لأنّهم لم يأمروا بعبادهم، وهكذا الملائكة لا يصلح اطلاق كلمة (الطاغوت) عليهم لأنّهم لم يأمروا بعبادهم

وتبيّن كذلك مما سبق وجه اطلاق كلمة (الطاغوت) على الأصنام، والّذين يحلّلون ما حرّم الله، ويُحرّمون ما أحلّه ودعوا إلى طاعتهم في ذلك.

والطواغيت باعتبار تعريف الإمام ابن القيم السابق كثيرة متنوعة، ويظهر بالتتبع والاستقراء أنّها تتفرع عن خمسة رؤوس[1]، ولذلك قال الشيخ محمد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى: (والطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبِد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادّعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله)[2]

والمقصود في هذا المبحث بيان أنواع الطواغيت الواردة في مرويات العهد المكّي، وكذلك عرض أنواع المعبودات الأخرى التي عُبِدَت من دون الله، ولكن لا يصلح إطلاق كلمة (الطاغوت) عليهم، وسبب هذا العرض أهمّية معرفة تفرّق الناس الّذين بعث الله فيهم رسوله ﷺ في عبادهم، ولتجاوز عابديهم حدّهم وطغياهم حيث نزّلوهم فوق منزلتهم التي جعل الله لهم.

---

[1] انظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول للشيخ عبد الله بن صالح الفوزان (ص٢٠١)

[2] ثلاثة الأصول (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ١٤١/٦ – القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

ومن أنواع وأصناف الطواغيت الواردة في مرويات العهد المكّي:

أولاً:- الأحجار، والأشجار، والأصنام، والأوثان

وفي ذلك:

١- قول عمر ﷺ: (نحن أناس من العرب، كنا في شقاء شديد، نمصُّ الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوَبَرَ والشَعَر، **ونَعبُدُ الشَجَر والحَجَر**).[١]

٢- قول أبو رجاء العطاردي: (**كنّا نَعبُد الحَجَر**، فإذا وجدْنا حجراً وهو أخْيَرُ منه ألقيناه وأخذْنا الآخرَ، فإذا لم نجد حجراً جَمَعْنا جُثْوَةً من تراب، ثمّ جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثمّ طفنا به).[٢]

٣-وعن مجاهد عن مولاه أنّه حدّثه أنّه كان فيمن يبني الكعبة في الجاهلية، قال: (**ولي حَجَر أنا نحته بيدي، أَعبُدُه من دون الله تبارك وتعالى**، فأجيء باللبن الخاثر[٣] الذي أنفسه على نفسي، فأصبه عليه، فيجيء الكلب فيلحسه ثمّ يشغر[٤] فيبول).[٥]

٤-عن مجاهد قال: (حدّثني مولاي أنّ أهله بعثوا معه بقدح فيه زبد ولبن إلى آلهتهم)، قال: (فمنعني أن آكل الزبد لمخافتها) قال: (فجاء كلب فأكل الزبد وشرب اللبن، ثمّ بال على الصنم، وهو إساف ونائلة)[٦]

---

[١] رواه البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب (الفتح:٢٩٨/٦ رقم ٣١٥٩)

[٢] تقدم تخريجه، ص (٣٢١)

[٣] تقدم شرحه، (ص٣٢٠)

[٤] تقدم شرحه، (ص٣٢٠)

[٥] تقدم تخريجه، ص (٣٢٠)

[٦] تقدم تخريجه، ص (٣٢٠)

٥-قول زيد بن حارثة في قصة زيد بن عمرو بن نفيل: (وكان صنمان من نحاس يقال له إساف ونائلة، - **يتمسح به المشركون إذا طافوا**)[١]

٦- في حديث عمرو بن عبسة: (كُنتُ، وأنا في الجاهلية، أَظُنُّ أنّ الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان)[٢]

٧- وفي رواية: (رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها آلهة باطلة، **يَعبُدُون الحجارة**، والحجارة لا تضر ولا تنفع)[٣]

٨- عن سلمة بن سلامة بن وقش[٤]، قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل. قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سِنّاً على بُردِة مضطجعاً فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، **فقال ذلك لقوم أهل شرك، أصحاب أوثان**، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت[٥]

٩- وعن عاصم بن عمر بن قتادة[٦]، عن رجل من قومه، قال: (إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال اليهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا)[٧]

١٠- قول ابن عبّاس رضي الله عنهما في اللاتّ: (كان يلت السويق على الحجر فلا يشرب منه أحد إلا سمن، فعبدوه)[٨]

---

[١] تقدم تخريجه، ص (٩٣)

[٢] تقدم تخريجه، (ص٩٧)

[٣] تقدم تريجه، (ص١٥٣)

[٤] تقدمت ترجمته، (ص١٥١)

[٥] تقدم تخريجه، (ص١٥١)

[٦] تقدمت ترجمته، (ص١٥١)

[٧] تقدم تخريجه، (ص١٥٢)

[٨] تقدم تخريجه، ص (٣٩٨)

١١- وفي لفظ آخر: (كان رجل في الجاهلية على صخرة بالطائف وعليها له غنم، فكان يسلو من رسلها ويأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حيساً ويطعم من يمر به من الناس، فلمّا مات عبدوه)[1]

١٢- وعنه رضي الله عنهما، قال : إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحِجر، فتعاقدوا باللات والعزى، ومنات الثالثة الأخرى، ونائلة، وإساف: (لو قد رأينا محمداً، لقد قُمنَا إليه قيام رجل واحد، فلم نُفَارِقْه حتى نَقْتُلْهُ)[2]

١٣- قول جعفر بن أبي طالب في حديث أم سلمة في الهجرة إلى الحبشة: (أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية **نَعبُد الأصنام**، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسبي الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنُوَحِّدَه ونَعبُدَه، ونخلع ما **كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان**)[3]

ثانياً:- الجن

وفي ذلك قول ابن مسعود: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفراً من الجنِّ، فأسلم النّفر من الجنّ، واستمسك النّاس بعبادتهم فنزلت : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[4]

---

[1] تقدم تخريجه، ص (٣٩٨)

[2] تقدم تخريجه، ص (٢٠١)

[3] تقدم تخريجه، ص (١١٩)

[4] سورة الإسراء:٥٧، والحديث تقدم تخريجه، (ص٢٣٥)

ثالثاً:- الكهان

١- قول غلام أبي بكر له – رضي الله عنه: (كنت تَكَهَّنتُ لإنسان في الجاهلية)[(١)]

٢- قصة تجديد عبد المطلب بئر زمزم، وفيه: فقاموا إليه فقالوا: (يا عبدالمطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها. قال: (ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، فقالوا له: (فأنصِفْنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها) قال: (**فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أُحَاكِمُكُم إليه) قالوا: (كاهنة بني سعد بن هذيم)**[(٢)]

رابعاً:-الشمس والقمر والنجوم

١- عن أبي مالك الأشعري[(٣)]، أنّ النبي ﷺ قال: (أربع في أمّتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)[(٤)]

٢- عن ابن عباس ﷺ أن أحد المشركين قال للنبي ﷺ: (يا محمد، تزعم أن الله أنزل عليك ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [(٥)]

[(١)] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية (صحيح البخاري مع فتح الباري: ١٨٣/٧ رقم ٣٨٤٢)

[(٢)] تقدم تخريجه، (ص٦٢)، وانظر: كذلك تعليق الحافظ على سعد بن هذيم (ص٦١)

[(٣)] هو: أبو مالك الأشعري الصحابي الجليل، اشتهر بكنيته، قيل: اسمه عبيد، وقيل: عبد الله، وقيل: عمرو، توفي ﷺ ١٨هـ. انظر: الإصابة (٣٥٦/٧)، تقريب التهذيب (ص١١٩٩)

[(٤)] رواه مسلم في كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة (صحيح مسلم مع شرح النووي: ٤٧٥/٦ رقم ٢١٥٧)

[(٥)] سورة الأنبياء: ٩٨

قال: (نعم) قال: (فقد عبد الشمس والقمر والملائكة وعيسى وعزير، فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟) فنزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ [1]

خامساً:-النار

في قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه: واجتهدتُ في المجوسية حتى كنت قَطِن النار الّذي يُوقدها، فلا أتركها تخبوا ساعة... وفيها ...فقال – يعني والد سلمان الفارسي: أين كنتَ؟ قلتُ: مررت بالنصارى، فأعجبني صلاتهم ودعاؤهم، فجلستُ أنظر كيف يفعلون. قال: أيْ بُنَيّ دينك ودين آبائك خيرٌ من دينهم. فقلت: لا والله ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قومٌ يعبدون الله، ويدعونه ويصلّون له، **ونحن نعبد ناراً نوقدها بأيدينا**، إذا تركناها ماتت.[2]

سادساً:- من عُبد من دون الله ولا يطلق عليهم كلمة (الطاغوت) وهم الأنبياء والملائكة

وفي ذلك:

١- قول قريش في مخاصمتهم النبي ﷺ: (نحن نعبد الملائكة و هن بنات الله)[3]

٢- ما قد تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحد المشركين قال للنبي ﷺ: (يا محمد، تزعم أن الله أنزل عليك ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ ؟ قال: (نعم) قال: (فقد عُبِد الشمس والقمر والملائكة وعيسى وعزير، فكل

---

[1] سورة الأنبياء: ١٠١، والحديث تقدم تخريجه، ص (٣٩٥)

[2] تقدم تخريجه، ص (١٥٠)، واللفظ ليونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق

[3] تقدم تخريجه، ص (٣٠٢)

هؤلاء في النار مع آلهتنا؟)، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾

٣- قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ قال لقريش: (يا معشر قريش، إنه ليس أحد يُعبد من دون الله فيه خير) وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم وما تقول في محمد فقالوا: (يا محمد، ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً، فَلَئِن كُنتَ صادقاً فإنّ آلهتهم لَكَمَا تقولون). قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾[١]

التعليق:

الناس الّذين بعث الله فيهم رسول الله ﷺ كانوا متفرّقين في عبادتهم، فتنوعت الطواغيت الذين عبدوهم من دون الله، فمنهم من عبد الأحجار، والأشجار، والأصنام والأوثان، ومنهم من عَبَد الجن، ومنهم من عبد الشمس، والقمر، والنجوم، ومنهم من عبد النار، وكانوا يتحاكمون إلى الكهنة الّذين ادعوا علم الغيب.

ومع ذلك عُبد الأنبياء، والملائكة، والصالحون الّذين لا يُطلق عليهم كلمة (الطاغوت).

وقد جاء فيما تقدم عرضه من مرويات العهد التصريح بعبادة الناس للأحجار، والأشجار، والأصنام والأوثان؛ كاللاتّ، والعزّة، ومناة، وإساف، ونائلة، وعبادتهم للجنّ والشمس والقمر، ووجه كونها من الطواغيت أنّها عُبِدَت من دون الله فتجواز الناس بها الحد.

وأما النجوم فقد جاء ذكرها في حديث أبي مالك الأشعري، أنّ النبي ﷺ قال: (أربع في أمّتي من أمر الجاهلية، لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)، لأنّ الاستسقاء بالنجوم هو: (نسبة السقيا إلى النجوم،

---

[١] سورة الزخرف: ٥٧، والحديث رواه الإمام أحمد في المسند (١/٣١٧-٣١٨)، وصححه أحمد شاكر في تحقيق المسند (٤/٣٢٨-٣٢٩)، والألباني في السلسلة الصحيحة (٧/٦٣٢ رقم ٣٢٠٨)

ويشمل ما هو أعظم من ذلك، وهو أن تطلب السقيا من النجم)[1]، فتبيّن أنّ الجاهليين كانوا يُجَاوِزون الحد بالنجوم حيث نسبوا السقيا إليها، ومن الناس من طلب السقيا منها فعبدها من دون الله.

وأما الكهنة وهم الّذين كانوا يتعاطون الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويَدَّعون معرفة الأسرار عن غير دليل شرعي[2]، فجاء ذكرهم في حديث أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه حيث ذكر غلامه أنّه تَكهَّن للإنسان في الجاهلية، والتَكَهُّن عمل الكِهانة ممن ليس بكاهن[3]، ولكن يُستفاد من الحديث وجود الكهنة في الجاهلية، لأنّ الكهنة لولا انتشارهم في الجاهلية لما تمكّن غلام أبي بكر من التَكَهُّن، كما جاء ذكر الكهان في قصة تجديد عبد المطلب لبئر زمزم، حيث أرادت قريش التحاكم إلى كاهنة.

فالكهنة ادعوا الغيب، وتحاكم إليهم الناس فحكموا بأهوائهم، بغير ما أنزل الله، وتقدم أنّ الذين يَدَّعون علم الغيب، والذين يحكمون بغير ما أنزل الله من رؤوس الطواغيت الخمسة.

وأما عبادة المجوس للنار فقد جاء ذكرها في قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه، كما جاء ذكر عبادة اليهود لعزير، وعبادة النصارى لعيسى بن مريم، وعبادة المشركين للملائكة في الأخبار الأخيرة.

فاتضح مما سبق أنّ الناس الذين أُرسل إليهم النبي ﷺ كانوا متنوعين في معبوداتهم، ولم يكونوا مقتصرين على عبادة نوع دون آخر، فضلاً عن أن يكونوا مقتصرين على الأصنام في عبادتهم، والعلم بهذا الأمر في غاية الأهمّية لمعرفة حقيقة الشرك لدى الناس الّذين بعث فيهم النبي ﷺ، ولا سيما في الرد على من زعم خصوصية الشرك في الأصنام.

---

[1] التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٣٥٤)

[2] انظر: النهاية (٢١٤/٤)، فتح الباري (١٩٠/٧)

[3] انظر: غريب الحديث للحربي (٥٩٥/٢)

الفصل السادس:

بيان الولاء والبراء في مرويات العهد المكّي

وتحته تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: معنى الولاء والبراء

المبحث الاوّل: علاقة الولاء والبراء بتوحيد الألوهية

المبحث الثاني: مظاهر الولاء والبراء في مرويات العهد المكّي

المبحث الثالث: أنواع من التعامل مع الكفار التي لا تنافي الولاء والبراء

تمهيد:

معنى الولاء والبراء

الولاء والموالاة أصلهما في اللغة الوليّ الّذي هو القرب والدنو ومن معانيهما الحب والمناصرة[١]، وأما البراء فمعناه التَخَلُّص[٢]، وقد يُعَبِّر أهل العلم عن الولاء والبراء بالمُوالاة والمعاداة، أو بالولاء والعداء، فهذه التعبيرات الثلاثة وأمثالها المقصود منها في كلام العلماء واحد

أما تعريف الموالاة والمعاداة شرعاً، فقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن[٣] — رحمهم الله: (أصل الموالاة: الحب، وأصل المعاداة: البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب، والجوارح، ما يدخل في حقيقة الموالاة، والمعاداة، كالنصرة، والأُنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال، والولي ضد العدو)[٤]

---

[١] انظر: معجم مقاييس اللغة: مادة (و ل ي)، الصحاح: مادة (ولى)

[٢] انظر: لسان العرب: مادة (برأ)

[٣] هو: الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، الإمام العالم العامل، ولد في الدرعية سنة ١٢٢٥هـ، وانتقل مع والده إلى مصر، وأخذ عن والده وعميه، وعن مشائخ مصر، ورجع إلى نجد وأخذ عنه الشيخ حمد العتيق، والشيخ سليمان السحمان وغيرهما من علماء نجد، وكان له عدد من التصانيف النافعة منها (مصباح الظلام) و(منهاج التأسيس)، وتوفي سنة (١٢٩٢هـ). انظر: الدرر السنية (٤١٣)، تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (١٧١٣/٣)

[٤] الدرر السنية (٣٢٥/٢)

وذكر الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري[1] – رحمه الله – أنّ الموالاة عند أئمة الدعوة في نجد هي: (الموافقة والنصرة والمعاونة، والرضا بأفعال من يواليهم)، وذكر أنّهم كفّروا من فعل ذلك ممن يدّعي الإسلام، ثمّ علّق على كلامهم بقوله: (أمّا مجرد الاجتماع مع الكفار، بدون إظهار تام للدين، مع كراهية كفرهم، فمعصية لا توجب الكفر)[2]

ومفهوم قوله (بدون إظهار تام للدين) أنّ من اجتمع مع كافر مع إظهار تام لإسلامه والاعتزاز به وكراهة لكفره، فلا يُعَدّ عاص بذلك

وذكر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن – رحمهم الله – إنّ المولاة المنهي عنه قسمان:

القسم الأول: الموالاة المطلقة العامة، وهو الّذي يُعَبَّر عنه بالتولّي، وهو كفر مخرج عن الملّة، وهو الرضا بأفعال الكفار والدفاع عنهم، وإعانتهم ونصرتهم بالمال والبدن والرأي.

القسم الثاني: وهو موالاة الكفار لغرض دنيوي، مع سلامة المعتقد وبغير الرغبة عن دين الإسلام، وهي كبيرة من كبائر الذنوب[3]

---

[1] هو: الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن العنقري النجدي الحنبلي العلامة المحقق المدقق، ولد عام ١٢٩٠هـــ، وأخذ العلم عن كبار علماء عصره منهم الشيخ عبد الله بن عبد الليف آل الشيخ، والشيخ سليمان بن سحمان، ومن تلاميذه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، ومن أشهر ما ألّف: (حاشية شرح زاد المستقنع)، وتوفي رحمه الله عام ١٣٧٢هـــ. انظر: تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (١٨٢٥/٣)

[2] انظر: المصدر نفسه (١٥٨/٩-١٥٩)، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية لمحماس الجلعود (٢٨/١)

[3] انظر: الدرر السنية (٤٧٠/١-٤٧٤، ٤٢٢/٨، ١٥٨/٩)، وهذا لا يمنع أن يعامل المسلم الكافر بالعدل، وأن يتعامل معه في الأمور الدنيوية مثل البيع والشراء ونحو ذلك كما سيأتي بيانه.

المبحث الأول

علاقة الولاء والبراء بتوحيد الألوهية

وفي ذلك:

١- حديث عمرو بن عبسة السلمي، قال: (بأي شيء أرسلك؟) فقال رسول الله ﷺ: (بأن يُوَحَّد الله ولا يُشرَك به شيء، وكسر الأوثان)[١]

٢- ما جاء عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: إن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: (هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح)، قال: (ما هي؟)، قالوا: (تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة)، قال: (حتى أنظر ما يأتي من عند ربي)، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [٢] السورة، وأنزل الله ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [٣]

التعليق:

اختلفت أقوال العلماء في علاقة الولاء والبراء بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمنهم من قال إنّ الولاء والبراء من معاني كلمة التوحيد، ومنهم من قال إنّ الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد.

---

[١] تقدم تخريجه، ص (٣٥٠)

[٢] سورة الكافرون: ١

[٣] سورة الزمر: ٦٤-٦٦، والحديث تقدم تخريجه، (ص٣٥٠)

وممن قال إنّ الولاء والبراء داخل في معنى كلمة التوحيد الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين[1]، فقال – رحمه الله تعالى: (إنّ موالاة الله بعبادته، والبراءة من كل معبود سواه، هو معنى لا إله إلا الله)[2]

ووافقه على ذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ – رحمه الله – حيث قال: (اعلم - رحمك الله – أنّ كلمة الإخلاص:لا إله إلا الله، لا تنفع قائلها، إلا بمعرفة معناها، وهو نفي الإلهية عما سوى الله، والبراءة من الشرك في العبادة، وإفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة) وقال: (قال الخليل عليه السلام: ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ ﴾[3]، فهذا هو حقيقة معنى لا إلـــه إلا الله، وهو البرآءة من كل ما يعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله وحده)[4]

ويُفهم من كلام للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ أنّ في المسألة قول آخر، فقال – رحمه الله – عندما سئل عن الموالاة والمعاداة: هل هي من معنى لا إلـــه أو من لوازمها؟ فقال: (الجواب أنَّ يقال: الله أعلم، حسب المسلم أنْ يعلم أنَّ الله افترض عليه عداوة المشركين، وعدم موالاتهم، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم، ...و أمَّا كون ذلك من معنى لا إله إلا الله أو لوازمها، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك، وإنما كلفنا بمعرفة أنَّ الله فرض ذلك وأوجبه، وأوجب العمل به، فهذا هو الفرض والحتم الذي لا شك فيه، فمن عرف أنَّ ذلك من معناها، أو من لوازمها، فهو حسن وزيادة خير، ومن لم يعرفه، فلم يُكلف بمعرفته، لاسيما إذا كان الجدل والمنازعة فيه، مما يفضي إلى شرٍ

---

[1] هو: الشيخ العلاّمة: عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبا بطين العائذي، ولد عام ١١٩٤هــ، وأخذ العلم عن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، واجتهد حتى صار من علماء عصره، وولي القضاء في الطائف، ومن تلاميذه الشيح محمد بن مانع، تتوفي رحمه الل بشقراء سنة (١٢٨٢هــ). انظر: الدرر السنية (٤٢٧/١٦)، و تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة (١٧٠٢/٣)

[2] الدرر السنية (٢٩٨/٢)

[3] سورة الزخرف: ٢٦-٢٨

[4] الدرر السنية (٢٥٢/٢-٢٥٣)

واختلافٍ، ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الإيمان، وجاهدوا في الله وعادوا المشركين ووالوا المسلمين، فالسكوت عن ذلك متعين)[1]

ويظهر من كلام الشيخ - رحمه الله — أنّ هذه المسألة سبّبت خلافاً بين أهل السنة في زمانه، والشيخ تَوَقَّف في المسألة وبيّن أنّ الواجب موالاة المؤمنين، وعداوة المشركين.

والّذي يظهر والعلم عند الله تعالى أنّ المسألة فيها تفصيل، فالّذين قالوا إنّ الولاء والبراء من معنى لا إله إلا الله نظروا إلى عمل المشركين وإلى طواغيتهم، فيجب على المسلم أن يتبرأ من الشرك ومما عبده المشركون من دون الله، وأن يخلص العبادة لله وحده دون من سواه، فمن هذا الاعتبار يصح أن يقال إنّ الولاء والبراء هو معنى كلمة لا إله إلا الله وأن من فقد الولاء والبراء بهذا المعنى فقد الإسلام

والّذين قالوا إنّ الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد نظروا إلى أعيان المشركين، فقالوا إنّ من وحّد الله وأتى بكلمة التوحيد لَزِمَه أن يوالي أولياءه، وأن يُعادي أعداءه، ومن هذا الاعتبار يصح أن يقال إنّ الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد

فالمسألة فيها تفصيل، فإذا كان المقصود بالبراء عمل المشركين وطواغيتهم، يقال: إن الولاء والبراء يطابق معنى لا إله إلا لله ومن فَقَدَه فَقَدَ الإسلام، وإذا كان المقصود بالبراء أعيان الكفار، يقال: إنّ الولاء والبراء من لوازم كلمة التوحيد، وأنّ من والى الكفار، فَقَدْ يُحكم عليه بأنّه كافر، وقد يُقال أنّه فعل كبيرة من كبائر الذنوب[2]، وقد تقدم تفصيل ذلك في تمهيد هذا الفصل

ومما يمكن الاستشهاد به على أنّ الولاء والبراء مطابق لكلمة التوحيد، إذا كان المقصود بالولاء والبراء موالاة الله بعبادته وحده، والبرآة من الشرك ومعبودات المشركين، حديث عمرو بن عبسة السلمي لأنّ النبي ﷺ عندما سئل عما جاء به قال: (بأن يُوَحَّد الله

---

[1] فتيا في حكم السفر إلى بلاد الشرك (ضمن مجموع الرسائل للعلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ص١٧٦-١٧٨)

[2] انظر: الأهم فالأهم — محاضرة ألقاها معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (الوجه الثاني من الشريط)، الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه للباحث د/عبد الرزاق معاش (ص٤٥٦)

ولا يُشرَك به شيء، وكسر الأوثان)، فمما بعث به رسول الله ﷺ وهو توحيد الألوهية: إظهار العداوة لما عُبد من دون الله من الأصنام والطواغيت

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى: (وفيه من العبر أيضاً أنّه لما قال: (أرسلني الله)، قال: (بأي شيء أرسلك؟)، قال: (بكذا وكذا)، فتبيّن أن زبدة الرسالة الإلـــهية والدعوة النبوية هي توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وكسر الأوثان، ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف، فتأمل زبدة الرسالة)[١]

أما سورة الكافرون وقصة نزولها فهي مما استشهد به الشيخ عبد الرحمن بن حسن عند كلامه على أن البراءة من معبودات المشركين من معنى لا إله إلا الله، فقال رحمه الله تعالى: (اعلم أنّ (لا إله إلا الله) لها معنى عظيم، يستضيء به قلوب أهل الإسلام، والإيمان، وهو الّذي بعث الله به جميع الرسل، من أولهم إلى آخرهم، وخلقهم لأجله، والقرآن من أوله إلى أخره: يبين معنى هذه الكلمة

ونذكر بعض ما دلّ عليه القرآن من معناها، وما ذكره العلماء، من أئمة الإسلام، فدونك كلام العماد ابن كثير – رحمه الله، في تفسير سورة ﴿ قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَـٰفِرُونَ ﴾ ذكر أن هذه السورة، سورة البرآءة من العمل، الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص، وأن قريشاً دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون إلـــهه سنه، فأنزل الله هذه السورة، وأمره فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية، فقال: ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ يعني من الأصنام والأنداد ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ﴾ وهو الله وحده، ولهذا كانت كلمة الإسلام لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والمشركون يعبدون غير الله[٢]

قُلتُ: فدلّت هذه السورة الكريمة، على البرآءة من عبادة أصنام المشركين، وأصنامهم التي كانت موجودة في الخارج...

---

[١] المفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهّاب: ٦/١٩٩–٢٠٠– القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

[٢] انظر: تفسير ابن كثير (٥٠٧/٨)

...وأخبر [الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام] أنّه قال لقومه ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ﴾ وهي: (لا إله إلا الله) بإجماع أهل الحق، فعبر عنها بالبرآءة من معبوداتهم، التي كانوا يعبدونها في الخارج)[1]

[1] الدرر السنية (٢/٢٥٩-٢٦٠)

المبحث الثاني:

مظاهر الولاء والبراء في مرويات العهد المكّي

وهي كالآتي:

أولاً:- إظهار البغض والعداوة لما عبد من دون الله من الأصنام والطواغيت وإعلان البراء منها

وفي ذلك:

١- في قصة رحلة النبيّ ﷺ إلى الشام مع عمّه أبي طلب: قام إليه الراهب فقال: يا غلام! أسألك بحق اللات والعزى الا أخبرتني عما أسألك، فقال: رسول الله ﷺ لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما.[١]

٢-حديث عمرو بن عبسة، قال: (وبأي شيء أرسلك؟)، قال: (أرسلني بصلة الأرحام، وَكَسرِ الأوثان، وأن يوحد الله، لا يُشرَك به شيئاً)[٢]

٣- في قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه: ...فقال – يعني والد سلمان الفارسي: (أين كنتَ؟) قلتُ: (مررت بالنصارى، فأعجبني صلاتهم ودعاؤهم، فجلستُ أنظر كيف يفعلون). قال: (أيْ بُنَيّ، دينك ودين آبائك خيرٌ من دينهم). فقلت: (**لا والله، ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قومٌ يعبدون الله، ويدعونه ويصلّون له، ونحن نعبد ناراً نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت**)[٣]

---

[١] تقدم تخريجه، (ص١١٧)

[٢] تقدم تخريجه، ص (٩٧)

[٣] تقدم تخريجه، ص (١٥٠)، واللفظ ليونس بن بكير في روايته عن ابن إسحاق

٤- قصة المستهزئين التي فيها نزول قول الله تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [(١)]

٥- ما جاء عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: إن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: (هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح)، قال: (ما هي؟)، قالوا: (تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة)، قال: (حتى أنظر ما يأتي من عند ربي)، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [(٢)] السورة، وأنزل الله ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [(٣)]

٦-في حديث عبد الله بن مسعود في الهجرة إلى لحبشة: قال: قال جعفر: (أنا خطيبكم اليوم). فاتبعوه فسلَّم و لم يسجد، فقالوا له: (ما لك لا تسجد للمَلِك؟) قال: (إنّا لا نسجد إلا لله ﷻ). قال: (وما ذاك؟) قال: إنّ الله بعث إلينا رسوله، فأمرنا ألا نسجد لأحد إلا لله ﷻ، وأمرنا بالصلاة والزكاة).[(٤)]

٧- قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ قال لقريش: (يا معشر قريش، إنه ليس أحد يُعبد من دون الله فيه خير)[(٥)]

[(١)] سورة الحجر:٩٤، والحديث تقدم تخريجه، ص (٧٢)

[(٢)] سورة الكافرون: ١

[(٣)] سورة الزمر: ٦٤-٦٦، والحديث تقدم تخريجه، (ص٣٥٠)

[(٤)] تقدم تخريجه، ص (١٥٤)

[(٥)] تقدم تخريجه، ص (٤٢٦)

التعليق:

تقدم البيان على أنّ الولاء والبراء من معانيه موالاة الله بعبادته وحده، مع التبرؤ من الشرك، وما عَبَدَه المشركون من الأصنام والطواغيت، وإذا كان الأمر كذلك فأعظم مظاهر الولاء والبراء، إظهار العداوة والبغض للشرك والطواغيت، والتبرؤ منها، وبالتصريح الكامل لأعداء الله أنّ دينهم باطل، وأن دين الله حق[1]

والأخبار المتقدمة من مرويات العهد المكّي تُصَوِّر لنا هذا المظهر من مظاهر الولاء والبراء

أمّا قصة رحلة النبي ﷺ إلى الشام مع عمّه أبي طاب، فقد صَرَّحَ فيها رسول الله ﷺ- قبل المبعث – ببغضه للاّت والعُزَّة

وبيّن رسول الله ﷺ لعمرو بن عبسة السلمي ﷺ أنّ زبدة رسالته ﷺ: التوحيد وإظهار العداوة للأصنام بكسرها

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في تعليقه على حديث عمرو بن عبسة السلمي ﷺ: (وفيه من العبر أيضاً أنّه لما قال: (أرسلني الله)، قال: (بأي شيء أرسلك؟)، قال: (بكذا وكذا)، فتبيّن أن زبدة الرسالة الإلـــهية والدعوة النبوية هي توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وكسر الأوثان، ومعلوم أن كسرها لا يستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف، فتأمل زبدة الرسالة)[2]

وسلمان الفارسي ﷺ، أول ما أقدم على بحثه للدين الصحيح، صرّح لوالده ببطلان دين المجوس، تبرأ من عبادتهم، فقال ﷺ: (لا والله، ما هو بخير من دينهم، هؤلاء قومٌ يعبدون الله، ويدعونه ويصلّون له، ونحن نعبد ناراً نوقدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت)

وأمر الله نبيه ﷺ بإظهار ما أمر به، وهو الدعوة إلى التوحيد، على رؤوس الأشهاد، وأن يُفَرِّق بين الحق والباطل فقال تعالى: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾

---

[1] انظر: الولاء والبراء في الإسلام (ص١٧٨)

[2] المفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد (ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهّاب: ٦/١٩٩-٢٠٠- القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية)

والصدع يأتي بمعنى الإظهار، وبمعنى التفريق، فعلى المعنى الأول يكون معنى الآية: (أَظهِر ما تؤمر به علناً على رؤوس الأشهاد)، وعلى المعنى الثاني يكون معنى الآية: (فرق بين الحق والباطل بما أمرك الله بتبليغه)[1]

ومدلول كلا التفسيرين، الأمر بإعلان بطلان الشرك

كما أمر الله نبيه ﷺ أن يُعلن برآءته من الشرك في سورة الكافرون التي هي: سورة البرآءة من العمل، الذي يعمله المشركون، كما ذكره الحافظ ابن كثير[2]، وأن يُصَرِّح بإنكاره على عبادة غير الله في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾

وقد أظهر الصحابة المهاجرون إلى الحبشة برآءتهم من الشرك، عندما امتنعوا عن السجود للنجاشي، وأعلنوا أنّهم لا يسجدون إلاّ لله، وأنّ ذلك ما بعث به رسول الله ﷺ

وأظهر النبي ﷺ برآءته مما عليه أهل الجاهلية من الشرك عندما قال لقريش: (يا معشر قريش، إنه ليس أحد يُعبد من دون الله فيه خير)

---

[1] انظر: أضواء البيان (٣/٢٤٢-٢٤٣)

[2] تفسير ابن كثير (٨/٥٠٧)

ثانياً:- الامتناع عن ترك التوحيد والدعوة إليه إذا طُلب وترك المداهنة في دين الله تعالى.

وفي ذلك:

١- عن عقيل بن أبي طالب[١]، قال: جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: (إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا)، فقال: (يا عقيل، انطلق فأتني بمحمد) فانطلقتُ إليه، فاستخرجته من حنش[٢] ـــ يقول: من بيت صغير ـــ فجاء به في الظهيرة في شدة الحر فجعل يطلب الفيء، يمشي فيه من شدة الحر الرحض[٣]، فلما أتاهم قال أبو طالب: (إن بني عمك هؤلاء قد زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم)، فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال: (أترون هذه الشمس؟) قالوا: (نعم) قال: (فما أنا أقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة) فقال أبو طالب: (والله ما كذبنا ابن أخي قط فارجعوا)[٤]

٢- ما روي أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: (يا ابن أخي إن القوم جاؤوني فقالوا كذا وكذا) - للذي قالوا له - وآذنوني قبل الحرب، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا، ولا أنت، واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا، الذي فَرَّقَ بيننا و بينهم، فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعَمِّه بداء، وأنه خَاذِلُه ومُسَلِّمُه وضَعُفَ عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله ﷺ: (يا عم، لو وُضِعَت الشمس في يميني، والقمر في يساري، ما تركت الأمر حتى يُظهِرَه الله أو أَهلِك في طلبه)، ثمّ استعبر رسول الله ﷺ فبكى، فلمّا ولّى، قال له حين

---

[١] تقدم تخريجه، (ص١٦٠)

[٢] راجع: التعليق عليه في (ص١٦٠)

[٣] تقدم شرحه، (ص١٦٠)

[٤] تقدم تخريجه، (ص١٦٠)

رأى ما بلغ الأمر برسول الله ﷺ: (أقبل يا ابن أخي)، فأقبل عليه، فقال: (امض على أمرك وافعل ما أحببت، فوالله لا نُسَلِّمُك بشيء أبدا)[١]

٣- قصة مجادلة عتبة بن ربيعة مع النبي ﷺ، وفيه: (..أيها الرجل إن كان إنما بك الباءة، فاختر أي نساء قريش، ونُزَوِّجُك عشراً، وإن كان إنما بك الحاجة، جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلاً واحداً، فقال رسول الله ﷺ: (أفرغت؟)، قال: (نعم)، فقرأ رسول الله ﷺ ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [٢] حتى بلغ ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [٣] فقال عتبة حسبك حسبك[٤]

٤- وفي رواية: (...يابن أخي إن جئت، إنما تريد بما جئتَ من هذا القول مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرَنا مالاً، وإن كُنتَ إنما تريد شَرَفاً شرفناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كُنتَ تريد مُلكاً مَلَّكنَاكَ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه ولا تستطيع أن ترده عن نفسك، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، ولعلّ هذا الذي يأتي به شعر جاش به صدرك، فإنّكم لعمري، يا بني عبد المطلب، تقدرون منه على ما لا يقدر عليه أحد)، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال رسول الله ﷺ: (أفرغت يا أبا الوليد؟)، قال : (نعم) قال: (فاستمع مني)، قال: (أَفْعَل)، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [٥] فمضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه[٦]

---

[١] ابن إسحاق (ص١٣٥)، ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢/٣١٠ رقم ٩٠٩)، وإنّما ذكرته لأنّ معنى الحديث المتقدم اشتهر بلفظ هذا الحديث

[٢] سورة فصلت، الآيات:١-٢

[٣] سورة فصلت، الآية:١٣

[٤] الحديث تقدم إيراده، (ص٤٠)

[٥] سورة فصلت، الآيات:١-٣

[٦] تقدم تخريجه، (ص٤٢)

٥- ما جاء عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: إن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالاً، فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، ويطئوا عقبه، فقالوا له: (هذا لك عندنا يا محمد، وكفّ عن شتم آلهتنا، فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل، فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، فهي لك ولنا فيها صلاح)، قال: (ما هي؟)، قالوا: (تعبد آلهتنا سنة: اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة)، قال: (حتى أنظر ما يأتي من عند ربي)، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[(١)] السورة، وأنزل الله ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[(٢)]

التعليق:

من مظاهر الولاء والبراء: ترك المداهنة في دين الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[(٣)]، والمشركون في مكّة لما رأو (صلابة المسلمين واستعلاءهم بدينهم، ورفعة نفوسهم فوق كلّ باطل ولما بدأت خطوط اليأس في نفوسهم من أن المسلمين يستحيل رجوعهم عن دينهم سلكوا مهزلة أخرى من مهازلهم الدالة على طيش أحلامهم ورعونتهم الحمقاء)[(٤)]

فقد دعوا رسول الله ﷺ إلى ترك دعوته ورفض هذه الدعوة قائلاً: أترون هذه الشمس؟) قالوا: (نعم) قال: (فما أنا أقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة)، وفي رواية: قال ﷺ مقولته المشهورة فيما روي عنه ﷺ (يا عم، لو وُضِعَت الشمس في يميني، والقمر في يساري، ما تركت الأمر حتى يُظهِرَه الله أو أَهلِك في طلبه)

وعرضوا له ﷺ أنواعاً مختلفة من متاع الحياة الدنيا في مقابل ترك دعوته كما فعله عتبة بن ربيعة، ولكن بقي ﷺ على دعوته و لم يلتفت إلى ما عرضوه.

---

(١) سورة الكافرون: ١

(٢) سورة الزمر: ٦٤-٦٦، والحديث تقدم تخريجه، (ص٣٥٠)

(٣) سورة القلم: ٨-٩

(٤) الولاء والبراء في الإسلام (ص١٧٩)

(وقد دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة، ويعبدون معبوده سنة، فأنزل الله سورة الكافرون)[1]، وأنزل قوله: ﴿ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾

ثالثاً:- التبرؤ من دين الآباء والأقارب المشركين والامتناع عن طاعتهم في مخالفة التوحيد والاعتراف بضلالهم وكفرهم

وفي ذلك:

١- عن سعد بن أبي وقاص ﷺ: أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: حلفت أمّ سعد أن لا تُكَلِّمَه أبداً، حتى يكفر بدينه، ولا تأكل، ولا تشرب، قالت: (زَعَمتَ أن الله وَصَّاك بوالديك، وأنا أُمُّك وأنا آمرك بهذا)

قال: مَكَثَت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجَهدِ، فقام ابن لها، يقال له عُمارة فسقاها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله ﷻ في القرآن هذه الآية ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي ﴾ وفيها ﴿ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا ﴾ [2]

٢- قول علي بن أبي طالب للنبي ﷺ في وفاة أبي طالب: (إن عمك الشيخ الضال قد مات)[3]

---

[1] الولاء والبراء في الإسلام (ص١٧٩)

[2] سورة لقمان: ١٥، والحديث تقدم تخريجه، (ص٣٩٥)

[3] رواه أبو داود في كتاب الجنائز، باب: الرجل يموت له قرابة مشرك (٣/٣٥٥ رقم ٣٢١٤)، والإمام أحمد في المسند (١/١٣١)، وحسّنه الذهبي في السيرة النبوية (١/١٩٣)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٣/١٧٠ رقم ٧١٧)

٣-وفي رواية: أنه أتى النبي ﷺ فقال: (إن أبا طالب مات)، فقال: (اذهب فواره)، قال: (إنه مات مُشرِكاً)، قال: (اذهب فواره)، فلمّا وَاريته رَجَعتُ إليه فقال لي: (اغتسل)[1]

التعليق:

من مظاهر الولاء والبراء: الاعتراف بضلال الآباء والأقارب إذا كانوا مشركين وعدم التردد في وصفهم بالضلال والشرك

وقد حقق الصحابة هذا المظهر من مظاهر الولاء والبراء في مكّة كما هو ظاهر في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حيث امتنع عن طاعة أمّه في أمرها بترك دينه، مع تعذيبها لنفسها طمعاً في ترك ابنها لدينه، (وكان معروفاً أنّه من أبرّ الأبناء بأمهاتهم، لكنه وقف من أجل دينه ذلك الموقف الحازم الشديد)[2]، وكما هو ظاهر في قول علي في وفاة والده أبي طالب حيث وصفه بـــ(ــالشيخ الضال) وتحرّج من مواراته لكونه مشركاً، و لم يتردد في الاعتراف بأنه مشرك وفي ذلك رد صريح على من زعم إسلام أبي طالب.

رابعاً:- صلابة المسلمين في دينهم وتحمّلهم في دين الله تعالى أنواعاً من الظلم والأذى من قبل أعدائهم

وفي ذلك:

١- ما جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد . فأما رسول الله ﷺ فمَنَعَهُ الله بِعَمِّه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون

---

[1] رواه النسائي في كتاب الطهارة، باب الغسل من مواراة المشرك (٩٢/١)، والإمام أحمد في المسند (٩٧/١)، وحسّنه الذهبي في السيرة النبوية (١٩٣/١)، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (١٧٠/٣ رقم ٧١٧)

[2] الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية (٣٠٥/١)

وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم[1] في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم[2] على ما أرادوا إلاّ بلال، فإنّه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: (أحدٌ، أحدٌ)[3]

٢-وعن مجاهد[4]، قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وبلال، وخباب[5]، وصهيب، وعمار، وسمية أم عمار، فأما رسول الله ﷺ فَمَنَعَهُ عَمُّه، وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأُخِذ الآخرون، فأُلبِسوا أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ، فأعطوهم ما سألوا، فجاء إلى كل رجل منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء، فألقوهم فيها، ثم حُمِلوا بجوانبه إلا بلالاً، فلما كان العشي جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرفث، ثم طعنها فقتلها فهي أول شهيد استشهد في الإسلام، إلا بلالاً فإنه هانت عليه نفسه في الله حتى ملوه، فجعلوا في عُنُقِه حبلاً، ثم أمروا صبيانهم فيشتدوا به بين أخشبي مكة وجعل يقول: (أحدٌ، أحدٌ)[6]

٣- عن عبدالرحمن بن عوف، قال: قال لي أمية بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما: (يا عبد الإله، مَن الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟) قال: قلت: (ذاك حمزة بن عبدالمطلب)، قال: (ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل؟)

قال عبدالرحمن: فوالله، إني لأقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يُعَذِّبُ بلالاً بمكة على ترك الإسلام، فيُخرِجُه إلى رمضاء مكة[7] إذا حميت، فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة، فتوضع على صدره، ثم يقول: (لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد)، فيقول بلال: (أحدٌ، أحدٌ)[8]

---

[1] تقدم شرحه، (ص٢٢٤)

[2] تقدم شرحه، (ص٢٢٤)

[3] تقدم تخريجه، (ص٢٢٤)

[4] تقدمت ترجمته، (ص١٠٣)

[5] تقدمت ترجمته، (ص٧٧)

[6] تقدم تخريجه، ص (٢٢٥)

[7] تقدم التعريف به، (ص٢٢٥)

[8] تقدم تخريجه، ص (٢٢٥)

٤- وعن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (لقد أَخَفتُ في الله، وما يخاف أحدٌ، ولقد أوذيت في الله، وما يؤذى أحد، ولقد أتت عليّ ثلاثون من بين يوم وليلة، وما لي ولبلال طعامٌ يأكله ذوكَبِدٍ إلا شيء يواريه إبط بلال)[١]

٥- عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ مرّ بعمار وأهله و هم يُعَذَّبُون، فقال: (أبشروا آل عمار، وآل ياسر فإن موعدكم الجنة)[٢]

٦- وفي رواية: (صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)[٣]

٧- وعن مجاهد قال: (أول شهيد استشهد في الإسلام أم عمار طعنها أبو جهل بحربة في قبلها)[٤]

٨- جاء خباب إلى عمر فقال: (أدن، فما أحدٌ أحق بهذا المجلس منك، إلا عمار) فجعل خباب يريه آثارا بظهره مما عذبه المشركون[٥]

---

[١] رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٦٤٥/٤ رقم ٢٣٧٢)، وابن ماجه في كتاب السنة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (١٠٠/١ رقم ١٥١)، ولإمام أحمد في المسند (٢٨٧/٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٢/٧). قال الترمذي: (حديث حسن غريب)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (ص٨٣)

[٢] رواه لحاكم المستدرك (٤٣٨/٢)، والطبراني في الأوسط (١٤١/٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في المجمع (٤٨٠/٩): (رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم وهو ثقة)، ووافق الحاكم والذهبي الشيخ الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص١٥٥)

[٣] تقدم تخريجه، ص (٣٦١)

[٤] رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٠/٧)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٦٤/٨-٢٦٥)، والفاكهي في أخبار مكة (٢١٣/٣)، والبيهقي في الدلائل (٢٨٢/٢). قال الحافظ في لإصابة (٣٢٧/٤): (مرسل صحيح السند)

[٥] رواه ابن ماجه في كتاب السنة، باب: في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (١٠١/١ رقم ١٥٣)، وابن أبي شيبة في المصنف(٣٨٥/٧)، وصحح إسناده البوصيري، وأورده الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص١٥٧)، وقال في صحيح ابن ماجه (٣١/١): (صحيح)

٩- سأل عمر خباباً عمّا لقي من المشركين، فقال: (يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري)، فنَظَرَ، فقال: (ما رأيت كاليوم)، قال خباب: (لقد أُوقِدَت لي نارٌ وسُحِبتُ عليها، فما أطفأها، إلا وَدَك[١] ظهري[٢]

١٠-قال سعيد بن زيد بن عمرو[٣] بن نفيل: (والله لقد رأيتُني، وإن عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يُسلم عمر)[٤]

١١-وفي لفظ: (رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته)[٥]

١٢- عن خباب ﷺ، قال: كنت رجلاً قَيْناً[٦] فعملت للعاص بن وائل[٧]، فاجتمع لي عنده، فأتيته أتقاضاه فقال: (**لا والله**، لا أقضيك حتى تكفر بمحمد)، فقُلتُ: (أما والله، حتى تموت ثم تبعث فلا).[٨]

١٣- حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – في إسلام أبي ذر[٩] ﷺ، وفيه: .. فقال: (والذي نفسي بيده، لأُصَرِّخَنّ بها بين ظهرانيهم)، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) وثار القوم، فضربوه حتى

---

[١] هو: دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه. النهاية (١٦٩/٥)

[٢] حلية الأولياء (١٤٣/١-١٤٤)، الاستيعاب (٤٣٩/٢)، قال الدكتور عادل عبد الغفور في دراسة مرويات العهد المكّي (ص٧٠٩): (رجاله ثقات)

[٣] هو: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وهاجر وشهد أحدا والمشاهد بعدها ولم يكن بالمدينة زمان بدر فلذلك لم يشهدها، وتوفي ﷺ عام ٥٠هـ. انظر: الإصابة (١٠٤/٣)

[٤] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سعيد بن زيد (صحيح البخاري مع فتح الباري:٢١٤/٧ رقم٣٨٦٢)

[٥] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام عمر (صحيح البخاري مع فتح الباري:٢١٦/٧ رقم٣٨٦٧)

[٦] تقدم شرحه، (ص٧٧)

[٧] تقدمت ترجمته (ص٤٣)

[٨] تقدم تخريجه، ص (١١٨)

[٩] تقدمت ترجمته، (ص١٣٧)

أضجعوه، فأتى العباس فأكب عليه، فقال: (ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلى الشام عليهم؟)، فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد بمثلها، وثاروا إليه فضربوه، فأكب عليه العباس فأنقذه[1]

التعليق:

من مظاهر ولاء المؤمنين لله ﷻ ولدينه: صلابتهم على دين الله تعالى وصبرهم وتحمّلهم في الله أنواعاً من الظلم والاضطهاد والتعذيب على أيدي المشركين، فإنّ قريشاً ظلموا السابقين الأولين، وصبّوا عليهم أنواعاً شتى من العذاب، طمعاً في رجوعهم عن دين الله تعالى، ولكن لم يصرف هذا الظلمُ المؤمنين عن دين الله تعالى، و لم يهتموا بقوة العدو[2]

ومواجهة المؤمنين للابتلاء والأذى على أيدي أعدائهم قبل التمكين من السنن التي أجراها الله في خلقه[3]، قد أمرهم الله ﷻ بالصبر على ذلك الأذى

قال الله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [4]

وقال الله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [5]

---

[1] تقدم تخريجه، (ص١٣٧)

[2] انظر: الولاء والبراء في الإسلام (ص١٦٤-١٦٦، ١٧١)

[3] انظر: الفوائد لابن القيم (ص٤٤٩)

[4] سورة آل عمران: ١٨٦

[5] سورة الروم: ٦٠

قال الإمام الشوكاني[1] – رحمه الله تعالى: (أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالصبر، مُعَلّلاً لذلك بحقية وعد الله وعدم الخلف فيه، فقال: ﴿ فَٱصْبِرْ﴾ على ما تَسمَعُه منهم من الأذى، وتنظره من الأفعال الكفرية، فإن الله قد وعدك بالنصر عليهم وإعلاء حجتك، وإظهار دعوتك، ووعده حق لا خلف فيه ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي: لا يَحمِلَنَّك على الخِفَّة ويستفزنك عن دينك، وما أنت عليه الذين لا يوقنون بالله، ولا يصدقون أنبياءه، ولا يؤمنون بكتبه)[2]

ومن صور موالاة المؤمنين لله بتحمّل الأذى في دينه ﷻ ما واجهه بلال الذي سُحب إلى رمضاء مكة وألقيت عليه الأثقال، لم يصرفه ذلك عن دينه، وإنّما تحمّل ذلك في الله وقال: (أحدٌ أحدٌ)

ومن ذلك ما لقيه آل ياسر الّذين تعرضوا لأعظم بلاء تشهده أسرة مضطهدة

ومن ذلك ما واجه أبو ذر حين صاح: (لا إلــه إلا الله محمد رسول الله)[3]

ومن ذلك ما واجه خباب ﵁ الذي جلده المشركون على ظهره، وبقيت آثار التعذيب في جسده، والّذي منعه حقه العاص بن وائل، وحلف ألا يقضيه حتى يرجع عن دينه، ولكن لم يصرفه هذا عن دينه وقال: (أما والله، حتى تموت ثم تبعث فلا)

وهكذا لقي كثير من المسلمين أصنافاً من العنت والإيذاء على أيدي أعدائهم، فصبروا وصابروا، واحتسبوا ذلك عند الله وكان لوقفتهم الصلبة هذه الأثر البالغ على رفعة المسلمين وعزة الإسلام، وانتشاره.

---

[1] هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، العلاّمة المجتهد، الفقيه المفسر، ألّف (نيل الأوطار)، و(فتح القدير) وغيرهما من التصانيف النافعة، وتوفي رحمه الله عام ١٢٥٠هــ. انظر: الأعلام (٦/٢٩٨)

[2] فتح القدير (٤/٣٠٥-٣٠٦)

[3] ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (١/٥٤-٥٥) مع تصرف

خامساً:- دفاع المؤمنين عن النبي ﷺ ونصرتهم له ﷺ ونصرتهم بعضهم بعضاً

وفي ذلك:

١- ما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: بينما رسول الله ﷺ قائم يُصَلِّي عند الكعبة، وجمع قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: (ألا تنظرون إلى هذا المرائي، أيّكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها[١]، فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟)، فانبعث أشقاهم فلمّا سجد رسول الله ﷺ، وَضَعَه بين كتفيه، وثبت النبي ساجداً فَضَحِكُوا، حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة - عليها السلام - وهي جويرية، **فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تَسُبُّهم**[٢]

٢- وقيل لعبد الله بن عمرو بن العاص[٣]: (أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ). قال: بينا رسول الله ﷺ، يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط[٤] فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، **فأقبل أبو بكر فأخذ**

---

[١] السَّلى : الجلد الرَّقيق الذي يَخْرُج فيه الوَلَدُ من بطن أمه مَلْفوفا فيه. النهاية (٣٩٦/٢)

[٢] رواه البخاري في كتاب الصلاة، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى (صحيح البخاري مع فتح الباري:٧٠٧/١ رقم ٥٢٠) ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين (مع شرح النووي: ٣٦٢/١٢ رقم ٤٦٢٥)

[٣] هو: عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أسلم قبل أبيه، وكان يكتب الحديث عن رسول الله ﷺ بإذنه، في صحيفة سمّاها: الصادقة، وكان من علماء الصحابة وعبادهم، وشهد فتح الشام مع أبيه، وشهد صفين بأمر من أبيه وهو كاره، وكان يقول بعد ذلك: ما لي ولصفين؟، ولاّه معاوية الكوفة، وتوفي بمصر – وقيل: بالشام – سنة (٦٥هـ). انظر: البداية والنهاية (٢٦٣/٨-٢٦٤)، الإصابة (١٩٢/٤)

[٤] هو: عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف صبراً، وذلك يوم بدر سنة (٢هـ) كافراً، ويقال : قتله علي بن أبي طالب. انظر: سيرة ابن هشام (٦٢٣/١)

بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾ [1]

٣-وقال: مر ﷺ بهم ذات يوم، فقالوا له: (أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟) فقال: (أنا ذاك)، فقاموا إليه فأخذوا بمجامع ثيابه، فرأيت أبا بكر ﷺ محتضنه من ورائه وهو يصيح بأعلى صوته وإن عينيه لتسيلان وهو يقول : يا قوم ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾[2]

٤- عن عمرو بن العاص ﷺ، قال: ما رأيت قريشاً أرادوا قتل رسول الله ﷺ إلاّ يوماً رأيتهم وهم جلوس في ظل الكعبة، ورسول الله ﷺ يُصَلِّي عند المقام، فقام إليه عقبة بن أبي معيط، فجعل رداءه في عنقه، ثم جذبه حتى وجب لركبتيه ﷺ، وتصايح الناس فظنوا أنه مقتول. قال: وأقبل أبو بكر ﷺ يَشتَدّ حتى أخذ بضبعي[3] رسول الله ﷺ من ورائه وهو يقول: ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ ثم انصرفوا عن النبي ﷺ فقام رسول الله ﷺ فلمّا قضى صلاته، مرّ بهم وهم جلوس في ظل الكعبة فقال : (يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح) وأشار بيده إلى حلقه فقال له أبو جهل: (يا محمد! ما كنت جهولاً!) فقال رسول الله ﷺ: (أنت منهم!)[4]

---

[1] سورة غافر، الآية ٢٨، والحديث رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٦/٧ رقم ٣٦٧٨)، وكتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة (الفتح: ٢٠٣/٧ رقم ٣٨٥٦)، وكتاب التفسير، سورة المؤمن (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٤١٦/٨ رقم ٤٨١٥)

[2] سورة غافر، الآية ٢٨، والحديث تقدم تخريجه، (ص٤٠٦)

[3] الضَبْع بسكون الباء : وسَطُ العَضُد . وقيل هو ما تَحْت الإبْط. النهاية (٧٣/٣)

[4] رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣١/٧)، وابن حبان في صحيحه (٥٢٩/١٤)، وأبو يعلى في المسند (٦٢٧/١٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٦): (رواه أبو يعلى والطبراني وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح)، وأورده الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص١٤٩)

٥- عن أسماء بنت أبي بكر[١] أنهم قالوا لها ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ فقالت: كان المشركون قعدوا في المسجد يتذاكرون رسول الله ﷺ، وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك، إذ دخل رسول الله ﷺ، فقاموا إليه وكانوا إذا سألوا عن شيء صدّقهم، فقالوا: (ألست تقول كذا وكذا؟)، فقال: (بلى)، فتشبثوا به بأجمعهم فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقيل له: (أدرك صاحبك) فخرج من عندنا وإن له غداير، فدخل المسجد وهو يقول: (ويلكم! ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾) قال: فلهوا عن رسول الله ﷺ، وأقبلوا على أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدايره، إلاّ جاء معه وهو يقول: (تباركت، يا ذا الجلال والإكرام)[٢]

٦- وعن أنس رضي الله عنه، قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه فجعل ينادي ويقول: (ويلكم! ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾) قالوا: (من هذا؟)، قالوا: (هذا ابن أبي قحافة المجنون)[٣]

٧- اشترى أبو بكر – يعني: بلالاً – بخمسة أواقي، وهو مدفون بالحجارة، قالوا: (لو أبيت إلا أوقية لبعنا له)، فقال: (لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته)[٤]

---

[١] تقدمت ترجمتها، (ص٦٩)

[٢] تقدم تخريجه، (ص٢٦٠)

[٣] مسند أبي يعلى (٣٦٢/٦)، المستدرك (٧٠/٣)، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧/٦): (رجاله رجال الصحيح)، وصحح الحافظ إسناده في فتح الباري (٢٠٧/٧)

[٤] مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٧/٧)، الطبقات الكبرى (٢٣٢/٣). قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٥٣/١): (إسناده قوي)

٨-وكان عمر يقول: (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا)، يعني بلالاً[١]

٩- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي)[٢]

١٠- في بيعة العقبة الثانية: (...أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم). .. فأخذ البراء بن معرور[٣] بيده ثم قال: (نعم، والذي بعثك بالحق، لنَمنَعَنَّك مما نمنع منه أزرنا[٤])، فبايعنا رسول الله ﷺ فنحن أهل الحروب وأهل الحَلقة[٥]، وَرَثناها كابراً عن كابر. قال: فأعترض القول، والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان[٦] حليف بني عبد الأشهل، فقال: يا رسول الله: (إن بيننا وبين الرجال حبالاً[٧]، وإنا قاطعوها – يعني: اليهود – فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك، وتدعنا؟)

---

[١] رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب بلال بن رباح مولى أبي بكر رضي الله عنهما (١٢٥/٧ رقم٣٧٥٤)

[٢] الجملة الأولى رواها البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٥١/٧ رقم ٣٦٨٤)، والجملة الثانية زيادة رواها ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٧٠/٣) صححها الباحث عادل عبد الغفور عبد الغني في دراسة مرويات العهد المكّي ص (٨٦٢)

[٣] هو: البراء بن معرور بن صخر أبو بشر الأنصاري الخزرجي السلمي، كان من النفر الذين بايعوا البيعة الأولى بالعقبة، وهو أول من بايع، وأول من استقبل القبلة، وأول من أوصى بثلث ماله، ومات قبل قدوم النبي ﷺ بشهر. انظر: الإصابة (٢٨٢/١)

[٤] أي: نساءنا وأهلنا كنى عنهنّ بالأزرِ. وقيل: أراد أنفسنا . وقد يُكنى عن النفْس بالإزار. النهاية (٤٥/١)

[٥] الحَلْقة بسكون اللام : السلاحُ عامًّا. وقيل : هي الدُّروع خاصة. النهاية (٤٢٧/١)

[٦] هو: أبو الهيثم بن التيهان بن مالك الأنصاري الأوسي، كان فيمن شهد العقبة، وبدراً، والمشاهد كلها ، وقتل بصفين عام ٣٧هـــ. الإصابة (٤٤٩/٧)

[٧] الحبال: أي: عهود ومواثيق. النهاية (٣٣٢/١)

قال: فَتَبَسَّم رسول الله ﷺ ثم قال: (بل الدَّمَ الدَّم الهَدْمَ الهَدْمَ[1]، أنا منكم، وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم)[2]

١١- وفي رواية: (تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة) ..فقال أهل العقبة: ..(والله، لا ندع هذه البيعة أبداً، ولا نسلبها أبداً)[3]

١٢- وفي رواية أخرى: (أما الذي أسألكم لرَبّي، فتعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأما الذي أسألكم لنفسي فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم)[4]

---

[1] (بَلِ الدَّمَ الدَّمَ والهَدْمَ الهَدْمَ) يروَى بسكون الدال، وفتحِها، فالهدَم بالتَّحريك: القبر يعني إنّي أُقْبَر حيث تُقْبَرُون. وقيل : هو المَنْزِل، أي: منزِلكم مَنْزِلي كحَديثه الآخر (المَحْيَا مَحْياكُم والمَمات مَمَاتُكُم)، أي: لا أُفارِقُكُم والهَدْمُ بالسكون وبالفتح أيضاً، هو: إهْدَارُ دَم القَتيل، يقال: دِمَاؤُهمْ بَيْنَهُمْ هَدْمٌ: أي مُهْدَرَةٌ. والمعنى إنْ طُلِبَ دَمُكُم فَقد طُلِبَ دَمِي وإنْ أُهْدِر دَمُكُم فَقد أُهْدِرَ دَمِي لاستحكام الأُلْفَة بَيننا وهو قول مَعروف لِلعرب يقولون: (دَمِي دَمُك وهَدْمِي هَدْمُك) وذلك عِنْد المُعاهَدة والنُّصْرة. النهاية (٢٥١/٥)

[2] تقدم تخريجه، (ص١١٩)

[3] تقدم تخريجه، (ص٧٧)

[4] تقدم تخريجه، (ص٢٣٨)

التعليق:

ومن صور الموالاة في الله دفاع الصحابة عن رسول الله ﷺ ونصرة المؤمنين بعضهم لبعض[١]

وقد أمر الله تعالى عباده بنصرة نبيه ﷺ مقترناً بأمره ﷻ بالإيمان به ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى: (التعزير اسم جامع لنصره، وتأييده، ومنعه من كل ما يؤذيه)[٣]

كما أمر الله تعالى المؤمنين بالتناصر فيما بينهم، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾[٤]

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى: (أي: يتناصرون، ويتعاضدون كما جاء في الصحيح: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)، وشبك بين أصابعه)[٥]

وتظهر هذه الصورة من صور الولاء لله جلية في الموقف الذي أخذته فاطمة – رضي الله عنها – عندما جاءت لنصرة النبي ﷺ لّما أهانه ﷺ المشركون وهو يصلّي، وفي موقف الصديق ﷺ عندما دافع عن النبي ﷺ لما خنقه عقبة بن أبي معيط

وتظهر نصرة المؤمنين بعضهم لبعض في عِتق الصديق لبلال ﷺ ليُنجيه – بإذن الله – من عذاب المشركين

---

[١] انظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية (٣٢٤/١)

[٢] سورة الفتح: ٨-٩

[٣] الصارم المسلول على شاتم الرسول (٨٠٣/٣)

[٤] سورة التوبة: ٧١

[٥] تفسير ابن كثير (١٧٤/٤)، والحديث رواه البخاري في كتاب المظالم، باب نصر المظلوم (صحيح البخاري مع فتح الباري:١١٩/٥ رقم ٢٤٤٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ونعاضدهم (صحيح مسلم مع شرح النووي:٣٥٥/١٦ رقم ٦٥٢٨)

كما تظهر في دفاع عمر بن الخطاب ﷺ عن المؤمنين حتى تمكنوا من الصلاة عند الكعبة.

ويدلّ على موالاة المؤمنين للنبي ﷺ ونصرهم له ﷺ قول أهل العقبة الثانية: (نعم، والذي بعثك بالحق، لنَمنَعَنَّك مما نمنع منه أزرنا).

سادساً:- الهجرة

١- قول جعفر للنجاشي في حديث أم سلمة في الهجرة: (فصدّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا، ففتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، ولما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك)[١]

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أُمِر بالهجرة)[٢]

التعليق:

من مظاهر البراء من الكفار في العهد المكّي: الأمر بالهجرة من مكّة إلى المدينة، فإنّ المسلمين عاشوا في حالة ضعف وذلة (ولما كان الإسلام هو دين العزة ودين القوة: فإنه قد أبى على معتنقيه أن يستذلوا للكفار، وبذلك جاء المنع من الإقامة بين ظهراني غير المسلمين، لأن إقامته بينهم تشعره بالوحدة والضعف وتربي فيه روح الاستخذاء والاستكانة، وقد تدعوه إلى المحاسنة ثم المتابعة، والإسلام يريد للمسلم أن يمتلئ قوة وعزة

---

[١] تقدم تخريجه، ص (١١٩)

[٢] رواه البخاري في كتب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة (صحيح البخاري مع فتح الباري:٢٦٧/٧ رقم ٣٩٠٢)

وأن يكون متبوعاً لا تابعاً، وأن يكون ذا سلطان ليس فوقه إلا سلطان الله لذلك حرم الإسلام على المسلم أن يقيم في بلد لا سلطان للإسلام فيه إلا إذا استطاع أن يظهر إسلامه ويعمل طبقاً لعقيدته دون أن يخشى الفتنة على نفسه، وإلا فعليه أن يهجر هذا البلد إلى بلد يعلو فيه سلطان الإسلام فإن لم يفعل فالإسلام بريء منه ما دام قادراً على الهجرة. وفي ذلك كله يقول المولى سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴾)[1]

وقد عدّ الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن – رحمهم الله- الهجرة من الأعمال الداخلة في حقيقة المولاة والمعاداة فقال: (أصل الموالاة: الحب، وأصل المعاداة: البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب، والجوارح، ما يدخل في حقيقة الموالاة، والموادة، كالنصرة، والأُنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال، والولي ضد العدو)[2]

سابعاً:- النهي عن الاستغفار للمشركين

وفي ذلك قصة وفاة أبي طالب، فلمّا حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل – فقال: (أي عمِّ، قل لا إله إلا الله كلمةً أحاج لك بها عند الله. فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء كلمهم به: (على ملّة عبد المطلب). فقال النبي ﷺ: (لأستغفرن لك، ما لم أنه عنه) فنزلت : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ

[1] سورة النساء: ٩٧-٩٨، الولاء والبراء في الإسلام (ص٢٧١)

[2] الدرر السنية (٢/٣٢٥)

كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [1] ونزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [2]

التعليق:

من مظاهر البراء من الكفار في العهد المكّي: نهي الله تعالى نبيه ﷺ عن الاستغفار لعمّه أبي طالب، ونهيه ﷻ أتباع رسوله ﷺ عن الاستغفار للمشركين، حيث أنزل على النبي ﷺ قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ عقب قوله ﷺ لعمّه بعد امتناعه عن الاتيان بكلمة التوحيد: (لأستغفرن لك، ما لم أنه عنه)

وترك الاستغفار للمشركين فعل إبراهيم عليه السلام عندما ترك الاستغفار لأبيه، وقد مدحه الله في ذلك: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [3]

والاستغفار للمشركين منهي عنه لا سيما في حق الأموات منهم، لأن الله قد قضي بأنّه لا يغفر للمشرك أبداً إذا مات على شركه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [4]

فالاستغفار للمشركين من مظاهر الود المنهي عنه لهم ومن صور موالاتهم.[5]

---

[1] سورة التوبة، الآية: ١١٣

[2] سورة القصص، الآية: ٥٦، والحديث تقدم تخريجه، ص (٨٧)

[3] سورة التوبة: ١١٤

[4] سورة النساء: ٤٨، ١١٦

[5] انظر: الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم للدكتور عبد الله بن إبراهيم الطريقي (ص٦٤-٦٦)

المبحث الثالث:

أنواع من التعامل مع الكفار التي لا تنافي الولاء والبراء

وهي كالآتي:

أولاً:- الدعاء لهدايتهم ودعوتهم إلى الحق

وفي ذلك:

١- دعاء النبي ﷺ لهداية عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، وإعزاز الإسلام به، فعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب) قال: وكان أحبهما إليه عمر.

٢- وفي رواية ابن مسعود: (اللهمّ أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام) فجعل الله دعوة رسوله لعمر بن الخطاب فبنى عليه الإسلام وهدم به الأوثان.

٣- وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : اللهم أيد الإسلام بأبي جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب فأصبح عمر فغدا على رسول الله صلى الله عليه و سلم و أسلم ثم خرج فصلى في المسجد ظاهراً.

٤- وقال سعيد بن المسيب[١]: كان رسول الله ﷺ إذا رأى عمر بن الخطاب أو أو أبا جهل بن هشام قال: (اللهم اشدد دينك بأحبهما إليك) فشدد دينه بعمر بن الخطاب

عن ابن عمر قال : لما طعن عمر قال له ابن عباس: (يا أمير المؤمنين، جزاك الله خيرا ابشر قد دعا لك رسول الله ﷺ أن يعز الله بك الدين والناس مختلفون، فلما أسلمت كان إسلامك عزا وأظهر الله بك الاسلام ورسول الله واصحابه وهاجرت إلى المدينة فكانت هجرته فتحاً ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض)[٢]

٥- ما رواه أبو هريرة قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي[٣] وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا: (يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها) فقيل: (هلكت دوس) قال: (اللهم اهد دوساً وائت بهم)[٤]

٦- جميع ما ورد في دعوة النبي ﷺ إلى التوحيد، كقوله: (يا أيها الناس قولو: (لا إلـــه إلا الله) تفلحوا)[٥]، وتقدمت الأخبار في ذلك عند الكلام على أن الاتيان بكلمة التوحيد أول واجب على المكلف

التعليق:

من الأمور التي لا تنافي الموالاة والمعاداة: الدعاء لهداية كافر ودعوة الكفار إلى الحق، بل هذان الأمران، من كمال موالاة الله، لأنّ من أحب الله فإنّه يغار على حقه جلّ

---

[١] تقدمت ترجمته، (ص٨٢)

[٢] انظر تخريج هذه الروايات، ص (٨٢-٨٣)

[٣] هو: الطفيل بن عمرو بن طريف الدوسي، أسلم بمكة ورجع إلى قومه، ثم وافى النبي ﷺ في عمرة القضية وشهد الفتح بمكة، قيل استشهد باليمامة، وقيل باليرموك، وقيل بأجنادين. انظر: الإصابة (٥٢٢/٣)

[٤] رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى لتأليفهم (صحيح البخاري مع فتح الباري:١٢٦/٦ رقم ٢٩٣٧)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيئ (٢٩٤/١٦ رقم ٦٣٩٧)

[٥] تقدم تخريجه، (ص٣٣٨)

وعلا فوق كل محبوب من أن يكون توجه الخلق إلى غيره بنوع من أنواع التوجهات، وتحمله هذه الغيرة إلى تمنّي هداية الخلق فيدعوهم إلى التوحيد، وقد تحمله إلى أن يدعو الله بهداية من يتمنى هدايتهم[1]

فهذا رسول الله ﷺ سيد من حقق المولاة والمعاداة في الله: كان أحرص الخلق على هداية الناس، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]

فكان حريصاً على ما أمر الله به من تبليغ الحق، وحرصه على هداية الخلق حمله ﷺ على الدعاء لهداية بعض الكفار إلى الإسلام لا سيما من كان في هدايته مصلحة وتعدّي النفع كعمر بن الخطاب ﷺ، والطفيل بن عمرو الدوسي وقومه.

وكون النبي ﷺ دعا الكفار إلى الإسلام، وكونه دعا لهدايتهم، وهو سيد من حقق التوحيد، وسيد من أحب الله ووالى فيه وعادى فيه ﷻ يدلّ على أنّ هذين الأمرين لا تنافي الولاء والبراء، بل هما من كمال الموالاة والمعاداة في الله.[3]

ثانياً- تمني نصر فئة من الكفار على فئة أخرى أشدّ كفراً منهم

وفي ذلك:

١- ما جاء عن ابن عباس : في قول الله تعالى ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾[4] قال غلبت، وغلبت. كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم ؛ لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل

[1] انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص٦٦)

[2] سورة التوبة: ١٢٨

[3] انظر: شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص٣٦)، الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم (ص٦٦)

[4] سورة الروم:١-٣

كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (أما إنهم سيغلبون). قال: فذكره أبو بكر لهم، فقالوا: (اجعل بيننا وبينك أجلاً ؛ فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا ؛ فجعل أجلاً خمس سنين ، فلم يظهروا، فذكر ذلك للنبي – صلى الله عليه وسلم، فقال: (ألا جعلته إلى دون؟) قال: (أراه) قال: (العشر) قال سعيد بن جبير: والبضع ما دون العشر، قال ثم ظهرت الروم بعد، قال فذلك قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ إلى قوله ﴿ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ﴾ [1]

٢- وفي رواية: لما نزلت ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ [2]، فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم ؛ لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قول الله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۞ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [3] فكانت قريش تحب ظهور فارس ؛ لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث ، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة ﴿ الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾ . قال ناس من قريش لأبي بكر: (فذلك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارسا في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟) قال: (بلى) وذلك قبل تحريم الرهان، فارتهن أبو بكر والمشركون، وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: (كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين؟ فسمِّ بيننا وبينك وسطاً تنتهي إليه)، قال: (فسموا بينهم ست سنين) قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما

---

[1] سورة الروم:٤-٥، والحديث تقدم (ص٥٣)

[2] سورة الروم: ١-٤

[3] سورة الروم:٤-٥

دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾ قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير[١]

التعليق:

من الأمور التي لا تنافي الولاء والبراء: تمني نصر فئة من الكفار على فئة أخرى أشدّ كفراً منهم، والدليل على ذلك حديث نزول أول سورة الروم، والشاهد من الحديث في قول ابن عباس – رضي الله عنهما: (كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم ؛ لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأنهم أهل كتاب، فذكروه لأبي بكر، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (أما إنهم سيغلبون)

وقوله وفي رواية: (لما نزلت ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾، فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم ؛ لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قول الله تعالى ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ فكانت قريش تحب ظهور فارس ؛ لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث)

ووجه دلالة الحديث على جواز حب نصر فئة من الكفار على فئة أشد كفراً منهم أنّ أبا بكر ﷺ ذكر حب المسلمين ظهور الروم على أهل فارس، ولم يُنكر النبي ﷺ على ذلك مما يدلّ على جوازه وكونه غير منافٍ للولاء والبراء، وهو في الحقيقة من العدل المأمور به

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى: (العدل وضع كل شئ في موضعه كما أن الظلم وضع الشئ في غير موضعه

ولهذا لما اقتتلت فارس المجوس والروم النصارى، وكان النبي ﷺ بمكة إذ ذاك وهو في طائفة قليلة ممن آمن به، كان هو وأصحابه يحبون أن تغلب الروم، لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تغلب فارس لأنهم من جنسهم، ليسوا أهل كتاب فأنزل الله في

---

[١] الحديث تقدم (ص٥٤)

ذلك ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ والقصة مشهورة في كتب الحديث والتفسير والمغازي)[١]

فبيّن – رحمه الله – أنّ تمني المسلمين ظهور الروم النصارى على فارس المجوس من العدل الّذي هو وضع الشيء في موضعه، فلا ينافي الولاء والبراء

ثالثاً- الحب الطبيعي للكفار

وفي ذلك قصة وفاة أبي طالب، الّتي فيها نزل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ [٢]

التعليق:

من الأمور التي لا تنافي الولاء والبراء: محبة الكفار محبة طبيعية، غير محبة الدين، كمحبة المسلم لأقاربه الكفار، وكمحبة المسلم لزوجته الكتابية، وقد دلّت قصة وفاة أبي طالب على جواز المحبة الطبيعية لكافر حيث أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ ، فأثبت الله تعالى أنّ النبي ﷺ أحبّ عمّه المشرك، و لم يُنكر عليه في ذلك

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله تعالى: (ومن فوائد هذه الآية الكريمة: جواز محبة الكافر؛ لإحسانه إليك، أو قرابته، أو ما أشبه ذلك، لا لدينه، ولهذا يُحَبّ الإنسان من وجه، ويُكره من وجه آخر، فمحبة الإنسان لأبيه الكافر، قد لا يُلام عليها؛ لإحسانه عليه، لكن إذا أحب للدين، كان ذلك خلاف ما كان عليه المؤمنون)[٣]

ووجه كون المحبة الطبيعية غير منافٍ للولاء والبراء: (إنّ وجود الحب الطبعي أو التواد والتناصر الدنيوي لا يعني بالضرورة وجود الحب الشرعي وانعقاد الولاية الشرعية،

---

[١] الاستقامة (٤٦٤/١)

[٢] سورة القصص، الآية: ٥٦، والحديث تقدم تخريجه، ص (٨٧)

[٣] التعليق على صحيح مسلم للشيخ ابن عثيمين (١٦٥/١)

فقد يحب الرجل بمقتضى الطبع زوجه أو ولده أو عشيرته وإن كانوا على غير دينه، ولا يقدح ذلك في أصل الدين إلا إذا حمل على فعلٍ هو في ذاته من أعمال الكفر الأكبر)[1]

رابعاً- إظهار الموالاة للكفار عند الإكراه مع اشتراط كون القلب مطمئناً بالإيمان

وفي ذلك ما جاء في تفسير قول الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [2] عن عمّار بن ياسر – رضي الله عنهما - أن المشركين أخذوه، فَعَذَّبوه، حتى باراهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: (كيف تجد قلبك؟) قال: (مطمئناً بالإيمان). قال النبي ﷺ: (فإن عادوا فعد)[3]

التعليق:

من الأمور التي لا تنافي حقيقة الولاء والبراء: إظهار الموالاة العامة المطلقة للكفار عند الإكراه في الظاهر دون الباطن

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

وهذه الآية الكريمة نزلت في عمار بن ياسر بالاتفاق[4]، عندما أعطى للكفار ما أرادوا بلسانه مكرهاً مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان، فالمرء إذا أُكرِه على إظهار الموافقة للكفار، فإنّه يُعذر بذلك الإكراه، ولا يُحكم بكفره إذا كان غير موافق لهم في الباطن،

---

[1] الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه (ص٤٥٨)

[2] سورة النحل: ١٠٦

[3] تفسير الطبري (٦٥٠/٧)، المستدرك (٣٨٩/٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحكى الحافظ الاتفاق على نزول الآية في عمّار في الإصابة (٥٠٦/٢)، وقال الألباني في حاشية فقه السيرة (ص١٠٨): (إنما يصح منه نزول الآية في عمّار لمجيئ ذلك من طرق ساقها ابن جرير)

[4] حكى هذا الاتفاق الحافظ ابن حجر في الإصابة (٥٠٦/٢)

والإكراه لا يكون إلا على القول أو الفعل، أما عقيدة القلب فلا يتصور فيها الإكراه، فإذا وافق الإنسان الكفار في الباطن ولو مكرهاً كَفَر، والأفضل للمُكرَه عدم الموافقة وأن يصبر على القتل، إن لم يكن في بقائه مصلحة راجحة[1]

خامساً- معاملة الكفار بالعقود المباحة كالبيع والشراء والأجرة والعمل عندهم

وفي ذلك ما جاء عن خباب ﷺ، قال: كنت رجلاً قَيْناً[2] فعملت للعاص بن وائل[3]

التعليق:

من الأمور التي لا تنافي الولاء والبراء، معاملتهم بالعقود المباحة كالبيع والشراء والأجرة والعمل عندهم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى: (الأصل..:أنه لايحرم على الناس من المعاملات التى يحتاجون اليها إلاّ ما دل الكتاب والسنة على تحريمه، كما لايشرع لهم من العبادات التى يتقربون بها إلى الله، إلاّ ما دلّ الكتاب والسنة على شرعه إذ الدين ما شرعه الله والحرام ما حرمه الله، بخلاف الذين ذمّهم الله حيث حرّموا من دين الله ما لم يحرمه الله، وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانا، وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)[4]

وبناء على هذه القاعدة، وسيرة النبي ﷺ، والنصوص الشرعية، جاز التعامل مع الكفار بالعقود المباحة، ويدخل في مسمى الموالاة[5]

---

[1] انظر: شرح كشف الشبهات من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص١٣٣-١٣٤)، شرح كشف الشبهات للشيخ ابن عثيمين (ص١٣٦-١٣٧)، التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات (ص٣٦٦-٣٧٠)

[2] تقدم شرحه، (ص٧٧)

[3] تقدم تخريجه، ص (١١٨)

[4] السياسة الشرعية (ضمن مجموع الفتاوي: ٣٨٦/٢٨)

[5] انظر: الولاء والبراء في الإسلام (ص٣٥٦)

وحديث خباب المتقدم يدلّ على جواز المرء أجرة نفسه للكفار، وفي هذا الحديث ذكر (خباب – وهو إذ ذاك مسلم – في عمله للعاص بن وائل وهو مشرك، وكان ذلك بمكّة...واطلع النبي ﷺ على ذلك وأَقَرّه)[١]

فهذا الحديث دلّ على جواز الأجرة للكفار والعمل عندهم، وهكذا البيع والشراء والهبة وغيرها من المعاملات المالية فإنّها عقود مباحة فجازت المعاملة بها مع الكفار كالأجرة[٢]

سادساً– الثناء على بعض الكفار والاعتراف بما عندهم من الخير إذا كانت فيه مصلحة

وفي ذلك قول النبي ﷺ في حديث أم سلمة في الهجرة إلى الحبشة: (**إن بأرض الحبشة مَلِكاً لا يُظلَم أحدٌ عنده،** فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فَرَجاً و مَخْرَجاً مما أنتم فيه)[٣]

التعليق:

من الأمور التي لا تنافي الولاء والبراء: الثناء على الكفار والاعتراف بما عندهم من الخير إذا كانت فيه مصلحة.

لأنّ الثناء على الكفار لا سيما إذا كان بمُسَوِّغ شرعي لا يدخل في مسمى الموالاة، بل هو من العدل الذي أمر الله به — حتى مع العدو — في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [٤]

---

[١] فتح الباري (٥٢٨/٤)

[٢] انظر: الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم (ص٧٢)

[٣] تقدم تخريجه، ص (٦٧)

[٤] سورة المائدة: ٨

(والنبي ﷺ كان يعرف للناس أقدارهم، ولا يبخسهم أشياءهم، وكان يثني على الإنسان بما فيه من خلال الخير – إذا كان ثمّ مصلحة – ولو كان كافراً

ولذلك أثنى على النجاشي، ووصفه بأنّه (ملك لا يُظلم أحدٌ عنده) مع أنّه حينها كان كافراً لم يسلم بعد)[1]

سابعاً- الدخول في حماية الكفار إذا دعت الحاجة إليه

وفي ذلك:

١- قول رسول الله ﷺ في حديث أم سلمة في الهجرة إلى الحبشة: (إن بأرض الحبشة مَلِكاً لا يُظلَم أحدٌ عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فَرَجاً و مَخْرَجاً مما أنتم فيه) [2]

٢-قول جعفر للنجاشي في حديث أم سلمة في الهجرة: (فصدّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا، ففتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، ولما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك)[3]

٣- عن العباس بن عبدالمطلب، أنّه قال: (يا رسول الله، هل نفعتَ أبا طالب بشيء، فإنّه كان يحوطك ويغضب لك؟)[4]

---

[1] من أخلاق الداعية للشيخ د/سلمان بن فهد العودة (ص٤٤-٤٥)

[2] تقدم تخريجه (٦٧)

[3] تقدم تخريجه (١١٩)

[4] رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٣٣/٧رقم ٣٨٨٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه (صحيح مسلم مع شرح النووي:٧٩/٣ رقم ٥٠٩)

٤- عن عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد . **فأما رسول الله ﷺ فمَنَعَهُ الله بِعَمِّه أبي طالب،** وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس[1]

التعليق:

من الأمور التي لا تنافي الولاء والبراء: الدخول في حماية الكفار إذا دعت الحاجة إليه، كحاجة المسلم إلى السلامة من الكافر المحارب، فهذه الحاجة قد تدعوه إلى الدخول في حماية الكافر المحايد أو الكافر المعاهد

وهذا الأمر قد دلّ عليه الهجرة الحبشية، وحماية أبي طالب للنبي ﷺ، وحماية قوم أبي بكر له ﷺ، فكل هذا دلّ على أنّه (يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية الكفار إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء أكان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي النصراني، ..أو كان مشركاً كأولــــك الذين عاد المسلمون إلى مكّة في حمايتهم، كأبي طالب الّذي حمى الرسول ﷺ)[2]

---

[1] تقدم تخريجه، (ص٢٢٤)

[2] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص٢١٠)


الخاتمة

الخاتمة

في ختام هذا البحث، أحمد الله الذي وفّقني لإتمامه وإنجازه على الوجه الذي هو عليه، وأذكر هنا أهم النتائج التي توصّلت إليها، كما أذكر بعض التوصيات وهي كالآتي:-

١- شمول مرويات العهد المكّي لمسائل الإيمان بالله مما يدلّ على أهمّية التوحيد، وعظم عناية النبي ﷺ به.

٢- ورد في مرويات العهد المكّي كثير من خصائص الله المتعلقة بربوبيته، وهي: تفرّده بالخلق، وتفرّده بالملك، وتفرّده بالأمر على وجه العموم، وتفرده بالإحياء والإماتة، وتفرّده بالرزق، وتفرّده بإجابة الدعاء إلى غير ذلك من الخصائص المتعلّقة بتدبير الكون وشؤون حياة بني آدم.

٣- الأدلّة على توحيد الربوبية كثيرة متنوعة من أهمّها كون الإقرار به أمر فطري، ولذلك أقر به المشركون ولم يخاصموا فيه، وقد ورد البيان على إقرار المشركين بتوحيد الربوبية في مرويات العهد المكّي بأوجه مختلفة ومتنوعة من الدلالة، تارة ببيان أنهم أطلقوا لفظ (الرب) على الله، وتارة ببيان إقرارهم ببعض أفراد الربوبية لله؛ كإقرارهم بأن الله هو الخالق، وإقرارهم بأّن الملك له وحده، وأن الرزق بيده تعالى، وأنّ الشفاء بيده، وتارة ببيان توجيههم بعض أنواع العبادة إلى الله الذي يتضمن إقرارهم بربوبيته تعالى، وإذا كثرت وتنوعت الأدلة على أمر، دلّ ذلك على وضوحه وظهوره، فلا يمكن أن يُنكر إقرار المشركين بتوحيد الربوبية إلا مكابر.

٤- لقد أيّد الله نبيّه ﷺ ومن قبله من الأنبياء والرسل بآيات تدلّ على صدقهم، وهذه الآيات كلّها تدلّ على توحيد الربوبية إمّا بنفسها وإمّا بدلالة اللزوم.

٥- ورد في مرويات العهد المكّي إثبات الأسماء الآتية من أسماء الله الحسنى: (الأحد)، و(الأعلى)، و(الأكرم)، و(الإلـــه)، و(الخلاّق)، و(الرب)، و(الرحمن)، و(الرحيم)، و(السميع)، و(الصمد)، و(العزيز)، و(الغفور)، و(الواسع)، و(أرحم الراحمين)، و(ذو الجلال والإكرام)، كما ورد إثبات الصفات الآتية: الإرادة، والمشيئة، والحب، ورؤية الله لخلقه، والرحمة، والرضى، والسمع، والعَتْب، والعلم، والعفو، والمغفرة،

والعلو، والاستواء، والغضب، والسخط، والقدرة والقوة، والكلام، والمعية، والنور، والوجه.

٦- المشركون كانوا ينكرون اسم الله (الرحمن)، واشتقوا أسماء لأصنامهم من أسماء الله، ونسبوا إليه ما لا يليق بعظمته وجلاله، فمن أنكر اسماً من أسماء الله الحسنى، أو أنكر صفة له، أو سماه بما لا يليق به، أو نسب النقص إلى صفة من صفاته - ممن ينتسب إلى الإسلام فله حظ من التشبه بالمشركين.

٧- كلمة التوحيد (لا إلــه إلا الله) تتضمن نفي الإلــهية عن غير الله، وإثباتها له وحده لا شريك له، والمشركون أدركوا ذلك، بخلاف كثير من المنتسبين إلى الإسلام الذين يتلفظون بهذه الكلمة العظيمة، ولكن لا يعملون بمقتضياتها، وهذه الكلمة الطيبة لها فضل عظيم، ولكن لا ينال هذا الفضل إلا بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها، والإتيان بهذه الكلمة والعمل بها أول واجب على العبد.

٨- ورد في مرويات العهد المكّي عدد من أنواع العبادات المختلفة، القلبية؛ كالخوف والرجاء والحب والتوكل، والقولية؛ كالشكر والدعاء والتكبير، والعملية؛ كالصلاة، والذبح.

٩- اهتمّ النبي ﷺ غاية الاهتمام، ببيان قبح الشرك والنهي عنه، وجاء في مرويات العهد المكّي ذكر الشرك في الدعاء، والشرك في الطاعة.

١٠- لظهور الشرك وانتشاره أسباب يجب الحذر منها، وجاء في مرويات العهد المكّي ذكر بعض هذه الأسباب، وهي الغلو في الصالحين، والبدع، والتعصب.

١١- بُعث الرسول ﷺ إلى أناس متفرقين في عباداتهم، منهم من عبد الأصنام، ومنهم من عبد الشمس، ومنهم من عبد الملائكة، ومنهم من عبد الأنبياء، وقد نهى ﷺ الجميع عن الشرك، و لم يُفرّق بينهم وهذا يدلّ على بطلان دعوى خصوصية الشرك في عبادة الأصنام.

١٢- الكفر أنواع، وجاء في مرويات العهد المكي ذكر كفر الإباء والاستكبار، مما يدل على بطلان حصر الكفر في الجحود والتكذيب كما فعله المرجئة ومن نحا نحوهم.

١٣- الولاء والبراء إذا كان المقصود بهما الولاء لله بعبادته، والبراء مما عُبد من دونه من الأصنام والطواغيت بترك العبادة لله فهو داخل في معنى كلمة التوحيد ومن فقدها فقد الإسلام، أما إذا كان المقصود بالولاء والبراء، والولاء لأولياء الله، والتبرؤ من المشركين فهو من لوازم كلمة التوحيد وفي حكم من خالف الولاء والبراء بهذا الاعتبار تفصيل.

١٤- ورد في مرويات العهد المكّي بعض مظاهر الولاء والبراء، كإظهار التبرؤ من الشرك والأصنام، وترك المداهنة في دين الله، والصبر على الأذي في الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الاستغفار للمشركين، والهجرة، وغير ذلك.

١٥- هناك أنواع من التعامل مع الكفار التي لا تنافي الولا والبراء، كمعاملتهم بالعدل، والمحبة الطبيعية للكفار غير المحبة الدينية، والدخول في حمايتهم عند الحاجة، ومعاملتهم بالعقود المباحة، وقد ورد ذكر هذه الأمور في مرويات العهد المكّي.

ومن التوصيات التي أرى ذكرها:

١- أنّ المهتمّ بتدريس السيرة النبوية، لا ينبغي أن يفوته ما اشتملت عليه من فوائد عقدية في تدريسه، لأنّ الوقوف على هذه الفوائد من أهمّ أهداف سيرة النبي ﷺ.

٢- تدريس السيرة النبوية من أيسر طرق تعليم التوحيد.

٣- ظهر لي من خلال كتابة هذا البحث أنّه يمكن إفراد بعض جوانبه وجزيئاته بالدراسة، وأنّ هناك مواضيع أخرى متعلّقة به يمكن الكتابة فيها، ومن أمثال ذلك: المباحث العقدية المتعلّقة بآيات الأنبياء، والمباحث التربوية والدعوية في مرويات العهد المكّي، والمباحث العقدية المتعلّقة بأبي طالب في حياته وعند مماته.

وختاماً، أسأل الله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، وأن يرزقني الإخلاص في القول والعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

فهرس الآيات

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الإسراء

سورو الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة سبأ

سورة فاطر

سورة ﴿ يسٓ ﴾

سورة الصافات

سورة ﴿ صٓ ﴾

سورة الزمر

سورة غافر

سورة الدخان

سورة محمد

سورة الفتح

سورة ﴿ قٓ ﴾

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة المدثر

سورة الإنسان

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الأعلى

سورة الشمس

سورة الليل

سورة الضحى

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

91 يا معاشر قريش! والله، ما منكم على دين إبراهيم غيري!

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المصادر والمراجع

(١) **القرآن الكريم**

(٢) **آيات الأنبياء وأثرها في المجتمع** – الشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ) – ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان – دار الثريا للنشر – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

(٣) **ابن عثيمين: الإمام الزاهد (١٣٤٧-١٤٢١هـ)** – الدكتور ناصر بن مسفر الزهراني – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

(٤) **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة** – الكتاب الثالث: الرد على الجهمية – شيخ الإسلام الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي (ت٣٨٧هـ) – تحقيق: د/يوسف الوابل – دار الراية – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ

(٥) **الإتقان في علوم القرآن** – جلال الدين السيوطي – دار المعرفة - بيروت

(٦) **أحاديث الهجرة: جمع وتحقيق ودراسة** – الدكتور سليمان بن علي السعود – مركز الدراسات الإسلامية – برمنجهام – الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩٠م

(٧) **أحكام من القرآن الكريم** – فضيلة الشيخ العلاّمة محمد بن صالح العثيمين – مدار الوطن للنشر – الرياض ١٤٢٥هـ

(٨) **أخبار مكّة** – أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس بن الفاكهي (٢٧٥هـ) – تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش – دار خضر – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ

(٩) **الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين** – الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي - القسم الخامس: الثقافة الإسلامية - مركز صالح بن صالح الثقافي – عنيزة – ١٤١١هـ/١٩٩٠م

(١٠) **أدلة معتقد أبي حنيفة الإمام في أبوي الرسول ﷺ** - ملاّ علي القارئ – ضمن: عقيدة الموحدين والرد على الضلال والمبتدعين – جمع وترتيب: الشيخ عبد الله بن سعدي

الغامدي العبدلي – دار الطرفين – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

(١١) **إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه** - الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ) – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ

(١٢) **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل** – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

(١٣) **الاستقامة** – أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٧٢٨هـ) – تحقيق: د/محمد رشاد سالم – دار الفضيلة للنشر والتوزيع – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

(١٤) **الاستيعاب** – يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت٤٦٣هـ) – تحقيق: علي محمد البجاوي – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

(١٥) **الإسراء والمعراج وذكر أحاديثها وتخريجها وبيا صحيحها من سقيمها** – فضيلة الشيخ محمد نصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ) – المكتبة الإسلامية – عمّان – الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(١٦) **الإصابة في تمييز الصحابة** – أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) – تحقيق: علي محمد البجاوي – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ

(١٧) **أضواء البيان في أيضاح القرآن بالقرآن** – الشيخ العلاّمة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) – دار عالم الفوائد – مكّة المكرّمة – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ

(١٨) **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث** - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ) - تحقيق : أحمد عصام الكاتب - دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠١هـ

(١٩) **الأعلام** – الزركلي (١٣٩٣هـ) – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة السابعة ١٩٨٦م

(٢٠) **إعلام الموقعين عن رب العالمين** – أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) – تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ

(٢١) **إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان** – الإمام الحافظ ناصر السنة وقامع البدع محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية (٧٥١هـ) – تحقيق: محمد عفيفي – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ/١٩٩٩م

(٢٢) **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم** - شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية النميري الحراني (ت٧٢٨هـ) – تحقيق: د/ناصر بن عبد الكريم العقل – دار العاصمة – الرياض – الطبعة السادسة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(٢٣) **بدائع الفوائد** – الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) – تحقيق: علي بن محمد العمران بإشراف: الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد – دار عالم الفوائد – مكّة المكرمة – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

(٢٤) **الأهم فالأهم** – محاضرة ألقاها معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ – مكتبة الإبانة السمعية – جدّة – رقم الشريك بموجب فهرس المكتبة: ٤م/٩٤٤

(٢٥) **البداية والنهاية** – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ) – مكتب المعارف - بيروت

(٢٦) **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث** (٢٨٢هـ) – الإمام الحافظ نور الدين علي بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي الشافعي (٨٠٧هـ) – تحقيق: د/حسين الباكري – الجامعة الإسلامية – المدينة النبوية – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م

(٢٧) **بهجة قلوب الأبرار** - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ - القسم الثاني: الحديث – مركز صالح بن صالح الثقافي – عنيزة – ١٤١١هـ/١٩٩٠م

(٢٨) **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية** أو **نقض تأسيس الجهمية** – أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية – تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم – دار القاسم – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢١هـ

(٢٩) **بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود** - عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول - دار العاصمة، الرياض – النشرة الثالثة ١٤١٢هـ

(٣٠) **التبيان في أقسام القرآن** - الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) – دار الفكر

(٣١) **تجريد التوحيد المفيد** – الإمام العلاّمة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي (ت٨٤٥هـ) – تحقيق: علي العمران – دار عالم الفوائد – مكّة المكرّمة – الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ

(٣٢) **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد** – محمد ناصر الدين الألباني – الطكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

(٣٣) **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** – الإمام احافظ أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري – تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود - دار إحياء التراث العربي - بيروت – الطبعة

(٣٤) **تحقيق كلمة الإخلاص** – الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ) - ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي - المجلد الثالث – تحقيق: طلعت الحلواني – الفاروق الحديثية – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(٣٥) **تحقيق مسند الإمام أحمد بن حنبل** – شعيب الأرنؤوط وزملاؤه – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

(٣٦) **تخريج أحاديث تفسير القرآن العظيم** – الشيخ مقبل بن هادي الوادعي – دار الراية – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م (مطبوع مع تفسير القرآن العظيم)

(٣٧) **تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة** – صالح بن عبد العزيز بن علي آل عثيمين الحنبلي النجدي القصيمي البردي (١٤١٠هـ) – تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(٣٨) **تصحيح الدعاء** – بكر بن عبد الله أبو زيد – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

(٣٩) **التعريفات** – علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) – تحقيق: إبراهيم الأبياري – دار الكتب العربي – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

(٤٠) **التعليق على صحيح مسلم** – فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

(٤١) **تفسير ابن أبي حاتم** – عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت٣٢٧هـ) – تحقيق: أسعد محمد الطيب – المكتبة العصرية - صيدا

(٤٢) **تفسير القرآن العظيم** – الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤هـ) – تحقيق: سامي بن محمد السلامة – دار الطيبة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

(٤٣) **تفسير القرآن الكريم: الفاتحة – البقرة** – فضيلة الشيخ العلاّمة محمد بن صالح العثيمين – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ

(٤٤) **تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران** – فضيلة الشيخ العلاّمة محمد بن صالح العثيمين – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ

(٤٥) **تفسير القرآن الكريم: سورة الكهف** – فضيلة الشيخ العلاّمة محمد بن صالح العثيمين – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ

(٤٦) **تفسير القرآن الكريم: سورة يس** - فضيلة الشيخ العلاّمة محمد بن صالح العثيمين – دار الثريا للنشر – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(٤٧) **تفسير القرآن الكريم: سورة الصافات** - فضيلة الشيخ العلاّمة محمد بن صالح العثيمين – دار الثريا للنشر – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(٤٨) **تفسير القرآن الكريم – الحجرات، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمن، الواقعة، الحديد** - دار الثريا للنشر – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

(٤٩) **تفسير القرآن الكريم: جزء عمّ** - فضيلة الشيخ العلاّمة محمد بن صالح العثيمين – دار الثريا للنشر – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

(٥٠) **تقريب التدمرية** – الشيخ محمد بن صالح العثيمين – ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان – دار الثريا للنشر – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

(٥١) **تقريب التهذيب** – الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) – تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ

(٥٢) **التمهيد لشرح كتاب التوحيد** – صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ – دار التوحيد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

(٥٣) **التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية** – فضيلة الشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد – دار الرشد – الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

(٥٤) **التهذيب اللغة** – محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) - دار القومية العربية للطباعة – ١٣٨٤هـ

(٥٥) **التوحيد أوّلاً يا دعاة الإسلام** – العلاّمة محمد ناصر الدين الألباني – دار الفضيلة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

(٥٦) **التوسل أنواعه وأحكامه** – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

(٥٧) **توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم** – أحمد بن إبراهيم بن عيسى – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

(٥٨) **التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات** – محمد بن عبد الله بن صالح الهبدان – دار طيبة – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

(٥٩) **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد** – الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٣٣هـ)

(٦٠) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان** – الشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ) – تحقيق: سعد بن فواز الصميل – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ

(٦١) **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن** – الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – القسم الأول: التفسير - مركز صالح بن صالح الثقافي – عنيزة – ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

(٦٢) **ثلاثة الأصول** – الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) - ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب – المجلد السادس - القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية – دار القاسم – الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(٦٣) **الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب** – محمد ناصر الدين الألباني – غراس – الطبعة الأولى

(٦٤) **جامع البيان عن تأويل آي** القرآن – أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ) – دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ

(٦٥) **الجامع لأحكام القرآن** - محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت٦٧١هـ) – دار الشعب – القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٢هـ

(٦٦) **الجامع لحياة العلاّمة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي** – وليد بن أحمد الحسين – مجلة الحكمة – لِيدز – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

(٦٧) **جامع الرسائل** – شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) – تحقيق: محمد رشاد سالم – دار العطاء – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

(٦٨) **الجامع الصحيح** وهو سنن الترمذي – أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت٢٩٧هـ) – تحقيق: أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض – دار إحياء التراث العربي - بيروت

(٦٩) **الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين** - مقبل بن هادي الوادعي

الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه – عبد الرزاق بن طاهر بن أحمد معاش – دار الوطن – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

(٧٠) **الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح** - شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية النميري الحراني (ت٧٢٨هـ) – تحقيق:جمع من المحققين – دار الفضيلة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

(٧١) **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر** – شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت٩٠٢هـ) – تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد – دار ابن حزم – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

(٧٢) **حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي** – دار إحياء التراث العربي - بيروت

(٧٣) **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة** – الإمام الحافظ قوّام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت٥٣٥هـ) – تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي ومحمد بن محمود أبو رُحَيِّم – دار الراية – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

(٧٤) **حَجَّة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر** ﵁ - المكتب الإسلامي – بيروت - الطبعة السابعة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

(٧٥) **حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول** – عبد الله بن صالح الفوزان – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

(٧٦) **خلق أفعال العباد** - محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي – تحقيق: د/عبدالرحمن عميرة – دار المعارف – الرياض – ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م

(٧٧) **دراسة مرويات العهد المكّي من سيرة النبي ﷺ** - عادل عبد الغفور عبد الغني – رسالة ماجستير – مطبوعة على الآلة الكاتبة، الجامعة الإسلامية، شعبة السنة ١٤٠٨هـ

(٧٨) **درء تعارض العقل والنقل** أو **موافقة صحيح المنقول لصريح** المعقول - شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت٧٢٨هـ) – تحقيق: محمد رشاد سالم

(٧٩) **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**: مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهّاب إلى عصرنا هذا – جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي (ت١٣٩٢هـ)
-الجزء الثاني – الطبعة السابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م
-الجزء السادس عشر – الطبعة الثانية إلاّ التراجم فهي الطبعة الثالثة ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤م
(٨٠) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون** – أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (٧٥٦هـ) – تحقيق: أحمد حمد الخراط – دار القلم – الدمشق – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م
(٨١) **الدعاء** - أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ) – تحقيق: د/محمد سعيد بخاري – دار البشائر الإسلامية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ
(٨٢) **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** – أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ) – تحقيق: عبد المعطى قلعجي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م
(٨٣) **الذيل على طبقات الحنابلة** – الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥هـ) – تحقيق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان بن العثيمين – مكتبة العبيكان – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م
(٨٤) **الرحيق المختوم**: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام – فضيلة الشيخ صفي لرحمن المباركفوري – دار الغد الجديد – الطبعة السابعة عشر ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م
(٨٥) **الرد على الجهمية** - الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده (٣٩٥هـ) – تحقيق: د/علي بن محمد بن ناصر الفقيهي – المكتبة الأثرية – باكستان

(٨٦) **الرد على الجهمية** – الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ) – تحقيق: بدر بن عبد الله البدر – دار ابن الأثير – الكويت – الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

(٨٧) **الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأويله على غير تأويله** – أمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) – تحقيق: صبري بن سلامة شاهين – دار الثبات – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(٨٨) **الرسالة التدمرية** – شيخ الإسلام ابن تيمية – ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد

(٨٩) **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل** – موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ) – تحقيق: د/عبد الكريم النملة – دار العاصمة – الرياض – الطبعة السادسة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(٩٠) **الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة** الفاخرة – الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – القسم الخامس: ثقافة إسلامية - مركز صالح بن صالح الثقافي – عنيزة – ١٤١١هـ/١٩٩٠م

(٩١) **زاد المسير في علم التفسير** - عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ

(٩٢) **سؤال وجواب في أهم المهمات** - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الثالث: العقيدة الإسلامية – مركز صالح بن صالح الثقافي – عنيزة – ١٤١١هـ/١٩٩٠م

(٩٣) **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** – محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض

-المجلد الأول إلى المجلد الخامس – الطبعة الجديدة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

- المجلد السابع – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

(**٩٤**) **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في** الأمة - محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض
- المجلد الأول – طبعة جديدة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م
-المجلد السابع – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م
(**٩٥**) **سنن ابن ماجه** بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي (ت١١٣٨هـ) وبحاشيته تعليقات مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه للإمام البوصيري (ت٨٤٠هـ) – تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
(**٩٦**) **سنن أبي داود** – الإمام الحافظ المصنف المتقن أبو داود سليمان بت الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ) – تحقيق: عزت عبيدْ الدعّاس، وعادل السيد – ومعه معالم السنن للخطابي (٣٨٨هـ) – دار ابن حزم – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م
(**٩٧**) **سنن الدارقطني** – أبو الحسن الدارقطني البغدادي - تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني - دار المعرفة - بيروت – ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م
(**٩٨**) **سنن الدارمي** – أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي - تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي - دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ
(**٩٩**) **سنن النسائي (المجتبى)** – الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ) – مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وألاده – مصر – الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م
(**١٠٠**) **السنن الكبرى** - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (٤٥٨هـ) – تحقيق: حمد عبد القادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة المكرمة – ١٤١٤هـ/١٩٩٤م
(**١٠١**) **السنن الكبرى** - الحافظ أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ) - تحقيق : د/عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن - دار الكتب العلمية - بيروت
الطبعة الأولى ١٤١١هـ /١٩٩١م

(١٠٢) **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية** – شيخ الإسلام ابن تيمية – ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد

(١٠٣) **سير أعلام النبلاء** – الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) – تحقيق:مجموعة من المحققين تحت إشراف شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الحادية عشرة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(١٠٤) **السيرة النبوية** – ابن هشام – تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

(١٠٥) **السيرة النبوية** – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ) – مطبوع في آخر سير الأعلام النبلاء - تحقيق: د/بشار عواد معروف – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(١٠٦) **السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق (دراسة مقارنة في العهد المكّي)** – الدكتور سليمان بن حمد العودة – دار الطيبة – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م

(١٠٧) **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية** – د/ مهدي رزق الله أحمد – مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م

(١٠٨) **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة** – الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن المنصور الطبري اللالكائي (ت٤١٨هـ) – تحقيق: د/أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي – دار طيبة – الرياض – الطبعة التاسعة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

(١٠٩) **شرح ثلاثة الأصول** – فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – دار الثريا – الرياض – الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

(١١٠) **شرح حديث جبريل في الإسلام والإيمان والإحسان** المعروف باسم **كتاب الإيمان الأوسط** – شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية – تحقيق: د/علي بن بخيت الزهراني – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ

(١١١) **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية** – العلاّمة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٩٢هـ) – تحقيق: أحمد شاكر – الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض – ١٤١٣هـ

(١١٢) **شرح العقيدة الواسطية** – العلاّمة محمد خليل هراس – تحقيق: علوي السقاف – دار الهجرة – الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م

(١١٣) **شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن** تيمية – سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – تحقيق: سعد بن فواز الصميل – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ

(١١٤) **شرح القصيدة النونية** – د/ محمد خليل هراس – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م

(١١٥) **شرح كتاب التوحيد** – الشيخ العلاّمة عبد العزيز بن عبد الله بن باز – تحقيق: محمد العلاّوي – دار الضياء – طنطا – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

(١١٦) **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري** – عبد الله الغنيمان – دار لينة – دمنمورت – الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(١١٧) **شرح كتاب كشف الشبهات من تقريرات الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ** – جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

(١١٨) **شرح كشف الشبهات** – فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – دار الثريا – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

(١١٩) **شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل** الرشاد – الشيخ محمد بن صالح العثيمين – ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان – دار الثريا للنشر – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

(١٢٠) **الصارم المسلول على شاتم الرسول** ﷺ - شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية النميري الحراني (ت٧٢٨هـ) – تحقيق: محمد بن عبد الله بن عمر الحلواني ومحمد كبير أحمد شودري – رمادي – الدمام – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

(١٢١) **الصحاح تاج اللغة** – إسماعيل بن حمّاد الجوهري (ت٣٩٣هـ) – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ

(١٢٢) **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان** – أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي – تحقيق: شعيب الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ /١٩٩٣م

(١٢٣) **صحيح الترغيب والترهيب** – محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الخامسة

(١٢٤) **صحيح الجامع الصغير وزيادة** – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

(١٢٥) **صحيح سنن الترمذي** – محمد ناصر الدين الألباني – مكتب التربية العربي لدول الخليج – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

(١٢٦) **صحيح سنن النسائي** – محمد ناصر الدين الألباني – مكتب التربية العربي لدول الخليج – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

(١٢٧) **صحيح السيرة النبوية** – محمد ناصر الدين الألباني – المكتبة الإسلامية – عمّان – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

(١٢٨) **صحيح مسلم** بشرح الإمام محي الدين النووي المتوفّى سنة ٦٧٦هـ المسمّى المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج – تحقيق وترقيم: الشيخ خليل مأمون شِيحا – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

(١٢٩) **الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين** – مقبل بن هادي الوادعي – مكتبة دار القدس – الطبعة الأولى ١٤١١هـ

(١٣٠) **الصحيح المسند من أسباب النزول** – مقبل بن هادي الوادعي – دار ابن حزم – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٥هـ

(١٣١) **صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن الكريم** – فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري (ت١٣٩٩هـ) – دار المغني للنشر والتوزيع – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

(١٣٢) **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** - الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) - تحقيق: د/علي بن محمد الدخيل الله – دار العاصمة – الرياض – الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

(١٣٣) **الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق** – سليمان بن سحمان - تحقيق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم - رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض – الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ/١٩٩٢م

(١٣٤) **الطبقات الكبرى** - أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري - دار صادر - بيروت

(١٣٥) **طريق الهجرتين وباب السعادتين** – الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) – تحقيق: يوسف البدوي – دار ابن كثير – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٢٣/٢٠٠٢م

(١٣٦) **ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي** – د/سفر بن عبد الرحمن الحوالي – مكتب الطَّيِّب – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

(١٣٧) **ظلال الجنة في تخريج السنة** – انظر: كتاب السنة

(١٣٨) **العبودية** – شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي (٧٢٨هـ) – تحقيق: علي حسن عبد الحميد – دار الأصالة – الإسماعيلية – الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

(١٣٩) **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير** – الشيخ العلاّمة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) – تحقيق: خالد السبت – دا عالم الفوائد – مكّة المكرّمة – الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ

(١٤٠) **العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية ولأحاديث النبوية** – الأستاذ العلاّمة عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٨٨٩-١٩٤٠م) – دار الفتح – الشارقة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥هـ

(١٤١) **عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي** – د/صالح بن عبد الله العبود – الجامعة الإسلامية – الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م

(١٤٢) **العقيدة الصحيحة وما يضادها** – الشيخ عبد العزيز بن باز – مكتب الدعوة – بريطانيا

(١٤٣) **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية** – الإمام الحافظ المُحَقِّق أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي – تحقيق محمد حامد الفقي – مكتبة المؤيد – الرياض

(١٤٤) **العقيدة الواسطية** - شيخ الإسلام ابن تيمية – ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد

(١٤٥) **علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين** – د/رضا بن نعسان معطي – دار الهجرة – الرياض – الطبعة السادسة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

(١٤٦) **عون المعبود شرح سنن أبي داود** – العلاّمة أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي – تحقيق: عصام الصبّابطي – دار الحديث – القاهرة – ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

(١٤٧) **غريب الحديث** – أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي (ت٣٨٨هـ) – تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي - جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤٠٢هـ

(١٤٨) **غريب الحديث** – أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري - تحقيق: د/ عبد الله الجبوري - مطبعة العاني – بغداد - الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ

(١٤٩) **الفتاوى الكبرى** – الإمام ابن تيمية – تحقيق: عبد الحكيم محمد عبد الحكيم – المكتبة التوفيقية - القاهرة

(١٥٠) **فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري** – الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)- تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحب الدين الخطيب – ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي – المكتبة السلفية – القاهرة – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ

(١٥١) **فتح رب البرية بتلخيص الحموية** – الشيخ محمد بن صالح العثيمين – ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان – دار الثريا للنشر – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

(١٥٢) **فتح الرحيم الملك العلاّم في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن** – الشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦هـ) – تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

(١٥٣) **فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية في التفسير** – محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٠٥هـ) – تحقيق:د/عبد الرحمن عميرة – دار الوفاء – المنصورة – الطبعة الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

(١٥٤) **الفتوى الحموية الكبرى** – شيخ الإسلام ابن تيمية – ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد

(١٥٥) **فتيا في حكم السفر إلى بلاد الشرك** - ضمن مجموع الرسائل للعلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت١٢٣٣هـ) – تحقيق: د/الوليد بن عبد الرحمن آل الفريان – دار عالم الفوائد – مكّة المكرّمة – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ

(١٥٦) **الفرقان بين الحق والباطل** – شيخ الإسلام ابن تيمية – ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد

(١٥٧) **فقه السيرة** – محمد الغزالي – تحقيق: العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - دار القلم – دمشق – الطبعة السابعة ١٩٩٨م

(١٥٨) **الفوائد** – الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية – تحقيق: عامر بن علي ياسين – دار ابن خزيمة – الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٨م

(١٥٩) **القاموس المحيط** – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) – دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(١٦٠) **القواعد الأربعة** – الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) - ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب – المجلد السادس - القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية – دار القاسم – الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(١٦١) **القواعد الحسان لتفسير القرآن** - – الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي – القسم الأول: التفسير - مركز صالح بن صالح الثقافي – عنيزة – ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

(١٦٢) **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى** – الشيخ محمد بن صالح العثيمين – ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان – دار الثريا للنشر – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

(١٦٣) **القول السديد في مقاصد التوحيد** - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، القسم الثالث: العقيدة الإسلامية – مركز صالح بن صالح الثقافي – عنيزة – ١٤١١هـ/١٩٩٠م

(١٦٤) **القول المفيد على كتاب التوحيد** – فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

(١٦٥) **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة النجية** – الإمام ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) – تحقيق: عبد الله بن محمد العمير – دار ابن خزيمة – الرياض- الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م

(١٦٦) **الكامل في ضعفاء الرجال** – ابن عدي – تحقيق: سهيل زكار – دار الفكر – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ

(١٦٧) **كتاب التوحيد الّذي هو حق الله على العبيد** – الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) - ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب – المجلد السادس - القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية – دار القاسم – الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(١٦٨) **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب** ﷻ - الإمام أبو بكر بن إسحاق ابن خزيمة (٣١١هـ) – تحقيق: د/ عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة السادسة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م

(**١٦٩**) **كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد** – الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده (٣٩٥هـ) – تحقيق: د/علي بن محمد بن ناصر الفقيهي – مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

(**١٧٠**) **كتاب الرد على المنطقيين** أو **نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان** – شيخ الإسلام ابن تيمية – تحقيق: الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتبي – مؤسسة الريان – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

(**١٧١**) **كتاب السنة** – الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (٢٨٧هـ) ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

(**١٧٢**) **كتاب الشريعة** – الإمام المحدث أبو بكر محمد بن الحسين الآجرّي (ت٣٦٠هـ) – تحقيق: د/ عبد الله الدميجي – دار الوطن – الرياض الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

(**١٧٣**) **كتاب في الرد على الطوائف الملحدة والزنادقة والجهمية والمعتزلة والرافضة** – شيخ الإسلام ابن تيمية – ضمن الفتاوى الكبرى – الإمام ابن تيمية – تحقيق: عبد الحكيم محمد عبد الحكيم – المكتبة التوفيقية - القاهرة

(**١٧٤**) **كتاب النبوات** – الإمام العلامة شيخ الإسلام علم الأعلام تقي الدين أبو العبس أحمد ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) – تحقيق:د/عبد العزيز بن صالح الطويان – أضواء السلف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

(**١٧٥**) **كشف الشبهات** – الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) - ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب – المجلد السادس - القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية – دار القاسم – الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(**١٧٦**) **كشف الظنون** – مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (١٠٦٧هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٣هـ/١٩٩٢م

(١٧٧) **الكلم الطيب** – شيخ الإسلام ابن تيمية – تحقيق:محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

(١٧٨) **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية** – العلاّمة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤١١هـ/١٩٩١هـ

(١٧٩) **المبتدأ والمبعث والمغازي** – محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي

(١٨٠) **مجمع الزوائد** – علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ) – دار الريان للتراث – القاهرة

(١٨١) **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** – جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وابنه محمد

(١٨٢) **مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين** – جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان – دار الثريا للنشر – الرياض – الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

(١٨٣) **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة** – عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز – جمع وإشراف محمد بن سعد الشويعر – مكتبة المعارف – الرياض ١٤١٣هـ/١٩٩٢م

(١٨٤) **مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب** – دار القاسم – الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(١٨٥) **مختصر الشمائل المحمدية** – محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ

(١٨٦) **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة** – ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) – اختصار: محمد بن الموصلي (٧٧٤هـ) – تحقيق: الحسن بن عبد الرحمن العلوي – أضواء السلف – رياض – الطبعة الأواى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

(١٨٧) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية – تحقيق: عبد العزيز بن ناصر الجُلَيِّل – دار طيبة – الرياض – الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

(١٨٨) **مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر** – الشيخ العلاّمة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ) – دار عالم الفوائد – مكّة المكرّمة – الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ

(١٨٩) **مسائل في الإيمان** – فضيلة الشيخ العلاّمة صالح بن فوزان الفوزان – إخراج: عبد الرحمن الهرفي – دار عالم الفوائد – مكّة المكرّمة – الطبعة الإولى ١٤٢٣هـ

(١٩٠) **المستدرك على الصحيحين** - محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ) - تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة الأولى ١٤١١هـ /١٩٩٠م

(١٩١) **المسند** – أبو داود سليمان بن داود البصري الطيالسي (ت٢٠٤هـ) – دار المعرفة - بيروت

(١٩٢) **المسند** - أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني (ت٢٤١هـ) - مؤسسة قرطبة - القاهرة

(١٩٣) **المسند** - أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (ت٣٠٧هـ) - تحقيق: حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث – دمشق - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

(١٩٤) **المسند** - أبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي (٢١٩هـ) – تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي – مكتبة المتنبي - القاهرة

(١٩٥) **مشكاة المصابيح** - محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي – تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م

(١٩٦) **المصنف** – الحافظ الكبير أبو بكر عبد الرزاق بن همّام الصنعاني (ت٢١١هـ) – تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣هـ

(١٩٧) **المصنف في الأحاديث والآثار** - أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي (ت٢٣٥هـ) - تحقيق: كمال يوسف الحوت - مكتبة الرشد – الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

(١٩٨) **المستصفى من علم أصول الفقه** – الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)

(١٩٩) **معارج القبول بشرح سلّم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد** – الشيخ العلاّمة حافظ بن أحمد الحكمي (ت١٣٧٧هـ) – تحقيق: محمد صبحي حلاّق – دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩هـ

(٢٠٠) **معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى** – د/محمد خليفة التميمي – أضواء السلف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

(٢٠١) **معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب** - ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار المستشرق ١٩٢٣-١٩٣٠م

(٢٠٢) **المعجم الأوسط** - أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ) – تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني - دار الحرمين – القاهرة ١٤١٥هـ

(٢٠٣) **معجم البلدان** – ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ) – دار الفكر - بيروت

(٢٠٤) **المعجم الصغير** - أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني – تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

(٢٠٥) **المعجم الكبير** - أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني – تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم – الموصل - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م

(٢٠٦) **معجم مقاييس اللغة** – أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) – تحقيق: عبد السلام هارون – دار الفكر

(٢٠٧) **المعجم الوسيط** – إبراهيم مصطفى وآخرون – المكتبة الإسلامية – استنبول – الطبعة الثانية

(٢٠٨) **معنى لا إلــه إلا الله ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع** – د/صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان – الجامعة الإسلامية – المدينة النبوية – الطعة الثالثة ١٤٢٢هـ

(٢٠٩) **مفتاح دار السعادة** – العلاّمة الإمام شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) – تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري – دار ابن القيم – الرياض – الطبهة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

(٢١٠) **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية** – شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الدمشقي (ت٧٢٨هـ) – تحقيق: محمد رشاد سالم – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

(٢١١) **مفردات ألفاظ القرآن الكريم** – العلاّمة الراغب الأصفهاني – تحقيق: صفوان عدنان داوودي – دار القلم – دمشق – الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

(٢١٢) **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم** – الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت٦٥٦هـ) – تحقيق: جمع من المحققين – دار ابن كثير – دمشق – الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

(٢١٣) **المفيد الستفيد في كفر تارك التوحيد** – الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦هـ) - ضمن مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب – المجلد السادس - القسم الأول: العقيدة والآداب الإسلامية – دار القاسم – الرياض - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

(٢١٤) **المقدمات الأساسية في علوم القرآن** - عبد الله بن يوسف الجديع – مؤسسة الريَّان – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

(٢١٥) **من أخلاق الداعية** – سلمان بن فهد العودة – مكتب الدعوة – بريطانيا – الطبعة الأولى ١٤١١هـ

(٢١٦) **منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى** – د/ خالد بن عبد اللطيف بن محمد نور – مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية – الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

(٢١٧) **موافقة الخبر الخبر في تخريج أحاديث المختصر** – الحافظ ابن حجر العسقلاني – مكتبة الرشد – الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ

(٢١٨) **الموالاة ولمعاداة في الشريعة الإسلامية** – محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود – دار اليقين للنشر والتوزيع – المنصورة – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

(٢١٩) **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر** – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) – تحقيق: محمد عبد الكريم الراضي – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

(٢٢٠) **نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترا على الله في التوحيد** – الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ) – تحقيق: منصور السماري – أضواء السلف – الرياض – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

(٢٢١) **النهاية في غريب الحديث والأثر** – الإمام مجد الدينأبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (٦٠٦هـ) – تحقيق: محمود محمد الطناحي – المكتب الإسلامي

(٢٢٢) **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى** – محمد الحمود النجدي – مكتبة الإملم الذهبي – الكويت

-المجلد الأول والثاني: الطبعة الثانية ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

-المجلد الثالث: الطبعة الأولي ١٤١٧هـ/١٩٩٧م

(٢٢٣) **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب** – الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم لجوزية – تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد – إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد – دار عالم الفوائد – مكّة المكرّمة – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ

(٢٢٤) **الولاء والبراء في الإسلام** – محمد سعيد القحطاني – دار طيبة – الرياض – الطبعة التاسعة – ١٤٢٠هـ

(٢٢٥) **الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم** – د/عبد الله بن إبراهيم الطريقي – مكتب الدعوة – بريطانيا – الطبعة الأولى ١٤١١هـ

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**